

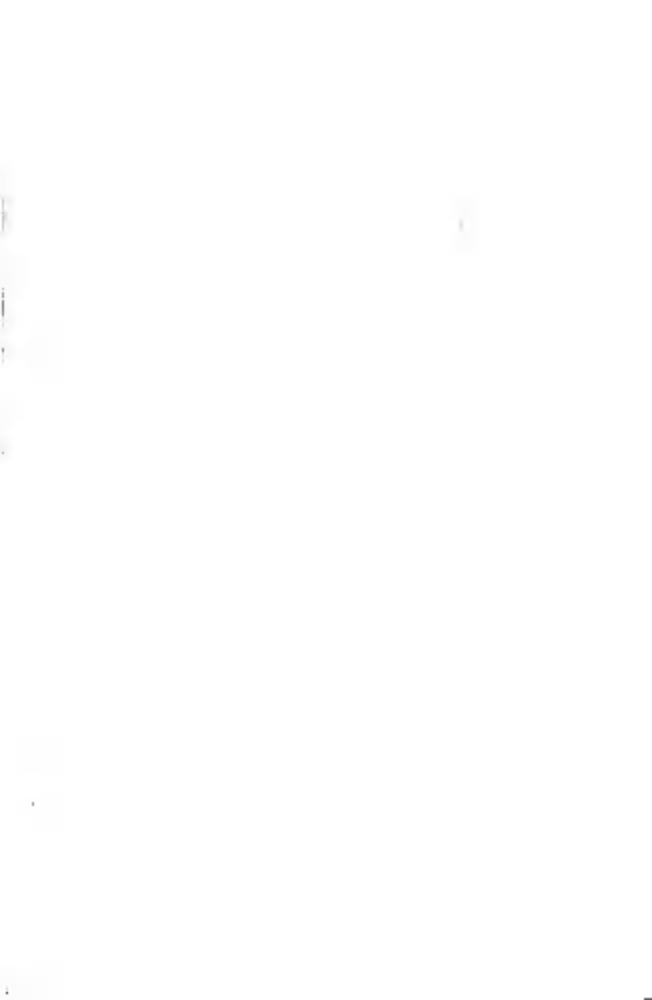
أحمد مهساس

الحركة الثورية في الجزائر

من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة



دار الفصحى للطباعة



أحمد مهباس

الحركة الوطنية الثورية في الجزائر

من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة

ترجمة:

الحاج مسعود مسعود

محمد عباس

دار الفصحى للنشر

بلاط 6، حي سعيد حسين - بناية 2 - 168 الجزائر

مقدمة الطبعة العربية

إن تاريخ الحركة الثورية الجزائرية بين سنة 1954 و1954 هو تاريخ كفاح شعب ضد الاستعمار الاستيطاني الذي لم يبدأ بعد الحرب العالمية الأولى بل منذ أن وصلت أقدام المغزلة أرض الوطن. إن تاريخ الحركة الثورية بين سنة 1914 و1954 هو امتداد لتلك الحركة المستمرة التي عرفها القرن الـ19.

إن من أهداف هذا الكتاب هو إبراز استمرارية هذه الحركة والتحول النوعي التي عرفت مع بداية القرن الـ20 بظهور حزب نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وأخيرا صعود القبايل الثوري الذي جعل المسؤولية التاريخية لاندلاع ثورة الخامس نوفمبر.

بلورة الطابع الشعبي والذاتي لهذه الحركة كان اهتمامنا الدائم في بواسطتنا للتحقيق التاريخية المذكورة. كما حاولنا أيضا في هذا الكتاب إبراز حجم المجهودات الثقافية والفكرية والسياسية وكذا التضحيات البشرية والمادية التي بذلت لمواجهة أعتى قوة في العالم الغربي آنذاك.

مجامع القبايل الثوري الجزائري في تمسخر الثورة ولتتمسكها لم يأتي من باب الصدفة بل نتيجة بلوغه العظمى بالحركة الوطنية الشاملة. تلك الحركة التي كانت في الحليقة هي التعبير السياسي والتنظيمي لعينانية مجتمعات عربي إسلامي عرف منذ أكثر من قرن عملية تحطيم ومحو أسسه الثقافية الحضارية والروحية. منه الحركة الثورية لم تكن معزولة عن التحولات الإقليمية والعالمية بل باتت منتجة بكل خصوصياتها في الموجة العالمية التحررية التي عرفها العالم

الثالث: عموم ما والقطب العويبي الإسلامي على وجه الخصوص.

وكذا إلهام ذلك الحركة الثورية بكل موضوعية واحتراما لكل المقاييس العلمية كجسد روح وعقل كان التحصيل المتاصل لتربية هذه التجربة الثورية. نعم إن الحركة الثورية الجزائرية ثورة بكل ما يحمل هذا المصطلح من متعاني وليس مجرد حرب كما يروجه البعض. أقول إن بسما التقدير للنضال السياسي ما بثورة ويرفض في نفس الوقت نفس المصطلح في تحذير أمة كاملة من قيود السيطرة الإمبريالية وكل ما نتج عنه من إهماء حضاري وإعاقة بناء مؤسسات خلقت على مدار أكثر من قرن.

هذا يعني مواصلة الثورة على المستوى التعليمي والعلمي ضد المنظومات الفكرية والسلوكية إلى بقوة الأجيال الإمبريالية القوية.

إن الدراسة العلمية الحقيقية تشتمل على الثورة الفكرية كتحديد عن كيان بشري استطاع تكوين نموذج متميز ومتقدم في التحرر والإعلاق وهذا بكل أبعاده الفكرية الثقافية والاجتماعية. تلك هي العوامل الأساسية التي أعطت الطغمة الثورية والضمائم السياسية لانتصار ثورة نوفمبر.

نفس هذه العوامل التي فسر مضمون هذا الكتاب الذي لم يترجم ولم ينشر في الجزائر إلى بعد ربع قرن من تاريخ تأليفه في ميلو المنفى رغم رواجه ومطالعه في الأوساط الجامعية والسياسية في الجزائر وخارجها.

هذا الكتاب أودع مساهمة في فهم صيرورة التاريخ الوطني وإدراك متواضعا في منهجية التحرر الشامل مفتاحا لكل المراحل على التجارب الثورية في العالم.

أمن الضروري القول بأن الوضع الراهن على الصعيد الجزائري المتميز بالسيطرة الإمبريالية وسلسلة من الانحرافات عن النموذج الثوري التوفيري بات محذرا في هذا الكتاب لأن التراث الفخالي الثوري ليس كما يعتقد البعض مجرد تجربة حبسية الماضي بل مجهود إنساني دأب في الثورة الحقيقية لتحرير الوطن واليتيم جعاع.

لا يغفلني إلى أن أهدى هذا المنشور العلمي المتواضع إلى رفاق الجهاد الذين
(قاموا) التضحيات التي يصعب تلخيصها إلى يومنا هذا.

ولا يغفلني في نفس الوقت أن أهدى هذا الكتاب إلى كل الذين راغبتوني
بشجاعتهم ومواقفهم طيلة السنوات الأخيرة.

أولاً وأما هنا كلها أن يكون هذا الكتاب أدات وصول وقية وفعالة بين جيلنا
والجيل الشاب المعطش اليوم لمعرفة الحقائق التاريخية لوطنه التي لا مافذ منها
التي يجب مستقبل يكون شلته في مستوى طموحات الأمة.

أخيراً، لتكن هذه الدراسة شكراً وأمنافاً لجميع القوى التحررية في العالم عامة
والعربية الإسلامية على وجه الخصوص، حيث يلتفت محل اهتمامنا الدائم طيلة
سنوات التضحية.

الدكتور أحمد مهساس

الجزء الثاني في 11 ديسمبر 2002



تمهيد

ما زالت الجزائر محل اهتمام الباحثين وكثيرون هم للكتاب الذين كرسوا لها أعمالهم وقد أصبحت الأعمال المنشورة هؤلاء - سواء من حيث الفتوات أو المواضيع التي تتناولها - تشكل بيبيوغرافيا هامة، تعكس تنوعا في الآراء والإشكاليات ومنهج التحليل.

ونأتي دراستنا هذه كمساهمة نحاول من خلالها التوفيق - ما أمكن - بين ذاتية المناهض الملتزم وضرورة التحليل الموضوعي. وقد ارتأينا من المنهج رغم نقائص مثل هذا المسعى، أن ننقل للجمهور انشغالات وآراء أصيلة للجهة من الداخل، حول مرحلة حاسمة من مراحل تطور الحركة الوطنية.

هيز أن هذا الكتاب لا يطمح إلى تناول هذه الحركة في مجملها وتحليلها تحليلاً شاملاً، بل دراسة بعض جوانبها لاسيما نشأة الفكر الثوري ورصد الخطوط العريضة للمسار الثوري. فالمقصود هو التوصل إلى خلاصة حول الأحداث الرئيسية خلال فترة ما بين الحرب العالمية الأولى وفاتح نوفمبر 1943، خلاصة تجعلنا ندرك المعنى الإجمالي لهذه الفترة إننا كما جردنا: علما أن لهذه المرحلة تأثيرا مباشرا على اندلاع الكفاح المسلح وعلى فترة ما بعد الاستقلال أيضا.

فالعودة إلى الماضي من خلال قراءة هذه الفترة إننا لا بد منه، لنفهم تطور هذا البلد الذي عاش حوالي ثمانين سنوات من حرب شرسة تخطتها العديد من الأزمات والاختلالات والفتنات.

وقد انطلقنا في مساننا هذا من الفرضية التالية: أن الجزائر كمجتمع عربي إسلامي تتوفر على احتياطي من الموارد والطاقات يكفيها لضمان الدفاع عن

نفسها، وأكثر من ذلك، لتحقيق التكيف الضروري مع تحولات هذا المجتمع قادر على مواجهة التحديات التي تفرضها سيره عبر الحقب التاريخية المتعاقبة، برزت القِيم والآليات الاجتماعية والسياسية (شأن القرار الثوري) التي تضمن استمراره وتحوله في عالم متغير.

وتشكل الحركة الوطنية في هذا السياق - كتعبير عن هذه التشكيلة الاجتماعية - عبارة الوعي الوطني وحب الوطن، والتعبيل السياسي والثقافي الجماهير الشعبية فضلاً عن بلورة المصطلح الاجتماعية والاقتصادية لهذه الجماهير.

وفي تقديرنا أن الحركة الوطنية تضرب جذورها في مرحلة المقاومة الشعبية للاحتلال الأجنبي ومختلف الانقلابات التي هزت الجزائر بعد ذلك، فهي إذاً لم تنشأ خلال العشرينات من القرن الحالي بحسب الرأي الشائع، بل انبثقت من جديد واستطاعت أن تتكيف مع الظروف المتغيرة. وهذا ما نلحظه بالعميد من نشأة وتحول هذه الحركة.

والواقع أن صدمة الاحتلال فرضت على المجتمع الجزائري فرضاً أن يتكيف مع الرقعية المطروقة، كما فرضت عليه مراجعة طرق تنظيم مقاومته.

لقد فصلنا عن قصد التركيز على الجانب السياسي في تطوير الحركة الوطنية، دون أن نتجاهل طبعاً أهمية ودور العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي سهلت هذا التطور. ويبرز تحليل هذا الجانب بوضوح أهمية العوامل الثابتة في حياة المجتمع، وقِيَمه الفاعلة وقدرته على التكيف والمقاومة أمام تحديات التاريخ. ذلك أن الحركة الوطنية تعني قبل كل شيء «تعبئة المجتمع وإعادة هيكلته بدافع من إرادته الذاتية المتميزة للبقاء» كما تعني جعل تنظيماته ومجمع مواقفه والتزاماته وتحركه جماعياً لتعريب أرضه واستعادة جنسيته وسيادته.

فالتصور مثل التكيف لا يعني في هذا الصدد غير البحث عن الفاعلية - ضمنياً أو علانية - وتمكّن المجتمع في مصيره. وتكتسي العوامل السياسية والإيديولوجية أهمية خاصة في دعم المجهود التضوي، وإعطاء السبب لحقق للحركة الوطنية درجة كبيرة من الشكليات. عندما تكون تعبوا حساساً عن تطوّر المجتمع للتغيير والتحديث.

وتهدف الحركة - كما نلحظ عن - إلى قيادة المجتمع لاستعادة هويته وخصائصه الثقافية واستلثاته الوطني. وفي هذا التصدد تواجه مختلف أشكال الغزو والتشويه المخدجي التي تحاول تحت شعار العصرية إخضاع المجتمع للمهينة والاستغلال؛ كما تقوم بغزو وتوطيد الإسهامات الأجنبية الإيجابية مع طرح المعايير والأنماط غير الملائمة. وذلك لأن التغيير والتجديد لا يمكن أن يحدث الضغوط الخارجية، بل على العكس من ذلك لأن نجاحه مرهون بإحترام الجذلية الدخيلة القائمة بين المحافظة والتجديد، بين القديم والجديد. فكل طرف يعمل لضبط الحركة الضرورية للتقدم والتكيف.

فالمجتمع هنا في الواقع (بحسبناك ربيع الجولانية) هو الذي يتحرك في مجمله بالاعتماد على ذاته وببسيطة جميع مبادئه.

غير أن هذه المصيرة تظل بحاجة إلى توجيه وتغيير وإلى وسائل استراتيجية. ولا تشكل ميكنة هذه الحركة - بحسب ضرورتها - كتلا واحدة، بل هي انعكاس تنوع مكوناتها وما يتولد عنها من اختيارات، عليها بصفة عامة درجة الالتزام والحرص الوطني والانتماء إلى سلفاء الأوساط الاجتماعية الاقتصادية والظرفية وهكذا يؤدي تنوع البنية الاجتماعية إلى ظهور تيارات سياسية مثاقفة الفولوق، يتطلع كل منها إلى التعبير عن المسئلة الوطنية بشكل أو بآخر.

لكن رغم هذه الفوارق، يدعو الحركة كوطنية في مجملها كنهض لنظام المهينة الأجنبية، مما يجعلها تكشف بوضوح عن التناقض الرئيسي الذي يصول هذا النظام [خفاها].

هذه الحقيقة ملبما لا تنفي وجود تناقضات لتقوية داخل الحركة تأسس بحكم تنوع مكوناتها أساسا وتتفاوت خطورة هذه التناقضات في سياق المسار النضالي، بحسب نقاط الاتفاق والاختلاف حول المسائل الاستراتيجية والتكتيكية. ويمكن تجاوز هذه التناقضات أحيانا بما يحصل من توافق حول البرامج المرحلية على المدى القصير أو الطويل؛ كما يحدث أيضا أن يتمكن تيار سياسي معين من فرض هيمنة على التيارات الأخرى لمشكلة الحركة الوطنية.

يحدث ذلك عندما يوفق هذا التيار في توسيع دائرة تمثيله الشعبي، وفي التعبير عن الميولات المبعثرة لوطنية أحسن من غيره، وفي تخصيص تنظيمه ووسائل عمله بطريقة خالصة. أي يفرض نفسه فعلاً كالحسن مبدع عن القضية الوطنية أمام النظام الاستعماري.

وبينما تبدو هذه المعكفة الثلاثية مرهونا بمدى نجاح هذا التيار في التعبير السابق عن الميالات الوطنية وفي التوافق مع التزام و همم دافعين، ولا يمكن لمسور ذلك بدون تكوين مناضلين متحمسين، جاعلين من لجميع التضحيات المطلوبة ومستعدين للعمل ومقاومة القمع في نفس الوقت.

ونركز استراتيجيته هذا التيار على الجدي الطويل، على إنشاء قوة دائمة على مواجهة النظام الاستعماري وحسم المواقف لصالحها في الوقت المناسب. وهذا هو المبدؤ الذي يسمح بإحداث صفة "الثوري" على هذا التيار، لتكتم الصفة التي لا يكفي لاستحقاقها أن تكون الأهداف ثورية، بل ينبغي تجسيد الطابع الثوري كذلك في طرق ووسائل العمل وفي المقدرة على التمسك والتكيف.

وبدوي الأتيار هذا التنظيم بصفا نظفاته، فهو لا يمكن أن يكون سوى محصلة لمسار فضائي طويل وما يتوقف عليه من نتيجة ونجاح.

ويخلص فعلنا هذا - كما سمعت الإشارة - الجانب السياسي في الحركة الوطنية، لكنه في نفس الوقت يولي أهمية خاصة لنشأة التيار الثوري بداخلها، لأن هذا التيار هو الذي سيلعب فعلاً دور المحرك بين التشكيلات الأخرى المعركة للمركة.

وبقوم الإشكالية للمعتمدة هنا على فرضية. مفادها أن الثورة ليست حكراً على نظرية معينة أو على بلدان دون غيرها فالثورة يمكن أن تظهر وتنتزع في بلدان تتوقف فيها الظروف الضرورية لذلك، حتى لو كانت هذه الشروط لا تطبق عليها تماماً تلك المعطيات المحددة هي الفرضيات المعروفة فالواقع كثيراً ما يكون أغنى من النظرية في هذه الميدان. كما تبرز على تلك العروس المعتمدة من حياة المجتمعات وتاريخها.

الثورة في قلوبنا ليست مجرد انتفاضة شعبية عفوية ومفاجئة، تستهدف طلب سلطة أو نظام وتغيير وضع قائم فهي إن كانت حقا لحظة ساخنة في التاريخ، فإن هذه اللحظة مع ذلك لا ينبغي أن تحدث بدون تحضير وتنظيم وتكوين لوجيالي لمدة طويلة أحيانا. أي أن اللحظة الساخنة لا يمكن وقوعها إلا هي خاتمة المسار.

وتختلف الثورة عن الحركة الاحتجاجية بكونها تحول مشروع تعبيري للنظام القائم، وإن كانت تعمل توتلف مثل هذه الحركة، بعد تحويلها إلى عمل واسع بالأسباب الجوهري التي تولد حالة انحصار الدائمة والاحتلال والقمع سواء كان مسلطا على الشعب بكامله أو على طبقة اجتماعية بعينها.

ويرجع السبب البعيد للثورة في الجزائر إلى الاحتلال والعبث الأجنبية خاصة، فبخلاف الأسباب الفلافية والاجتماعية الاقتصادية التي لعبت دورا هاما في دوافع الناس ومشاركتهم الفعالة ولا تقوم الثورة في هذه المرحلة على استراتيجيات الحشود الطبقية، لأن الجماهير الشعبية ليست البروليتاريا هي التي تلعب الدور الرئيسي فيها، طبعا لا يمكن تجاهل الدور الاجتماعي والقمع الطبقي لكن الدور هنا ذهني هذه الفئات الاجتماعية وتسمو عليها، بيد أن الجماهير الشعبية مهما كانت قوتها على تقدير الاحتياجات الفورية والطرفية، فإنها مع ذلك لا تستطيع بدون تنظيم أن تضمن نهركموا الاستثمار لتطبيق هدف حسيب الفعالي. لذا فالثورة تعني فعل كل شيء لتنظيم أكثر الفئات الاجتماعية استعدادا، وتشكيلها على نحو يجعلها أكثر التزاما وبمقطة. فهي بذلك تبسب لواء التنظيم والعمل المنظم داخل المجتمع وبهدف فكريية تعمير قلوبنا - من خلال قسم من المجتمع - من مجموع الفطوحات الشعبية أمام التحديات والمخاطر.

والعلاحة أننا نجد في كل مجتمع عدة فئوية افتراضية لهذه الفطوحات، تتفاوت فيما بينها حسب درجة فعالية كل منها. وفيغير حظفت الفطوات السياسية لم الاجتماعية الثقافية عن هذه الأخيرة، في شكل حلول عتباينة لمشكلة واحدة. ولما يخص الجزائر فإننا نميل إلى الفرضية القائلة بأن الفكر الثوري، موثقي قدم فعل الأنسب لمشكلة التحرير الوطني دون أن يعني ذلك تكرار ما قسعت تشكيلات الحركة الوطنية الأخرى من مساهمات هامة أحيانا.

وبناء على ذلك كرسنا تطليلنا بصقة فلسفية إلى الظاهرة القوية كجزء من هذه الحركة الشاملة. وقبل ذلك كل شيء علينا أن نتحدث عن مصور هذه الظاهرة وأصغر أركانها وعن فهم خصائصها ومختلفة مظهراتها، فنؤكد على ارتباطها بحركة المقاومة المتعددة الأشكال التي خلفتها للشعب الجزائري ضد الاستعمار.

إن الانقطاع في حياة المجتمعات وتاريخها هو هي ظواهر أمر ظاهري فقط، وهنا ما يؤكد بوضوح المصور الثوري في نقاشه لتغيير الرأسمالي، الأسيلة ودعم التعميم الفاعل عن الحقبة الاستعمارية.

وليس الأمانة هنا أمر ثابت وجامد نرجع إليها باستمرار، وإن كانت شكل عكسها خاصا من ذاتية المجتمع وإحدى مميزات شطريته الدينامية والناجمة من مله فعلا والتمسكة عن حقيقته المعقدة بل لا نالها كل ما هو "بؤس" ومسطحي.

ولا يمكن للحركة السياسية أن تعني الأصالة، عالم تكن متعلقة مع الخصائص الحرفية المصيرة للمجتمع، وهذا ما يتجسد في التمرجيب التي تدر عن نفسها في أهداف، التعميم وأساليب، كما نشهد في الاستراتيجيات وسنابع العمل وفي المثلوى الإيديولوجي والثقافي.

يرتبط مفهوم الخصوصية مع الشخصية والتمرية كحدود اجتماعية تميز الأمل المتنازل الذي لا يمكن طمسه في مفاهيم التعميم المعهنة (بالنظر إلى الترانزيت الكونية). فلو حصل أن طيفت عنه المظاهر جسميا بخصب منطقها الخاص، لكادت المنهجية الحتمية هي تجريد المجتمعات من حوية الحياة.

إن الاندماج الكوني حسب هذه الصيغة هو أمر سائب في أكل من جالسه، ومن شأنه أن يؤدي إلى إثابة جميع الخصوصيات في واحدة من بينها فقط، يتم فرضها كمنطق كوني بطريقة تعسفية. مع العلم أن "الكوني" الحقيقي هو ذلك الذي يستوعب المعلومات الأساسية المعقدة، لينتج لها فرصة ظهور بشكل مغاير ومستقل.

ومن هنا يمكن قيام علاقة مساواة تربط بين جميع المجتمعات الإنسانية في ظل احترام تنوعها الطبيعي. وهذا هو المعنى العميق لحركة وطنية (صيلة تسعى إلى إعادة بقاء الواقع الوطني، وتنافس من أجل فرض وجود هذا الواقع وجودا حرا بين المجتمعات الأخرى في ظل الاختلاف والمساواة).

وعندما يتجه من نظام ما الوجود الوطني ويحوليه فإن الرد للمنحيب على ذلك يكمن في تفعيل الرصيد الوطني وتعبئة القدرات، وفي القدرة على التنظيم والتفكير وسبل الكفاح الملائمة.

وفي هذا السبيل يتعين على الحركة الوطنية (الاسم الطليعة فيها) أن تتطابق مع إيديولوجية المجتمع وفيه وتلائمه وحضرته لكي تبلغ أعلى مستوى ممكن من النجاعة. وبفضل هذا التماثل يحقق المجتمع للتغيرات التي تملحها عليه ضرورة التطور بالاعتماد على حركته الثابتة الخاصة، وبدون ذلك فإن التحولات ستفرض عليها انطلاقاً من حركية خارجية لها مبادئ ومفاهيم النتيجة المضروعة إلى القوى الاستعمارية.

إن أي مجتمع لا يمكن أن يضمن لنفسه البقاء بدون تشكيل منظومة خاصة، دائمة على حالة من التوازن بين مختلف عناصره التي تتكامل فيما بينها بقدر ما يشد بعضها بعضاً. فالمبدأ في تصور بعض هذه العناصر باسم التقدم، قد يدفع المجتمع عكس ذلك إلى حالة من الجمود والعجز عن التحكم في مجريه، فلا فائدة إذا أن تواجه بعض أشكال التقدم الروحي أو القادي، مقاومة عنيفة صادرة عن أليات دفاع المجتمع الجذائري من نفسه.

فإن لا يمكن اعتبار الحركة الوطنية بناء على ما سبق كجزء واحد ومنظم عن هذه الكليات فهي تدور من نفسها على العمود السياسي والإيديولوجي والقيادي من نواحيها. إن وحدة المجتمع - الحركة الوطنية، لا تخضع في مسيرتها إلى نوع من الجبرية فهي تحرك الأحداث والأفعال الإنسانية حركة آلية. ذلك أن المبدأ الإيمانية من التضايك والتعقيد، بحيث لا يمكن لأية جماعة منظمة أن تدعي مراقبتها موافقة تامة. أي تحديد أهدافها وسيروقتها بمقتضى الحققة.

فالعمل الإنساني عامة يمثل تدرجياً خاضعاً باستمواز للشروط الموضوعية، وما لحمل في طبيعتها من سعف وتناقض وأخطاء وعقبات. وبناء على ذلك تقاس الحركة الاجتماعية خاصة بحسب قيمتها الكمية، ومن ثمة من الخطا تطبيقها اعتماداً على المعايير النوعية وحدها.

وما دامت الحركة الوطنية تعني إجماعاً وإرادة للتحرر، فمن الضروري أن نفوز من بين القوى العارضة لها تلك التي تثير عن هذه الإرادة في أسمى صورها. فالتشكيلات الرئيسية المكونة لهذه الحركة تتمايز فعلاً فيما بينها بحسب أهدافها ودرجة التزامها، وينجم عن ذلك أن العلاقات لتختلف بيننا لا تؤدي دائماً إلى التناور والتسوق، ويتم تحديد هذه العلاقات لا على أساس المرافقة السياسية لكل منها بحسب، بل كذلك بحسب شروط الانفصال الموضوعية وقبولة الجديدة.

ومن الطبيعي أن تؤدي الطوق والوصلال التي يخلوها كل فصل في الحركة الوطنية لتحطيم أهدافه، إلى الاختلاف، وتبرز الأفراد بحدة متفاوتة. إذ بحلول كل ثيل خلال مسار هذا الانفصال على المستويين الخارجيين (بعد الاحتلال) والداخلي (بين فئات الحركة)، مشوا أنكروهم ونكروهم قوة سياسية قائمة بذاتها. وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى خلق أوضاع تنافسية - ضمنية أو صريحة - بين هذه الفئات، فيخطف من هدفها أحياناً ما يحدث بينها من توافق تكتيكي أو استراتيجي.

ومهما يكن هذا، فمن - سواء كان سلمياً أو إيجابياً - وكذلك العلاقات بين مختلف الفئات - تدل على كانت لم لا - تشكل كلها عوامل مساعدة للنضج الحركة الوطنية وتحولها.

وبأني التحاق الجماهير الشعبية في نهاية المطاف، يحدد الاتجاه العام للحركة الوطنية، شروطها ألا يؤدي لتعمق القومية إلى انخراط الخصال السياسي من ملخصهم. وكثيراً ما يحدث أن تحيد الجماهير الشعبية عن المشروع المناسب لأول وهلة، نتيجة تضاعف سمف التكوين الأيديولوجي والتأثر القمع في مرحلة ما. وفي هذه الحالة لتضيق وراء مشروع لا يمثل مطالبها الحقيقية أصغر تمثيل.

وتعود هذه الوضعية إلى أسباب عميقة تجد في مقبعتها العمل المنظم الذي يفرم به نظام الاحتلال لأهداف القمع الوطني. فضلاً عما تقوم به أجهزة القمع المختلفة.

وينبغي أن نسل في هذا الصدد ملاحظة هامة هي أن أقصى درجات القمع تسلط دائماً على أنصار الاستقلال الوطني. ومن الأسباب الأخرى يمكن أن نضيف

غموض المشروع الإصلاحي ولخطئه انحصاره. وكذلك عجز التيار الثوري (الاستقلالي) عن ديمومة الجعلير (مؤقتاً)، فهذه التيار لا يجلب إليه في البداية الانضمام التتلفي بأعداد كافية، نظراً لميعة مطالبه والطريق الذي يرسمه لتحقيقها وهو طريق محفوظ بالأخطار.

إن نجاعة التيار الثوري تنال موعونة يعقودته على إغبات سلامة مشروعه ودرجة استعداده للعمل، طوال مختلف مراحل التفضال والتجريب التي يعر بها، ومعنى ذلك أن نضج الحركة الوطنية والتأثير الثوري - الذي يشكل رأس حربة لها - يتم عبر مسار تاريخي طويل، ويمكن تفسير البطء في تقدم هذه العملية بالطابع الشعبي والعنيف للاحتلال، وكذلك شدة التيار الثوري الذي يفرض نفسه تدويرها باعتباره الحل السليم الوحيد، أمام نظام يحلّض تغيير النظم من شخصيات الوطنية وتخلعه إلى التجر، يعاربه بالقوة المسلحة والمسلحة والاحتشائية والثقافية، إن طبيعة الاحتلال نفسه تجرد الحركة الوطنية الإصلاحي أو المعدلة من أية إمكانية للتأثير الفعلي، وفأني الخروج الموضوعية للتفصيل في سبيل القضاء على نظام الاحتلال، لنساهم في طوطر الطريق الثوري كاختيار لا مديد منه.

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نصف تطور الحركة الوطنية وسفاساتنا في مراجعتها للنظام الاستعماري من جهة، ومن طلال مثالا التيار الراديكالي في سقوطها من جهة ثانية.

وقد يسمب هم هذا التطور بمعونه تناول عمل ومواقف مختلف فصائل هذه الحركة، ولذا عمدنا أحياناً إلى التفتد الذي لا نهدف من وراءه أن نكون مساهمة هذه الفصائل في الدفاع عن الشعب الجزائري المضطهد، فهذا التفتد يملية ضرورة تحليل ما حصل من تغيير، والتفطور إلى القوى السياسية المنظمة لاجراء بروجيات متفاوتة من الفعالية.

ويبدو قصد تطور الحركة الوطنية هي مجملها وعبر فصائلها المختلفة، غير يمكن بدون اعتماد فترة طويلة من الزمن، وهذا ما يقصر أمثنا هذه الدراسة من الحرب العالمية الأولى إلى سنة 1945. وقد قسمنا هذه الفترة إلى مراحل تمثل كل

منها تغييراً أو إعلاناً عن تغيير قادم. ومن ثمة كان لابد من اعتماد التسلسل الهرمي، لقد حاولنا ما أمكن تلافي التشخيص، المفوظ لتوقيص الأحداث، لأن مساهمة الشخصيات مهما بلغت من الأهمية لا يمكن أن تشكل بديلاً للعمل الجماعي الحاسم دون غيره. فبفضل هذا العمل استطاع التغيير الثوري بصفة خاصة تقديم صفوفه وتجاوز العقبات والتطلعات ليرهن نفسه كظاهرة سياسية واجتماعية لا رجعة فيها.

وبسلكهم العمل الجماعي - حواء على مستوى المناضلين أو الجماهير الشعبية - قبل كل شيء لروحيه الفذائي، كما يستلهم تجارب المجتمع ونموحاته الديمقراطية وثوابته المتألمية. ولشي الثوابد الثورية هنا لتتري الرصيد الثقافي وتبرز للشخصية الوطنية والمخالف الأميل بحركة التمور الوطني، وتحتوي أول هذه التروية على ثلاثة أقسام،

" نعم أول بعنوان: أصل الحركة الوطنية ونشأتها، ضمناه فصلاً تمهيدياً حاولنا أن نبرهن من خلاله على اقرار التروية الجزئية وخصائصه قبل وبعد 1830.

وفي تقديرنا أن حروب التمور التي خاضها الأيو عبد القادر والانقراضات الشعبية التي أعقبها، كانت تصب في سبيل واحد: مكافحة الاحتلال الأجنبي وقد ساهم توقف هذا الشكل من المقاومة مع استتباب الاستيطان والتغييرات الحاصلة أيضاً، في إحداء شعوريات في التمور عن انشعور الوطني، وهكذا عهد الممالية به "المحرق القومية" ومعطى الحركات على حرار حركة الشباب الجزائري.

وعندة الحروب العالمية الأولى ظهرت أهم القبلات وأكثرها التزاماً مثل نجم شمال إفريقيا الذي طالب باستقلال الجزائر، وقد شهدت هذه المرحلة - التي انتهت عام 1939 مع بداية الحروب العالمية الثانية - ابتعاث الحركة الوطنية وهيكله مختلف فصائلها.

❧ قسم ثانٍ يشمل مرحلة صعود الحركة الوطنية بعد أن حرّبه الإصلاحيون من سياسة الاندماج واقتنعوا بالاختيار الوطني وقد حصل هذا التعبير باتحاد التيارات الوطنية في تجمع واسع هو "أحزاب اليسار والحقبة". وبعد حل هذا التجمع غداة أحداث ١٣ ماي ١٩٤٥، أصبح "حزب الشعب الجزائري" - "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" التنظيم الثوري الوطني في البلاد وقد كرست هذه المرحلة صعود هذه الحركة وتراجع القيادات المعكولة بحية انتخاب المجلس الجزائري (١٩٤٨).

* قسم ثالث خصصناه أساسا لظهور حزب الشعب - حركة الانتصار والتنظيمات المتنامية له مع التركيز على عوامل قوته وتناقضاته ولزمات الداخلية والتسامح أخيرا إلى ثلاثة اتجاهات.

وقد تميزت هذه المرحلة رغم تناقضاتها بطفرة نوعية وبخلق الظروف المواتية لاتداع الكفاح المسلح في نوفمبر ١٩٤٥ وقد حاولنا في هذا القسم أن نعرض لماذا توافقت مثل هذه الظروف في لحظة نهيار التنظيم السياسي الرئيسي، وكيف أدت كل ذلك إلى تحول الحركة الوطنية.

وهكذا نجد أن كل مرحلة زمنية سمحتا عشوائيا في الظاهر، تمثل هي الواقع جانبها مهما في تطوير الحركة الوطنية. ويعلن الجانب الأول بهيكل الحركة حول المظالمة بـ "الحزبي"، لكن مطلب الاستقلال ما أتت أن تسلي طريقه.

ويشمل الجانب الثاني بتنظيم الحركة الوطنية على أسس المطلب الوطني. أما الجانب الثالث والأخير فيكمن تنظيم الحركة الوطنية وتطورها حسب دينية سياسة ثورية لا غبار عليها.

القسم الأول

هي أصل الحركة الوطنية ونشأتها



الفصل الأول

أصل الحركة والوقائع الوطنية

تميزت العلاقات بين شتاتي كبحر المتوسط عبر التاريخ بتعاقب فتوات الغزوات والحروب والسلام والتحالفات أحياناً والغزو والاحتلال أحياناً أخرى. ولم يكن هذا النزاع ليعتق قيام علاقات تبادل في المصالح التجارية والثقافية، كما لم يكن ليعمل دون التنازل الحضاري منذ زمن تدمير هذه كانت الغلبة سجالاً بين الجنوب والشمال، مع حدود فتوت من التوازن بين دول المنطقة.

وقد أتاح سجي الإسلام وظهور تجمع عباسي واقتماري وعسكري على نطاق واسع لمنطقة المغرب العربي، فرصة البروز كقوة مهمة أرادت نفوذها على جنوب أوروبا (إسبانيا ومرشسا وإيطاليا). وكان هذا النفوذ معززاً بالشماع حضاري شتي.

غير أن القوة الإسلامية المموية - بعد فترة من الإشعاع - ما لبثت أن تراجعت باتجاه الضفة الجنوبية أمام تمدد الفروي، ونشأت عقب ذلك الخلافة العباسية بالمعشوق وسلموط مملكة الموحدين بالمغرب في القرن الثالث عشر. وقد نجم عن ذلك نوع من التوازن الشهي بين دول الضفتين.

إنهاء تلك الحقبة التي تميزت بسلسلة من الحروب الداخلية والخارجية حدث تحول عميق لصالح الفريب المساعد مقبيل عالم عربي إعلاني بدأ يصل نحو الانحلال. لقد أخفق هذا العالم في تجميع بنياته السياسية وإقامة مؤسسات قادرة على حماية وحفظ وضعه وتطوره تطويعاً مشجعاً تسقط لفلك في دوامة الركود والمراعات الداخلية لعميقته وأخذ يخلد قدينا فشيئا زمام المبادرة التاريخية كقوة كبرى.

وقد استمر مسار الانحطاط يفعل فعله بعمق، ورغم جهود الخلافة العثمانية الذي جمعت العثمانيون وقضت بيناهم دولة مركزية أعطت نفسها جديدا للأمة الإسلامية ونظمها. ومرد ذلك أن هذه الجهود لم تحل دون ظهور دول مستقلة ضعيفة متهاذلة أمام الدول الأوروبية الصاعدة.

لقد استطاعت الإمبراطورية العثمانية - بفضل قواتها العسكرية - أن توضع الدفء عن الأمة بدرجات متفاوتة، لكنها لم تتحلى القمع والتجود إلى أساليب العنف التي زومت الحقد في العديد من مناطق الأمة لا سيما في بعض البلدان العربية. وهنا ما يفسر بقاء الدولة العثمانية مستعزلة خارج خليج فارس بدون تطبيق جنوبي مع إلا في حلة الخطر الداخلي.

ومهما كان ذلك وحصل نفوذ الدولة العثمانية متأخرا إلى المغرب الذي كان قد دخل دوامة الشقاق والنزاعات الداخلية بعد سقوط دولة الموحدين ويعود ذلك إلى ظهور العديد من الممالك المستقلة من أجل الحكم الأمر الذي فرض على المنطقة حالة من الضعف السياسي والعسكري أحدثت احتلالا خطيرا لطيفة الدول الغربية التي كانت، يومئذ في عتاربان تهافتها، تأخذت تحاول فرض سيطرتها على الضفة الجنوبية للمتوسط.

وبعد سنتين فقط من سقوط إزميد (1494)، وباتت كل من إسبانيا والبرتغال - بتحرير من الكنيسة - بتقاسم الأقاليم التي يفرض احتلالها. وقد حقق البلدان نجاحا مريحا وتمكنا من فرض رقابة على التجارة البحرية بعد احتلال أهم المدن الساحلية من أغادير إلى طرابلس.

ويعود الفضل في معظم الأحيان إلى المقاومة الشعبية التي استطاعت أن تطرد قوات هذين البلعين أو تمنعها من التوغل داخل المغرب.

ذلك أن الممالك والقوى المستقلة لم تترك تشك قراة دمع كائنة في ظل غياب دولة موحدة قوية⁽¹⁾ ومع ذلك ظل المغرب في مجمله يتوفر على الموارد الكافية، لاختراع التوفرات الخارجية والتعدي للاعتمادات الأجنبية.

وقد أسفرت حروب حكام المغرب لفرض هيمنتهم على المنطقة - دون تمكن أي منهم من ذلك - خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر عن بروز ثلاثة كيانات متنافسة هي: تونس والجزائر ومراكش ضمن الحدود الجزائرية لعام 1830 تقريبا. غير أن هذه الكيانات المتنافسة القابعة مكانها في مواقف دفاعية، لم تكن قادرة على مواجهة القوة الأيبيرية وأمس حرية الغزو الأوربي: لاسيما أن المغرب الأوسط يومئذ، كلى مضمنا إلى ممالك ومدين مستقلة عاجزة عن تنظيم سلطة مركزية فعالة. وبينما كان المغرب نهجا للمصوغات التنظيمية تحت تهديد الغزو الغربي، استطاعت الإمبراطورية العثمانية - بفضل إقامة دولة الخلافة - أن تبث الأمل في رفع تهدي إسبانيا المسيحية، ولقد تقوّمها إلى المغرب خلال القرن السادس عشر.

خصوصية الدولة الجزائرية:

دفعت الابتداءات الإسبانية المتكررة واحتلال هذه من البلاد، الجزائريين إلى الاستنجاء ببابا عروج التركي الذي تجاوزت أفساده انهياره آنذاك ناحية جيجل حيث برسوبة وافته منذ 1514⁶⁰. وكان بابا عروج قبل ذلك قد اشتهر رغبة أطولته - خير الدين والياس وإسمهان - هي مخلوقة الأسبان وإبقاء آلاف المسلمين الفارين من إسبانيا (1504 - 1510) نحو الشواطئ المغربية.

لكن للفصل في تأسيس دولة الجزائر يعود إلى شقيقه خير الدين بالانطاف مع الخلافة العثمانية ودعمها. وبذلك استطاعت الدولة الجزائرية أن تضم نفسها على أسمى جديدا⁶¹ بعد فترة للمحن والفقرات وهجمات الدول المسيحية، ولم تستتب الأمور لهذه الدولة إلا بعد التصدي لمقتطفه "الإملات" المطلية التي الفت العيني بمعنى عن السلطة المركزية وفيومها.

واند قلب الطابع العسكري على الأريالة التي لعممت عن جيش من الانتكشوريين (الأفرك) والخيالة (لخصبايحية)، وهو وحدة مكونة أساسا من الجزائريين، فضلا عن أسطول بحري مستطاع أن يقرض مواقبة على البحر المتوسط.

وما فتئت هذه الدولة أن أعانت كشوب الأوساط مكانته من خلال التصدي بهجاء الحملات الأجنبية على غرار حملة شولتكن (1514) الذي منى بهزيمة نكراء، كما فرض سلطانه من جديد على مقاطعة تلمسان التي كان الأسبان⁽⁴⁾ يدعمونها. وقد مرت أليالة الجزائر أسوة بدول تلك العهد بفترات ازدهار وانكماش سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، ولنتهي بها الأمر (إثناء حكم أئيشوات) خلال القرن السابع عشر إلى قطع علاقات لولاية التي كانت تربطها بطلب العالي. ويعد أن استعانت الجزائر بحريتها عشت فترة ازدهار تجسدت خاصة في تطور العمران في أهم المدن لاسيما مدينة الجزائر التي كان عند سكانها يقدر بأكثر من مائة ألف نسمة.

لكن في غضون النصف الثاني من القرن السابع عشر، تساهدت حملات البلدان الأوربية عليها تحت لطف مكانة الفرصة⁽⁵⁾، وفي أواخر حكم الدايك (1671 - 1690) بدأت أعراض السوء نماود دولة الجزائر لأسباب شتى منها تراجع التجارة والجفاف والأزمة التي أوعدت بجزء من السكان.

ويرجع ذلك في الواقع إلى أن الجزائر كغيرها من البلدان الإسلامية قد دخلت مرحلة الركود، ولم تعد قادرة على مواكبة مجرى التاريخ رغم الاستعدادات التي توهم بذلك. لقد أخذت الخطوة الفاصلة بين العالم العربي الإسلامي والدول الغربية تسرع أكثر فأكثر. بعد الانهزام هذه الأخيرة مهد الثورة الصناعية والعلمية واتبعات لوارثها في التوسع. هذه الإرامنة التي لم تعد شهد في مؤيداتها حواجز تذكر.

إن هذا التطور أحدث تغييرا حاسما في موازين القوى لصالح الغرب، تطيرا كانت الجزائر الضحية الأولى لفتكها على مستوى المغرب. ومالبت هذا التغيير أن انعكس في الأوضاع الجغرافية السياسية التي تم بعد ملائمة لدول المغرب بصفة عامة.

وبعد أن صعدت الجزائر طويلا في وجه حملات الدول الأوربية، تمكنت فرنسا من غزوها وكانت تدبر لذلك منذ عهد محمد، ولم تكن دوانع هذا الغزو والدراخ المبررة له سوى غشاء ماليك أن تمرق في مجرى التاريخ.

ويتبعني أن نسجل في هذا الفصل ما كان معروفاً بحالة الجزائر، كانت ساعة العدوان دولة منظمة مستقلة ذات سيادة، بكل صلاحيات^(٤) الوجود الوطني حسب الأعراف الدولية السائدة في ذلك العهد. وهي صلاحيات يمكن أن تحصدها عليها في ائرفق الحاضر كثير من الدول المستقلة وفق الإجماع الدولي. وتعمل هذه الصلاحيات التي اكتسبتها الدولة الجزائرية بموجباً من اثنين عديدة منها للديبلوماسية والحرب وسك العملة - الخ - كل ذلك في إطار مؤسسة سلطتها بواسطة الجهاز الإداري^(٥) - على التلوي وشعب محققين

وكانت علاقات هذه الدولة مع العالم العربي قائمة على أساس التضامن والولاء الرمزي، تقرباً للتضحية أمر المزمع. وهي علاقات نابعة أساساً من مؤسسات الإسلام السياسية، ورغم أن سلطة هذه الدولة كانت تركية المنشأ، فلا يمكن مع ذلك اعتبارها - بحكم السياق الذي كانت تمارس فيه - سلطة صادرة عن دولة أجنبية، ومن ثمة لا يمكن الطعن في الوجود الطوعي لهذه الدولة، وإن كان بعض المنحوس القلاونية تذكر عليها مشروعيتها الترويجية.

الهمس تابعة من الأمة الإسلامية التي يؤكد القرآن بشأنها على المساواة والإخاء والوحدة بين أعضائها مهما كانت الأعراق التي ينتمون إليها -

إذا يبدو تشبيه الدولة الجزائرية القلاونية بوضع الاحتلال الأجنبي في تحد محله لأنه صبور عن جهل بولائق التاريخ ومذاهب الحكم في الإسلام. بيد أن شرعية هذه الدولة وجزائريتها لا تعني بالضرورة تشابهها مع المجتمع^(٥) بصفة دائمة أو تعبيرها عن كامل طموحاته أحسن تعبيرة، كما لا تعني قسطنطينية مؤسسات مثل الاضطهاد والظلم والقمع. علماً أن المسلمين الجزائريين لم يترددوا في مقاومة الحكم القرطبي بسبب هذه المؤسسات كما أنهم لموا الأئمة الإلهية لنفس السبب. وقد كان هؤلاء في انتمائهم لاحتجاجاتهم، يستلهمون حق المزمعين في مقاومة أي حكم، يمس بمصالح الأمة أو بخلاف تعاليم الإسلام.

وكان شعور الرعية بالتضامن فيما بينها ولم يعزل عن السلطات تلك أن الأمة هي ونية أمرها^(٥) هنا، لأن الدولة أو السلطات مستقلات عرضة عكس الأمة التي هي دائمة.

غير أن الدولة في الجزائر مثل بقية الدول الأخرى لا يمكن لممارستها أن تفلو من قطع أو العقاب المرتبط بجميع أشكال الحكم. وقد تكون المناهج المتبعة أحيانا مخالفة للمبادئ التي تقوم عليها شرعية الحكم ووجوده. وهذا التناقض لا يخلو منه أي نظام سياسي في العالم. وكثير من الأنظمة الراهنة لا تختلف في ممارساتها اليوم عما كان سائدا في تلك العهد وكانت الشعوب وما زالت تستنكر الحكم المطلق (بشوايا كن أم غريبها) والظلم والاضطهاد والاستغلال. ويشكل كفاحها أمثل هذه الظواهر معاديا بلورا في مسيرة التاريخ. ولا تختلف معارضة الشعب الجزائري في هذا الصدد للحكام الأتراك أو غيره في بعض الفترات، عن أية معارضة للمظاهر السلطانية في أي نظام مهما كان مصدرا. وتنعكس هذه المعارضة بصفة عامة العلاقات الجدلية بين الدولة والمجتمع.

ومع ذلك تبقى الدولة الجزائرية بحكم طبيعتها الإسلامية، تمثل المصالح الروحية والمادية للأمة إجمالا. وتولي الدفاع عنها أمام التهديت الخارجية، ولهذا السبب كانت تهدد لدى المؤمنين بمساة كل التماس والالتزام خلال الحروب الدفاعية أو الهجومية. فلو لا هذا التطابق لما استلذت - اعتمادا على 10 أو 15 الفا من الإنكساريين - أن تصد خلال هذه فترات الاعتمادات الأجنبية، وتلزم سلطتها في نفس الوقت على شعب محاد لها هذه سقطة.

بناء على ما سبق يمكن القول بأن الجزائر كانت دولة مثل الدول الأخرى، دولة وطنية تتوافر فيها شروط المجتمع - القوي إذ لا ريب ما اعتماد هذا المفهوم¹⁰، ويمكن أن نستنتج من ذلك أن وجود الدولة الجزائرية سابق للاحتلال. خلافا لذلك الأطروحة التي تقرون ظهورها بنهاية "منطقة الاستعمار".

لقد أدنى ضعف الخلافة - التي كانت تمثل ما يشبه دولة متعددة الجنسيات - إلى ظهور ممالك عديدة تعلن الولاء لها وتعارض سلطتها على جزء من الأمة غير مشروعة من ذكرهم انقسامها¹¹.

وهذا ما جعل الأمة الإسلامية تعرف من آخر الخلفاء العباسيين إلى الطلائع الصنهاجية مروراً بالموحدين ثم من الدولة وتقف عاجزة عن حل مشكلة الحكم الموحد لها. وهكذا تحولت مع مرور الزمن إلى أمة واحدة بدول متعددة.

وقامتي نشأة الدولة كجزء أثريّة كالمرة لمسلو هذا التفرع السياسي دون أن يقال ذلك من الأساس الواحد للأمة ولا يلزمونوجيتها الموحدة ورغم لوجه للتشابه فلما لمصلحة بين الدولة القبطية أو الدولة الأمية⁽¹⁾ الأوروبية، فإن مسأله نشأة الدولة كجزء أثريّة مختلف على أكثر من مستوى : فهي ليست معصلة وطنية قليلة على التمايز الأثني، لكنها بنية هرة كيان بشري، ومنع يحتوي هذه البنية باعتبارها تخليفا سياسيا ممتدا.

لقد وجدت الأمة نفسها مضطربة - أمام ضعف قيام دولة مركزية موحدة - إلى تنظيم نفسها في كيانات سياسية مختلفة دون أن يفقدوا ذلك قوتها الأساسية المرحبة، هذه القوة التي تضاف على اتصالها وتماسكها الإجمالي، وشهد هذه الكيانات المستقلة نفسها في تناقض بكيفية أو بأخرى مع الأمة الإسلامية، لأنها بحكم طبيعتها تميل إلى تكريس هذه القسوة كى تعطي لئالها وجوبا إنسانيا متميزا كسوط لابد منه لوجودها بالفعل، لكن الطابع الإسلامي لهذا الكيان يهتف في الواقع من حدة التناقض.

ومع ذلك يميل هذا الكيان - ورغم هذا الطابع - إلى التفرع انطلاقا من معطيات الخشية أو الخافية، بالنظر إلى جدئية الوحدة والتعدد وعلى معطياتها، هذه الظاهرة تفسر لماذا استلهمت انطلاقا في عهد الوحدة أن تشمل عند كيانات أثنية في الأمة، وتعدد في زمن القسوة إلى برق كثيرة دون أن تزول توافع لا من رعي المسلمين ولا من حبكتهم الاجتماعية والثقافية، وتعد هذه الظاهرة من خصائص العالم الإسلامي، الأمر الذي يكشف عن طبيعة المعقدة وسعوبة متابعة تطوره التاريخي.

ولعل هذا ما يجعلنا نفهم لماذا يحدث بعض الجزأين - اقتناء بالمعنيين الأجانب وبالطروحة الأمية ملرية - عن نظام الاحتلال أو السيطرة التركية، مشبهين بإياه بعرة أنيمية كدولة فرنسا التي حلت محله، إن مثل هذا الموقف الذي يخلط بين نظامين مختلفين يتم عن تقليد إيديولوجي أو عن مفهوم اختزالي للتاريخ.

ويعتقد هؤلاء أن يمش هذه المواقف يمكنهم للبرهنة على وجود الأمة الجزائرية التي كان نظام الاحتلال قائما على نقيضها. غير أنهم يستعملون لذلك مفاهيم أوروبية غير مناسبة للواقع الجزائري العميق ومعقدة انثروبولوجيا، فضلا عن اعتماد إيديولوجية وطنية على أساس مثل هذه المفاهيم لا يفلو من تناقض مع هذا الواقع. لنتذكر فإن مفهوم الأمة كان قد نشأ - أكثر من مفهوم الدولة - ما بين الحربيين جدلا واسعا وسط الانقراضية للجزائرية. ويعود ذلك إلى تصاعد حركة التحرير الوطني من جهة. وإلى الأطروحة الاستعمارية القرامية إلى إدماج الجزائر بفرنسا من جهة ثانية. ولتعزيز مشروع الإجماع بنيت هذه الأطروحة على افتراض غياب هوية وطنية جزائرية، بعد أن وجد هذا الافتراض ما يعزوه في الإفولات المزيفة لسياسة نلي وجرد الأمة الجزائرية، ومحاولة طمس شخصيتها كشعب الجزائري.

وعلى عكس هذه السياسة ومنطلقاتها كانت الحركة الوطنية عبر أكثر فصولها جهادا، حريصة على إثبات وجود الأمة الجزائرية كقاعدة لمنهجها وفكرها ونسبها لحركتها. وكان الهدف من ذلك إثبات وجود هوية وطنية ضد المحتل الأجنبي، وليس إثبات تميز الشعب الجزائري عن الشخصنة القاعدية للأمة العربية الإسلامية.

وهما يكن فقد كانت الجزائر بكل وضوح كيانا ثوبخيا سياسيا متميزا، سواء تعلق الأمر بأمة وجدت قبل الاحتلال أو بأمة في طور التشكل أو بملائمة أو بشعب أو سكان مسلمين... فوجود هذا الكيان ثابت فوق التاريخ سواء أطلقنا عليه اسم أمة أو اعتبرناه جملة إنسانية متميزة يميزها النوع، بوحشها وإداتها في العيش المشترك وتكوين مجموعة سياسية على إنتاج معين، أو مجموعة أقاليم محددة ومتمسكة هي سلطة ذات سيادة¹¹².

إن الجزائر تعني كل تلك هي أن واحد بل أكثر من ذلك، لقد نشأت - كما نشأت جميع ظواهر الشعوب والأصم عبر التاريخ - في بوتقة تفاعل ثقافي وأثني طويل الأمد، مع ما يرافق ذلك من تفاعل للقوة والضعف، لتكتسب في النهاية الطابع الذي عرفت به في هذا العهد فهي تحصل للقيام محمدا بوضوح تحت سلطة دولة

واحدة، وتشكل جزءاً من أمة واسعة، ولها ثقافتها الفلسفة المساهمة في الحضارة العربية الإسلامية، وعلى لغة وطنية ولغات محلية كما هو حال العديد من الدول. ومع ذلك لا ينبغي أن ننسى الإسلام كأحد مقومات الكيان الوطني الجزائري، وكلحة تضمن تماسكه الاجتماعي، وتقديمه في مجموعة إنسانية بفلسفها نفس المصير في السراء والضراء.

وبشكل هذا الكيان كلاً لا يتجزأ مع الكيانات العربية الإسلامية الأخرى، رغم حدود نشأة الدولة وخصوصية بعض الجوانب الثقافية والتاريخية لهذا الكيان أو ذلك. ويمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح على حدود لقطر العرقة حيث لا يرق بين مكان القوم، وإن كانت هناك فروق فني في حدود ما يميز سكان المدن عن الأرياف، أو ما يميز الشرق والغرب والجنوب والشمال في البلد الواحد بهذا الملمح الواحد، رغم الخصوصيات المحلية - لجهة تدرجات متفاوتة بين جميع البلدان العربية الإسلامية.

في هذا الإطار المعين وضمن الواقع التاريخي المذكور، يتخذ مفهوم الأمة والوطن معنى مختلفاً عن مفهوم الدولة الأمة القبلية حتى يكون مطلباً الواقع الإنساني والتاريخي ومتطلبات مجموعة العشرة كمشاركة بصلة إجمالية. ولا يمكن في هذا السياق فصل الوعي الوطني، وحب الوطن، والأمة أو الشعب لدى العز من الوعي بالانتماء إلى الأمة التي يتغنى عنها الكوني مع أية نزعة عنصرية.

وينصهر هذان البعدان مع الوعي على الصعيد الشعبي، دون أن يلغي ذلك لهما النزعات أو التناقضات الملازمة لجميع المجتمعات الإنسانية.

إن تعلق المؤمن بتاريخه وقيمه وبتراثه أمجاد ويطمح من لوض الإسلام ومكتسباته المادية يشكل نوعاً من التمييز ما جولا وعرضاً كأي من أنواع التعبير الأخرى، ورغم أنه لا يمكن اعتباره هذا التعبير تعصباً أو فخراً كما نوحى بذلك بعض الأحكام الشائعة، لأنه ليس سوى مظهر من مظاهر إرادة البقاء المستمر، من خلال الدفاع عن الشخصية التاريخية ورفض الانتماء للثقافة المهيمنة.

ويجد تلك ما يبرره بصفة خاصة في التهديد الأجنبي الذي يستهدف وجود الأمة نالها. فطامة هنا كامل الحق في تعبئة جميع طاقاتها واستعمال الوسائل المتاحة لضمان استمراره، دون إعطاء المفاوضين والمفاوضين السائدة أكثر ما تستحق من الاهتمام.

الغزو الفرنسي - تدمير الدولة الجزائرية - المقاومة المسلحة.

كان الغزو الفرنسي حلقة في الحركة للتوسعية الأوروبية، كتعبير عن تفرق البلدان الغربية صناعيا وعسكريا. وبما عليه يمكن أن نشك فيهما يذهب إليه كثير من المؤرخين الذين يفسرون تلك الحملة باعتبارات سياسية داخلية بالدرجة الأولى. شملت حكومة تبحث عن انتصارات خارجية¹⁰ لتفنتية مصانعها باحتلال البلاد. تمثل هذه الاعتبارات لا تختلف عن قضية برون الذي على فرنسا - بواسطة طاجيرين اليهوديين بوشناق وبكري - وضربة المروحة - وغير ذلك من الذرائع الديبلوماتية والحجج الدعائية لعملية مبيت منذ زمن بعيد ضد العالم العربي والإسلامي.

إن فرنسا لم تفعل في الواقع أكثر من تبني مشروع قديم فشلت في تحقيقه المحاولات الإسبانية قبلها وبمكر "شول أنصري جوليان" في هذا الصدد، أن نملكون فكر في العودة إلى سياسة الملك لويس الرابع عشر، ولتمهيدا لذلك كلف الرائد بوتين (جويلية 1806) من سلاح الهندسة بإعداد تقرير ميداني هام كان بمثابة النبل لبعث الجيش لاجلال عام 1830.¹¹

فقد تم الغزو إذا في فترة مناسبة بعد تحضير منهجي طويل. فالثورة الجزائرية كانت في حالة أزمة بسبب عدم الاستقرار، والضعف الاقتصادي الصعبة والتي زادت خطورة الحصون الذي فرضته عليها فرنسا طيلة ثلاث سنوات (1827 - 1834).

ولم تسارع الحكومة العثمانية بإرسال المعززات كان الذي يأمل في الحصول عليه، ولم تكن البحرية الجزائرية جاهزة لصد الغزو بعد التمسك الذي منتهت بها في المفاصل السابقة.

لذا عندما نزل الجيش وهو من أقوى الجيوش الأوروبية يومئذ - بسيفي فرج في 14 جوان 1830 بقوة حواسها 37 ألف جندي، لم يجد أمامه سوى 15 ألف جندي نظامي¹⁴ ونقص للمندوبة منها من المتطوعين.

لقد حاولت هذه القوة أن تثنى هجوما مضاهيا لكنها وجدت نفسها أمام جيش يفوقها عدداً ويتفوق عليها عذراً ولحسن ميثاقها وتجهيزها. وكللت النتيجة احتلال الجزائر العاصمة والمهبط دوة القنانيات التي لم تكن - كما سجلت الإشارة - تتطابق بالكلية بالضرورة مع مجتمع منقسم إلى قبائل وشيخ، ولم ينطق إلى ضلوة العز والأجنبي إلا بعد فوات الأوان.

كان احتلال العاصمة المنتهية - قبل ذلك - إيذاناً ببدء مرحلة جديدة، وجد المجتمع الجزائري نفسه خلالها في احتكاك مباشر مع المحتل الأجنبي لا سيما بعد أن استباححت عساكره المدينة رغم الانتفاضة التي وقدها قناني مع تلك الحملة، والتي يفترض أن تضمنت "للمكان مختلفات فتلهم احترام حريتهم ودينهم وأموالهم وشجارتهم وحرمتهم".

هذا الأمر الواقع ما لبث المجتمع أن رفضه رغم القمع وسياسة قتل تسد والخبايا المأزومة لملئ تلك الثغرة، مصراً عن ذلك بالتشروع في تنظيم المقاومة لمنع توغل الجيش الفرنسي داخل البلاد عشفا مرحلة طويلة من الكفاح أبليت خلالها قبائل بأسرها كما حدث لقبيلة العويضة¹⁵.

وإذا كانت هذه المقاومة لم تكن يومئذ تطلق الثورة الشاملة على الغزاة المسيحيين، فلأنها كانت تلتزم إلى قيامة موجعة بعد فوجها النشاط الإداري من جراء انهيار الدولة. وما لبثت السلطات المحلية أن ظهرت بدورها، أمام انهيار سلطة القبائل والزوايا التي وجدت في تلك فرصة لاصفية حساباتها مع ممثلي السلطة المركزية السابقة.

وسلعت السلطات الفرنسية بهدف كسب القادة الأعيان، إلى تعميق هذه التناقضات بإخفاء أهدافها ومحاولة الظهور بوجه الممرو من الحكم التركي.

ولمستغل "الحاج أحمد" بأي إستراتيجية من جهة الهيكل الحكم المركزي لتعزيز استقلاليتهم ومحاولة لمستخلفه العالي. لكن المستلزمات الجبروتية عموما رغم معارضتها للنزول لم تستطع إقلمة سلطة مركزية بعيدة، فخلال لما تميزت به موافقها من تردد وترقب.

ومن جهة أخرى لم تكن تلك الإستراتيجية التي كانت تشوبها على مناطق واسعة من منطقة جرجرة إلى الجنوب، ترى في الحصول توغل الجيش الفرنسي داخل ليلال خطيرا كبيرا.

لكن رغم كل هذا الفشل لم يقد اكتسبت المقاومة مع ذلك طابعا وطنيا، بل انتفاضة بأي إستراتيجية شرقا والامير عبد القادر غوما

تنظيم الدولة وحرب التحرير الوطني

كانت عملية تلك المقاومة مرفوعة وفكرتها على إقامة سلطة وطنية وإعادة تأسيس الدولة. وقد كان الشاب عبد القادر صبانيا إلى إدراك هذه الحقيقة، بعد أن يبيع وهو في الرابعة والعشرين من عمره "مبطلان العرب" بناحية معسكر ليصبح بفضل ذلك بطلا وطنيا. فقد يقن الأمير الشاب أنصارا جهوده لتكوين قوة سياسية وعسكرية انطلاقا من أرضه ديمية ولتتكون على أكثر أنزواها ثقفا، ولاستحقاق هذه المكانة كل من يطلب أن يحارب على جبهتين للمعتل الأجنبي وبعض الأهلين الذين رفضوا خمسة وطنهم بعد أن كانوا في خدمة النظام المطاح به.

وقد أنتهج سياسة توحيد القوى التي توهم فيها استعدادا لمقاومة الجيش الفرنسي سواء بالمعرب أو بالإنشاع والتضامن. وميزة هذه السياسة أنها تتيح لعملية التهيئة أن تتم باسم شخصية وجيدة وباسم سلطة منظمة في كنف واحد، أي باسم الدولة⁽⁵⁷⁾.

هنا لطابع حاول الأمير أن يفرضه على سلطات الاحتلال للاعتراف به، سواء عن طريق الحرب والديبلوماسية أو بواسطة عقد تحالفات خارجية على مستوى المغرب خاصة. فقد كانت دولة الأمير تمثل فعلا أصلب أشكال المقاومة الوطنية للاحتلال، رغم تواضع إمكانياتها قياسا بقوات الاحتلال والمواقف السلبية لبعض

السلط المحلية الفلندية. وهذه الإشكالية كانت تبرز ما كانت هذه السياسة تتميز به من تجديد، فبنينا لا نقتصر في شيء من قبة المعلومة على مستوى المناطق الأخرى، لاسيما محاولة النأي أحمد في قسطنطينة التي مهما كانت شدتها لم تكن تخرج عن إطار الدفاع عن النظام السابق والحفاظ على السلطات التنفيذية المنبجعة عنه.

فإنجاح المقاومة كان يقتضي إذا تكامل حلقة جزائرية موحدة، في مواجهة سياسة الدولة الفرنسية التي كانت تسمو حسب خطة متكاملة نحو هدف معلوم ألا وهو احتلال الجزائر بشكل أو بآخر - رغم ما صاحب هذه السياسة من فرد واطحلات وما حظي به كل ذلك من تشجيع في بعض الكتل. إنما ليس من المهم كثيرا أن نتوقف عند مثل هذه المثاعر الناجمة عن المقاومة التي طاجأت الفرنسيين الذين كانوا يعتقدون أن احتلال العاصمة يعني احتلال البلد كله. ومهما كانت حقيقة هذه السياسة فالواقع الذي مالت لجزائريون أن عرفوه حق المعرفة، هو أن الجيش الفلاني ما جاء إلا ليمهد السبل أمام حشد من المنابر والمسلطين الذين يسعون بمختلف الوسائل لتجريدهم من أراضيهم وأموالهم.

طعنا يمكن أن نستقر، لماذا لم يواجه الجزائريون هذا الواقع سفا واعداء لأن هذا القصور يمكن أن يشكل في أئروحة وجود الأمة لجزائرية ذاتها في تلك الفترة، ولو كان هذا الربط يبدو قاسيا جنا، ومن المثير في هذا الصدد أن نعرف ما هي المفاهيم التي وضع الشعب الجزائري على محكها خرافة غيرة الاحتلال ليستحق وجوده الوطني. فهذه المفاهيم من وضع أجنبي، وهي من الصرامة بحيث لا تطبق إلا على الشعوب التي يزداد إخضاعها..

أن يستعمل لنفي الوجود الوطني لهذه الشعوب مقياس التنظيم الاجتماعي المتميز تارة، ومهنة العقلية انديفية تارة ثانية، وغياب صرامة موحدة تارة أخرى، لكن ما أكثر الشواهد التي تثبت أن نفس الظواهر نجدها لدى أمم كثيرة، لاسيما أثناء الأزمات العميقة والتخلص الشخصية الناجمة عنها دون أن يؤدي ذلك إلى إسقاط صفة الأمة أو المجتمع عنها.

ومعلوم من جهة أخرى أن حركات المقاومة في كل العصور، تبارى بها الأقليات مستعدة لتجشم المخاطر في سبيل الأمة كلها. كما هو معلوم أيضاً أن فترات الاحتلال بما تملك من وسائل القنابل والجزء - تنجح أحياناً في كسب أقلية عميلة متعاونة الأمية من سلب الأمة المطلوبة. لذا كان على الأمة الجزائرية أن تنقسم في كل مرة، جسيم التضحيات لإنثبات وجودها كأمة. وعندما فشل بإعلان الجهاد مضطرة - لتعبئة قواها استعداداً لهذه التضحيات، يسارع أولئك الذين يرتكبون المجازر يوماً حرج، بالانضمام بهذه القضية - في نظريهم.

إن مفهوم الجهاد كما هو معروف يعني لدى المسلمين توحيد النفس قبل كل شيء سعيها لكمال الذات (الجهاد الأكبر)، وبإتي النضال عن الأمة بحمل السلاح (الجهاد الأصغر) بعد ذلك. ولم تكن الدعوة إلى الجهاد في السياق الجزائري، لذلك العمود، تعني هجر النضال والمشاركة في مرحلة خطر دائم تهدد الأمة في وجودها. فهو ليس مرجحاً ضد المسيحيين لئلا يهتفوا ولكن ضد دولة تصف نفسها بالمسيحية وتستمد لإخضاع شعب مسلم بحد الملأ.

إن مفاهيم الجهاد والمقاومة الوطنية والدولة الإسلامية - العاملة بالإسلام نصاً وروحاً - لا يمكن أن تتفاهى مع واقع ثورة حركة تحرر وطني. وهما استلقت مظاهر هذه الحركة، فإلها تلتقي في حقيقة الأمر عند بوابة اليقظة الكاملة في كل أمة، ومن هذه الإرادة تستمد قوتها ولذاتها.

وقد تجلّت هذه الإرادة في تحوّل كني خاضها الأمير عبد القادر أكثر من 15 سنة، والانتصارات المعبرة التي حققتها جيشه وفي نشاطه السياسي والدبلوماسي وبناء دولته⁽¹⁾؛ كما تجلّت في المقاومة التي امتدت إلى مناطق مثل الأوراس ومنطقة القبائل ومناطق كثيرة أخرى.

وبفضل تلك الإرادة الوطنية المستطاعة المقاومة أن تحقق نجاحات كثيرة. رغم أنها لم تمنع أن تمتنع الاحتلال التكويني للتراب الجزائري من قبل واحدة من أقوى الدول في العالم وجيشها الممهور من إمبراطورية نابليون.

وإذا كان تدبير دولة عبد القادر قد وضع حداً لانتفاخ المصلح في شكله الشامل والمنظم، فإن جذوة المقاومة لم تخب مع ذلك غير أن معنا للتصير لدى إلى وقف حركة الشجيد الوطني التي لم يعد ممكناً أن تستمر بنجاح في ظل سياق تلك العهد وشروطه القاسية، لقد أمد توسع التوسعية أوديا بلقية لا تلاوم نظريها، وحول دولها إلى حركة استعمارية احتلت جزءاً كبيراً من الكرة الأرضية. والملاحظ أن الجزائريين ومعهم حكام المشرق والمغرب والمسلمين عامة، لم يقدروا احتلال الجزائر العاصمة حق قدره، فلموافق السهامية هؤلاء وأولئك كلفت تعبر عن فكر تجاوزه الزمن، فليسا يحفظان تطور العلماني والقرى الجديدة التي أنزها في الساحة الدولية.

لم يعرف المسلمون والمطوية خاصة كيت، يتسامنون فيما بينهم لمواجهة خطر محدد بالجزائر فكانت يلازم بالجميع في أجل مسمى، تلك كانت الجزائر بمثابة الحلقة التي عجل انقطاعها سقوطها على كل الدولة، وتكريس الانسلاط العلمي للبلدان الإسلامية التي أصبحت سمره نوازع في موكب التاريخ. فتركز هذه البلدان والدينامية كانت مسالة طبيعية لجزءها الواقع منذ أمد طويل عن توحيد قواها على العبيدين الفكري والقادي وتتلخيم دولة موهنة ذاعلة والحفاظ عليها. ولم يزد نكوتين كياناً "وطنية" وللتناحر من أجل الحكم إلى المنظمة المأمولة، بل مساهم في ذلك في تسارع مسار الانسلاط وما يترتب عليه من احتلال وسيطرة أجنبية. وهذه هي الأسباب التي جعلت المقاومة في الجزائر تفضل في مرحلتها الأولى ونجم المعارك الثبوتية التي خاضتها.

المقاومة والانتفاضات الشعبية

شهدت الجزائر خلال المرحلة الثمانية من المقاومة انتفاضات مسلحة عديدة، برهنت على إرادة لا تقهر في كفاح الشعب من أجل استعادة هويته ورغم الواسع الواسع وحلوظ الانجاء الضئيلة. وكانت انتفاضة المقراني والأشيع الجند عام 1871 من أهم هذه الانتفاضات لاتساع رقعة انتشارها التي امتدت إلى سهل المنيحة غرباً، بعد أن شملت منطقة القبائل وجزءاً من عمالة قسنطينة.

لقد شكلت هذه الانتفاضة خطوا حقيقيا على الاحتلال، بعد أن أظهرت الجماهير
الريحية بتحريض من بعض الزوايا - عنفة ووحشية - لعدد من قتالها ثوريا كبيرا،
وقامت بتنظيم نفسها في لجان¹⁴ حرة منتخبة على مستوى الدواوير لتعويض
هيكل الإدارة الاستعمارية. وقد اكتسبت هذه اللجنة الشعبية طابعا سياسيا،
لأن أهدافها تعود أصلا إلى استيلاء الإدارة والمستوطنين على أراضي الأغراض
بالمنطقة.

وجاءت في ظرف مناصب إذ فزعت مع الحروب القومية الألمانية وأحداث
مادة بلديس. لكن ذلك لم يمنع من قمعا بضراوة "مثالية" أدت إلى سقوط آلاف
الضحايا من الجزائريين، فضلا عن سحب مئات الآلاف من الهكتارات من أراضيهم
ومن أكثر من نصف رؤوس أموالهم.

وقد برهنت هذه الانتفاضة أن الشعب الجزائري لم يستسلم رغم مرور قرابة
نصف قرن من القزو الفرنسي، وما يزال يتعين ظروف للتخلص من اليد المظلمة
التي تسيطر على البلاد بعد استقلاله. بعد ثلاثين سنة من "حرب عصابات" كانت تتحول
بين الفينة والأخرى إلى أحداث تاريخية مثل ثورات القزاطنة (1949) والأفولط
(1952) وأيشيرين (1957) وأولاد سيدي الطيغ (1964)، وهكذا جاءت
انتفاضة 1971 كترويج لمقاومة عنيفة لشعبه يخوض حربا تحررية متكاملة، أبرز
خلالها اسمي بوجات الشجاعة والإصرار.

هذه الحركة لم تتوقف رغم القمع والتأليه للوحيمة بل تواصلت عبر انتفاضات
الأوراس (1976 - 1981) والجنوب الجزائري (1981) ومرغريت (1904) وبني
شلقون (مستكر) ..

كانت هذه الثورات وثيلا على حيوية الشعب وثورته النبلية، وتعبيرا عن
مقاومة متروسة مترسلة هي روح لحظاتها، مؤكدة بذلك أصالة حب الوطن لدى
الطبقات الشعبية وبمومته. تلك أن المقاومة للوحيمة هي للجزائر كانت مقاومة
شعب قبل كل شيء. ولم تكن مقاومة بعض الأعيان مهما بلغت لرجة بطولة هؤلاء.

فلا غروية إذا لم يدفع للعصب الجزائري، خلال فترة المقاومة الكبرى (1830 - 1871) ضريبة باعطة في الأرواح والأموال يفتقر إلى أساليب "التيه" التي اشتهر بها جيش الاحتلال الفرنسي. وقد نكح مصطفى الأشرف في هذا الصدد، أنه من المحتمل بل من الأرجح أن تكون حروب الاحتلال ومضاعفاتها (1830 - 1860) تسببت في إبادة عدة ملايين من الجزائريين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وكان جل الضحايا من الويف الذي كان مساحة تلال وعروضة لندمار والتشريد، فضلا عن تشريد مليون من سكان المدن¹⁸⁸. مثل هذه الحقائق يمكن رفضها بدعوى غياب الأرقام المعتبرة عام 1830، علما أن المروحة الإبادة هذه تمهد لها كتاب كثيرون يحجج مختلفا، كما يشهد على ذلك الجدل بين الأشرف وج.ك. لالان الذي حاول أن ينفي عن الجانب التونسي إرادة الإبادة العربية¹⁸⁹. استنادا على الحجة الاقتصادية المتصلة في تطور التراسمية وهي صيغة الاستيطان ذاته، وهي المروحة شديدة البعد ما تكون عن الإفناء، لأنها تفضل التجهيد "الاقتصادي" على حساب رفائع الاحتلال.

ومن ثمة أخفقت هذه المروحة بدورها، كما أخفقت أنقذات معاللة حاولت التقليل من شأن الضرر المهدق بالعصب الجزائري - في "تطبيع" الاستيطان المسلح. وإنهاء في ثوب ظاهري تاريخية تعود بالفائدة على البلد المستعمر. فلا يمكن لأية نظرية أن تنكر وتلتزم للتاريخ والتجديد الشعب الجسيمة حفاظا على حديث ودفعنا من معشكلاته، بعد أن واجه فعلا خطر الإبادة وفي تلك أقوى بوهان لإثبات الوجود الوطني لمجتمع واج بنفسه متعلق ضد التعلق بقيمة وأرضه.

غير أن مرحلة المقاومة المسلحة من الصعب أن تتواصل بعد أن تعرضت فئة الفلاحين إلى نزيف حقيقي، علما أن لقمة كانت يومئذ تروح تحت الاحتلال ورأبته الصرامة وقد استلزمها المستوطنون الأوروبيون. فهذه الفئة لم تعد تملك لا القوة ولا الوسيلة للتأثير ككناح مسلح واسع النطاق، يسبب ما نلقا من سلب لإملاكها وتفكيك لسنورها، وبعد أن فقدت حيرة ابتائها.

هذا المزيج جعل فئة الفلاحين تخطوي علاقتها دون أن تستشعر انوار حمل
المقاومة بوسائل أخرى مستعجلة قوة الخضوع في كثير من الأحيان مع رفض الأمر
الرافع الاستعماري كلما استطلعت إلى تلك سبيلًا.

ومع ذلك اكتسب هذا الرقود غير المعلن على المستوى القروي والعائلي والقبلي
بعدا وطنيا¹⁴، وإن لم يسلط شحيحة من احتلال الجزائر كلها فقد كان استغلوا
مستغلبا على الأقل من ناحية وثقافة حاملة على المدى الطويل من تطبيق السياسة
الاستعمارية، لاكثر أهدافها خطورة ألا وهو تدمير الروح والقيم الوطنية للأمة.

وقد أصبحت المقاومة المعنوية هذه دسما للجمعية للوحيد. بعد فشل
المقاومة المسلحة (مؤقتا) ونهب خزائن الثبات من قبل الاستيطان الذي وجد في
خدمته فضلا عن إدارة خيعة قوة للامع والتشجيع الاستثنائي المسلط على رهاب
الجزائريين.

وارتفعت خلال تلك الحقبة تصورات كثيرة عديدة بتجاوزات المشروع
الاستعماري الذي لم يجد مع ذلك شيئا سياسيا واحدا يبلن فيه من الناحية
المبدئية، لذا مهما كانت نوايا تمهيدية مع "الانديجان" (الجزائريين) في
التخفيف من وطأة الاحتلال فقد كانت لتفقد الفعلية بمثابة كابوس ملول على
الشعب بأسره.

ورغم ترددي أهوال الشعب الجزائري فقد احتفظ بكامل إنشئه، كما احتفظ
بقدراته العميقة في المقاومة، وإن كان المسم العسكري قد فرض عليه نوعا من
الاستكانة، فإن لم يقض على تحظه هناك لإعانة النظر في الاحتلال، طالما بقي
منفصلا بقلبه الوطنية وبإيمولوجية وما توجب عليه من مرافق. وهذا ما جعله
يتصدى بكامل قوته الروحية إلى محاولة صبر شخصيته. رافضا أدنى تنازل عن
وضعه العربي الإسلامي كمنون لا يفتقد وجوده قوسيا.

الإدماج والمقاومة الوطنية

أدرك الشعب خطر سياسة الإدماج¹⁵ قواح يعتمد من ذاته الطاقة اللازمة
للتصدي لها ومحاولة تكريس وجوده المستقر. فالنظام الاستعماري وهو يواجه

للعداء الشعبي لم يعرف في الواقع بأن تقمع وقوة السلاح ليست كافية لفرض سيطرته بصورة نهائية، ولكي يدعم نفس هند للسيطرة قام في 14 جويلية 1865 بإصدار قانون "السيناتورس كونسولت" بنية فرض "الإدماج" كإجراء واقع بإعلان "أن الأهلي المسلم فرضي مع استمراره لخصومه للشريعة الإسلامية كما هي السابق". لكن هذا النص مع ذلك لا يجعل من الجزائري مرتعيا يتمتع بكامل حقوق المواطنة، لأن هذه الحقوق مشروطة بوجوب طوب لاجتماعية الفرنسية، والتفلي بذلك عن وضعه الإسلامي.

كان المشرع الفرنسي أسوة بالرواي العثم يقدر بأن القانون الفرنسي يتعارض مع الشريعة الإسلامية، لذا كان المطلوب من الجزائري أن يولد عن دينه وينسخ عن ثقافته وتراثه الحضاري وماضيه. أي عن كل مقومات شخصيته التاريخية.

ولم تكن سياسة الإدماج في الواقع سوى استثمار لعنصرية تمييز الأسس العرقية والمادية للأمة الجزائرية بهذا السلاح¹² فقد كانت تستهدف التمكن لهدية المقلوب في الفرد الجزائري وتدمير نظاميته وكحما من تعطيل حياته وثقافته. راسلانية بفرض بداية استغلاله بعد إحكام السيطرة على وسائل وجوده الاقتصادي، فالهدف هنا أن لم يكن تقسيم على الإسلام الجزائري فضلا عن عدم فعلى الأقل تعطيل معنوياته ليرضى بالمعيشة ماإنما حائرا على عامل المجتمع الاستبدادي.

وكان المراد من سياسة الاستيطان السلبية منذ بداية الاحتلال - كما شيا مع سياسة "الإدماج" - أن تيسر تكاثف الأوربيين بتوجيهها كي ينفذوا على عدد الأهالي لأن التمييز كان يعتقد أن التثروات للجهنمية المقروضة على الشعب قد تؤدي إلى فساداته في أجل مسمى حسب منطق الغزو وتغيته التحقيقية.

فسياسة "الإدماج" إن - رغم تعدد واختلاف أوضاعها طوال الحقبة الاستعمارية - لم تكن في الحقيقة سوى منطب لبحرية المجتمع الجزائري وطابعه الوطني على الخصوص. لكن حالة الإهمال التي عرفت الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر، أوجت إلى بعض التيارات السياسية الجزائرية باستراتيجية استغلال تلك السياسة كمطبة لعطائها¹³.

نضارة الحركة المطلبية والشباب الجزائري، وسياسة "الإدماج"

ضاعت تحولات الاستعمار الاستيطاني من تنعكاسات الحروب الفدائية والقمع، ومختلف السياسات الرامية إلى التذمة على الشخصية الجزائرية، فقد أدت كل ذلك إلى انقلاب أوضاع المجتمع الجزائري، وأما على عقب، وبلغ من التفكك إلى حد فقدان أدنى إمكانية للتعبير السياسي عن مطالبه. بعد أن وجد نفسه فجأة في صراع يومي من أجل لقاء صوت وحرمة حكم أجبري، يقفون في اضطهاده ويحرص كل الفصوص على خلق كل ذريعة ومثنية في العهد.

وهي خلل هذه الوضعية الطارئة ما لمثلت لمواجهة حسب أشكال التكيف التقليدية أن لاقدت مفعولها بعد أن لمثلت الأمر لنظام الاحتلال، بفشل وسائر القوة التي بهزنته - ووجد المجتمع الجزائري نفسه في حالة دفاعية عاجزا - رغم مقاومته المبدئية - من بذل كافة موارده على لمس حقيقة نزع التمرد المبروض عليه، لكن كل ذلك لم يمنع ظهور مبادرات منظمة بدرجات متفاوتة، حدثت معها الإشارات الأولى للتعبير السياسي والثقافي ذي النزعة المطلبية، وإن كانت تلك المبادرات ماثرة الأضرار كما هي حالة "حركة المتطرفين".

هذه المحاولات البسيطة الرامية إلى إضاءة لهذه التماسك السياسي والثقافي وجدت في طريقها مصاعب جملة، لأن المجتمع الجزائري، برهنا كان في حالة تفكير على جميع المستويات لقد فقد كل فياداته خلال الانتفاضات، سواء تمضية أو تقيها - ولم يكن من الممكن تبعيها مسبب المواقف أمام تعليم التلمذ الوضعية خاصة.

وكانت سياسة الاحتلال تعتمد إلى الخط من شأن تولد البلد المضاري، وإلى تشويه ثقافته ودينه على حد سواء، ولم ينج من عملية التمسك بالمصاحبة للاحتلال أي قطاع معنويها كان أو مادي. ولم يكن تفراخ والأولئك استودع عن تلك لتشجيع مجالات التجديد الوطني سيعلمها كان أم تخلفا. ولعلولة هذه السياسة اعتصم الشعب بقيمه الوطنية، دون أن يتمكن من تحديثها بماشيا مع حركة التطور والتغيرات اللازمة لها. واكتفى هي نهاية الأمر بتحقيق تلك التقلبات يعيب عجز عن تكيفها وجعلها أكثر فعالية، وفي المقابل نجد أن النظام الاستعماري لمستطاع من التذمة العلمي والثقافي، ومن تفعيل حركيته وتكوين المستوطنين الأوروبيين من أحكام سيطرتهم.

ووجدت الدولة الاستعمارية في "تجنح" المستوطنين وسيلة فعالة، لخدمة إيديولوجيتها والعمل الحضاري الذي تقوم به. واستقطب فئة قليلة من الجزائريين لاستغلالها في التمييز وتطبيق سياساتها. فالعداء المفلتم بين المستوطنين والشعب الجزائري - رغم عمقه واستحقاقه طروحه - لم يكن مع ذلك ليحول دون التواصل بينهما والتعبير عن طرف إلى آخر علماً بحدث عانة في مثل هذه الأوضاع. ومرد ذلك أن أية دولة مستعمرة - لأصناف مختلفة - تنجح دائماً في كسب فئة من السكان، بحكم مراقبتها لجميع الأنشطة الحيوية في البلاد، الأمر الذي يجعل أي جزائري تلجح لإثباتها في شؤون حياته القومية والجماعية.

ونظراً لاستجابة طرد شعب جاسور من لؤسها تعدد الدولة المستعمرة إلى تكبيدها نظام السيطرة والاستغلال بما ينفع مصالحها بطريقة أفضل. ولتجاً هذا إلى أسلوب الاستقطاب والإقصاء، إنشاء عامة الشعب من الحياة الاقتصادية والسياسية من جهة، واستدراج أئمة مع كسب ولائها وإستثمارها لخدمة القضية الاستعمارية من جهة ثانية. فهذه كفة ضرورية لإثارة الاحتلال ولتعبئة السياسية لما تقوم به عناصرها من دور إضافي ومساعد في إحكام الرقابة على الأهالي.

فقد أن هذه "الانقلابية الجديدة" التي أعلن انتمائها إلى "الحضارة الفرنسية" وقبيلها بكيفية أو بأخرى، تتكلم مع ذلك على سلة بوسطها الأهلي بدرجات متفاوتة لأنها بدون ذلك لا يمكن أن تقوم بأي دور يذكر. ومكناً تجد نفسها تحت ضغط قوي من كلتا الجهتين، إمارة الاحتلال من جهة والشعب من جهة ثانية. [فقد ظهرت الحركة المظلمة للمعتلة وسط هذه الغلة من الجزائريين "الفرنسيين" (مثل الأرض)، وكان على رأس اهتماماتها تحسين ظروف معيشة المسلمين، طبقاً للسياسة القومية وأعضائها على المبادئ السائدة بفرنسا ذاتها على وجه التحديد. وكان هذا التوجه على ضوء مسو خطور الجزائر في ذلك العهد بمثابة الطريق الممكن الوحيد، أمام رجال ما زالوا يشعرون في دولة أنفسهم بوطأة الهيمنة.

وما ثبت أن لم تنتف عن هذه "الانثيوجنسسية"، نخبة "المتطوعين" الذين انتظموا فيما بعد في حركة "الشباب الجزائريين"¹⁸⁷ التي بدلت في حدود 1900 لهم بالعضيا الاجتماعية و السياسية وكلل هذا الاهتمام تعبيرا عن التضامنة الأولى للفكر المطالب، في تلك المرحلة الجديدة من تاريخ الجزائر. وكانت هذه الحركة تحاول برفسطة مطالبيها المحتشمة¹⁸⁸ الإفلات من ديكتاتورية المستوطنين. ولم تكن تلك المطالب تخرج عن نطاق الاستقلالة من الحقوق التي تنص عليها سياسة الإدماج الرسمية والتي ظلت بالنعسبة للجزائريين مجرد حبر على ورق فهل يمكن إضفاء صفة الوطنية على هذه الحركة.

لا يمكن ذلك ولو كان ممثلو المستوطنين يعتبرونها كذلك خدمة لمصالحهم الخاصة لا غير. ذلك أن العطالة بالمواطنة الفرنسية ولو كن في ظل التمسك بالوضع الإسلامي، سواء عن ناعة أو بدافع تكتيكي يعني باختصار نفي الواقع الوطني.

وسع ذلك لا يمكن أن نذكر دور "الخطبة المختصرة" التي ساهمت وهي تحاول التخلص من وضعية الخضوع للأمشروط. كما تريد إدولة الاحتلال - هي كشف تناقضات السياسة الاستعمارية ونفاذها. وقد أدى رفض هذه العطالة - رغم انفاتها مع مذهب الإدماج الرسمي - إلى انفصال موجة عن الاستياء وسط "الانثيوجنسسية" الجزائرية الجديدة التي كملت تنتظر بعض الأعضاء مع كان يفتح به الأوروبيون.

وكانت نسبة هامة من "المتطوعين" تتبوا بحساس من نهمة الوطنية. بل ذهب الأمر ببعض إلى التكرار للنتم لمليسي شعبهم وثقافتهم الذين كانا في نظريهم من أسباب تخلفه¹⁸⁹.

لكن من الخطا تعميم هذه الأفكار على جميع "المتطوعين". إن نجد من بينهم من بقوا أوفياء لثقافتهم، مؤمنين بفضة العالم العربي الإسلامي متخفون هذا الطريق مطية للتعبير عن حبهم للوطن.

ويمكن تفسير ظاهرة "المتطوعين" بأنهم كانوا من أوائل ضحايا الاستلاب الاستعماري، لأنهم لم يموثوا جزائريين أصلاً كما أنهم لم يصبحوا فرنسيين كاملي الحقوق. لذا مهما كان حسن نواياهم فقد ظلوا عاجزين عن التوفيق بين تفضيلين الاستعمار والشعب الجزائري - ولو كانوا هم أنفسهم ثمرة هذا التناقض رغم ذلك.

والواقع أن رقابة الإدارة الاستعمارية كانت من الصوامع بحيث لم يكن يوسع أي جزائري من يملأ السليطة الفرنسية نود أن ننزل عليه سواعق القمع، لكن رغم التضامن بالأمم المتحدة رسمياً، فقد كانت هذه الإدارة تسهر في تولد نفسها بـ"الفضل في التصدي" لنظامها الشعب بأشكالها المختلفة لجميع الاعتداءات التي يتعرض لها. غاية سرورية كانت، تلحق في الواقع، إرثاً التجميد^{٩٨} التي كانت مطالبتها أبعد من مطالب "الخدمة العسكرية" ولو أن ذلك المطلب كانت يومئذ ما زال يبعد عن سياسة وثيق سياسي يجرى فيها.

وكان دعاة الإيديولوجية الاستعمارية الواقعة بتطوير العلم من حولهم، يمشون تسرب الأكل النحوية الجديدة التي تبليها الحركات الوطنية. ومن ثمة كانوا يتوجسون من أن تعمل حركة "الشباب الجزائري" في طليعتها الإرماعات التي قد تركز عليها الحركة الوطنية بالتدخل في تطويره على طول ما حدث في العديد من بلدان المشرق وهي تونس ومصر.. هذه التشبه ظلت تلازم "النسبة العنصرية" رغم دورها المبرر أثناء الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918)، عندما بادرت بالدفاع عن التخصيص الإيجابي الذي عارضه معظم الجزائريين بالقوة أحياناً^{٩٩}.

فقد كانت تعتقد أنها بموقفها ذلك تستوفي الشروط التي تؤهلها لتدرجها للاستفادة من نفس الحقوق السياسية للمواطنين الفرنسيين. لكن الأوروبيين سارعوا - خشية المنافسة - برفض تجنيد الجزائريين مؤكدين بذلك لردتهم الثابتة في الحفاظ على كامل حقوقهم أمام الشعب الجزائري وإبقائه في حالة من الدونية المستعملة. في حين ساند قسم من الرأعي العام الفرنسي عكس ذلك مطالب

"الشباب الجزائري" باعتباره أحسن مائة تفكر الوطن الأم. وسدأ أمام مفاخر
الوطنية الجزائرية فكانت، ولتحقق توفيقها مع الحركة العربية الإسلامية التي
كانت في أوج صعودها.

أما الجماعير الوقية لذاتها بلغة فقد كانت تحفظ على أن تكون "الثنية العتورة"،
معتورة حصول بعض أفرادها على الجنسية التونسية فصبغة كبرى، وكان لهذا
الحفظ - إن لم نقل الكد - كبير الأثر على مستقبل "الشباب الجزائري" الذي
وجد نفسه قاطعاً في مفرجات التعاطية الاستعمارية بدون قاعدة جدية. محرومة
من دعم الجماعير العسمة ومعلوماً من الأوروبيين لأسباب مختلفة.

لغة حرية "الشباب الجزائري"

في نهاية الحرب وجدت حركة "الشباب الجزائري" نفسها ملزمة، بإعلان
عولتها من قانون 1919 الذي يتيح لغة من الجزائريين - من غير الأميين
من عائل الذوات أو المدن ومن غير الذين لبوا الخدمة العسكرية - ذوات الحصول
على المواطنة الفرنسية الكاملة شريطة التنازل عن قانون الأحوال الشخصية
الإسلامي. وقد أدى ذلك إلى انقسام الحركة إلى تيارين، تيار يأس الانتفاخ
بالجنس وبالتفصيل المبدل في غيرة النواب، وتيار ثان يرفض التنازل عن الوضع
الإسلامي استناداً إلى وطن الجماعير، يمثل هذا الإصلاح غير المضمون بحكم
معارضة الأوروبيين الشديدة له.

هنا التبار نزع الأمير خالد حفيد عبد القادر الكبير الذي كسب بهذا الموقف
سمعة كبيرة، في أواسط السبعينيات الذي كانت تتابع باهتمام النقاش الدائر
حول موضوع جومري كالجنس. وكانت الانشغالات البلدية عام 1919 مناسبة
لاهتمام النقاش، بعد أن تقدم لها الأمير خالد بقلعة من غير المتجسسين، منافساً
قلعة بن قاضي العزلة من العجسسين أو الواضيين به.

وقد ركز الأمير خالد في حملته الانتشارية على الإسلام والتكادح للبطلاني للأمير
عبد القادر متهماً بن قاضي ومن معه بالعرف وكأن جمهور الجزائريين يهفون المسمع
لمثل هذه العواضيع التي تشاطر تافهاتهم الجماعية وتدعي فيهم آملاً عريضة.

وسارع خصومه ، ومعهم الأوروبيون ، بالرد عليه واستفنت إياه به "الفرنسي" "المعادي لفرنسا" . ورغم فوز قائمة الأمازيغ خلفه بالحلقة فقد ألغى مجلس العمالة انتخاب شخصيا بدعوى أنه من مواليد تمسوق بسوريا ، وبالتالي لم يكن من الرعايا الفرنسيين ، فضلا عن معارضة في إيقاف التتبع الإسلامي بدعائه العنصرية لفرنسا . وقد عبر المستشارون المعاصرون عن تضامنهم مع الأمازيغ فاستغلوا جماعيا وذلك لأول مرة في تاريخ الملتحدين الجزائريين .

وكان من نتائج هذه الواقعة تعكس الأمازيغ خلفه من عقد صلة مباشرة - هي الأولى من نوعها - مع الجماهير الشعبية كمثل الجماعة السياسية الجزائرية ، وهي صلة لم تكن تسبق من أهمية بحكم عزلة وتميزها لم تكن وثيقة ، فقد تجاوز هذا المقياس مجرد الاهتمام بملامح مختلفة في حياتها ، فحدث من جديد ميلاد الشعب الجزائري العاطفية نحو حبه لوطنه وتعلقه بثورته .

ومن جهة أخرى ما انطلقت حركة "الشباب الجزائري" لتعرض منذ نشأتها لهجمات المستوطنين المتطرفين الذين يتهمونها بالوطنية حينها وبالوهنة العربية والإسلامية حينها آخر ، بهدف تشويه صورتها لدى الرأي العام الفرنسي والاحتلال دون الشروع في الإصلاحات التي تولها باريس بضرورة لدعم أسس الوجود الفرنسي . ويستعمل المستوطنون تلك الهجمات كذيل لحماية امتيازاتهم ، لأن حركة "الشباب" لم تكن في الحقيقة تشكلت على طموح من حيث الكثرة والأخرى من حيث سلوكها . فقد كان هذا "الشباب" يصر صراحة في تعلقه بصورة "فرنسا المثالية" ، وفي محاولة الحصول على المساواة في الحقوق مع المواطن الفرنسي . غير أن إصرار القوى الشعبية في التمسك من أجل الإصلاحات المذكورة ، قد يؤدي في فتح أفاق أخرى .

مثل إصلاحات 1919

ولهذا تسبب حازمت إثارة الاحتلال حركة الشباب الجزائري رغم اعتدال مواقفها . وسعت إلى تعليمها بشكى التمييز دون أن تفرق ذلك ببعض الإصلاحات التي توضح بكيك الاستعمار مع امتيازات المستجدة . وكانت

الحكومة الفرنسية وهي تقرر تجتيد الجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى، قد وعيت بأجراء إصلاحات عامة مكافئة للمشكلة الجزائرية في العهود الحربية بصفة عامة.

وقد أشرت تلك الوجود جدلاً عقيماً ومتناقضاً بين آتصار الحفاظ على الوضع القائم (من المستوطنين و(داوة الاحتلال) من جهة، والحكومة الفرنسية المترددة في الوفاء بوعودها من جهة ثانية، لتكفي بوضوح هذه الأخيرة في نهاية المطاف لإرادة المستوطنين الذين رفضوا بإذنتهم جميع محاولات الإصلاح الناهية من المواقف الحكومية المتهببة.

هذا التعاون الذي بشكل ثابتة هي تاريخ الاستعمار ويمكن نظريتين سبباً سببين، بجمع بينهما الاتفاق على تجاهل مصالح الشعب الجزائري، نظرية المستوطنين الأوروبيين وثقافة التحكم في بلومبرج. مثل هذا يتمرض لم يكن ليصبح فرضاً جديدة لتطور نيلز أهلي إسرائيلي بلدم معنى الكلمة، بأي إصلاح مهما كان ضئيلاً، كان المستوطنون يعتبرونه مساساً بمصالحهم وحياتهم، ولتعزيز موقفهم هذا لم يتحرجوا من اللجوء إلى أبسط أشكال الإيديولوجيات الاستعمارية، فالأهالي في نازمهم "قَسْرُ بالورلنة" وكانهم من ناسوت وضيع، و"سكنهم لا يكون (لا) بالسلطان وهم مؤهلين لاستعمار الأفكار الديمقراطية لا روحاً ولا معارضة. ولم تعرف مجتمعاتهم عبر تأييدها للعزلة غير الإقطاع أو القوضى". والثوري أخيراً "من عرق منحة ولا يمكن ثوبته"، كما أعلن ذلك المجلس الأعلى بالجزائر سنة 1894⁽¹⁾.

والأرجح أن المستوطنين، يرون في "العربي السيت أفضل العرب"، ولم يكونوا يتصورون الإدماج بعيداً عن ذوبان الأهلي واختفائه مع محيطه الاجتماعي والسياسي والثقافي. كما لم يكونوا يوضحون بأي حال من الأحوال أن مثال أحد من أمثالاتهم وتفوقهم العرقي، رغم قتلهم وقتلهم العميق الذي يشهده العالم من حولهم.

ويدل أن تخصصي حكومة باريس لعدد هذه القنصليات، كانت عكس ذلك تحول صيغاتها وتكيفها سياستها على ضوئها خدمة لخدمة المستوطنين أنفسهم. وكانت الإصلاحات المحتشعة والتي يقام حولها عادة هرج ومرج كثيرون مستوحاة من إستراتيجية كفاح مشاهير القوم القومي في صفوف الشعب الجزائري ولظهور مطلب فحشية الجزائرية. ويتقضي ذلك طبعاً اقتراح ببعض الإنجازات لصالح فئة قليلة بهدف فصلها عن الجماهير للقضية. وحولان هذه الجملة هي نفس الوقت من إملات يمكن أن تصبح تاماً بايهم مطلعها الحقيقية.

غير أن حكومة باريس وإن كانت تعانهم مثل هذه الأساليب، فإنها مع ذلك لم تكن تتعديها أداة جارية لإنجازها، فلم يرد الممثلين من جهة ومقاومة المجتمع الجزائري (لأسباب مختلفة) من جهة أخرى. وبذلك كثرت ما تجد نفسها محيرة على اقتراح سياسة حلول وسطى وإصلاحات جزئية عن أولها، فتكون لذلك بدون تأثير ولا توحى المجموعات المعنية بها في نهاية المطاف.

وبالطبع ماذا يمكن أن يمثل حق القوم في التمتع بالنسبة للشعب الجزائري (الذي رفض ذلك عند صدور السيمانتوس كرسولات عام 1865) -- أو توسيع التمثيل في المجالس الجزائرية التي هيمن عليها الأقلية الأوروبية -- أو عود المساواة وإحياء نضال الجماعة في ظل سيادة محاكم قطع الاستثنائية --

فالكلمة الأخيرة كانت دائماً للمستوطنين المعارضين مبدئياً لأي تغيير في صالح الأهالي والذين برهنوا بأنهم على استعداد لمتنع أي إصلاح جدي حتى يبقوا سادة في الجزائر بدون منازع. فالتنظيم الاستعماري سواء من حيث طبيعته أو إيديولوجيته، لم يكن يسمح بالإصلاح الجذري الذي يفرض باب الاستفادة أمام جميع الجزائريين من نفس الحقوق المعنوية للفونسيين بدون أي قيد كما لم يكن يسمح (قانونياً) بالتطور نحو الاستقلال الذاتي. وهنا يكمن التناقض الجوهرية لأن سياسة الجمع كان هدفها الوحيد هو إخضاع الشعب الجزائري وتعجيزه عن التكتل بمصيره عبداً مزمناً.

مخاض الحركة الوطنية العصرية - نشاط الأمير خالد وحنوده

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، تغيّرت المواقف السياسية بوضوح على ضوء نقاش الدائر حول الإصلاحات. فقد أصبح الجزائريون أكثر ميلاً إلى فصل مشاكلهم عن مشاكل المسنوقين وإدارة الاحتلال. وإلى تطوير الأمر الخاصة بهم سواء في ميدان العمل السياسي والثقافي أو النشاط الجمعوي الديني والرياضي في المدن خاصة. ويعود انتقل مركز النقطة إلى الوسط الحضري إلى عدة عوامل من بينها تفكك الهياكل الريفية وتجهيل الفلاحين فضلاً عن تفكيرهم المستمر⁽¹⁾، ولقد زاد من الاضطراب هذه نتيجة امتنعوا المسنوقين على ثروات البلاد ومختلف وسائل الحكم، في ظل نظام التمتع الاستثنائي (شأن قانون الأهالي) المسلط على جماهير الأرياف، وتزايد النمو الديمغرافي (الكثافة لا يكفي تفسيره بالتقدم في الميدان الصحي وحده كما يؤكد البعض) الذي أدى إلى تسارع النمو الحضري الريفي باتجاه المدن.

وقد شكّل لذلك تدرجها على هامش المدينة الأوربية مركز حضري جديد خاص بالجزائريين الذين لم يقطعوا مع تلك هلالهم بوسطهم الأصلي. وما لبثت هذه الظاهرة أن أحدثت تغييرات ملموسة في العلاقات الاجتماعية السياسية، نتيجة مزاج الفلاحين بدعوتهم المتميزة وثقافتهم وتطلعاتهم كفتة ما دون البروليتاريا، فقد أدى تحول جزء من الفلاحين إلى بروليتاريا ونزوحهم إلى المراكز الحضرية إلى تغيير الميكنات السياسية والاجتماعية للمشكلة الجزائرية الأمر الذي يسهم في المدور بعد سنوات فوّده احتياطية للحركة الوطنية⁽²⁾.

وفي هذا الإطار أخذ المجتمع الجزائري بفضل حركته الذاتية يتكيف شيئاً فشيئاً مع موجات التغيير. في حين لم تجد إدارة الاحتلال ما ترد به على ظهور الجماهير الشعبية والإعلان عن مطالبها بوضوح، سوى الحفاظ بقوة على الوضع القائم ولو بعد السّلاح.

فقد عجزت الحكومة الفرنسية عن الوفاء بالوعود الهزيلة التي قدمتها لنفسية المتطورة من الجزائريين. وعندما يحدث أن تترجم بعض هذه الوعود إلى قوانين،

تقوم إدارة الاحتلال والمسؤولون الأوروبيون يلاحظ من عدلها أو تحول دون تحقيقها باختصار.

في ظل هذه الظروف لا يمكن أن تزداد حركة مثل حركة الشهباء الجزائري (تيلو الأمير خالد). فسياسة هذه الحركة ذات العنصر الإصلاحي المحدودة، واعتمادها وسيلة العمل الانتخابي من جهة. وشعار إدارة الاحتلال إلى جمع كل تطلع للعمل الوطني من جهة ثانية، كل ذلك يفت حافلا دون هذه الحركة وتفسد مطالبها وتطويعها للتحول بتلك إلى حركة وطنية حقيقية.

وقد، أمرك الأمير خالد هذه الحقيقة فراح يستقبل العرة شو الأخرى^{١٤٥}، من المجالس التي كان من المفروض أن يرفع فيها عن مصالحنا من المسلمين، بعد أن استلهم بالعراقيل الدائمة التي تقسمها الأغلبية الساحقة للمعزلة لأقلية الممنونين، فضلا عن حملاتها الإعلامية الكاذبة والمعادية، ورغم أن مواقف الأعيان قد تطورت بوضوح في المرحلة الأخيرة من نظامه، فقد ظل مع تلك يؤكد دائما على رباط الحصول على المواطنة الفرنسية. بالاحتفاظ بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي وبالمذبح القومي الإسلامي للشعب الجزائري.

هنا نقفناض الذي فرضته ظروف المصاعب، لم يكن ليساعد على جعل نضال الجماهير الشعبية، ومع ذلك كان نشال الأمير خالد الشجاع والمهذب ضد الطبع الاستعماري بكفسي ملزى وطنيا حقيقيا، فهو ما نطك يند بالأمساواة في مختلف مظاهره. ويعد المجتمع الجزائري على التعلق بإسلامه وقيمته، مطالبا بتعليم اللغة العربية منتقدا بشدة المشجعين من الجزائريين.

وإذا لم يكسب وتحتاجه هنا نهج الأعيان السوفج له، فقد كسب على الأقل تعاطف المسلمين عبر الجزائر كلها حتى أصبح من كبار رجالات البلد يفضل مساهمته في فكشف بوضوح عن الشعور الوطني بضمونه العصري.

ولم يكن ذلك بخاف على إدارة الاحتلال التي سارعت بطرده^{١٤٦} من الجزائر سنة ١٩٢٣. فاقام بمصر كما سيفعل الكثير من الوطنيين المغلوبه بعد عقدين من الزمن، هذا المنفى الإجلوي، حرم الأعيان من صعد القوي الاجتماعية في الجزائر. وكان أيضا

بأقول سياسته وتفرق جماعته. نحو أنه عاد إلى باريس سنة 1924 إثر دور تكتل
اليسار في الانتصاليات، ولما خلب ثمنه في هذا التكتل توجه إلى العمال
المهاجرين¹⁴ فساددوه كما سادته الشيوعيون وكانوا يؤمنون بتحرير
الشعوب من غير الاستعمار.

وإلا كان الأمير خلفه قد اتخذ من اتحاد المستعمرات متبرا لأسماع صوت
الشعب الجزائري، فإنه لم ينشرط له في الحزب الشيوعي الفرنسي وأم يتبر
منه. وحاول أن يواصل نشاطه في فرنسا وتأسيس الأوساط اليسارية
بالدولة الجزائرية وعلم هنا المعهود الثوري إلى ترجمة مصالح الجزائريين عاد
إلى متفاء بمصر مرة أخرى.

كانت سياسة الأمير خلف تبدو غير متلائمة مع متطلبات تلك المرحلة الجديدة
من النشاط، بسبب هداء إدانة الاحتلال واعتراض الأعيان من الجزائريين عليه من
جهة وعدم تهم اليسار الفرنسي لمصالحه من جهة ثانية. لكن اتصاله بالعمال
المهاجرين الذين كانوا يصدون للتلاميذ أنفسهم كان بداية تغيير نوعي في تطور
الحركة الوطنية الجزائرية لاحقاً وقزامن ذلك مع نهاية تجربة الأمير خالد
السياسية.

والواقع أن فشل هذه السياسة وكذلك فشل حركة الشباب الجزائري -
المؤلفة من الأعيان خاصة - أدى إلى ضرورة قطاع من الوعي العام بضرورة تجاوز
سياسة العطالة بالحقوق الفرنسية، تلك السياسة التي أصبحت بمثابة الطغل
الفاصل والتمييز بين الاتجاهات السياسية المتنافسة.

وقد انحصر دور الأمير في فترة تليها عن الظهور الوطنية دون أن يكون رائداً
للمذهب الوطني الذي سيمسح في الواقع المحبب عن المطامع الحقيقية للشعب
الجزائري، ذلك أن الإيديولوجية الوطنية كانت شائعة في فئات المجتمع الثقافية،
قبل أن تغيّر عنها جماعة أو تنظيم سياسي معين. وجاءت سياساتها العصرية
وترويجها كأداة تضال، نتيجة العلاقات الجبلية بين الواقع الاستعماري ورد
للمجتمع المغلوب عليه وداء راحته.

وكان هذا الموضوع أهم ما يميز الموضوعية الاستعمارية التي يمكن تعريفها
بـ«سيطرة مفروضة من أقلية لجنسية على أغلبية محلية تختلف عنها اختلافًا جبرها
والقائما باسم تفوق عرقي (أو أثني) وثقافي معين متحيزا، وكلحتك بين
سلوتين غير متجانستين: حضارة الآلة والاقتصاد القوي ذات الإيقاع السريع
والأصل المسيحي، المفروضة على حضارة بسيطة هي تقنياتها حاضرة في
المدن البعيدة الإيقاع ونحو المسيحية أصلا».

هذا التعريف يتطابق على حالة الجزائر مع بعض الاحتفظ لأن السيطرة
المفروضة عليها ليست من أقلية المستوطنين فقط بل من دولة أجنبية كذلك؛ كما
أن ظروف التطور التقني هي بداية الاستغلال لم يكن في مستوى الوحدة التي عرفها من
مدني سابق تهاور النظام الاستعماري.

ويؤنس المجتمع المستعمر أن يكون مجرد أداة اقتصادية كما يراه له ذلك،
ويفرض بعد الإصلاح كما يفرضه المنظومة الإيديولوجية الخاصة.

وبتونس على حالة النزاع هذه حدوث تغييرات في المجتمع المستعمر، تساعد
على ميلاد فري جديدة ونحو، طرق الكفاح نفسها وتتميز هذه العلاقات بظاهرها
الشامل الذي يتعدى المجتمع الثقل والمفلوب إلى العلم أجمع. ذلك أن «مدام
الحضارات، إنما يندرج في إطار حركة عامة. شملت خلالها المجتمعات الغربية من
وسائل التفريق في جميع القهاتين العلمية والفنية، ضمانا بذلك هيئتها على
المجتمعات الأخرى. تلكم الهيمنة التي ما لبثت أن نجست في ظاهرها الاستعمار
وما شمل في طبقاتها من سيطرة واحتلال».

وما لبثت مفومة الشرب للاستعمار بها كان شكله، أن تحولت إلى حركة
شعب وطني شاملة. فبعد انهزام حركات المقاومة التقليدية أخذت للشعب
المفوية - في أغلب الأحيان - تبحث عن التنظيم والتنشيط المساعدة في عوامل
قوة الأنظمة المسيطرة والتي يمكن أن تستعين بها - بعد تكييفها - في الدفاع عن
قضاياها والتخلص من السيطرة الأجنبية.

وكانت الأفكار أول ما قامت باستعماله خلال المرحلة التمهيدية من الكفاح
الحزبي (العصري). وهذه لفكرية انتقلت الوطنية - في صيغتها المتطورة - من

الأمم الأوروبية إلى حركات التحرر عن طريق الانتشيمشية المناضلة التي تكويناها بالممارسة القوية في معظم الأحيان والتي ظلت بشكيب هذا المفهوم مع أوضاع البلدان المكافحة في سبيل اعتقالي. وكان هذا المفهوم في الأصل يعني "إثارة الشعور الوطني والتعلق العاطفي بالأمة، كما يخلط أحيانا بكرة أمة الأجانب والزراعة الانتزاعية، والمبالغة في دشوهر عقومات الوطنية داخل البلاد وخارجها وما يؤولد عن ذلك من نوليا عدوانية.

وعلى العكس من ذلك، تستعمل الحركات الوطنية هذا المفهوم لإثبات وجودها الوطني الذي كثيرا ما يحاول المستعمر سحقه، وبالتالي يصبح فكرة مجردة في عملية التحرر.

وقد طالت الوطنية في الجزائر وثيقة انصلة بالإسلام والعروبة في نيلر الجماهير، أموة بمعلم البلدان العربية الإسلامية، فالجماهير ترى فيها تكريسا لهويتها الوطنية وتجسيدا لمطوحاتها الحميلة ضمن المجتمع الأوسع الذي تنتمي إليه.

غير أن بعض السياسيين يحصر معنى الوطنية في إقامة دولة وطنية علمانية بكيفية أو بأخرى.

ومن خصوصية الوطنية "المصرية" في لبنان أننا الذكر أنها تخطط إلى حد ما بحب الوطن، وتوكل على أساس إيديولوجي عربي إسلامي موحد ومرتبنا بحركة تاريخية الأيمان.

وسكذا تصبح الإيديولوجية الوطنية بين ملامهم قرد في الظاهر مناقضة، لكنها في الواقع متكاملة ومأنة ومجازية مع فطامع العميلة لهذه الشعوب التي لم نجد قط انتماعا إلى مجموعة تشمل في انتمسالة الدينية الإسلامية. وقد وجدت طي هذا الوعي بالأمة ضرورة لتغذية مقاومتها وحمية شخصيتها وشعبها في سبيل نهروها. وبناء على ذلك تشكل هذه الإيديولوجية مصدر إلهام لمختلف مكونات الحركة الوطنية بمرحلت متفاوتة، أملا في التكنل بمطامح المجتمع بأكثر قور ممكن من النجاعة، علما أن المهتم لا يجد

نفسه إلا في التغيرات التي تمثل هذه المقامات المحصنة شتيل، وإذا كان شعار الأمر
مضاداً متميزاً وبسط حركة الشينيه الجزائري، وتجميعات السياسية الأخرى،
للعيب أنه كان في تلك العهد أقرب إلى التعبير عن تلك المطالب، رغم أنه لم يكن
يستجيب لها ولا يقفده الوضع يوماً.

وهكذا نلاحظ أن زيادة التجديد الوطني كلفت تعبير عن نعمتها بطرق متعددة
مما يميز أكثر فأكثر، سعيد منها إلى محاولة حركة التلويح بنية توجيهها عكس ما
كانت تحاول الحملة الفرنسية منذ 1830. ومن ثمة لم يكن هناك مجال للتدقيق في
لتفصيلها اللاحق على النظام الاستعماري، رغم نجاحه الاقتصادي والتقني وقوة
العسكرية.

وينبغي التأكيد في هذا العهد على الدور الإسلامي الذي لعبه الإسلام طوال
فترة المقاومة ذلك وخلال مرحلة التلويح الوطني، كما يقول شتيل روبرت أجرون،
ولقد وجد الجزائريون في الإسلام مخرجاً ومبعث أمل، ومهما كانت الفلسفة المؤرخ
الشمسية والتفسير الذي يأخذ به فلا يمكنه إلا أن يلاحظ بأن مقاومة هذا الشعب
لتجلى كلها في الإسلام وبالإسلام.

طبعاً قد يبدو الإسلام الجزائري في نظر المستعمرات يدلثها قتلها بالارتباط
بالسنة، أو طرفاً بالعادية ورمزة للشك الفرنسية بشكل، فمعبر، لكن تلك هي الظاهر
فقط لأن الإيمان الشعبي احتفظ بحيويته كاملة.

فالتأثير الفرنسي في الواقع لم يكن قد اخترق عمق الجزائر المسلحة عام 1919،
وكان مدتها من الفرض لا يختلف كثيراً عن تلك الأراضي الفرنسية حسب
القانون الجزائري، أي تلك التي أصبحت خاضعة للقانون الفرنسي، مع إمكانية
بفاتها ملكاً للمسلمين⁽¹⁴⁾.

الهوامش

- (1) J. LAROCHE, *L'Histoire du Maghreb*, p. 222, Ed. MASPERO, Paris, 1971.
- (2) C.I.A. Fatic, *Essai de l'Afrique du nord*, T1, p. 254, Ed. PAYSAN (LSE), 1978.
- (3) *ibid*, p. 256.
- (4) *ibid*, p. 277.
- (5) هذا المصطلح الدائم يمكن أن يبرز مختلف أشكال العنصرية علماً أن فرنسا كانت تمارسها جميع فئات الأثنية على ذلك.
- (6) القرويين والأعراف القبلية تحدد المتمرس فيكونه للدولة الحازمي: 1- ترايب وبلدي 2 - حكومة : 3- إيلو 4- جيش + 5- جنوسية.
- (7) Claude KENTENPES, *Maroc des musulmans musulmans*, T1, p. 27 et suite, Ed. CLAR, 1978.
- (8) Georges CLARVIERE, *Le Maroc des musulmans*, T2, p. 193.
- لنأخذ على كثر من الحرفيين أي تحديد الدولة بالمجتمع القبلي (كأمة مثلاً) لأنها هي العقيدة ما هي سوى مجموعة كل المجتمعات صربية قائمة على التزام غير ملزم لا خلاص منه.
- (9) Claude KENTENPES, *Maroc des musulmans musulmans*, p. 102, Éditions universitaires, 1978.
- (10) Claude KENTENPES, p. 71-72, Ed. MASPERO, 1963.
- (11) Voir Louis LESTRADE, *De l'État*, p. 19-18, Ed. USQUE CONTEMPORAIN, 1972.
- (12) فكر ملان بالملق مع لبين الأمة كاسي:
- الأمة هي مجموعة بشرية مستقرة تكونت عبر التروبع على أساس أربع خصائص جوهرية وهي: وحدة لغة وثقافة وخلق اقتصادية وتقاليد القسي المتمسدة من خصوصية ميقات الثقافة الوطنية. وفي 18 مارس 1929 أضاف ملان صياغة هذا التعريف في مقال بعنوان: القينية وسمكة الوطنية. رد على ليرلق ميشتوف وكوتولشوك وعمرهم. وقد أضافه عثمرا خلاصاً هو "الدولة الوطنية المتميزة والتي لا وجود للأمة بدونها".
- (13) Le marxisme et la question nationale et coloniale, par STALINE, Ed. SOCIALE, 1949. Rééditions Nouvelles OBTURÉE, 1974.

١٠٠ للعصر. يتعرض مع وقع الحدود من الأمم المختلفة لتو الاستعمار ومن ثمة لا
أنها أن تكون دولة وطنية، وإنها أن تكون دولة يمكن أن توجد بدون دولة.

(13) CH. R. AGERON, Histoire de l'Algérie contemporaine, p. 2, Ed. PUF.

(14) CH. A. AGERON, Histoire de l'Afrique du Nord, T. 2, p. 29, Ed. O.P.C.T.

(15) CH. R. AGERON, O.P.C.T., p. 8-9.

سبب جيد لهذا المروي، لم يكن هناك سوى 6000 جندي من وحدات الأوجلي (بداية 1830).

(Magrath, O.P.C.T.)

(16) CH. R. AGERON, Ed. O.P.C.T., p. 12.

إن الجنرال ستوري هو الذي تميل على نحو خاص في هذا التمسح الفرنسي.

(17) Voir CH. R. AGERON, Les Algériens colonisés et Algériens, Ed. PUF, 1973.

البركات معاهدة ديجونيل وكذلك معاهدة 1830 مع دولة عبد القادر (الظلمة) على جزء
الجزء من التراب الجزائري.

(18) Voir CH. R. AGERON, Ed. O.P.C.T., p. 15.

البركات معاهدة 1830 (30 ماي 1830) بوجود هذه الدولة على شقي التراب الجزائري.

(19) MORISSET, Lachmi, O.P.C.T.

كانت هذه اللجان المكونة من 10 و 12
عضواً وكانت مغطاة بمراقبة التراب والحدود. وحجز تلك القاضين لـ
المعتمدين للتعبئة المشتركة، فضلاً عن شراء القوت والسلاح والذخيرة.

(20) M. Lachmi, O.P.C.T., p. 35.

(21) Jean Claude VATTI, L'Algérie post-1830, Histoire et société, p. 152-154, Fondation
Internationale des Sciences politiques, Ed. G. GOLLON, Paris, 1974.

(22) Voir Lachmi, Algérie, histoire et société, O.P.C.T.

(23) الإدماج كذا يعني في البداية إحقاق التراب الجزائري بفرنسا، ولم يكن ذلك يملحق
على غير الفرنسيين والأوروبيين فمتحدثين الذين تعترف لهم بحقوق المواطنين وحريتهم.

(24) تيمس خلال الفترة من 1865 و 1875 وهي من أملاك التفرات التي من بها للشعب
الجزائري 371 مسلماً ومجهول كيف تم تلكه وقد رفضهم المجتمع الجزائري في صفوه.

Voir CH. R. AGERON, Les Algériens colonisés (1871-1919), T. 1, p. 244, Ed. PUF, 1958.

(25) لم يعد الشعب الجزائري نتيجة مقاومته الطويلة يتوكل على الوسائل الكثرمة للتكلم في المنعح الأمر الذي يفسر هذا الانكفاء وليس نهر المصالح.

(26) هم يضع ملات من الأفكار (مصلحيون ومساوون وأنطاني ومملوون من خريجون المدارس الحكومية) تجمعوا في وقوة بعد 1962 كما يذكر علي مراد في (Le réformisme révolutionnaire en Algérie de 1925 à 1940, p. 42, Ed. MOUTON & CIL, 1967).

(27) على غرار تركيا ككتلة وتونس ككتلة ... وهم جوا الأمر الذي يؤكد تطبيع العلم للحرية المطلقة في أنصار العلم الإسلامي.

(28) مطالب الشباب الجزائري كانت كما يلي:

- تعديل نظام الخدمة العسكرية للأهلي مع مشاركة الفرنسيين وإلغاء ضريبة.
- إصلاحات سياسية واجتماعية:

1. إصلاح النظام العمومي

2. التوزيع العادل للموارد وموارد الشراكة، تعديل قدر. وكانت هي السبل المستفيدة بكل من الجزائر وفرنسا أي شئت تمسكين بما يمثل 2/5 أعضاء المجلس زيادة على توسيع هيئة المنتخبين، من حصة في البرلمان في مشاركة في انتخاب رئيس البلدية، ضم الجمع بين المهام الانتخابية ووظائف لبلدية.

التمثيل في البرلمان الفرنسي أو في هيئة منتخبة كمرءا باريس.

حتى الآن، لقدوا الخدمة العسكرية في أن وصموا بملطيين لفرنسيين بتقديم طلب بذلك بدون إحصائهم للأزمات السابقة حلتها.

(29) لم يكن جميع طليصو الشباب الجزائري من ذهاب الفرنسي كما يذكر ش. ر. لمرور (1943-1944, p. 37-38). مثلا كانت لجمعية "الحق" التي تحصل علولا لرعا الشباب المصري تعتبر عن وجهة نظر مختلفة. هي وجهة نظر الشخصية المتعلقة بالإسلام فتقيدوي وبالمهنة الإسلامية بالمشرق في أن واحد. أي قومونية الإسلامية.

(30) بالنظر لأن من الممكن حدوث التناقضات نتيجة بصفة ثقافية كلن أعرفها ما حدث بالأوراس علم 1916.

١٧. أثارت قضية التمييز ضد سكان المسلمين وسجلت بتهجرة نحو
 "تري وسوريا على الخصوص. وقد تبعت موجة الهجرة من لبنان عام 1901 موجات
 18 من مختلف المناطق، وكانت شكلاً من أشكال مقاومة التنظيم الاستعماري. وقد
 أحدثت هذه المقاومة أكثر عداً عندما تجرّت الحكومة للخدمة تصويم التمييز الإمبري
 (١٠ يوم 31 جانفي و 3 فيفري 1912)، كما تشهد تحولات التي هزت مناطق للمدينة
 ١٩ ج. بومبريج والفرصة وتلسمان حيث تقامو. آلاف الجزيريين احتجاجاً على ذلك.

٢٠. ظهرت هذه الحركة أيضاً ما تكون في التغيرات في ثقلان ومعدى ومليقة وخلالها
 ٢١ الأوراس عام 1916. معبرة على جاء شعب الحزبي للاستقلال الذي بدأ مرة أخرى
 ٢٢ للجيش وقبض لإخلاءها.

٢٣. إن القضية المتطورة كانت كذلك يمكن ذلك أن يتم مجيود فرنسا في جريها مع
 ٢٤ الأساس يمكن أن يجعلها لتقليد من بعض الإصلاحات. كما جاء ذلك في ثلاثة التالية:
 ٢٥ ١) مطلب من الحكومة الفرنسية التي تعرف حيناً على إنسائها وعملها ورهائنها وتلج
 ٢٦ في الطلب أن تتدخل مجتمعاً على المواطن الفرنسي مع اعطافها بآلوان الألقاق الشخصية
 ٢٧ الأساس بناءً لموضناً من شريعة التي يوتديها عليها.

A. NUISCH, La nouvelle de maraboutisme-jeu, 1914-1950, p. 27, B1548/17, 1911
 (22) Cf. NICH, Politique du tout en marche, réorganisation administrative et économique
 1909-1910, p. 11, B1548/17, 1972.

٢٨ نتيجة الانقلابات الناجمة من القرو والسياسة الاستعمارية.

٢٩ ١) ينظر ذلك بورك الذي يستبد به فيما في النتائج هذه لعمدة في كتابه La condition
 1901-1911. ٢) ١٩١١. ٣) ١٩١١. ٤) ١٩١١. ٥) ١٩١١. ٦) ١٩١١. ٧) ١٩١١. ٨) ١٩١١. ٩) ١٩١١. ١٠) ١٩١١.
 ١١) ١٩١١. ١٢) ١٩١١. ١٣) ١٩١١. ١٤) ١٩١١. ١٥) ١٩١١. ١٦) ١٩١١. ١٧) ١٩١١. ١٨) ١٩١١. ١٩) ١٩١١.
 ٢٠) ١٩١١. ٢١) ١٩١١. ٢٢) ١٩١١. ٢٣) ١٩١١. ٢٤) ١٩١١. ٢٥) ١٩١١. ٢٦) ١٩١١. ٢٧) ١٩١١. ٢٨) ١٩١١. ٢٩) ١٩١١.
 ٣٠) ١٩١١. ٣١) ١٩١١. ٣٢) ١٩١١. ٣٣) ١٩١١. ٣٤) ١٩١١. ٣٥) ١٩١١. ٣٦) ١٩١١. ٣٧) ١٩١١. ٣٨) ١٩١١. ٣٩) ١٩١١.
 ٤٠) ١٩١١. ٤١) ١٩١١. ٤٢) ١٩١١. ٤٣) ١٩١١. ٤٤) ١٩١١. ٤٥) ١٩١١. ٤٦) ١٩١١. ٤٧) ١٩١١. ٤٨) ١٩١١. ٤٩) ١٩١١.
 ٥٠) ١٩١١. ٥١) ١٩١١. ٥٢) ١٩١١. ٥٣) ١٩١١. ٥٤) ١٩١١. ٥٥) ١٩١١. ٥٦) ١٩١١. ٥٧) ١٩١١. ٥٨) ١٩١١. ٥٩) ١٩١١.
 ٦٠) ١٩١١. ٦١) ١٩١١. ٦٢) ١٩١١. ٦٣) ١٩١١. ٦٤) ١٩١١. ٦٥) ١٩١١. ٦٦) ١٩١١. ٦٧) ١٩١١. ٦٨) ١٩١١. ٦٩) ١٩١١.
 ٧٠) ١٩١١. ٧١) ١٩١١. ٧٢) ١٩١١. ٧٣) ١٩١١. ٧٤) ١٩١١. ٧٥) ١٩١١. ٧٦) ١٩١١. ٧٧) ١٩١١. ٧٨) ١٩١١. ٧٩) ١٩١١.
 ٨٠) ١٩١١. ٨١) ١٩١١. ٨٢) ١٩١١. ٨٣) ١٩١١. ٨٤) ١٩١١. ٨٥) ١٩١١. ٨٦) ١٩١١. ٨٧) ١٩١١. ٨٨) ١٩١١. ٨٩) ١٩١١.
 ٩٠) ١٩١١. ٩١) ١٩١١. ٩٢) ١٩١١. ٩٣) ١٩١١. ٩٤) ١٩١١. ٩٥) ١٩١١. ٩٦) ١٩١١. ٩٧) ١٩١١. ٩٨) ١٩١١. ٩٩) ١٩١١.
 ١٠٠) ١٩١١. ١٠١) ١٩١١. ١٠٢) ١٩١١. ١٠٣) ١٩١١. ١٠٤) ١٩١١. ١٠٥) ١٩١١. ١٠٦) ١٩١١. ١٠٧) ١٩١١. ١٠٨) ١٩١١. ١٠٩) ١٩١١.
 ١١٠) ١٩١١. ١١١) ١٩١١. ١١٢) ١٩١١. ١١٣) ١٩١١. ١١٤) ١٩١١. ١١٥) ١٩١١. ١١٦) ١٩١١. ١١٧) ١٩١١. ١١٨) ١٩١١. ١١٩) ١٩١١.
 ١٢٠) ١٩١١. ١٢١) ١٩١١. ١٢٢) ١٩١١. ١٢٣) ١٩١١. ١٢٤) ١٩١١. ١٢٥) ١٩١١. ١٢٦) ١٩١١. ١٢٧) ١٩١١. ١٢٨) ١٩١١. ١٢٩) ١٩١١.
 ١٣٠) ١٩١١. ١٣١) ١٩١١. ١٣٢) ١٩١١. ١٣٣) ١٩١١. ١٣٤) ١٩١١. ١٣٥) ١٩١١. ١٣٦) ١٩١١. ١٣٧) ١٩١١. ١٣٨) ١٩١١. ١٣٩) ١٩١١.
 ١٤٠) ١٩١١. ١٤١) ١٩١١. ١٤٢) ١٩١١. ١٤٣) ١٩١١. ١٤٤) ١٩١١. ١٤٥) ١٩١١. ١٤٦) ١٩١١. ١٤٧) ١٩١١. ١٤٨) ١٩١١. ١٤٩) ١٩١١.
 ١٥٠) ١٩١١. ١٥١) ١٩١١. ١٥٢) ١٩١١. ١٥٣) ١٩١١. ١٥٤) ١٩١١. ١٥٥) ١٩١١. ١٥٦) ١٩١١. ١٥٧) ١٩١١. ١٥٨) ١٩١١. ١٥٩) ١٩١١.
 ١٦٠) ١٩١١. ١٦١) ١٩١١. ١٦٢) ١٩١١. ١٦٣) ١٩١١. ١٦٤) ١٩١١. ١٦٥) ١٩١١. ١٦٦) ١٩١١. ١٦٧) ١٩١١. ١٦٨) ١٩١١. ١٦٩) ١٩١١.
 ١٧٠) ١٩١١. ١٧١) ١٩١١. ١٧٢) ١٩١١. ١٧٣) ١٩١١. ١٧٤) ١٩١١. ١٧٥) ١٩١١. ١٧٦) ١٩١١. ١٧٧) ١٩١١. ١٧٨) ١٩١١. ١٧٩) ١٩١١.
 ١٨٠) ١٩١١. ١٨١) ١٩١١. ١٨٢) ١٩١١. ١٨٣) ١٩١١. ١٨٤) ١٩١١. ١٨٥) ١٩١١. ١٨٦) ١٩١١. ١٨٧) ١٩١١. ١٨٨) ١٩١١. ١٨٩) ١٩١١.
 ١٩٠) ١٩١١. ١٩١) ١٩١١. ١٩٢) ١٩١١. ١٩٣) ١٩١١. ١٩٤) ١٩١١. ١٩٥) ١٩١١. ١٩٦) ١٩١١. ١٩٧) ١٩١١. ١٩٨) ١٩١١. ١٩٩) ١٩١١.
 ٢٠٠) ١٩١١. ٢٠١) ١٩١١. ٢٠٢) ١٩١١. ٢٠٣) ١٩١١. ٢٠٤) ١٩١١. ٢٠٥) ١٩١١. ٢٠٦) ١٩١١. ٢٠٧) ١٩١١. ٢٠٨) ١٩١١. ٢٠٩) ١٩١١.
 ٢١٠) ١٩١١. ٢١١) ١٩١١. ٢١٢) ١٩١١. ٢١٣) ١٩١١. ٢١٤) ١٩١١. ٢١٥) ١٩١١. ٢١٦) ١٩١١. ٢١٧) ١٩١١. ٢١٨) ١٩١١. ٢١٩) ١٩١١.
 ٢٢٠) ١٩١١. ٢٢١) ١٩١١. ٢٢٢) ١٩١١. ٢٢٣) ١٩١١. ٢٢٤) ١٩١١. ٢٢٥) ١٩١١. ٢٢٦) ١٩١١. ٢٢٧) ١٩١١. ٢٢٨) ١٩١١. ٢٢٩) ١٩١١.
 ٢٣٠) ١٩١١. ٢٣١) ١٩١١. ٢٣٢) ١٩١١. ٢٣٣) ١٩١١. ٢٣٤) ١٩١١. ٢٣٥) ١٩١١. ٢٣٦) ١٩١١. ٢٣٧) ١٩١١. ٢٣٨) ١٩١١. ٢٣٩) ١٩١١.
 ٢٤٠) ١٩١١. ٢٤١) ١٩١١. ٢٤٢) ١٩١١. ٢٤٣) ١٩١١. ٢٤٤) ١٩١١. ٢٤٥) ١٩١١. ٢٤٦) ١٩١١. ٢٤٧) ١٩١١. ٢٤٨) ١٩١١. ٢٤٩) ١٩١١.
 ٢٥٠) ١٩١١. ٢٥١) ١٩١١. ٢٥٢) ١٩١١. ٢٥٣) ١٩١١. ٢٥٤) ١٩١١. ٢٥٥) ١٩١١. ٢٥٦) ١٩١١. ٢٥٧) ١٩١١. ٢٥٨) ١٩١١. ٢٥٩) ١٩١١.
 ٢٦٠) ١٩١١. ٢٦١) ١٩١١. ٢٦٢) ١٩١١. ٢٦٣) ١٩١١. ٢٦٤) ١٩١١. ٢٦٥) ١٩١١. ٢٦٦) ١٩١١. ٢٦٧) ١٩١١. ٢٦٨) ١٩١١. ٢٦٩) ١٩١١.
 ٢٧٠) ١٩١١. ٢٧١) ١٩١١. ٢٧٢) ١٩١١. ٢٧٣) ١٩١١. ٢٧٤) ١٩١١. ٢٧٥) ١٩١١. ٢٧٦) ١٩١١. ٢٧٧) ١٩١١. ٢٧٨) ١٩١١. ٢٧٩) ١٩١١.
 ٢٨٠) ١٩١١. ٢٨١) ١٩١١. ٢٨٢) ١٩١١. ٢٨٣) ١٩١١. ٢٨٤) ١٩١١. ٢٨٥) ١٩١١. ٢٨٦) ١٩١١. ٢٨٧) ١٩١١. ٢٨٨) ١٩١١. ٢٨٩) ١٩١١.
 ٢٩٠) ١٩١١. ٢٩١) ١٩١١. ٢٩٢) ١٩١١. ٢٩٣) ١٩١١. ٢٩٤) ١٩١١. ٢٩٥) ١٩١١. ٢٩٦) ١٩١١. ٢٩٧) ١٩١١. ٢٩٨) ١٩١١. ٢٩٩) ١٩١١.
 ٣٠٠) ١٩١١. ٣٠١) ١٩١١. ٣٠٢) ١٩١١. ٣٠٣) ١٩١١. ٣٠٤) ١٩١١. ٣٠٥) ١٩١١. ٣٠٦) ١٩١١. ٣٠٧) ١٩١١. ٣٠٨) ١٩١١. ٣٠٩) ١٩١١.
 ٣١٠) ١٩١١. ٣١١) ١٩١١. ٣١٢) ١٩١١. ٣١٣) ١٩١١. ٣١٤) ١٩١١. ٣١٥) ١٩١١. ٣١٦) ١٩١١. ٣١٧) ١٩١١. ٣١٨) ١٩١١. ٣١٩) ١٩١١.
 ٣٢٠) ١٩١١. ٣٢١) ١٩١١. ٣٢٢) ١٩١١. ٣٢٣) ١٩١١. ٣٢٤) ١٩١١. ٣٢٥) ١٩١١. ٣٢٦) ١٩١١. ٣٢٧) ١٩١١. ٣٢٨) ١٩١١. ٣٢٩) ١٩١١.
 ٣٣٠) ١٩١١. ٣٣١) ١٩١١. ٣٣٢) ١٩١١. ٣٣٣) ١٩١١. ٣٣٤) ١٩١١. ٣٣٥) ١٩١١. ٣٣٦) ١٩١١. ٣٣٧) ١٩١١. ٣٣٨) ١٩١١. ٣٣٩) ١٩١١.
 ٣٤٠) ١٩١١. ٣٤١) ١٩١١. ٣٤٢) ١٩١١. ٣٤٣) ١٩١١. ٣٤٤) ١٩١١. ٣٤٥) ١٩١١. ٣٤٦) ١٩١١. ٣٤٧) ١٩١١. ٣٤٨) ١٩١١. ٣٤٩) ١٩١١.
 ٣٥٠) ١٩١١. ٣٥١) ١٩١١. ٣٥٢) ١٩١١. ٣٥٣) ١٩١١. ٣٥٤) ١٩١١. ٣٥٥) ١٩١١. ٣٥٦) ١٩١١. ٣٥٧) ١٩١١. ٣٥٨) ١٩١١. ٣٥٩) ١٩١١.
 ٣٦٠) ١٩١١. ٣٦١) ١٩١١. ٣٦٢) ١٩١١. ٣٦٣) ١٩١١. ٣٦٤) ١٩١١. ٣٦٥) ١٩١١. ٣٦٦) ١٩١١. ٣٦٧) ١٩١١. ٣٦٨) ١٩١١. ٣٦٩) ١٩١١.
 ٣٧٠) ١٩١١. ٣٧١) ١٩١١. ٣٧٢) ١٩١١. ٣٧٣) ١٩١١. ٣٧٤) ١٩١١. ٣٧٥) ١٩١١. ٣٧٦) ١٩١١. ٣٧٧) ١٩١١. ٣٧٨) ١٩١١. ٣٧٩) ١٩١١.
 ٣٨٠) ١٩١١. ٣٨١) ١٩١١. ٣٨٢) ١٩١١. ٣٨٣) ١٩١١. ٣٨٤) ١٩١١. ٣٨٥) ١٩١١. ٣٨٦) ١٩١١. ٣٨٧) ١٩١١. ٣٨٨) ١٩١١. ٣٨٩) ١٩١١.
 ٣٩٠) ١٩١١. ٣٩١) ١٩١١. ٣٩٢) ١٩١١. ٣٩٣) ١٩١١. ٣٩٤) ١٩١١. ٣٩٥) ١٩١١. ٣٩٦) ١٩١١. ٣٩٧) ١٩١١. ٣٩٨) ١٩١١. ٣٩٩) ١٩١١.
 ٤٠٠) ١٩١١. ٤٠١) ١٩١١. ٤٠٢) ١٩١١. ٤٠٣) ١٩١١. ٤٠٤) ١٩١١. ٤٠٥) ١٩١١. ٤٠٦) ١٩١١. ٤٠٧) ١٩١١. ٤٠٨) ١٩١١. ٤٠٩) ١٩١١.
 ٤١٠) ١٩١١. ٤١١) ١٩١١. ٤١٢) ١٩١١. ٤١٣) ١٩١١. ٤١٤) ١٩١١. ٤١٥) ١٩١١. ٤١٦) ١٩١١. ٤١٧) ١٩١١. ٤١٨) ١٩١١. ٤١٩) ١٩١١.
 ٤٢٠) ١٩١١. ٤٢١) ١٩١١. ٤٢٢) ١٩١١. ٤٢٣) ١٩١١. ٤٢٤) ١٩١١. ٤٢٥) ١٩١١. ٤٢٦) ١٩١١. ٤٢٧) ١٩١١. ٤٢٨) ١٩١١. ٤٢٩) ١٩١١.
 ٤٣٠) ١٩١١. ٤٣١) ١٩١١. ٤٣٢) ١٩١١. ٤٣٣) ١٩١١. ٤٣٤) ١٩١١. ٤٣٥) ١٩١١. ٤٣٦) ١٩١١. ٤٣٧) ١٩١١. ٤٣٨) ١٩١١. ٤٣٩) ١٩١١.
 ٤٤٠) ١٩١١. ٤٤١) ١٩١١. ٤٤٢) ١٩١١. ٤٤٣) ١٩١١. ٤٤٤) ١٩١١. ٤٤٥) ١٩١١. ٤٤٦) ١٩١١. ٤٤٧) ١٩١١. ٤٤٨) ١٩١١. ٤٤٩) ١٩١١.
 ٤٥٠) ١٩١١. ٤٥١) ١٩١١. ٤٥٢) ١٩١١. ٤٥٣) ١٩١١. ٤٥٤) ١٩١١. ٤٥٥) ١٩١١. ٤٥٦) ١٩١١. ٤٥٧) ١٩١١. ٤٥٨) ١٩١١. ٤٥٩) ١٩١١.
 ٤٦٠) ١٩١١. ٤٦١) ١٩١١. ٤٦٢) ١٩١١. ٤٦٣) ١٩١١. ٤٦٤) ١٩١١. ٤٦٥) ١٩١١. ٤٦٦) ١٩١١. ٤٦٧) ١٩١١. ٤٦٨) ١٩١١. ٤٦٩) ١٩١١.
 ٤٧٠) ١٩١١. ٤٧١) ١٩١١. ٤٧٢) ١٩١١. ٤٧٣) ١٩١١. ٤٧٤) ١٩١١. ٤٧٥) ١٩١١. ٤٧٦) ١٩١١. ٤٧٧) ١٩١١. ٤٧٨) ١٩١١. ٤٧٩) ١٩١١.
 ٤٨٠) ١٩١١. ٤٨١) ١٩١١. ٤٨٢) ١٩١١. ٤٨٣) ١٩١١. ٤٨٤) ١٩١١. ٤٨٥) ١٩١١. ٤٨٦) ١٩١١. ٤٨٧) ١٩١١. ٤٨٨) ١٩١١. ٤٨٩) ١٩١١.
 ٤٩٠) ١٩١١. ٤٩١) ١٩١١. ٤٩٢) ١٩١١. ٤٩٣) ١٩١١. ٤٩٤) ١٩١١. ٤٩٥) ١٩١١. ٤٩٦) ١٩١١. ٤٩٧) ١٩١١. ٤٩٨) ١٩١١. ٤٩٩) ١٩١١.
 ٥٠٠) ١٩١١. ٥٠١) ١٩١١. ٥٠٢) ١٩١١. ٥٠٣) ١٩١١. ٥٠٤) ١٩١١. ٥٠٥) ١٩١١. ٥٠٦) ١٩١١. ٥٠٧) ١٩١١. ٥٠٨) ١٩١١. ٥٠٩) ١٩١١.
 ٥١٠) ١٩١١. ٥١١) ١٩١١. ٥١٢) ١٩١١. ٥١٣) ١٩١١. ٥١٤) ١٩١١. ٥١٥) ١٩١١. ٥١٦) ١٩١١. ٥١٧) ١٩١١. ٥١٨) ١٩١١. ٥١٩) ١٩١١.
 ٥٢٠) ١٩١١. ٥٢١) ١٩١١. ٥٢٢) ١٩١١. ٥٢٣) ١٩١١. ٥٢٤) ١٩١١. ٥٢٥) ١٩١١. ٥٢٦) ١٩١١. ٥٢٧) ١٩١١. ٥٢٨) ١٩١١. ٥٢٩) ١٩١١.
 ٥٣٠) ١٩١١. ٥٣١) ١٩١١. ٥٣٢) ١٩١١. ٥٣٣) ١٩١١. ٥٣٤) ١٩١١. ٥٣٥) ١٩١١. ٥٣٦) ١٩١١. ٥٣٧) ١٩١١. ٥٣٨) ١٩١١. ٥٣٩) ١٩١١.
 ٥٤٠) ١٩١١. ٥٤١) ١٩١١. ٥٤٢) ١٩١١. ٥٤٣) ١٩١١. ٥٤٤) ١٩١١. ٥٤٥) ١٩١١. ٥٤٦) ١٩١١. ٥٤٧) ١٩١١. ٥٤٨) ١٩١١. ٥٤٩) ١٩١١.
 ٥٥٠) ١٩١١. ٥٥١) ١٩١١. ٥٥٢) ١٩١١. ٥٥٣) ١٩١١. ٥٥٤) ١٩١١. ٥٥٥) ١٩١١. ٥٥٦) ١٩١١. ٥٥٧) ١٩١١. ٥٥٨) ١٩١١. ٥٥٩) ١٩١١.
 ٥٦٠) ١٩١١. ٥٦١) ١٩١١. ٥٦٢) ١٩١١. ٥٦٣) ١٩١١. ٥٦٤) ١٩١١. ٥٦٥) ١٩١١. ٥٦٦) ١٩١١. ٥٦٧) ١٩١١. ٥٦٨) ١٩١١. ٥٦٩) ١٩١١.
 ٥٧٠) ١٩١١. ٥٧١) ١٩١١. ٥٧٢) ١٩١١. ٥٧٣) ١٩١١. ٥٧٤) ١٩١١. ٥٧٥) ١٩١١. ٥٧٦) ١٩١١. ٥٧٧) ١٩١١. ٥٧٨) ١٩١١. ٥٧٩) ١٩١١.
 ٥٨٠) ١٩١١. ٥٨١) ١٩١١. ٥٨٢) ١٩١١. ٥٨٣) ١٩١١. ٥٨٤) ١٩١١. ٥٨٥) ١٩١١. ٥٨٦) ١٩١١. ٥٨٧) ١٩١١. ٥٨٨) ١٩١١. ٥٨٩) ١٩١١.
 ٥٩٠) ١٩١١. ٥٩١) ١٩١١. ٥٩٢) ١٩١١. ٥٩٣) ١٩١١. ٥٩٤) ١٩١١. ٥٩٥) ١٩١١. ٥٩٦) ١٩١١. ٥٩٧) ١٩١١. ٥٩٨) ١٩١١. ٥٩٩) ١٩١١.
 ٦٠٠) ١٩١١. ٦٠١) ١٩١١. ٦٠٢) ١٩١١. ٦٠٣) ١٩١١. ٦٠٤) ١٩١١. ٦٠٥) ١٩١١. ٦٠٦) ١٩١١. ٦٠٧) ١٩١١. ٦٠٨) ١٩١١. ٦٠٩) ١٩١١.
 ٦١٠) ١٩١١. ٦١١) ١٩١١. ٦١٢) ١٩١١. ٦١٣) ١٩١١. ٦١٤) ١٩١١. ٦١٥) ١٩١١. ٦١٦) ١٩١١. ٦١٧) ١٩١١. ٦١٨) ١٩١١. ٦١٩) ١٩١١.
 ٦٢٠) ١٩١١. ٦٢١) ١٩١١. ٦٢٢) ١٩١١. ٦٢٣) ١٩١١. ٦٢٤) ١٩١١. ٦٢٥) ١٩١١. ٦٢٦) ١٩١١. ٦٢٧) ١٩١١. ٦٢٨) ١٩١١. ٦٢٩) ١٩١١.
 ٦٣٠) ١٩١١. ٦٣١) ١٩١١. ٦٣٢) ١٩١١. ٦٣٣) ١٩١١. ٦٣٤) ١٩١١. ٦٣٥) ١٩١١. ٦٣٦) ١٩١١. ٦٣٧) ١٩١١. ٦٣٨) ١٩١١. ٦٣٩) ١٩١١.
 ٦٤٠) ١٩١١. ٦٤١) ١٩١١. ٦٤٢) ١٩١١. ٦٤٣) ١٩١١. ٦٤٤) ١٩١١.

(35) في أكتوبر 1920 خاضة علما استاذي جميع قسماتيون الجنيين السسبون ضاننا
مع الأمير خالد كما يدكر ختكة:

CH.R. ADERON la Politique economique de l'Algérie, p. 258, PUF.

(36) CH.R. ADERON la Politique economique de l'Algérie, Ed. PUF.

نفس الكتيب يرجع للمعنى الاكثوارم بعد قتلهم.

(37) من 52 000 عام 1921 نزلت إلى 92 000 عام 1923.

(38) G. BALANDIER, Sociologie des tribus de l'Algérie, p. 34-35, Ed. P. U.F., 1971.

(39) HENRI ADERON, Les Algériens provinciaux, O.F.A.C.T., p. 1242-1244.

الفصل الثاني

النهضة والتغيرات المؤسسة للحركة الوطنية

كانت كتدبيرات البطولة خلال الحرب العالمية الأولى خلاصة نعمة تحول من حركة المقاومة التقليدية إلى انبعاث الحركة الوطنية في شكلها الحديث. فقامت المؤسسات التقليدية - من زوايا وتفكك وعائلة - المدفوعة بالأيديولوجية الطبقية الكثير من نجاحاتها، كوسائل تعبير وحمل في مواجهة النظام الاستعماري بعد أن أشر ما اتصل به بنجاحات متفاوتة. وما لبثت لذلك أن كانت عن دورها القيادي في الكفاح، إلى تناليمات لاجتماعية سياسية جديدة أكثر تماشياً مع المرحلة الناضجة منها تلك التغيرات. فاعتماد الحركة الوطنية وسائل العمل السياسي فملائمة - كالصحافة والانتخابات والمطالب المنظمة - أظهرها في شكل جديد واضئ عليها مزيداً من المعبوية

لكن عند الحديث من النهضة العصرية للحركة الوطنية إجمالاً ينبغي أن نوضح بأن هذه النهضة لا تعني القطيعة مع فهم الماضي بل السعي إلى تحديث فواقد هذه القيم مع العصر. وكانت البداية في هذا الصدد نقطة تمييز محسوس بين تيارات العمليانية المكونة للحركة الوطنية. وقد كانت تعني لدى "الشباب الجزائري" نوعاً من التوتس باختصار ورغم التمسك بالثرون الأحوال انشغالية التخاص، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول في حين كان للتغير اللبني والثقافي - الذي يمثل العلماء - يدعو إلى العودة من زاوية تطهير "شعائر" ورفض الكوافات التبذيلة بسبب الجهل وانطردية. ويدعو هذا التيار المنتخبون (تسمية "الشباب الجزائري" فيما بعد) والعلماء - مع بعض الاختلاف - إلى "حداثة" محدودة في

أهدافها السياسية وفي رسائل عدتها أيضا وكثنا يسميان في الاهتمام بالحوامل الذاتية؛ فالمنتخبون كانوا يحلون كثيرا لتحقيق مطالبهم على حسن نوايا الحكومة. بينما كان العلماء يركزون على القيم الإسلامية دون الذهاب بعيدا فيما تستوجب من مواقف الأمر الذي جعلهم يجنحون إلى سياسة الترقب في أغلب الأحيان.

لذا لم يكن عدان التيارات - المشكلات من الأعيان أساسا - رغم بعض السجعة في الأوساط الشعبية، بعبارة عن ملحوظات الشعب وتلكوه في موضوع العدالة، بقدر ما كانتا يعبران عن أفكار تحية يورجوازية متميزة، وجدت نفسها بين النظام الاستعماري من جهة والمجالس الشعبية من جهة ثانية. ومن ثمة عززت عن تحديد آفاق واضحة للضرب. وبنات بهجاء على طريق الكفاح من أجل الاستقلال، بأجده شرملا ضروريا للعدالة الأصلية.

غير أن نفس هذا الهمم لدى كل من "المتطهرين" و"العلماء"، لا يظني كونهما عتبرا طاعلا في الحركة الوطنية عامة، وفي العدالة إلى حد ما، مقارنة بصيغ الكفاح اللائحة، لكن إذا استشرطنا الصقلية بمنظور النجاعة وحدها وجدنا أن أفضل الطاقات كانت تكن في حركة نجم شمس إفريقيا. وهذا ما نحاول الكشف عنه من خلال خصائص هذه التيارات الثلاثة المتحركة للحركة الوطنية.

اتحادية الجزائريين "المتطهرين" الأماني

تأسست هذه الاتحادية أثناء مؤتمر عقد بالجزائر في 11 سبتمبر 1917 برئاسة الدكتور بن تامي، وكانت تضم قسما من "الشباب الجزائريين" من أمثال فرحات عباس والدكتور بن جلول الذي تولى رئاسة الاتحادية فيما بعد. وكان هؤلاء الشباب - وجعلهم من المنتخبين في المجالس المختلفة - ينتسبون إلى الأمير خالد، لكنهم لم يكونوا يشاملون مطلبه ككل. وكان أكثرهم متعلمين بالفرنسية ومدرسين جزئيا، يمثلون الأنتمجسما الجديدة التي لم تكن تطمن في شرعية النظام العسكري، لكنها لم تكن تقبل بدور الخادم المطلوب منها في تلك - هنا الدور الذي قامت به طائفة أخرى من المتقنين نفسها في خدمة الاحتلال.

وقد اختلوا المنتخبون النطاق عن هضبة موافقتهم لكن ضمن إطار غير مناسب ويوساثل غير فعالة. الأمر الذي شجع موافقهم بالتناقص. ومع ذلك كان نشاطهم ليجانباء حتى لو كانت موافقهم غير مطلقة لما يقتضيه الحل الحقيقي للمشكلة الجزائرية. فقد ساءموا بنشاطهم هنا في نيلقظ اهتمام المواطن بالسياسة، وانتشار الوعي شيئا فشيئا وسط تملطلون بالفرنسية، لاز هناوشة المستوطنين رادارة الاحتلال، شجع للسكان على رفع رؤوسهم في وجه الاضطهاد والظلم. ورغم أن هؤلاء كانوا ضد فكرة الاستقلال - لاستحالتها عند بعضهم من أمثال فرحات عباس - فقد ائتمجوا مع ذلك في مسأ كاتليات السياسية المؤلفة للحركة الوطنية الثائشة، وان كانوا أكثر هذه كاتليات أعتدلا بتقبل أنهم كانوا يتبررون من سطة "الوطنيين" ذاتها.

ويمكن تويرر أعتبار "المتطيين" من بين كاتليات الحركة الوطنية. بذلك الثبات التي كانوا يمثلونها والتي لم تكن ترى هي شساعلم غير حمايتها من تجاوزات الادارة، والمطالبة بالمساواة في الحقوق دون التفكير الجدي في التخلي عن الجنسية، إن كان بعضهم .. على غرار فوحات عباس مثلا .. يظهرون من خلال سلوكياتهم كوطنيين غير راعين بحلهم رغم ضرر حياتهم التي توحى بخلاف ذلك. فقد كان هؤلاء "المنتخبون" قول كل شيء خطايا الوضع الاستعماري، في مرحلة وصل بين عقدة الهزيمة وإرادة الانبعاث وكار كاتليات السياسي الذي يملونه ثمرة لهذا الوضع وكذلك مطالبهم التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

تمثيل الأهالي في البرلمان (الفرنسي).

المساواة في الأجور والتعويضات بالنسبة للعمال المهاجرين.

الفاء قانون الأهالي.

تطبيق القوانين الاجتماعية (الترسية) بالجزائر.

إعادة تنظيم الهيئات الانتخابية في البلديات المحظطة المعقدة بموجب قانون 1910، والخاصة بانتخابات المجالس العامة والمندوبيات المالية

هذه المطالب الانتعاجية الواضحة كانت على طرق نقیض مع مطالب نجم شمال إفريقيا، سواء في مضمونها أو في هدفها القومي إلى الصفاق الجزائريين بالمجتمع الفرنسي. ذلك أن المجتمع كان يثالب بالاستقلال الوطني، بينما يهين "المنتخبون" هذا المطلب، إلى درجة أن مختلفهم فوجات عباس كتب في مؤلفه "الشباب الجزائري" يقول: "الجزائر أرض فرنسية. ونحن فرنسيون يحكمنا قانون الأحوال الشخصية الإسلامي. وليس فينا مخلوق ما يحرم على الجزائري المسلم أن يكون فرنسي الجنسية فري سموا عنه حاد الذكاء، طاهر القلب، واعيا بالتضامن الوطني، لا شيء يمتنع ذلك غير الاستعمار". لقد انطعل "المنتخبون" وألبية النخبة المتطورة المتعلمة بالفرنسية عن حقائق بلنهم التاريخية وعن الطموحات العميقة لتتعب تستعيد مودة أجنبية، بعد أن سقطوا في غاوية الاستلاب الاستعماري وتسيروا بنوع من فقدان الذاكرة، لقد أنهتهم فوج هذه التوراة حتى قلدا اللغة بالطاقت الكفاءة في الجامعات، وغابت عنهم المعطيات الحيوية لتتطور في العالم وراحوا يمدادون في المطالبة بالانتماء رغم وقص الحكومات للفرنسية المشكور لمطالبهم الراهنة.

لكل ذلك من الصعب اعتبار هذه الفئة من رواد الوطنية حتى في أكثر صيغها احتشاما، وبعض عناصرها لم يذهبوا إلى رشدهم ويبنوا حواف أكثر والهمة، إلا في وقت متأخر وتحت ضغط الأحداث وبعد أن حققت سياسات "النخبة" جميعا بالفضل.

وإن كان انتصار الاستعمار في تضيق أشكاله يساريون "المنتخبين"، فإن الحكومات الفرنسية - سواء من اليسار أو من اليمين - كتبت ما نعتت بواسطة وعودها الواهمة في استدلالتهم في ألاعيبها السياسية.

نجم شمال إفريقيا: أصله وسياق نشأته

كان ظهور نجم شمال إفريقيا - ضمن شعار نشأة الحركة الوطنية الحديثة - عاملا حاسما في انبعاث هذه الحركة سواء من حيث طبيعتها الاجتماعية أو من حيث تنظيم وأهدافه ونظرا لأهمية هذا التبرير سنوليه في دراستنا هذه "تماما خاصا".

يجمع المؤرخون على أن النجم ظهر وسط الهجرة الجزائرية بفرنسا في الفترة ما بين 1924 و 1926 ويحدد ش. أ. جوليلو كلويخ ميلاده في شهر مارس 1924، في ظل الحزب الشيوعي الفونسي وتحت إشراف عبد القادر حاج علي عضو اللجنة المديرة لهذا الحزب. وكان هدفه "التفاجع عن المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية لمسلمي شمال أفريقيا مع ضمان تربية أعضائه" ويعتمد على راجعون الفن التاريخي، موضحاً بأن مصالي نولي قيادة للحركة ابتداء من 1927.

ويشير الكاتب إلى الأمير خالد كواحد من أوائل البلعين إلى تأسيس النجم، أثناء زواره ببنزيس سنة 1924 حيث تلقى سياسة من المحاضرات، وقد اضطر الأمير وقتئذ إلى العودة من حيث أتى تلبية للحكم بسجنه خمس سنوات صادر عن المحكمة الاستئنافية بالأسكندرية.

ويذكر عبد القادر حاج علي⁵⁴ تأسيس هذه المنظمة وذلك عام 1924 بـ 49 ضارب برؤوسها في مقارعة وطنية "العائقة الجديدة" الموجهة للحزب الشيوعي، ويتبنى المناضل النجم أكتي بانون علي ما جاء في شهادة حاج علي. لكنه يؤكد في نفس الوقت أن النجم انطلق فعلاً في 16 ماي 1925⁵⁵. أما عمار خيضر وهو مناضل قديم أيضاً وإن كان أصغر من بانون مناه، فيؤكد أن الأمير خلفه هو الذي أسس هذا التنظيم⁵⁶.

وتبرز الوثائق التي نشأتها المنظمات المتطرفة المنبثقة عن النجم سنة 1925 كتاريخ لتأسيسه، لكن يبدو أن التوثيق الأولي وضعف سنة من قبل⁵⁷.

ورغم أهمية التعداد العتيق لتكوين ميلاد للنجم، فالواقع أن ما يهنا أكثر هي الملامسات التي أحاطت بهذا الحدث، ويظهر من المؤكد في هذا السياق أن عبد القادر حاج علي والحزب الشيوعي الفرنسي لعبا في البداية دوراً في ظهور النجم، وقد تزامن ذلك مع خيبة أمل الأمير خالد وبعض المناضلين الشباب في سياسة "الضباب الجزائري"، والشروع في البحث عن موقف آخر أكثر تناسبا مع متطلبات النضال، ومن جهة أخرى كان الحزب الشيوعي الفونسي - الذي تأسس في مؤتمر ترو سنة 1920 - يسعى في تلك الفترة، لتطبيق قواء تمييز حول المسألة الوطنية والاستعمارية التي تبنتها الأهمية للشيوعية الثنائية في نفس السنة.

وقد اعترضته بعض العرائيل من لجن قاعدته بالجزائر خاصة، وتحديدًا فرع الحزب بسين، بلعيسى ومؤتمر الاتحاديات للمعتمد بالجزائر العاصمة، وكلت هاتان الهيئتان قد رفضتا الوثيقة "صادرة عن الجهاز التنفيذي للأمم المتحدة" من أجل تحرير الجزائر وتونس، باستعمال الفاظ أشد عنصرية مما كان يصدر عن المستوطنين أنفسهم^{١٢}. وقد أدان ذلك بصريح العبارة مؤتمر الأمم المتحدة في جويلية 1922، واصفا بأما "بالمواظب الاستعمارية المسببنة للمصالح الإمبريالية".

ولم يشرع الحزب الشيوعي الفرنسي في تطبيق سياسة الأمم المتحدة إلا عام 1924، حيث انعقد المؤتمر الطامس لهذه الأخيرة وفي هذا السبيل أسس اتحاد المستعمرات بفروعه المختلفة ومنها فرع إفريقيا الشمالية. وقد سارع الاتحاد بدوره إلى تأسيس منظمة تاهما باسم نجم شمال إفريقيا، أخذت تستغل حينها شعبيتها من الحزب الشيوعي الفرنسي وهذا يكمّن مصدر الخلط الذي دفع بعض الكتاب إلى الإلحاح على الشك في الشيوعية لهذا التنظيم.

ولاحقات عراس داي تاهو، ينضم إلى اتحاد بلن الوطنيين كلوا وراه تأسيس النجم منذ البداية^{١٣}.

ومستعين بمهارة ألكي يانور وهو من المناضلين للثلاث من تلك الفترة الذين ما يزالون على قيد الحياة، إنقاذ مزيد من الأنصار حول نشأة النجم مع واجب التعظيم الذي يفتضيه استعمال مثل هذه الوثيقة وفيما يلي رواية هذا المناضل الراحل:

"في سنة 1924 حل الأمر خالد جبريس حيث ألقى محاضرتين الأولى بقاعة المهندسين المقيمين في شارع بلانش (الفترة 2) والثانية بقصر شقيقات شارع أوغيسست بلانكي (الفترة 13).

استهل خطابه باللغة العربية شاركوا الحزب الشيوعي الفرنسي الذي ساعده على تنظيم اللقاء. ثم اعتنوا لواصل خطابه باللغة الفرنسية.

وفي سنة 1926 دعاني جلوتي من تنزويط بعدل بالانقلاب، إلى حضور اجتماع
 45 شيوخ بروتانية أعظم عن تقيمي نجم شعاع أفريقيا، بمبادرة من عبد القادر
 شيخ علي وهو شيوخه من غليزانة وكان ذلك في 16 ماي. ولم أكن أعرف من
 الحاضرين غير سي الجيلالي الذي كنت سمعت بخطب في الاجتماع نقابي سابقه.
 وقد اتخذ النجم من العنوان المذكور عقرا له وعقد أول اجتماع له في 12 جوان
 الجزائري ب 163 نهج المستشفى (الدائرة 23)، تلاه اجتماع عام للانقلابين في 2
 بجاية بقلعة "غرانج اوبلر"، ثم انتخب مجلة مركزية من الأعيان الذاتية.

اعتناء اللجنة المركزية المنتخبة في 2 جويلية 1926

| الولاية | الاسم | المهنة | المولد | الانتماء السياسي |
|---------|--------------------|------------|--------------|------------------|
| التياس | هاج علي عبد القادر | داعية | ألفان | شيوعي |
| الجزيرة | شاج مصطفى | مفتي متبرك | القيس | شيوعي |
| البحر | الجيلالي شويبة | مفتي متجول | الباينة | شيوعي |
| سور | محمد السعيد | مفتي | الأريانة | شيوعي |
| سور | سي الجيلالي | مفتي | بلك ايران | شيوعي |
| سور | ألكي بركو | مفتي متجول | مسند عين | شيوعي |
| سور | محمدة معروفة | نظمية | الأصنام | شيوعي |
| سور | الذور شار | مفتي | الأصنام | شيوعي |
| سور | سفيان | عامل | بقي عيسى | شيوعي |
| سور | مفروزاخي | مفتي | بقي عيسى | شيوعي |
| سور | عبد الرحمن | معلم | والمة | شيوعي |
| سور | طسمي | | (أو الخويبة) | |
| سور | آيات نوروت | مفتي | الأريانة | شيوعي |
| سور | محمد سوز | مفتي | الأريانة | شيوعي |
| سور | صالح لماندي | عامل | بوسعيدة | شيوعي |
| سور | نذاري | عامل | خضفة | شيوعي |
| سور | بوطلوب | عامل | جرجلة | شيوعي |

ويبدو أن الشاعرة لم يشترك في فرع شمال أفريقيا (التي لم تستعمرات) منذ 1924، وإن كان انضم إلى الأسير خالد في محاضراته. لذا فلو أنه أنضم أسس عام 1926، يعني على الأرجح طرح واحد من الاجتماعات العادة المتكررة في إطار إعادة هيكلة هذا التنظيم

ولا تخلو الإشارات الخاصة بجمعية الثقافة المركزية من أهمية تعزز فكرة التحالف مع الحزب الشيوعي نظرا لسياسة الجديدة. هذه التفتكلة تضم خمسة شيوعيين، من بينهم حاج علي عضو اللجنة المركزية للحزب المذكور. وتكشف عن الرقعة الاجتماعية البسيطة جدا لأعضائها فهي تضم 8 عمال من مجموع 15 عضوا. ليس من بينهم سوى متلف واحد.

كان مقر النجم في تلك المرحلة يقع بـ 7 شارع "سي باثريفرش" (الدائرة 9)، وقد باهر بأصداق صحيفة "الأندام السوداء" باللغتين العربية والفرنسية، لكن بعد صدور ثلاثة أو أربعة أعداد تم حرقها، لأنها حسب الشاهد (مانون) كانت تحتوي على صفحة بالعربية وصدرت المصحفة من جند بسم "الأندام باريس"، لكنها ما لبثت أن ملعت أيضا.

وتميز نشاطا المنقطة بحملة نصير استهدفت شرح الوضعية بالجزائر واقتصر في البداية على إرسال العمال بباريس وضواحيها وظهرت الخلايا الأولى لها بالدائرة 13، سان دوني كتيبي، جلفيبي. ثم أخذت تنتشر في الدوائر 18 و 19 و 20.

وكانت هناك خلافات جمية بين النجم والحزب الشيوعي رغم بعض التلويح في الأهداف، وكان لابد أن ينعكس ذلك سلبا على علاقاتهما.

وحسب شهادة آكلي باتون فإن النجم عقد اجتماعا علما بأنها في نوفمبر 1927 بـ 11 شارع "سي غراسبور"، عبر المشفوكون خلاله بوضوح عن ميولهم لثوونية، وقد توج الاجتماع بالندة تطالب باستقلال الجزائر مدقت عليها أغلبية ساحقة، مما أثار غضب وانسحاب جميع العناصر التي كانت تعتقد أن بإمكانها استكمال الجزائريين كقوة مناوئة لصالح الحزب الشيوعي. وكان عيد الفدر حاج علي في مقدمة المنسحبين كما انسحب قفونجون لثوونون مع النجم

وعند ذلك الجين أخذ الشيوعيون يقاطعون التجمع، ولتمتسي الأمر بانسحاب حاج
علي نفسه عام 1928.

وهكذا كانت المسألة الوطنية الصيغ الفرنسي في الخلاف داخل التجمع،
وترجمة بذلك صعوبة المساج واقع اجتماعي سلسبي متميز، في نظام يتجاهل
البيعتة الحقلية وأبعادها، فالشيوعية المنحدرة من الأوساط للشعبية ما لبثت أن
احسست بالحاجة إلى منظمة جديدة مستقلة، رغم الظروف التي تكونت فيها التجم
و، والحزب الشيوعي في تلكه منظمة تعبر بحق عن المطامح الاجتماعية والوطنية
اللك الأوساط التي لم تجد من يفهمه لا في الحزب الشيوعي الفرنسي ولا في
معية العلماء، ولا في اتحادية المختصين.

فقد ظهر، يثاقبيثا، أن الحركة الشيوعية لم تكن على استعداد لتشكل بالمصالح
الطبية لتجزأ لثوبن، وهي التي لم تكن تبتلر بالذراع عن مصالحهم الاجتماعية، وفي
هذا السياق كان التجم بمثابة علة بين الحزب الشيوعي الفرنسي، ومناضلين يزياد
أنهم يوما بعد يوم يضرورة نهجاء خط سياسي جديد، وهو خط الاستقلال الوطني
المتطورة الشعبي، وتسامع هذا ظروف الحياة والعمل في تطوير الوعي الاجتماعي
العمل وحث أكثر فئاتهم فلتنم في نفس الوقت، على تنظيم أنفسهم والبحث عن
أ. كال جديدة للفضال، وبأسي ذلك بعد فشل محاولة الأيو خالد خاصة.

لقد أدرك هؤلاء أن مساعدة الحزب الشيوعي للكنكاح التحدري ضاعمة لأهداف
أهدافهم، وتتمشى مع استراتيجية تحتل فيها مشكتهم الوطنية حيزا ثانويا،
و أنه يستعملهم بقوة إسناد في فضاله، أو كوسيط لدى الجماهير المستعملة بطرف
الأيدي فيها⁽¹⁾.

ومع ذلك فهم وأعون ما فهم أقرب إلى علة الحزب من ناحية وضعيتهم
الاعابية، وأن لهم بطوتسا من سلة غيرة

ونجد نيزة من هذه الاستراتيجية في تعده الخاص من "كرويس النيولشيافية"
المر في ماي 1932، فالحزب الشيوعي كئن ينظر إلى الوطنية في المستعمرات

الأيدي فيها⁽²⁾

وطنية ثوباب الأموال من الأثرياء وتكيلو ملاك الأرض - الذين يومئذهم التعامل مع رسمالية طوطن الآم.

وطنية ليمقرضية - قائمة على فتات البوجووية وانبروليتوليا - لا يمكن أن تستفيد منها خير البوجووية الماشقة.

هذان اللذان يتنافسان مع المقرب الشيوعي، لكن إذا كان على الحزب أن يحارب الأول بدون حواء، فإنه يعين عليه أن يسلك الثاني - الذي يحطت موقفا ثوريا - ويحاربه حتى يكتشف عن طبعه كمنافع للبروليتاريا^{١٤١}.

وقد حاول الحزب الشيوعي تحقيق هذه الاستراتيجية مع حركات الفجر في المستعمرات مما تسبب له في مشاكل كثيرة ناتجة من الطلب من مجازاة فرض دولته. بواسطة التفسير دويماتي ومذهبي محض، دفعه في نهاية المطاف إلى منازاة المنظمات العنصرية، واتهامها "بالبرجوازية ومعاداة العمل".

ورغم أن الأحداث أثبتت أن الوطنية التحررية هي أسهل سبيل إلى الاستقلال الوطني، فقد استمر الحزب الشيوعي مع ذلك في تجاهلها كما يبدو ذلك من النظرة التالية.

"ينبغي التوضيحية بإنشاء وحدات لعمل المستعمرات كشكل من أشكال العمل الجماهيري، على أن تكون قائمة للثقافات، وليس المقصود هذا إنشاء منظمات مركزة يمكن أن تتحرك بسرعة إلى منظمات سياسية وطنية، كما تبين ذلك تجربة نجم شمال إفريقيا.

لذا من الضروري التأكيد منذ البداية من وجود نواة من الشيوعيين تسهر على عدم تحول هذه الوحدات إلى منظمات وطنية".

فالحيلولة دون تطور الوطنية إذا هو التخلي التام للحزب الشيوعي كما يطلبه عليه مدعيه، ولحم أن الوطنية هي أحسن ما يفكر عن طامح وشخصية العمال والجماعات الشعبية بإفريقيا الشمالية. ويعبر هذا الموقف عن تناقض الشيوعية مع الوطنية البرجوازية والمعتزلة بالعمالي، مجسدا بذلك نواها من عدم التكيف الاستراتيجي في هذا المجال^{١٤٢}. تابع أساسا من تميم مفهوم الطبقية

العاملة وأولويتها، وتطبيقه عالمياً على جميع الأوضاع يعون تمييز (ماعدات الجانب
الشكلي أو التكتيكي)، ولهذا السبب بكل الحزب الشيوعي يمارس "الاندماج
الإيديولوجي" على مجال المصالحات حتى يعد أن لسطر - أثر خلافات
وهراعات داخلية - إلى السجور على نهج الأهمية للشيوعية وسياساتها الداعية إلى
تحرير الشعوب المستعمرة. فقد سعى من جديد لاندماج هؤلاء العمال في
استراتيجيته وأخضعهم موضوعاً للقيادة البديلة للعائلة الفرنسية.

إن تصور "التحالفات" على هذا النحو، كان من سبب فشل الحزب الشيوعي في
المستعمرات، حيث الجماهير الشعبية التي توضح تحت نير الاضطهاد والاستغلال،
أخرج ما تكون إلى ثورة سياسية واجتماعية. هذا الاختلاف في التصور بين
مناشلي النجم وفيه الحزب الشيوعي، كان سبباً في تلزم علاقتهما سنة 1928،
فقد رفض المناضلو النجم بقوة أن تتحول حركتهم إلى مجرد منظمة مؤلفة تحت
مشراف الحزب الشيوعي وكان رد قادة هذا الحزب أنهم فعلوا ذلك، استجابة
للارادة الحزبية لمناشلي القابعة خلفهم من إفريقيا الشمالية.

ولانهاء هذا الجدل اتفق الطرفان بمبادرة من المناضلو (من النجم) على الاجتماع
بمؤلا المناهسلين (بضخ مئات) واشتراكهم في نفس السلات، من خلال الجواب على
المسائل التالي: هل ترغبون في القضاء تحت وصاية الحزب الشيوعي لم تقبلون
قيام منظمة مستقلة على قاعدة وطنية - وقد اختار المناضرون بالاجماع استقلال
نجم شمال إفريقيا¹⁹²⁸.

هذه المكالمة لم تؤد إلى طبيعة بين الحزبين لأن مناشلي النجم كانوا يومئذ
واهمين بضرورة التحالف مع الحزب الشيوعي نظراً لظروفهم الاجتماعية
وعملهم السياسية، علماً أنه لم يكن بلستطاعتهم أن يقولوا على أية حركة
سياسية يعاولية أخرى. غير أن تجارب الحزب الشيوعي مع هذه الرضا، كان على
صعيد الممارسة الاستراتيجية الاسمية الشيوعية (للكومنترن) التي لم تكن تولى
فكهد اهتمام لارادة الحركات القومية الثورية وطرحها بل كانت تعارض بعض
التهورات الماركسية ذاتها مثل نمو سلطون غالييف¹⁹²⁸ (الاتحاد السوفياتي) وكان

ملاكمة (اندونيسيا) وروا (الهند). وكانت هذه الاضراب المجية أحد أسباب عدم تكيف الأحزاب الشيوعية مع الشعوب المستعمرة، وضجفت الحركات الثورية التحررية، وكانت لكل ذلك نتائج سلبية تركت أثراً بعيداً المدى.

وقد أدت هذه الأثـر بصـفة مباشرة - كما كتب ذلك أنور عبد المالك - بكثير من القادة الماركسيين في الثلاث فـترات إلى الاعتقاد بـلى من الأسباب الرئيسية لفشلهم أخيراً في تأسيس الحزب الاشتراكية لثورية قادرة على ادماج الوحد الثقافي الوطني - دون إغفال بعدد الثمين - في سياغة ماركسية فضلاً عن ماركسية الاطـر العـدم والسـلوب العـمل وعـنـيـته^{١٣٣}.

ومن جهة أخرى فإن الماركسيين يختارون العالم كله في أوروبا، مفضلين النمط الحضري الأوروبي الحديثة وكأنه "الحضارة الوحيدة" فاعتدوا أوروبا "أم الدنيا" ينهر منه أعمال إنسان أخرى من الحضارة لا ذل أهمية وهذا ما وقع فيه الشيوعيون الذين لا يعترفون بلهجة هذه الأنظمة لا في الحاضر ولا في المستقبل، ويأملون تهريبها بـ "النموذج الصيني"، فهذا النموذج في نثرهم هو الوحيد الذي يمكن أن يتيح فرصة قيام الثورة الاشتراكية، نتيجة تراكم الإنتاج المادي والقوة الاقتصادية فيها لذلك.

ومعنى فـظه أن للثورة الاشتراكية يمكن أن تحول الطريق الرأسمالي في الإنتاج إلى طريق اشتراكي دون إعادة التفكير في ريادة أوروبا. بل إن قيام الاشتراكية ينبغي أن يدرج دور النموذج الاشتراكي الأوروبي وأوروبا ليصبح بمثابة القلب الذي تنبهر فيه "الشعوب الليبرالية" بموحاً أو بأخرى.

وفي هذا السياق لا يمكن أن يعني تحوّل المستعمرات، أن تستعيد شعوبها هويتها وتخصبها وحضارتها، بل يعني شكلاً جديداً من أشكال الهيمنة الاستعمارية، تنفـص في هذه الشعوب حالة التـمـنـة الدائمة، ولا تمتلك أية قدرة حقيقية على تصور مستقبلها أو الاستقلالية في اختيار طرق ومساكن تحضرها وبنائها الوطني، فإمام هذه نموذج فـتم بـفـتـه وإيديولوجيته وهلاله، فالطريق أمامها مسطر لتعبد على هذه وتمثل إلى توجيهاته الصادرة من مركز القرار.

الأنظمة المبسطة للعلاقات بين الحركة الشيوعية وحركات التحرر الوطني، تجرد هذه الأخيرة من خصوصيتها، إنها استتفينا للخصوصية القولكلورية طبعاً. ومن التنبهي أن رفض هذا النوع من العلاقة، لا يعني وجود الإسهامات الإنسانية للحرية الإنسانية كتجوية الضعف - الأوربية، أو معارضة الحركة الشيوعية في مكافحة استغلال الطبقات وانتعوب معاً لكن كل هذه الإسهامات ينبغي وضعها في إطار التبادل الحتمي بين المجتمعات الإنسانية، وما يجب رفضه في هذا الصدد هو استغلال التطور غير المتساوي على الصعيد العالمي، لتحويل هذا التبادل إلى عامل سيطرة وتكريس هيمنة مجتمعات أو حركات على مجتمعات أخرى أو للطلبات منبثقة عنها.

إن أية تشكيلة إنسانية (شعب، أمة، حضارة) لا يمكن أن تفرض سلطة تقرير مصيرها أو تتخلى عنها دون أن يؤدي ذلك إلى زوالها كتشكيلة تاريخية متميزة، ولهذا السبب تعتبر حركة التحرر الوطني كتطورية، بمثابة تعبير مجموعة إنسانية موهدة في صميم وجودها عن إرادتها في البقاء، وهذا التعبير لا ينفقه في جدوى تضديده أو دفعه من الخارج بشكل أساسي، فالانحرافات التي يهرسها التكتيف مع متطلبات الاستمرار، ينبغي أن نتكفل بها وتؤبها - ضلال مسار عقلي معين - اللوى الداخلية للمجموعة المعنية ذاتها. فعنه الذي هي التي تضبط التوجهات وتنفذ الاختيارات حسب وفادتها وضواهاها للعصبة

الوضعية الخاصة وحركة التحرر

ويأتي ميلاد النجم في صميم الإشكالية التي يطرحها التعبير والخصوصية خلال مرحلة نزاع، تحاول أنفءها القوى الخارجية (الأجنبية) فرض حل لا يطمح مصالح للشعب. ويشكل النجم في حد ذاته عامل تغيير جاعتهاره حركة اشتراكية (وشرورية بالقوة)، تمارس القوى الخارجية معارضة أكثر جذرية إلى حد ما. وتكن فعاليتها كحركة سياسية، في مقفونه على تقديم أفضل خلاصة ممكنة بين الحلمية الحديثة للخصوصية وضرورات التغيير.

ويصيب جاك بيوك في وصف عقده القهري، وصفاً ولو كان يستند، وضعية تاريخية مستقبلية، إلا أنه يقتصر على ما يلاحظ خلال فترة الحركة الوطنية التي تقوم بتخليها. فقد كتب في هذا الصدد: «إن القرح الذي ينتاب الكثيرين أمام تبعات الهويات الجماعية يفرج خيبة إنسانية، فقد كان الاعتقاد السائد أن التوسع العالمي سيضع لخطاها من بعض المراكز ومن بعض الأفكار، غير أن هذه البعديّة الكونية لا يمكن أن تتطور لا بتفوق ولا بالهجرة ولا بالدعوة. من المحتمل أن تكون أفكار خيذاً، لكن على نفس الدرجة من الجبروت كذلك؛ لأنها تعترق تحديد والغاء وتجميع الشخصيات التي تتعرض سبيلها.

إن الخصوصية، هذه الكلمة الجدلوية لا يمكن فهمها بالرجوع إلى مفهوم العمومية المبرور جداً. لذا فإننا نلحظ للخصوية الذي سيف أن يرد كتنقيص، لأحد الفترات التي عرقلها مغارك الاستعداد جميعاً».

وتحتوي أية حركة وطنية أصيلة بعض الخصوصية بحسب طبيعة المجتمع الذي تنظم فيه، فهي ترمي إلى إبراز الكيان الذي مثله كخصوية قائمة بذاتها مقارنة بالكيانات الأخرى، لا سيما عندما تكون في حالة نزاع مع واحد أو أكثر من هذه الكيانات، وبدون ذلك فإنها تدوب في «العمومية» التي تطغى في أغلب الأحوال نزعات مهيمنة سبق أن استكملت خصوصيتها.

فالخصوصية المقصودة هنا إما هي خصوصية محلية أساساً، تستمد معناها أولاً من التشكيلات الإنسانية العريضة على الاحتفاظ باستقلالياتها وهباتها التاريخية كضرورة وجودية.

وقد ظلت الشعوب المظلومة أو المستعمرة على مدى عقود طويلة، تقاوم بمفردها الهجوم الأجنبي للكاسح والعمو مؤكدة بذلك خصوصيتها أي حرمتها في أن تكون كما تشاء، وفي اختيار الطريق والوسائل لملائمة لتحقيق طموحاتها، علماً أن العديد من هذه الشعوب تحول ثقافتها وحضارتها لتكتسي أهمية عالمية. وحتى المجتمعات التي توصف بـ «البدائية» أو «المتوحشة» باختصار، قدمت مساهمات هامة في مختلف مراحل التطور الإنساني. فقد سمح تنوع هذه الثقافات «البدائية»

للباحثين في العلوم الإنسانية بالتركيز على مفاهيم حول ماهية الإنسانية، ولهم آليات عمل المجتمعات المتأخرة (ما تحتاج استعياضاً أكثر فأكثر). وباسم الخصوصية رفضت شعوب كل من إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا جهوراً أو سراً أولوية العالمية التي ينتج عنها مركز الهيمنة الأوروبي.

بيد أن هذه الخصوصية لا تتطابق تماماً مع "مبدأ الخصوصية التاريخية" (ماركس) الذي يعني أساساً أن أي مجتمع يتعين عليه فهم نفسه على غرار المرحلة المتميزة التي يندرج فيها⁵⁶ فإنما كانت الخصوصية الأولى مثلاً لاساساً كما سبقت الإشارة، أي خصوصية معتمدة كحقيقة من مظاهر البقاء، فإن "مبدأ الخصوصية التاريخية" لا يعني على ما يبدو معنى معرفة "مجتمع" ما، وتفسير ملامحه المعاصرة باعتبارها أجزاء متكاملة.

إن اشكالية الخصوصية والعرقية والعمومية في التطور المادي للمجتمعات ثم تحدث ببعض الاهتمام إلا في وقت متأخر جداً. وهم إن أ. عبد الملك سبق أن أكد على "أن الخصوصية التاريخية كمبدأ اجتماعي تفقد في مؤسسة المجتمع الأمريكي كما تفقد في دراسة المجتمعات غير الغربية". لكن رغم جهود هؤلاء الباحثين، لم يكن هذا الاهتمام "العلمي" بمستجيب دائماً لما جرى بناء "الخصوصية" وتكرسها كواقع تاريخي. فقد، كان الدافع إلى ذلك في المقام الأول، محاولة فهم "الأجزاء المتكاملة" للمجتمع بهدف التمكن من التأثير فيه، أو إقرار مثابة "الماركسية الرسمية" (والثليعية) وفشلها في معظم البلدان المستعمرة غير الغربية، لاسيما أن بلدان لغربية والإسلامية.

ومعها يكن ذلك ما تم نعمهم هذه اليهود فإنها قد تفتتخ أنفاقاً جديدة، وربما سمحت للماركسية بأن تصبح "عقلية" في المجتمعات الحريضة على تنمية خصوصيتها لضمان اندماجها في العالمية بطريقة أفضل. وإن يحصل ذلك طبعاً ما لم تتخلص الماركسية من زيفها، والجوانب الإيديولوجية والثقافية والاستراتيجية التي طبعت نشاطها وتطبيقاتها في المجتمعات الغربية.

ويبقى أن نفرق في هذا المقصد، بأننا لو تركنا مهمة اختيار الخصوصية إلى الماركسية وحدها لزال أو تقتصر إلى حد كبير. لأن الأمم المتحضرة في نظر أنصار هذا المنهج هي الأمم القوية دون سواها من بقية الإنسانية الموزعة بين خلاتين "البربرية" أو "شبه البربرية".

فمعلوم أن "البلدان" الأخرى - غير الأمم القوية المتحضرة - لا تدخل بهذا ضمن الأفق التاريخي لماركس وأتباعه الماركسيين بعده. فاهمية الشعوب "الهامشية" تكاد تنحصر في وجودها. وفي وضعها بتفوق الغرب واضمحلال شخصيتها في آن واحد. علما أن بعض هذه الشعوب كانت عند ظهور هذه المفاهيم (في حدود منتصف القرن التاسع عشر وبعده) في تلك المرحلة بالذات، تنحصر بنمطها في مكانة هذا الكثر وقبيلها من بقية الشعوب (بشكل الجزئي) (٥٨).

وقد استمرت هذه المفاهيم "الأولى" - رغم بعض التعديلات - في شدة اهتمام المشاركين للمراحل اللاحقة عندما تمكنت "الأمم البربرية وشبه البربرية" من فرض نفسها، فكيف باتهم معنى الكلمة "بفضل عضالها ومقلوبتها" فالجهاز المفكر والتنظيمي للماركسية الغربية رغم هذه الصعوبة وجهود التبادلات الثورية لاسوشالية (البنيان خاصة)، إذ لم يكن ينبغي لتخصيصات الوطنية، فقد ظل على الأقل ينكر قوتها على رسم الطريق الخاص لتحررها وبذاتها للثوري.

هذا الموقف يستلزم حسب أ. خرد المالك الإيديولوجية المعتمدة. أي الإيديولوجية الوضعية التي نجدها في المخطط الإيديولوجي السائد والرجعي، كما نجدها في صيغتها الماركسية. وربما من خلال الانتماء للماركسي اللينيني - مدفوعة هفويا إلى البحث عن إزاء نظريتها حول الإمبريالية (٥٩).

ومع اتفاننا مع هذه الملاحظة من الكتاب، نتساءل عما إذا كانت الوضعية هي الإيديولوجية المهيمنة حقاً أليس من الأنسب أن نشير إلى إيديولوجية "المضلة للغالبية" (الغربية) الشائعة في جميع الطبقات الاجتماعية ولدى أغلبية المثقفين الذين يعبرون عنها؟

إن إيديولوجية الحضارة القروية المهيمنة تؤثر في هؤلاء، بواسطة منهج وتطبيقات البحث التي تفرض عليهم والتي تعكس هذه الهيمنة وتساهم في إعادة إنتاجها. فلم نؤكد كان مؤكس وأنجزت نفسها - دون ذكر أو قتل الاشتراكيين - يفضلان الحضارة القروية لخدمة إيديولوجيتها مقارنة ببقية أنحاء العالم؟

لذا تبدو الخصوصية في هذا الحشد كمؤقت فقط، سواء من النطاق الإيديولوجي المضاهنة، أو من صفته المؤكسية. وبذلك تسمح بصفة عامة في كلا المختلفين، يتميز الجانب العلمي حقا عن الجانب الإيديولوجي الذي يخلقه، وما يتل في ننايه من أفكار مسبقة ومفاهيم أو أفكار متناقضة مع الجانب الأول.

فالخصوصية إذا، تقتضي استقلالية الفكر والقدرة المبدعة على التكيف بالمهام التي تلزمها رؤية جديدة، نضمن بها أكبر قدر من النجاعة.

إن تلك العزلة الإيديولوجية من شأنه أن يحدث فيها لذلك انشغالوا في هذه الظاهرة، يشمل مختلف مجالات الإيديولوجية كلها هيمنة. نضع هذه الإيديولوجية من التواء ممكن بإلغاء ورائدها وتواءات تتشعبها. وإعادة النظر هنا لا تستهدف العالمية في جانبها العلمي وإنما في بل الجانب الاستراتيجي منها والذي يستعمل كغطاء لمتأرجح السيطرة الاقتصادية والثقافية والسياسية أو الإيديولوجية.

وبشكل تعدد مراحل الحضارة نراه لا يقدرون أن يضمنوا للإنسانية جمعاء، نراه يمكن أن يطمح إلى الأبد، إنما ما هيئت عليها روح السطوية والانطلاق التي تحاول فرضه بعض الأمم القوية، أو للمراكز السياسية التي تستلح إلى نهاية الجنس البشري، بأكمله، طامشعوب والحركات القومية نضعها عن خصوصيتها، بقول هذا المزو الذي تعدد أشكاله حسب الطبقات الاجتماعية المختلفة. وتعتبر هذه المقارعة المتواصلة حتى الآن، أبرز ظاهرة مميزة للحقبة المعاصرة، وأحد مظاهر كفاح الشعوب والجماعات (بآسيا والعالم القروي وإفريقيا وأمريكا اللاتينية) التي كل يعتقد أنها اختفت من الساحة التاريخية.

لقد كانت عملية يوروز هذه المصعوب شديدة وصحيفة بالعراةة والأخطاء. فضلاً عن الإخفاة أحياناً شتت كل عمل قلوب به لتشكلات الإنسانية التي هي في طور بناء مصيرها. وكان المصعوب من جفت مومونا بمسئلة من التحولات والتغيرات. وقد اضطلمت بهذا الكثر حركات التحولات على غرار الحركة الوطنية الجزائرية التي تشكل نشاطاتها وقطورها موضوع دراساتنا.

ويستل نجم شمال إفريقيا خاصة حالة نموذجية علمية هي، منهاق البحث حول العلاقة الجدلية بين كل من "المصعوبة" والتغيير والمراكز المهيمنة" وتقتصد بذلك الترسالية والمركمية¹⁸⁵.

في هذه الدراسة حاولنا أن نتحدث عن الأسباب العميقة التي كانت وراء خلافت نجم شمال إفريقيا مع الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يمثل في نظرنا "صفة العمومية" العمومية المصعوبة أيضاً. ونسب التناقض بين هاتين التكتيكيتين بوضوح أكثر على صعيد العمومية. وعرفنا أن ثابتي بقي هذا ما. أما أن التناقض الرئيسي لا يكون إلا مع النظام الاستعماري نفسه. هاتج عندما رفض دور المنظمة النابعة وفضل الاندماج مع الحزب الشيوعي الفرنسي، لم يعمل ذلك معنفا في علاقات النظام مع المناهض للاستعمار والإمبريالية. فقد مل بأنما بهاد، العمال والشعوب المضطهدة. ولم يكن تطوره سوى شوة لوعي العاضلين الجزائريين - فودها وجماعيا - بخصوصية مشكلتهم الوطنية والطابع الوطني كذلك لطريقتهم الثورية. ولم يكن هذا التوجه لينسجم مع سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي الذي نل بسنهد بمماراته البروليتارية كل من فرنسا والجزائر (من الأهلالي)، دون مراعاة التباين القاطع في ظروف كل من المنطقتين.

أما الأقلية العمالية من أندوبيس الجزائر. فقد كانت ترى نفسها أكثر ارتباطا بالطبقة المضطهدة من المستوطنين منها بالجماعية الشعبية العربية الإسلامية طسمية هذه الطبقة.

والحزب الشيوعي الفرنسي - كما يشير اسمه - هو تشكيل اجتماعية وسياسية وثقافية فرنسية، وبالتالي مهما بلغ سفاء والتزام توكيته البشرية.

فإنها ستظل، مع ذلك غريبة عن الانشغالات الحقيقية للمجموعة الوطنية الجزائرية المضطهدة، ورغم جهود قاداته المشبهين بفلنكو الأحمية، فإن نتائجه العلة تعبر أساساً عن الطبقة الحاكمة الفرنسية التي تؤول الإيديولوجية الاستعمارية السائدة في منعكساتها الشرعية بدوفاً أو يائزى فلا مجال لهذا للتوافق بين المجتمع الفرنسي والمجتمع الجزائري المستعمر، لا على مستوى الجواهر العميقة ولا على مستوى المظاهر الجوهرية، ولا تكفي في هذا السبب شعارات تحويل الشعوب والاشتراكية، والصراع الطبقي، والأمية الليبرالية لتجاوز التناقض العميق بين النظام الاستعماري والشعب الذي يقطع للتحرر من رقبته، فسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي كانت ترمي إلى تحقيق تحول اجتماعي، عبر شمال البنية للعائلة الفرنسية والجزائرية بدون "مصلحة". وفي ذلك تصالح على أشكال أخرى من القسمة، منها ما تجسد في هذا الحزب نفسه باعتباره مركز قرار رئيسي، ويؤكد ذلك أن الجزائر لم تكن معزلة في مقام الحزب الشيوعي عام 1936⁽¹⁾، بل في خروج مبدوءة جوهية في المحادثة الهباء من 1924.

لقد كان الفكر المركزي الأوروبي - كما سميت الإشارة - منشوراً أيضاً على نطاق واسع وسط الماركسيين ما جعل بروليتاريا المجتمعات الغربية تعتقد أن من مهامها قيادة وثيرة عمال المستعمرات (أي أن الدول الأوروبية تحقق التقدم الاقتصادي الميرك للبروليتاريا التي تقوى بدورها). وفي هذا ولو بصيغة أخرى فكرة "الرسالة العضوية" التي كانت الدول الاجتماعية تتخزع بها، لتحرير سيطرتها واستغلالها للشعوب المولحة تحت نيرها. وممكن ملاحظ أن الانتقاد بتفوق الغرب على بقية العالم يحده - الأديان، والسلب، مستفظة - أكثر السياسات تقدماً لإزاء البلدان الخاضعة للدول الغربية.

لقد ظل هذا الاعتقاد سائداً⁽²⁾ رغم أن الثورة الاشتراكية انطلقت في روسيا قبل البلدان الأوروبية تسليماً بل كن يتناول بعضها كملك مختلف. بعبارة كان يتوقع اندلاعها في أكثر البلدان تقدماً (مثل إنجلترا وألمانيا وفرنسا). كما ظلت الشعوب المستعمرة خاضعة للقيادة والاستراتيجية للحزب الشيوعي بالوطن الأم: تلك

الأحزاب التي ظلت بهزيمته وثيقة الارتباط بالحزب الشيوعي السوفييتي (التذكير: إن المضطهدين في الأرض جمعوا استقبلوا قيام الاتحاد السوفياتي بفرح وأمل).
 ولعلنا أن أحزاب الطبقات العاملة في أوروبا كانت محطة في قبضتي نفس الاستراتيجية المتبعة في الاتحاد السوفيتي، حيث انصهرت قضية العمال وشرح في بناء الاشتراكية لأول مرة في العالم. لكن الوضع مختلف فيما يتعلق بالشعوب المستعمرة التي ظهرت بينها حركات تحريرية اضطرت بطريق آخر وأهبطا مختلفة. ولذا لم يكن من الممكن إجهاد هذه الشعوب على اتباع نفس الاستراتيجية والثوابت، تطبيقها، لأن ذلك يعني باختصار تجاهل خصوصية أوضاعها وطموحاتها، وحصصها في دور قوة (سواء لا غنى يستغل بها حسب الأهواء والمصالح السياسية لمراكز القوى البعيدة عن نشأة الإلهام التحريري) كما نأكل ذلك لاحقاً.

لأن مثل هذه المراحل لم تكن لتغطي بدون شك على أكثر العناصر في نجم شمال إفريقيا ومنية ونورية، فوحدوا ذلك يشكون على هذه الحركة بأنها وطنية أكثر تحالفا مع بلدهم ووطنهم، وكان من المتوقع أن يؤدي هذا التوجه التنازلي فيما بعد إلى القطيعة مع الحزب الشيوعي عندما أخذ يعمل باتجاه الجبهة الشعبية والوطنية عن شعار تحويل الشعوب المستعمرة وقبل هذا التعميط في مسار الحزب، كانت دوائر الطغمة قد تسببت في انقساماته داخل النجم، تجلت في فتور حماس المناهضين الواقعيين لثورت هذه الحزب، مباشرة والمعيدين من مواقفه بكل تأكيد، إزاء نشاطات النجم التي لم يعوروا بشوكون فيها أو يحضروا الاجتماعات النورية إلا قليلا، وكانهم كانوا - على خلاف عبد القادر حناج علي - يواظبون على فشل الفرق المنبثق عن الاجتماع العام لسنة 1925. وهذا ما يفسر المناعب التي صادفت، طويق هذه الحركة خلال مراحلها الأولى لغاية 1930 - 1931، وهي مناعب ضاعفت القمع المسلط عليها من خطورتها (بعد أن صدر قرار عام 1929).

إن تحالف طائفتين من المناهضين الجزائريين على أساس تطابق الحالة الاجتماعية وحدها، ما لبث أن شاكل بسبب الاختلاف حول المشروع السياسي

وكان هذا التآكل يتسارع كلما تقدمنا هنا للاختلاف وضوحاً وتبلوراً فالمناضلون الشيوعيون (العنصريون في الحزب الشيوعي) كانوا يمثلون العمال المهاجرين تماماً مثل المناضلين (من أمثال مصالي) الذين كانوا يرون في الحزب الشيوعي سندا لشعبهم المضطهد. لكن إذا كانت الفكرة الأولى تقبل بالاندماج الكامل في هذا الحزب، فإن الغلبة الثانية كانت تعتبر نفسها كياناً متميزاً على هذا التحالف وتطلع إلى تكوين منظمة متناسبة مع واقع ومستقبل ومن الخطأ في تقديرنا تفسير هذا الاختلاف على أساس نظرة ضيقة، نصف الأولى "البروليتارية" والثانية بـ "البرجوازية الصغيرة" بهدف البحث عن شريك يتناسب تطوراتها، كما أنه من الضلالت اعتقاد ذلك بداية "شعبوية" ⁽¹⁾ استناداً إلى التفكير مزعوم لا أساس له في الواقع، فبالإضافة كانت المحجة في ذلك، أن مصالي كان بلدياً متجولاً ولم يكن عاملاً يحتاج على أي حال إلى أن يعمل في مصنع، بل كان يجود متجولاً خاصة للمقاتلين. إننا لا نستطيع وجهة النظر اللامعة على نزعة عظمى متطرفة، نرى في البطال والعمال والمستخدم والهاشم المشهور "بروليتارية"، إذا كان عنصر "في الحزب" المشهور (أو ما شابه من المنظمات)، و"بورجوازية صغيرة" إذا لم يكن كذلك، كما لا نرى من جهة أخرى ما الذي يجعلنا ندول أن يتوحي مختلفون من صميم الطبقات البرجوازية للتطاع عن "البروليتارية"، في حين نودع أن يمثل عمال عن الفئات الفقيرة نظراء هم الذين يلبسهمونهم نفس الملابس تماماً، فإذا قلنا مثلاً أن سوكس وانكلز أو لينين وسيتالين أو ماوتسي تونغ وشوان لي ليسوا من أصول عائلية يكون الولد بأن هؤلاء نهضوا قضية البروليتارية والمصراع الطبقي بشكل نهائي.

فهل من الخطأ عن قضية البروليتارية، إن قلنا - استناداً إلى الممارسة - بأن سياسة ما لا تقيد في حل المشاكل الممارسة والسياسة لبلد ما ومن جهة ضرورة البحث عن سبيل أكثر ثورية والحدوة له؟

الاتجاه الثوري لنجم شمال إفريقيا

إن وصف قيادة نجم شمال إفريقيا بـ "البرجوازية الصغيرة" أو "الشعبوية" لا يمت بصلة إلى تحليل العظمي، بل هو مجرد مهاترة ترمي إلى فرض نوع من

المبني على الفورية في ميدان المعتقدات والمفاهيم (المعتدولة ألبا في معظم الأحيان)،
 وشكل من أشكال الإرهاب الفكري²⁹. فالجورجوتوي الصغير حسب هذا المنطق هو
 كل من يخلو من المعتقدات والمفاهيم السالفة أو يشارك في سلامتها في مرحلة معينة
 ووضعية محددة. أما "الاشيعوية" فتعني حسب المنطق نفسه تعبئة الجماعات حول
 مطالبها وحملها على طرق طويقة التخلص لتحقيقها باستعمال جميع الوسائل
 بعيدا عن الصيغ "الجائزة" ثورة المجدية.

لنمثل هذه الأوضاع إتماما نستخدم الحجة من كل بورليوتوي أو ثوري مسود على
 الأطر الديمقراطية، واعلم في التذاعل من الفولتات الحية. وهذا يمكن الطابع الإرهابي
 والديكتاتوري لتلك الأوضاع وقوتها من باب الاستصغار والاحتقال بالجم -
 كمنظمة عمالية - لا يخفى عن موقفه "الطولي" إذا لمجرد ابتعاده عن الحزب
 الشيوعي - كمنظمة العمال الفرنسيين - مع ملاحظة أن أعضاء هذا الحزب من
 الجرائيريين يمثلون لدى العمال المهاجرين وليس العكس. والسبب الرئيسي في
 ذلك ليس نفسانيا ولا ذاتية بل يكمن بالأساس في اختلاف مصالح وأهداف اليقة
 العمال الجرائريين السياسية عن مصالح وأهداف الطبقة العمالية الفرنسية
 (كثشكلة اجتماعية م حسب الكيف فوضي الفرنسي). فمن الأمية يمكن إذا أن
 ترفض هذه الطبقة كل تكتيك أو استراتيجية لا تتماشى مع مصالحها وأهدافها.
 ولهذا السبب كان هدف الاستقلال الذي وضعه النجم بقوشي اختيار طريق مستقل
 كذلك. وهذا الطريق الجديد سيؤدي على هذه الحركة ضمن أية تعبئة وإقامة
 علاقة مساواة في جميع الميادين والأوضاع التي تتلاقى خلالها المصالح وتتيح
 للتخاضع الضروري فرصة للتعبير عن نفسه.

ويمكن القول في هذا الصدد بأن سائر الثورة تنطلق فعلا. عندما اختار النجم
 نقل الفضال إلى ساحة الاستقلال الوطني وكان الحزب الشيوعي في نفس الوقت
 قد اختار - رغم التبريرات التي يقدمها - طريق الإصلاح، مقترنا بذلك شيئا فشيئا
 من قتلوات الإسلابية، العلماء والمعتنحين.

ومكفة حمل التجم على عاتقه مسؤولية التمييز بكل وضوح عن سياسة الإدماج الاستعمارية، تلك الاستراتيجية التي تجمع التسلية الجزائرية في إطار سجل للاندخالات العمالية بفرنسا. وكان من الطبيعي أن يخالف الإصلاحيين الجزائريين، ويعرضوا سببهم المتنبية التي تعوق المشاكل الأساسية الأ وهو احتلال البلاد، وتذرع بتزييف المطامح العميقة للشعب الجزائري، وجرة إلى التفتت وراء مطالب لا تفل من ورائها. هذه السياسة المستفحكة من حوزتين فقوى الصائفة في تلك المرحلة. كانت في الواقع تعبوا عن سلوكيات تفهيمية. فالانطلاق من إلهات قوة المستثمر الأجنبي، كان يملئ على الإصلاحيين ضرورة السير حسب سياسة معتدلة، تكون فيها المطالب المستوحاة انعكاساً لتلك المولزين وما تتبعه من إمكانات أفضل، لأن الإصلاحيين لم يكونوا يؤمنون بإمكانية تغيير مولزين القوى في أهل مسهم.

لقد كان تفكير "العملي" هذا (لأن الإصلاحيين لم تكن لهم استراتيجية واضحة) أي ما كان النظام الاستعماري يسمح به. يميز الإصلاحيين الذين كان مهم الوحيد أن يظهروا كأنهم "غلاء" و"واقعين". لا يستنكرون الطول الوسطى ولو تعلق الأمر بالمسائل العمومية.

وفي المقابل كان الموقف القوي عكس ذلك، يرفض "العملي" المسعرج به باعتباره دخلاً، مفضلاً هذه "العملي الحقيقية" التي تسمح بتعبئة الطاقات الشعبية تعبئة قصوى. ولا يمكن يلزم هذه الدوجة بدون خلل قوي، هي مستوى مطلب جوهري كمطلب الاستقلال الذي لا يمكن سلبه.

ويمكن التمييز الاستراتيجي هذه هي تشكيل قوة قادرة على فرض الاستقلال أو لتقاعه بواسطة الكفاح المسلح غير أن هذا المشروع يبدو من وجهة نظر الإصلاحيين طويالوية، غير واقعي لأنه لا يتصور إمكانية تحقيق أهدافه بواسطة التغيير الجذري لمولزين القوى. فاقصى ما يمكن للإصلاحيين أن ينجحوا إليه من العنف، لا يهدى عنه الاحتجاج وبعض أشكال المسيرات وأنواع التمرد المعنوي الطوطي، دون أن يكون أثر يذكر لكل ذلك. ويعمو فقوي، موضوعاً وأكثر واقعية في

أجله مسمى، لأن عمله يستهدف الكشف عن إمكانات التغيير التاريخي - التي لا تظهر دائماً - وتحريكها إلى طاقة وفعل. وفي هذا السياق يأتي الموقف الجذري لنجم شمال إفريقيا كتنبيه عن الاستعمارية للتأويلية لمعارضة الشعب الجزائري للاستعمار وتأمين كفاحه على موكب العصور.

وإذا كان النجم يلتقي مع الإصلاحيين الإسلاميين في تبني التراث الثقافي للشعب، فإنه يتميز عنهم بإعلان تطلعه مع المجتمع كله ومع الجماهير الشعبية بمسافة خاصة. غير أن هذا الإقبال يتم على أسس جديدة (وليس بالرجوع إلى الماضي)، إذ يتطلب تحويلاً نوعياً لروح وإداء التوراة التنظيمية، يترجم في مذهب عمل أكثر نجاعة وأحسن تكيّفاً مع متطلبات التماسك المعاصر، ويشمل محيط "الجماهير الشعبية" - باعتبارها القوة الكامنة للثورة - غالبية الفئات الاجتماعية التي تولت المجتمع المحلي. ونجد في طيفه هجاء الاستغلال والسيطرة، كعمال المين والأرباب والفلاحين المساكين والأجراء والمستخدمين والتجار، فضلاً عن البطالين والفقراء - وشعور هذه الفئات بحالتها - المأساة - سواء على الصعيد المادي أو المعنوي - هو شعور غوري وهنري ووضعي في آن واحد وبفضل هذا الشعور تتحول هذه الفئات نفسها إلى عامل للاستمرارية والحاجة إلى التغيير.

هاتجماهير الشعبية هي التي تلعب الدور الحاسم في الواقع، وإن لم نجد، كغير اهتمام في السياسة "الثورية" للعشاء، أو في ميثاق الحزب الشيوعي الفرنسي، الفكرة على مفهوم المنطقة المعاملة التي لم تكن تشكل (مع الأهلالي) قوة رائدة لا من الناحية الكمية ولا من الناحية النوعية. وإن أصبحت هذه الجماهير هاجزة مؤقلاً - عن تدجير الانتفاضات الأخرى كما في السابق - فإن تصورهما هذا كان ظاهرياً فقط، فقد راصلت مقارعتها للاستعمار - بشكل آخر - وتمسكت بأصالتها التي كانت تمارس ههنا - عن بعد - على رجال السياسة بهدف إدماجهم في الشأن الوطني - من جديد.

ولم تكن إعادة تكييف هذه الجماهير مع المتطلبات الجديدة للاندماج، مهمة سهلة بالنسبة للخصم (الذي كان ما يزال أعمى) الذي كلفه مثاقه زيادة على ذلك بعيدة عن

الدراب الوطني - الذي كان بمثابة الحيطة الخاصة للمستوطنين. ومن ثمة لم يكن من المدهش بل شديدا جدا ان هذا الذي لا يتم فقط بوجود تحقيق القواصل "الإيديولوجي" بها والتموقع معها على نفس الخط. فهذه الجماعات وإن كانت تعمل في سياساتها قوى اليسار الشراعية للعبودية، فإنها لا تستطيع مع ذلك أن تفعل شيئا ما لم تبلغ مرحلة التنظيم السياسي. هذا التنظيم الذي يقف على القواصل الإيديولوجي، من خلال العلاقات (الظلمية) المتنوعة التي يقيمها بين أكثر العناصر القواما من جهة والجماعات من جهة ثانية. وقد كرس مناضلو التقدم جهودهم لهذا هذه الحركة بالروابط وتعزيزها، ورغم الأزمات التي عرفت بها منذ نشأتها الأولى، فقد خلقت بعض النجاح على سبيل الانتشار وسط العمال المهاجرين؛ إن لم يكن تأسيس الخلايا الأولى سوى إيجابها سواء بتأخيه باريس أو داخل فرنسا. هذا الانتشار أخذ يزحف الإدارة الفرنسية شيئا فشيئا فتمكنت من إحباط (إلى سلاح القمع) المخاضات، المدهشات، خطر انجراند.⁽¹⁹⁾

كل ذلك لم يمنع النجم من المضي إلى التعريف بالعلاقة الجزائرية خارج فرنسا. وفي هذا السياق تدرج مشاركته في مؤتمر بروكسل (1927) الذي انعقد بمبادرة من الرابطة المناهضة للاستعمار الأسباني، حيث قدم مدونه "سلي عريضة مطالب (المطروحة إليها صحيفة الرابطة الحمراء) تضمنت المحاور التالية:

استقلال الجزائر،

انسحاب قوات الاحتلال الفرنسي،

تأسيس جيش جزائري،

حجز كبار الملاكيات الزراعية التي استولى عليها الانفصاليين وعسلاء الإمبريالية والمستوطنون والشركات الرأسمالية الخاصة،

توزيع الأراضي المحجوزة على الفلاحين الفقيرين حرموا منها.

احترام الملكية الصغيرة والحدوسطة.

تمكين صغار الفلاحين من القروض الفلاحية.

الإلغاء الفوري لثقافة الأهالي والتجارة الاستثنائية.

العفو عن المساجين بسبب مخالقة قانون الأمانى سوله كانوا متقيين أو تحت
الرقابة الخاصة.

حرية الصحافة واتشاء الجمعيات وعقد الاجتماعات.

المساواة في الحقوق السياسية والانتخابية مع الفرنسيين المقيمين بالجزائر
تعويض المندوبيات المحلية المنتخبة بواسطة الاقتراع المحدود بجزائريين
جزائريين منتخبين عن طريق الاقتراع العام.

انتخاب مجالس بلدية من طريق الاقتراع العام.

حق للتعليم في جميع المستويات.

اتشاء مدروس باللغة العربية.

تطبيق القوانين الاجتماعية.

إذا قارنا هذا البرنامج بالمطالب الإصلاحية، وثيقا أنه يتميز بوضوح طابعه
السياسي الجريء ومحتواه الاجتماعي المتقدم، منادى بطرح مطلب الاستقلال منذ
ذلك الحين، ويرسم خطوطا عامة لسياسة اجتماعية واقتصادية تستهدف، وإذا
استقلال الإنسان للإنسان. ويؤكد هذا البرنامج بحسبة خاصة على تحويل الهياكل
الاقتصادية التي بني نظام الاستبداد على أساسها، دون أن ينسى الإنطباعيين من
المسلمين ما عذبوهم سجنون أسرى بالمستوطنين، الأمر الذي يضفي على اتجاهه
العام طابعا ثوريا اشتراكيا.

حل نجم شمال إفريقيا للحرية الأولى

أخذ نشاط نجم شمال إفريقيا يلقى سلطات الاحتلال، رغم أن اتشاءه لم يكن
متميزا، والسبب في ذلك أنه كان شعرا وسط جعجة المطالبات الاندماجية
والدهاية الإمبريالية، ثم أن السلطات الفرنسية ما لبثت أن تبذرت خطره على
الاحتلال، فقررت حث سنة 1929، بهجة أن يوناها يمعن بالسيادة الفرنسية في
إفريقيا الشمالية. والواقع أن الاتهامات أصبح يخشى أن ينشر شعرا الاستقلال
وحسب الجهاد الشعبية انتشارا لا مرد له، ومن ثمة كان مبدئ أن تظل الجهاد
بعيدة عن حركة قاهرة على تحصيلها إلى أسمى توجهه وجوه إلى اتحرك عشية
الاحتلال بالثوري الثورية لاحتلال العاصمة وهو احتفال لم يكن في محله.

غير أن حل النجم عام 1929 وما تلاه من قمع، لم يمنع جدا لمشاط مضاهيه
 الذين واصلوا نشاطهم في ظل السوية، حوجين بتلك على المواقف الطيعة التي
 درجت عليها التيارات الجزائرية الرئيسية فقد كُنن القويوت في وجه القمع
 والسلوك النضالي العسيف، بشكل تسليوي جديدا في الساحة السياسية
 بالجزائر، ويكشفه ميكا عن خصلتين حركة ثورية أصيلة. فمنذ ذلك الحين انبرى
 لتعمل أمانة الاستقلال رجال لا يهابون تحريك الجماهير، ويقبلون مسبقا كل ما
 يتدبر عليه من كفاح لا يكله ولا يذلل وتضحيات لا يمكن بدونها النجاح، عن المثل
 الثورية وتحليتها، ذلك أن الإعلات عن مبدأ الاستقلال، يظل مجرد شعار، ما لم تتوفر
 الشروط الإنسانية لتحقيقه، ويوجع الفضل الأكبر للنجم هذا ليس فقط في طرح
 مشكلة الاستقلال، عندما كانت التيارات السياسية والفكرية تستبعد هذا الاعتبار،
 بل في فتح باب جديد للنضال جاهد على شحذ إيمان الشعب الجزائري من جديد،
 وعلى تعبئة كامل ثراء وهدنة أدلة كلفه بنفسه، وفي سبيل تعزيز الوعي الوطني
 واصل مضاهي النجم تضاهيهم في ظروف صعبة وبوسائل متواضعة، عنددهن
 بمختلف المبادرات والأخطاء، والتمهورات فمزينة التي تاذي تعرض الأفكار
 وتضعف لادة الكفاح من أجل التحرر ولم يكونوا ليعسجوا - بعد أن دخلوا عن
 لومهم حول طبيعة الاستعمار - بتضليل الشعب ورعن مستقبله، بواسطة
 للوعود الخادعة والمطالب الإصلاحية

مثل هذا الموقف لم يكن وليد "حب التملوه" بل كُنن لعدة معرفة دقيقة
 بميكانيكية السياسة الاستعمارية التي ما انفكت منذ سنة عام، تعبر عن
 نفسها بالنار والدم والشجون وسلب الممتلكات والثوابت الاستثنائية (كفيلون
 الأمالي إلخ) لقد كانت هذه السياسة تستهدف تفكيك المجتمع الجزائري،
 واستبداله في نهاية الأمر بمسكن أجناب يحشون بجميع الامتيازات ولولا حبرية
 المقاومة الشعبية وصمودها، لأجز الاستعمار مشروع للتدمير الوطني قمتع به
 الزمالة القضاوية المزعومة.

ويمكن القول في هذا الصدد أن سياسة الاندماج لم يعبث بعض النجاح لدى الإصلاحيين على الأقل بعد قرن من الاحتلال. وكانت هذه السياسة آخر ورقة تلجأ بها سلطات الاحتلال لتبوير اللجوء الاستعماري. لكن تطور الحركة الوطنية عامة وجناحها الثوري (نجم شمال إفريقيا) خاصة، ما لبث أن فزح القلب عن حقيقة هذه السياسة المظنونة والمقنونة في آن واحد، فهذه الحركة الوطنية بتنظيماتها الثلاثة (الهادية العتخيين، جمعية العلماء مع شمال إفريقيا) أخذت وعم تنافسها وخلافاتها تنصدي بثبت عقائد ودرجات متفاوتة للنظام الاستعماري. وقد اتخذ مجرى تكاليف وجهة جديدة عندما كان هذا النظام وسط الاحتلالات المبرية بحسب فكري  حنة حنة من الاحتلال والوجود الاستعماري.

جمعية العلماء للعلماء الجزائريين

ينتمي التيار الإسلامي الإسلامي أصلاً بحركة النهضة الكبرى التي عرفها العالم الإسلامي خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، والتي كان من روادها أحمد خان (1817 - 1859) بالهند وجمال الدين الأفطاني بالمشرق ومحمد عبده (1849 - 1905) بمصر. فقد ساعد انتشار أفكار هذه الحركة عبر الصحافة (المجلد وعمل الشيخ وخسا) بقيادة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903، على ظهور هذا التيار بعد أن أخذت فئة قليلة من المثقفين تتعامل حول مستقبل البلاد. وقد لقي هذا التيار بعض التصدي بين المثقفين بالمربية رغم فئة مرديه في البداية. ولم تنتشر الحركة الإصلاحية الإسلامية إلا بعد الحرب العالمية الأولى، بفضل جيل جديد من المثقفين تخرج أكثرهم من تونس (الزواوية) والشرق، وكان من رواده المشيخ: عبد الحميد بن باديس، بلوكة العلي، توفيق المني، الحبيب العلي، البشير الإبراهيمي.

وقد شكل هؤلاء الرواد لبداية من 1925، للثورة الأولى لما سيصبح جمعية العلماء فيما بعد. وقد أصغرت هذه الثروة الملتفة حول الشيخ بن باديس بسلطنة صحيفة المائدة ثم صحيفة الشهاب كما تصغر الشيخ للعلي بوسكرة صحيفة

الإصلاح عام 1927، قبل الانتقال إلى الجامعة والمشاركة في تأسيس نادي التروفي الذي كان ممثراً حليماً للتبر (فكر للعلماء).

وبدا توفيق المعني حياته لثقافية بقوتها (عُنتي هاجرت إليها عائلته عقب انقلابه 1871) حيث بدأ سنة 1920 في نشاط اللجنة الثورية، قبل أن يساهم في تأسيس حزب الدستور إلى جانب الشيخ عبد العزيز قنصلي الذي كان وطنياً ذة نزعة عربية إسلامية. وبسبب هذا النشاط عُود من تونس فعاد إلى الجزائر ليواصل فضله السياسي. على أساس من الالتزام لم يكن يشغره فيه دافعا نظراؤه من العلماء الحريصين على تأكيد إيملاحياتهم، والعنشق لهم قبل كل شيء بقرينة الإسلام الصحيح واللغة والثقافة العربية ومحاربة للطرفية والخرافات.

وفي ماي 1931 تأسست جمعية العلماء برئاسة بن باديس وكان من بين المؤسسين من لا يؤمن بالافتاء الإصلاحية وقد انفصلوا عنها فيما بعد.

ولد وعُنت للجمعية في مقبلة معانها تحرير الدين الإسلامي من تسلط إدارة الاحتلال، مقلية بفضل الدين من الدوفة (أسرة بالمسيحية واليهودية)، وبحرية الدعوة في المبدأ. واعتدعت في نشاطها تأسيساً على الخطابة والصحافة (مقالة في عدد من النشريات الدورية)، كما قامت بتأسيس المدارس السورة لتعليم العربية وشجعت انشاء الجمعيات⁽⁴⁾ واتواذي نشر مقومها.

شهد ابن العلمة الخجين كلوا يرفسون القوسنة الثقلية، لم يمانعوا في قبول الشغل السياسي من مشروع الامواج الحمياضي - في إطار سيادة فرنسا وفوتونها - لا يتنافى مع تحسك الشعب الجزائري بالإسلامة وقوميه، أي خصوصيته الوطنية. وقد ظل الاصلاحيون أوفياء لهذا الموقف المزدوج القائم على التمسك "بالقومية" والولاء لفرنسا في نفس الوقت. ما دام هناك بعميص أمل في ليبرالية الجمهورية الفرنسية على الأقل.

هذا الموقف القائم على تناقض خطير حفول الطميح بن باديس تلاذبه بالجوء إلى التمييز بين الجنسية والقومية. وتعني الأولى "مجمل الخصائص الاجتماعية والثقافية المميزة لمجموعة إنسانية معينة، بينما تعني الثانية للشروط المادية

والسياسية الخاصة بالمجموعة قلتها هي لحظة معددة من تاريخها. فالشيخ يقر هنا بإمكانية قيام اتحاد بين شعبين من جنسية إثنية مختلفة إذا قيل كل منهما بإخلاص وعلى قدم المساواة بالواجب المتبادلة المترتبة عن الجنسية السياسية المشتركة التي أضفتها الظروف والمصلحة المشتركة⁽⁵⁴⁾.

هذا التأويل الغسقي للقبول فتويته كإذن من خصائص الإصلاحية الجزائرية التي كانت تعتد - كتكتويكيا أو عن قناعة - أن يسلطها التأثير في السياسة الفرنسية. بواسطة المهادنة والعطف التي تحاول التوفيق بين مصلحتي الغالب والمغلوب. ولا شك أن خطأ في مثل هذا الوضع لا يمكن أن يصدر إلا عن سوء معرفة بطبيعة الاستعمار وهذاه ووسائله وعن نتائج تلبية قسمة مسراب الحلول المزينة، والمساعدة بذلك في التحول من تبعية عبثية عرقية وعسكرة من أجل التخلص من الاستعمار بالاعتماد على نفسه وقواه الذاتية.

لذلك ينبغي أن نلاحظ وأن نشاط العلماء في كان إيجابيا في المجال الديني والثقافي، فإنه لم يكن كذلك في الميدان السياسي. وسبب ذلك أن رؤيتهم للتضامن (الضمي والعملي) كانت تنسب على العاصي أكثر من المستقبل ولم تكن بالتالي تساهم في استشراف آفاق مستقبلية حقيقية.

وقد ظلت جمعية العلماء (قائمة اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939م) على نفس المواقف المتروكة بين القمراض والقولاء شلولة وبين قبول الاندماج السياسي ورفض اللجنس تارة أخرى بل والفعل أي أحيانا إلى حد الإفهار بوجود الأمة الجزائرية، كما يشهد على ذلك ردّين بلنيس على فروعيات عباس عندما نفى وجود هذه الأمة بقوله، «لقد بحثنا في العاصي والمخاض فلاحظنا أن الأمة الجزائرية موجودة، وقد تكونت عتلا تكوّن جميع لم الأرض، وهذه الأمة تاريخها الذي يشهد عليه جلائل الأعمال ووجدها وخصائصها الجمعية منها والدعوة شأن جميع الأمم في العالم. لذا نقول إن هذه الأمة ليست فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا. ولا تريد أن تكون فرنسا حتى لو واصلت الاندماج. وهذه الأمة للإقليم المسند الذي هو الجزائر في حدودها الحالية⁽⁵⁵⁾.

وكان فرحات عباس قد أكد في التوضيح الذي استرجع هذا لورد الحقول، وهو اكتشاف الأمة الجزائرية ككتف ومقيد، ولغة استحيات منك وكأنه عيب. ففرحات الذين ملأوا في سعيه مثل أعلى تحيطهم يومياً عطف من التثنية والتقدير، وليست حيالي بأعلى من حياتهم. لكن مع ذلك لن أموت من أجل وطن اسمه الجزائر، لأن هذا الوطن لا وجود له. إنني لم أكتشفه. لقد سمعت تلذيق والأحياء والأموات وزدت المقابرون لن يخبوني أحد عنه. لذا فقد استبعدت ما هنا جميع الأوهام والغرافات لتربط مصبونا إلى الأبد بالوجود الفوتوسي من هذه البلاده^(٤٥).

هبت الاختلاف حول وجود الأمة الجزائرية بين ليون صغلي التيلو الإصلاحية، لم يمنع انقلبهما مع ذلك في المثالية بالإصلاح القبيحي، وإن تباينت مقاصدهما من وراء ذلك بكل تأكيد.

إننا لا يمكن أن نذكر مساهمة جمعية العلماء الهامة في تجديد وثنية الثقافة العربية الإسلامية، وفشلها في إبطال ثور من الأصولية الدينية في الحركة الوطنية كن لها ثورها في الجماهير الشعبية. لقد أضفت على الإسلام حيوية جديدة، من خلال إعلان الحرب على النولية التي تمكن الاستعمار من تدجينها بدرجات متفاوتة، وعلى التفرقات بسفلة أنوارها. غير أن محاربة الطوقية بدون هداية لم تنم دائما بأفضل طريقة ممكنة. لأنها كانت تؤدي إلى صرغ، الاهتمام عن التمثال التوثيقي للظلم الاحتلال. فإننا كل شيوخ الزوايا طائفة بن - في معظمهم - بحق لإدانة الاحتلال. لأن جمهور المرهون لم يكن يتدخل معها بأي شكل من الأشكال. هؤلاء المرهون كانوا يشكون احتياطيا فضاليا ضعاء لم تكن من الضروري سفيرته ودفعه إلى الارتداد في أحضان المسكر العمادي^(٤٦). وهذا لم يأخذ العلماء دافعيين الاعتبار، لأن استراتيجيتهم كانت تستبعد إمكانية اللجوء إلى التمثال للمنظم للجماهير التي كانوا يعتبرونها جاهلة. ولا يمكن أن يعزى عليها أي شيء على نقيض. فهذه الجماهير في نظروهم بحاجة إلى إصلاح وإعادة تربية بالمعنى الديني حسب مفهوم الجمعية كمرحلة لا بد منها قبل كل شيء.

ولم ينتبه العلماء في هذا السياق، بشئ ثانوي للجمهورية ومشروعها
الاجتماعية وبقوتها، هو الجواب التعليم الوحد نسائاً للفرد الوطني، وكان من
الاسلم كذلك تجنب سياسة تؤدي إلى تغذية الخلافات الدينية العميقة وسط
الجمهور، نظراً للتناقض التام بين القائم على مستوى علاقات الاعتراف بالمشعب.
فالمرقبة الثوري هنا كان عكس ذلك، يقتضي إثارة الجمهور بمختلف فئاتها ضد
المستمر.

غير أن الحركة الإصلاحية سواء من خلال اتصافية المنتخبين (الوجه
الفردي) أو جمعية العلماء (الوجه القومي الإسلامي)، كانت مجردة الاتفاق
وبدون بعد تاريخي حقيقي، وقد زادت حدة هذا التخلل مع مجيء الجبهة الشعبية
والأعمال التي أدت لها لدى الطبقة السياسية الجزائرية (1936). وكان من المبرور
أن يتأمل الاصلاحيون جيداً سابقة الأمر خلفه والأمال التي كان يعلها على "تكميل
الهدوء" عام 1924 كما كان عليهم أن يستخلصوا التعبد من فشل اتحادية المنتخبين
بقيادة بن جلون وقرحات عباس، عندما ذهب وفد منها إلى باريس مطالباً بتسويق
مشروع قبولته، ولم يجد أحداً يستقبله إلا في الحكومة ولا في البرلمان بقرنتيه.
ولم تظهر استقالة (1936) من المنتخبين الأمالي في هذا السند شيئاً يذكر (يكون
معالي اتصل بالوفد منها بانتعاشات هذا المعنى، لكن الوفد أصر مع ذلك على
حضور العود الثاني رغبة في التمايز عن "المشروعين"، المعالين لفرنسا).

وجاءت زيارة وزير الداخلية ريمبي شجلوثر يومئذ لتستعنا ذلك الأمل في تحسين
احوال الجزائريين، بعد أن كان وعد على مطالب المنتخبين هو تعزيز نظام القمع
بواسطة من رسوم شهير يحمل اسمه.

الهوامش

(1) J. BERQUE, *L'Orient arabe*, p. 44, Ed. GALLIMARD, Paris, 1970.

الأهلية لا تعني اجترار المتيقن ولكن لقاء موجد مع كواكب الخلق.

(2) C. A. Jullien, *Afrique du Nord ce marche*, p. 305.

(3) U. R. AGERON, *Histoire de l'Algérie contemporaine*, p. 74.

(4) La république algérienne, n° du 26 Décembre 1948, *Journal de l'UDMA*, P. Abbès.

في رسالة نشرت في هذا العدد من الصحيفة لخطبة فيهم حزب البيان، علي عبد القادر حاج علي تأسيس نجم شمال إفريقيا سنة 1924 - 49 شروع برؤسائها في ملو لغربية 'الملتة الجديدة' سوفية كحزب الثيوري. ويرأيه أن مصملي كان يوسلا عضوا يوسلا وظل كذلك حتى سنة 1926، ولم يسلط ظهامة إلا في سنة 1928. وكان حاج علي يشكر وهو بمسئولي يربني من الثموني واستمر استثناء مسلي في ألام. ولكن من خلال هذه الرسالة يحاول بوشوح القليل من شأن مصملي، لكنه أقر بالنسبة أن هذا الأمير خلق عقيدة يصادية. وأكد علاقة مع حكمة مصملي معبرة نفسه من كعصار الأمور خالد الذي كان يرأيه علي نفس الكيف تذي لثائرة حزب البيان، محطفا أنه علي قبال مع هذا الحزب مذهبيا ونكتيا. وأتى هذه الرسالة تؤكد ما ذهبنا إليه من تغيير اتجاه النجم لقاء عن 1926 - 1927 بمسكون من مصملي.

(5) *L'histoire pour la "dunet"*, p. 31-32. publication de la bibliothèque nationale, S.N. 1973, Alger, 1974.

(6) 1917, p. 51-52.

(7) J. A. Juret, *La Révolution nationale algérienne et le P.C.F.*, t. 2, p. 241, Ed. du Contempore, 1974.

(8) كان المؤرخ يرى أن السيطرة للأشوية تروك القسوس حمر ثلثي الاستثنائية وأن القضاء علي هذه السيطرة هو الخطوة الأولى في تقوية بالمستعمرات... إلخ. ولا تميز الصناعة المنظمة لتحقيق تلك مساعدة الحركة لومنية فيوجولارية الأهلية، لكن مساعدة البروليتاريا العمالية نفسها كي تفتح طريقها. وبالحق هذا من نظرية 'الانصاف' لتفضل تسميها الوقح الوطني فتمثل في الجمهير الشعبية كحروية أيضا والتي لا يبر عنها سمطلح البروليتاريا تمام القصور.

ظلت هذه الجمعية طوال سنة كاملة بعيداً عن نشاط سياسي، لكن ابتداء من 1926 تحوَّلت إلى حركة سياسية حقيقية بقيادة بكتيغور من رئيسها الجديد (حاج سميلي) وهو نائب جزائري يبلغ من العمر 28 سنة.

Document : "Le problème algérien - Le gouvernement national algérien", p11.

(14) L'École par la parole, 1937, CIT, p33.

(15) Bulletin communiste n° 3 du 18 janvier 1924, p93-96.

(16) Dans les cahiers du Bolchevisme n° 7 de janvier 1925.

لقد في هذه الوثيقة تصور الخاتي لحزبه لتتبع على قنوس، هذه كسب الحزب الشيوعي بتأييد الأسير خاله وكذلك برنامج سطحي لديمقراطية، مما يكاد يعادل من لصالح بلوكوا الذين أهدبت اجتماعاتهم فنتيجة أو تسليمة تعرف منذ تلك الحين نجاحا كبيرا. كما نجد أيضا: أن عصبا من البروجوارية المتفلسفة (دعائية) كان شروبا.

(17) Cahiers du Bolchevisme, n° spécial de mai 1932 sur la violence vengée du P.C.F., p72-75

الآن لكن البروليتاريا موجودة ككلية إلا في البلدان التي بلغت مرحلة الإنتاج الرأسمالي، (19) بالغ في تقدير مفهوم الرعي الطبقي على حساب اتبعي الطبقي. فالوعي الطبقي في مجتمع الدولة الوطنية المستقلة الرأسمالية يتم على أساس العلاقات الاندماجية القائمة على السيطرة والاستغلال اللطخين. وتكون عملية في هذه الحالة عملية الصراع الطبقي. أما في المجتمع المعزوم من تولقة الوضعية من جراء الثورة والاستقلال الاستعماري فالوعي الوطني هو الذي يبرز ويكون لعملية التحول الديمقراطي والاستقلال والاندماج الوطني الموضوعات أيضا منبثقين ومن ثمة تتولد منها حساسية سطحية من الوسط العمالي.

(20) J. Jurquet, La révolution algérienne : le parti communiste, OP, CIT, p290-291.

(21) تعتبر حقبة مولتن غاريب في هذا الصدد مثالا من هذا النوع من الممارسات كما كتب بحق مالكيم روجيوسون: فكان مولتن سوشان غاريب والشيوعيين فتكرو سنة 1918 تغييرا من راسي. إذ لم يكونوا يزعمون في القول بخور قوة الإنقاذ لحركة برونيثارية لورية بها كانت وجاهتها. فالتورة كان ينبغي أن تشملهم هم أيضا ويقتفروا ثمارها

بالطريقة التي يفترونها وليس بالصيغة التي يفرضها الأخ الأكبر السهل في التبرؤين تاريا
ثرونية والتي يقع في استعروضه لرحته الأثرية.

(Voir essai sur le monde arabe, p386, Ed Seuil, 1972.)

(22) A. ABDELMALEK, le capitalisme du capital (lire à part), p279, Mouton, Paris.

(23) I. BIERQUE, l'Ordre social, p46-47, OP. CIT.

(24) A. ABDELMALEK, la dialectique sociale, p358-356-360, Ed du Seuil, Paris, 1972.

(25) Les nouvelles présentations de Khaled Paganon, p196, Ed "l'Al" Mouton, Paris, 1965.

بلد نبحث للوجودية حيث تمت جميع الإمكانيات وجميع التناقضات للعالمية
المرحمة ومثلها لحدث ثوب إلى شحنة أخصمت البلدان لبرية ونصف
المتنوعة والأم للوجودية والتاريخ إلى مزجها.

(Marcel Audebert, manifeste communiste, 1917, p339).

وذهب مؤرخ إلى حد القول بأن أسيا لم يولد ثورة اجتماعية حقيقية بحز الاستعمار
البريطاني الهند. (الوجودية هي الأنظمة القليلة .. والظلمة في أسيا لم يولد ثورة اجتماعية حقيقية .. التي
تصلح أسوار الصين جميعها ويستلم لها أكثر لبرية متقدمة ومعدية لأهلها).

البلدان الحديثة المتقدمة للصناعة والتي لا تملك بكتا حسن الفقه (ماركس) التاريخية.
ألم يملك (ماركس) للوجودية كلها أخصمت بثنى الشرق الزراعية والبرية والصحة
للمتقدمة إلى البلدان الصناعية والمتنوعة بالبرية.

(26) فيما يلي فترة من تجلر ... (The world is now volume XI, p7, 22 January 1845, p33)

قديما (Gandhi et Bhabha in L'Algérie et l'Algérie, Ed L.C.T., 1976) قال فيها: برابا
بصفة عامة لنا سعاد جدا للبشر على حد لفتنر القادة العرب. لقد كتبت مقالة الهند
سبوعا منها، ورغم أن الطريقة التي خلت بها جنوب مرسون مثل بوجو هذه الحرب
عرضة للإدانة، فإن لفتنر حثت هج وملائمة لبرية المتقدمة، وإذا كنا نملك
لكنمير الحرية، فلا ينبغي أن ننسى بأن هؤلاء توبو الصدم هم شعب من المصوص يمشي

أسسنا على عزو الآخرين وقفارة على نظري: الضرورية تنهب كل ما وقعت عليه يترك
هكذا يكل من يمتدح، مبهلة مع بيع يفة الأخرى في سوق لعينه.

(27) A. ABDELMALEK, OP. CIT., p382-383.

(28) مجموع المضاربات نظريا ضمن غولها وهيمنتها عند ما تكون في أوج قوتها وعلتها.
ولست المضاربة الفربية حلة شقة في هنا فجاء، طالما أن الاكتشافات العلمية والتقنية
تتمطيا على الصعود الاستراتيجي ومثل مسخرة معينة غشها على المستوى الدولي
بواسطة امتلاكها للمالقة في الاستعمار والإمبريالية خلسة.

(29) رغم أن الماركسية تشكل بعض التوسعية إلا أنها ظلي سماها في المنشأ الستاري
الواحد الذي تشترك به من الناحية الإيديولوجية.

(30) ملهم الحزب الشيوعي الثوري

(31) يمثل هنا التصلب في طعن الاستغنية في تقرير الدوافع والوسائل المتراكم
وعصبوية مطامح الشعوب المستعمرة. للتصود إنا ليس للتأمل عن هذه الأحزاب
والاتحاد السوفياتي لأنها تمثل في ميل الاشتراكية أو تكونها نطت إيديولوجية ملغاة
لهذه مبهلة لمري.

(32) لم تكن ها، للظلمة ظلي لهم شاق يرحلهم بهذه والبوليتو، كما أنها لم تكن الطرفا.
لأنها صيغة وعامة ودائمة كما شوى ذلك من خاتم للظلمة مثل الأحزاب الشيوعية
مثل يوحسلافيا والصين، الخ. ومن جهة أخرى كانت الممارسات التي أدت إلى هذه
الظلمة سواء في الاتحاد السوفياتي أو في البلدان الشرقية، بكونه متن حثيفة ظلت
ممكوتا عليها مدة طويلة، وعند اكتشاف حلتا للتحولية مسؤولة يروح من التسرع،
لأن حل هذه التصورات يقتضي في علم الجنس والثنائية لأنها تتنافس مع تفسير
الماركسي. وكان من نتائجها ثبوتة بون التحول الثوري الذي يحدث الأسباب الحقيقية لهذه
الانحرافات. وفي نظرنا أن هذه الأسباب لا يمكن فصلها عن تنظيم نفسه وهي ثمة
بعض الافتراضات النظرية التي رافقت ممارستها في ظروف خلفها من مخاطرها.

(33). ليس في لتحركة الوحيدة لأجروية ما يطلق الإيديولوجية التفسيرية كما يراها
لنفس أي إيديولوجية رجعية نفس لتفاح ومضمه كما تنص البنية التقليدية. ونعتبر

مجتمع ثلاثين أسي من الرأسمالية التي تشكل في رومها ظاهرة الاحتطام وتفتقر...
لذا تعد محاولة تطبيق هذه النظرية على الحركة الوحدانية من أجل قسرب لنفسية وليس من
ضرورات التحليل، طالع Lénine, quel héritage nous laisse T. T. 1, p. 93-116, Œuvres
complètes, Ed de Moscou.

(34) من المزمع أن القويّات نفسها أصبحت تفرس هذا الإزهاج في كثير من الأحيان،
بعد أن أجسد في أجهزة تكنولوجية لا تقوى قوة ضرورة غير ضرورية للتوسعية
والانحراف. وهذا ما يفسر ظاهرة التفتتية التي لم تكن لا شخصية ولا عرضية.

(35) ليست بمعنى للحضارة وتقسما: بيولوجي ومثلي: بيولوجية الانساج والحركة
الضرورية.

(36) Guy Rocher, L'encroûtement à la sociologie générale, 37, changement social, p. 17
تتمثل مفهوم الإندولوجية حسب تعريف الكاتبين وحسب: متطورة سلتا من الأفكار
والأحكام المنظمة بعلماء، تستعمل لوصف حالة جماعة أو طبقة وتفسيرها أو
تحويلها، ويستخدم أقيم المسألة استلزاما ونسبا لا تقويع ترجيح محدد للمثل المتلوي لهذه
الجماعة أو طبقتها.

(37) L'Histoire par la "bande", OP. CIT, p. 51.

(38) لم يكن عند المجموعات من استغلاليين الذين يستغلون الصعاب ويقرولونها هذا
بولد.

(39) توفيق الدنلي، حياة كفاف (مذكرات) ش. و. ط. ز. الجزء 7 رقم 687/77.

(40) Ali Meryel, L'édification musulmane en Algérie de 1925 à 1941, 121, C. A. 1, p. 117.
(41) لشهاب (جمعية علماء) عبد الول 1936.

(42) Elwan de Tunisie 1936 (organe de la Fédération des élus).

(43) لعبت الزوايا دورا هاما في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية وهي
مفومة الاحتلال كذلك. لكنها ما لبثت أن كتكت على نفسها لم تخرجت عن ماضدعا
بتأثير من إدارة الاحتلال ولذا كان يورثها قد تخلص قبل الحرب العالمية 28، قد
حافظت مع ذلك على هيكلاها وجزء من مديتها إما من 250 و 400 ألف حسب المصادق
للمختلفة)، Jellon OP. CIT.

(44) يعرف بلوشمي ترينغ شتقنيس (لوشمي كما هي: «هناك حدد من التناقضات في جملة لتطوير المعتقد لشيء أو ظاهر: من» وتتخذ واحدة منها بالضرورة طابع تناقض رئيسي يتحكم وجرده وتعود في وجود وتطور التناقضات الأخرى، لو يؤثر فيها». (M. L. 1970) *transcendence de la révélation*, Ed Jullis, Paris, 1970) هذا التناقض بالجزائر كان قائما على صعيد الحقائق، بين النظام الإيماني والتشعب الحزبي، وكانت الزوايا كثيرها من الفلوات على خلاف العلاقات الطبيعية جزءا من التناقضات الثابتة.



الفصل الثالث

الوضع بالجزائر بعد قرن من الاحتلال

هيكلية الحركة الوطنية وانقساماتها

اضطر المجتمع الجزائري إلى الانطلاق على نفسه بعمق بعد أن قرّض عليه الرضوخ بعد السلاح إلى نظام سياسي واقتصادي لا يرحبه وفي دونية اجتماعية وثقافية دائمة، غير أن ذلك لم يحل دون حفاظه على قدر من لطافة والذاكرة الجماعية ليربط حاضرهم بماضيهم، وعمّوجة الانسحاق التي أصبح يعقنهاها الشعب بلحمة يصعب تميلزها عن التعميم الطبيعي للبلاد.

ولقد سمح له ذلك بثمان هـ من الإستمرارية التاريخية والحفاظ على شخصيته، وإعداد الشروط الضرورية لنهضة مجددا إلى الساحة السياسية. وبفضل هذه المعرفة نقل المجتمع الجزائري بعد قرن من الاحتلال، يطرح بإستهارة نفس المشكلة على النظام الاستعماري لكن بصيغ جديدة وفي مجتمع المتبدلين.

ولم يكن إقتصاد البلاد سوى مشروع أجنبي، دافعه الوحيد هو الربح بواسطة استغلال شعب بكماله، طالما أنه يتي بالأأسس لفكرية الأتلية الأوروبية، والواقع أن الأيديولوجية الإستعمارية كانت منذ البداية، ترمي إلى تقليص تعداد هذا الشعب، حتى يصبح كما مهملا فيسول، تعويضه بالإستيطان الأوروبي.

لكن تجري الرياح بما لا يشتهي الإستعمار!

فشكلت للجزائريين عصبية بعل فن يتواجج، ليهبط - بعد ثلاثة من الركوب - في حدوده 1930 خمسة ملايين نسمة، بينما لم يتجاوز السكان الأوربيون مليون فرد.

غير أن هذا النمو الديموغرافي شاء له نظام الإحتلال الجائر أن يزيد بشكل خطير من فقر الأغلبية الساحقة من السكان المسلمين.

وهكذا أدى عدم التلازم بين التنمية الإقتصادية والواقع البشري إلى ظهور تمايز رئيسي لم تجد حكومة يافوس أمام خطورته سوى اللجوء إلى قمعكناك وتقديعها كسياسة جديدة. ومع ذلك كانت هذه السياسة أقرب إلى الوعود منها إلى الإنجازات التي ظلت في نظر الجزائريين حد مكوثضة.

والواقع أن الخشاش للتعليم ولولاكن محدودا جدا— قد أدى في نهاية الأمر إلى تنامي هذه المظاهرات التي أدت أخيرا بعضهم يلدو بمطالب النظام الإستعماري المارخنة بعد أن تمكن هؤلاء شيئا فشيئا من الإفلات من مراقبة إدارة الإحتلال وقد كان هؤلاء يفسرون بالمزق الذي يتخبط فيه بلدهم دون أن يتبينوا بوضوح طريق الخروج منه.

ورغم قلة عدد الانتاجات الجديدة المتعلمة باللغتين الفرنسية والعربية. ونظيرها وسط شعب. همش يعرف نمو ديموغرافيا سريعا. فقد استطاعت أن تشكل مصدر احتجاج محتمل. وزامن ذلك مع تنامي الحركة الوطنية كإفراز للواقع الجزائري، لتقدم بذلك تكتيكا قاطعا لإيديولوجية الإدماج وخرافة الجزائر الفرنسية. هذه السياسة التي ظل النظام الإستعماري يعمل لها منذ عقود. كانت في الواقع تستهدف الحفاظ على السيطرة والاستغلال.

لقد بلغت الجزائر في حدود الذكرى المئوية موجة تطورات خلالها معارضة هذه السياسة، وأصبحت تعبر عن نفسها في شكل تيارات منظمة أكثر فأكثر. وهي تيارات كانت تتمايز فيما بينها بوسائل عملها والفريق الذي تعطفها فضلا عن أهدافها السياسية والإجتماعية والإقتصادية المختلفة. وكان هذا التمايز يعكس إلى حد ما واقع التطور الإجتماعي في الجزائر، دون أن يكون مطابقا تماما للتمايز على مستوى القوى الإجتماعية المتبلدة.

وكانت البنية الإجتماعية والإقتصادية والثقافية قد عرفت هزات عميقة من جراء النمو الديموغرافي والثقفي، ونقل السكان وتوزيعهم من الأرياف إلى المدن.

فضلا عن اكتشاف الأسية بنسبة كبيرة وإثبات عدد المخطئين وظهور يروغيتوليا
زراعية ضخمة. وكانت هذه الظروف يعثية لخصائص الرئيسة للمجتمع
والمعدنة لحركته في نفس الوقت.

يبدو أن ضيق النظام الإسمعري والحجالات السياسية والإقتصادية
والاجتماعية والثقافية تبعاً لذلك لم يكن يتسع لهذه الحركة التي وجدت نفسها
مجبورة إلى تجاوز هذا الإطار غير المناسب والإفتشاح نحو فضائلها الخاصة. أي
القضاء الوطني، وأمام عدم الظاهرة لم تجد السلطات الإسمعولية من سياسة
لصناعة احتواء هذه الحركة وتحويلها عن الخط الوطني، غير وسائل للطمع وتفق
الصدوف والوعود الواهية، وبذلك وجد النظام الإسمعري نفسه في حالة دفاع رغم
الاندثار الواسع وموقعه المهيمن. في حين كانت الحركة الوطنية تتحول إلى مواقع
هجومية أكثر فأكثر. رغم ثبات شخصيتها وفائتها والنتيجة عن مرحلة الانتقال والتحول.
إن هذه الوطنية لم تكن نتاجاً مباشراً ذاتها فقط للقوى المتواجدة في الصناعة،
بل كانت ثورة تطور مزوري فمدي لملادين متزلاوين لغزتين متنافرتين، المجتمع
الإستيطاني من جهة والمجتمع الجزائري من جهة ثانية، فالمجتمع الأول كنظام
قائم بذاته كان يسير نحو منطق خاص وحركيته المتميزة، رغم إمكانات
التفاعل الطبيعي بين الممارزين، وحافظ للمجتمع الثاني من جهته رغم الهزات
المنيفة التي مرتت— على جوهر العناصر المكونة له ومعظم آليات ملغاة من
نفسه، كما حافظ على حركيته الاجتماعية المستقلة، فضلاً عن مصالحه الخاصة.
أكن فشل النظام الإسمعري في إخضاع المجتمع نهائياً لا يعني أن هذا الأخير
قد حقق بذلك نصراً أكيداً، بل أن الاعتماد هوته السياسية يبقى مرهوناً مسجلاً.
بمدى توفيقه في تحويل طاقاته ومبائحه إلى نشاط سياسي منظم، وبعبارة
أخرى يبلى مرهوناً بكفاءة القيادات المكونة للحركة الوطنية في ترجمة إمكانات
المجتمع إلى واقع وطني يأكيه قو محكن من الوفاء. وستكون هذه الكفاءة هي
الميلار الموضوعي لتعدد طبيعة هذه التشكيلات المختلفة وما يميزه. بعضها عن
بعض.

ويعد انتفاو الحركة الوطنية يعد 193٠، عن حيوية سياسية واجتماعية وثقافية متميزة، حيث راحت جميع التكتلات تدعو إلى اندماج في القوى الاجتماعية وتعبيد مواقفها واختيلفاتها أكثر ما كنز. وهي بذلك تخوض غمار أول اختبار عملي، في وضعية تمكنها من وضع مطالبها على حدة وقائع لتنظم الاستعماري من جهة، وتطلعات للشعب الجزائري المسلمة من جهة ثانية.

الإختلافات السياسية بمناسبة الذكرى للموتى

كان ظهور الشعور الوطني والحركة الوطنية يتدرج في إطار حملة من الفرائض السياسية الاجتماعية والثقافية تشكلت مجموعة لحمة للتطور رغم تفاوتها من حيث الأهمية، وفي هذا الصدد ينبغي أن نذكر أن الإحتفال بالذكرى المئوية لأزوال القواات التونسية بسيدى بارج (14 يونيو 1930) وإحتلال الجزائر العاصمة^١، فالهذخ الذي ميز تلك الإحتفالات والوسائل التي سبقت لها فضلا عن الحملة الدعائية ووضوح المطامح الإستراتيجية والمعنيت للفتاحات التي رافقتها، جعل للشعب الجزائري يشعر في أصالة بأن هو المستفيد من كل ذلك وتؤكد طابع النظام والأزراء لهذه الإحتفالات بوضوح أكثر، في إعادة تمثيل عملية الأزال بهجوم يرتدون أي ذلك المرحلة، وهي إيماء وقد من المسلمين القروالين للإحتفال بها.

لقد أدى لحياة الذكرى كمؤسسة التي كان يرد به استعراض قوة الإحتلال وديمومته .. إلى تسارع الوعي الوطني وهيكلة أكثر للفتارات نقدا في الرأي العام الجزائري، والتي تضاف استنكارها لتمثل هذه إحتفالات. وحتى أكثر الأعيان وراء لإدارة الإحتلال كانوا محرضين بالشعر السوفلي إليهم بالمناسبة، برأى بعضهم أنزعاجه ولو بطريقة منهجية. وكانت تصويحات للفتيات الكنسية بالمناسبة تشمل منها راحة الروح المستهيرة^٢.

وقد إستغلت سلطات الإحتلال بالمناسبة للإشاعة بتحابر الإسلامان وتنهزامه الكبير، وتغذدق على الأهالي مزيدة من الوعود رغم أنها لم تستجب لأكثر للمطالب

اعتداله واستنتاج الجانب الجزائري أن يتبين من تلك المناسبات إلى عدم علاقات الإحتلال بالشعب الجزائري التي كتبت ومستغل قائمة على القوة وحدهم وأن لم تكن معظم اتصالات السياسية الجزائرية فرفض النظام الاستعماري ككل، فقد أخذت ترفض شيئاً فشيئاً الفعية من جوانبه وأثره، وجاء هذا الرفض يحمل مطالب مطابقة تقريباً وأن تفاوتت حسب اختيارات كل شخصية مثل المنتخبين الإداريين أو مائتدية المنتخبين التي كانت أكثر استقلالاً عن الإدارة.

وكان رفض العلماء الطائفة على المصالحة الدينية والتنازلة بكتسي طابعاً وطنياً لاعتقادهم بوجود الأمة الجزائرية خلافاً للتشكيلات السابقة، وأن كان هذا الاعتراض لا يمتد إلى عادة النخز في القويطة السياسية التي رسمتها إدارة الإحتلال وكان نجم شمال إفريقيا (الذي أدرج في برنامجه مفهوم الأمة والإستقلال الوطني) أكثر التشكيلات وطنية وجذرية وأرضية في نفس الوقت.

وبدأت في تلك الفترة بالناتات العلاقات السياسية والإجتماعية التي تعتمد مبدأ إتمام الجماهير الشعبية في معركة، عما أن النجاح التلقائي لإحتلال المنعك في سيطرته الكاملة على ميامين السياسية والإقتصادية وثلاثية أصبح محل رفض متزايد - وأن كان متفاوتاً - من جميع التيارات السياسية الجزائرية. لكن هذه التيارات ظلت تعمل في إطار السياسة الفرنسية مع ذلك، باستثناء نعم شمال إفريقيا الذي كان ينادي بالإستقلال.

«المنتخبون الإداريون»

يتميز هؤلاء المنتخبون¹⁴ بكون وجودهم السياسي تابعاً مباشرة إلى إدارة الإحتلال، وكانوا يمثلون أكثر الخدم من الأمالي طاعة، والذين يدعونهم ما كان لسلطات الإحتلال أن تسيطر على السكان وفرض مراقبتها الفعلية عليهم.

ولتوضيح مواقف هؤلاء المنتخبين تقدم بعض الأمثلة عن البصريحات التي أدلوا بها بمناسبة احتفالات المئوية فالمصطفى أيلدي، كوا خليفة متلا كان يردد لأجند كل ما من شأنه أن يثير أو يحفز ضاعف للمعلم من ذكرى أو ظاهرة

لاستهما تمثيل عملية الأفعال بمعدي فوج - وكان ينبغي للذكوى المشوية برأيه... أن تركز بصفة نهائية الوثائق لتناج والتعاون الكفيل في ظل الصراحة والوفاء...

ويحتاج المستشرق الهندي بن لوياني بقوة على التذكير بعملية الأفعال، لكنه يلطف من احتجاجه بقوله: «لقد تعاليت منذ القرون ستة أجيال لم تعد لتكر صحت، لكن هناك من يريد أن يذبح بأذهانه بقوة سميت» في تشوة إلى روح المقارمة والشارد لدى الجماهير والتي يمكن لاستقالات الذكوى المشوية أن تعيها من جديد.

وصرح حاجي حمو وهو من الأعيان «المجاهدين» (معلم) بأسم معلمي المساجد قائلا: «من حقنا الآن أن نهيج وندعم الله أتدعي أنعم علينا بالمساعدة بأن أرسل إلينا هؤلاء الرجال الذين هم اليوم مسجوننا وأغرفنا» لانتقادنا من الجهل هي ذلك اليوم الوبهيج 14 يودير 1630 - وصرح الهندية بوعزيز بن ذكة بدورهم قائلا: «لوهرف المعلمين منذ 1030 الفرنسيين لاستقبلوا - نورد بنديهم - الوردية».

مثل هذه التصريحات تبين درجة الخطر والعدونية التي كان عليها أحوال الإدارة ومساعدوها، وفي خضم هذا التجميد للإستعمار لم يثنه أحد إلى أهمية مساهمة الأهالي التي بدورهم ماكان للفتنجات المصيبة أن تتحقق.

وسمع ذلك كانت الذكوى المشوية فرصة هؤلاء الملتصقين كي يلاحظوا أن الحكام الفرنسيين لم يقرأ بوعزيزهم وغمواهم ومن ثمة راحوا يحاولون عبثاً التذكير بعطائهم الأهالي مثل:

— نشر التعليم بالفرنسية والتعريبية.

— المساهمة في الخدمة العسكرية (الخدمة الوطنية - الأجرة - التقاعد - الخ).

— المساهمة في جميع الوظائف المدنية والعسكرية تطبيق مبدأ نفس الآخر لنفس العمل.

— الحرية الكاملة والسفر إلى فرنسا وإلى الخارج نسوة ببقية المواطنين.

— تطبيق القوانين الاجتماعية وقوانين المساعدة العمومية.

— التخفيف من تشدد لوائح القوانين المتعلقة بالجنسية.

— الإلغاء التام والمطلق للحبس الإداري وحقيقي من قانون الأجنبي المطبق من قبل قضاة مسلم (كانت الحكومة قد أغتت مقتزاع من الوالي العام صلاحيات الحكام المحليين).

— رفع نسبة تمثيل الأجنبي في المجالس المنتخبة إلى 25٪ مع إشراكهم في انتخاب رئيس الجمهورية المغربية.

— تمثيل الأجنبي في البرلمان المغربي^{٢٤} كما عهد للمطالب المبحوثة جدا، كل من المنتخبين ينضمون في سبيل تحقيقها دون أن يكون لهم تلكه بسبب معوضة المستوطنين وطمحة سلطات بلديات (١٩٢٩م).

وقد ظلت الحياة السياسية (المسموح بها للأجانب) محصورة في نطاق الإحتجاج، حتى أن بعض النشطاء الفرنسيين على غرار ديوليت^{٢٥} وإلى عام بالجزائر من 1926 إلى 1929). كانوا يرون في تلك السياسة الوسيلة الوحيدة لتحقيق المطالب الوطنية في العهد.

وعلى هذا الأساس كانوا يتكلمون بالإحتجاج النقابي أثناء الجزائريين المنعزلة من قدماء المحاربين والشرايح المستعملة أو خدم الإحتلال ليصبحوا مواطنين فرنسيين باسم معنى الكلمة.

ومعها كانت دوافع أنصار هذه السياسة، فإن فصل هذه الفئة عن الشعب، لا يستهدف غير شخصيته والذيل من شخصيته وتعزير استقلاله كما إن ذلك.

فتح للمواطنة الفرنسية في تلك الإحتفاح بالأحوال الشخصية الإسلامية، فكانت بداية توسيع هذه الفئة الاجتماعية السياسية ودعم ارتباطها بمسئولياتها الوجودية الفرنسية^{٢٦}.

والعلاوة أن هذه الفئة كانت تستخدم كثورة للتخفيف بمطالب النظام القائم من الداخل دون أن يؤدي ذلك إلى إعامة للنظر فيه، بل أن دورها يهدف أبعد من ذلك إلى صرف الشعب عن المطالب الوطنية. ومنه من تصور حلول لمشكلة الحورية خارج

الإطار الاستعماري. مع العلم أن هذا النظام كشف على مدى مئة سنة عن عجزه التام في التكفل بمصالح الأهالي. وحسباً عن فتك أن هذه السياسة التي ما انفكت جهات معبقة تدعو لها منذ قانون «سيناتوس» - كونسولت⁽¹⁾ عام 1865 - لم تكن سوى وجهة لخطية المشروع الاستعماري. وحتى عند ما يظهر بعض السياسة من ذوي النوايا الصنعة بين الفئة والأخرى هاجم سرعان ما يصطدمون بعداء المستوطنين، وبإثلامه أو بابتكار الاستعماري المهيمن على الرأي العام بفرنسا. لكل ذلك، كانت الجزائر بمثابة كذكري كمنوبة تبدو كمنودج لمستعمرة مثالية. لقد كانت متزال حاضراً ثلوثين والمزجيات الاستثنائية. رغم أنها مكونة من ثلاث عمالات فرنسية حسب القانون. القانون الأهالي القمعي مثل ساري المظول، وكذلك الهيئة الثلاثية العامة⁽²⁾ التي أقيمت في بداية الإحتلال لكنها أقيمت في بداية الإحتلال لضرورة طعوب لكنها استقرت تواكب جميع الأنظمة المتعاقبة، وبكفي إلقاء ثلثة سرعة على أكثر المطالب اعتدلاً (مطالب المتطهين الإندونيس) لاكتشاف أشكال من التمييز والامساواة في جميع المجالات، التعليم، الخدمة العسكرية، الوظائف، حرية السفر إلى فرنسا والطرح، القوانين الإجتماعية، المسألة العمومية إتح.

رغم يكن تمثيل الأهالي في المجالس المنتخبة يتجاوز 5/2 رغم تفوقهم العددي. فضلاً عن عدم لشرائهم في إنشغال رئيس المعلومات المالية⁽³⁾ ولا في الخطاب البرلمان الفرنسي.

وربما هذه الوضعية غريبة جداً. بالنظر إلى مضمون سياسة الانصاح، وأن كان هذا المفهوم العارض يستهدف في حقيقته ومنذ البداية، استيعاب السكان الأهالي أو القضاء عليهم نهائياً⁽⁴⁾.

سياسة الأمانج والأصلحية وتعبئة الجماهير

لم تكن سياسة الانصاح سوى قلة سيطرة واستغلال وقد استخاضت لمجارية الهوية الوطنية للشعب الجزائري من خلال التلويح بوعود بشار «المنجية

الفرنسية عبر يوايه المساواة في الحقوق، غير أن التمييزين الجزائريين لم يحصلوا قدا على نفس الحقوق الممنوحة للفرنسيين. يستثناء قدا قليلة من المقننين لمنين قايضوا تلك بالتخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي، ذي نكروا انتمهم للإسلام وقطعوا ميولهم بجمعهم الأصلي الذي أصبح يعتبرهم من العرثين.

طبعاً كانت الفهارات الجزائرية القليلة والإدماج تعرض على الجنس وتداخل في سبيل الحفاظ على قانون الأحوال الشخصية الإسلامي. وقد كانت ترى في الإدماج السياسي - سواء عن قناعة أو لأصباب تكتيكية - وسيلة للحصول على حقوق مواطنيها شريجيًا وتحسين ظروف معيشتهم بذلك. وعلى ضوء هذه السياسة فإن أحسن طريق لتحسين أحوال الناس هو طريق المراحل المتتالية والمطالب التي لا تعرض مع المعصب الرسمي للحركة الفرنسية ولا تلتفت في الوجود الفرنسي بالجزائر.

وكما سبقنا الإشارة فإن العلماء ^{لقد} لم يكونوا يرون أي تناقض بين الجنسية الثقافية الجزائرية والإدماج السياسي في المجتمع الفرنسي (المحمول على المواطن الفرنسي).

وكانوا يعتقدون في حوار أنفسهم، أن الشعب الجزائري يمكنه بعد الحفاظ على هويته الثقافية - أن يحقق تنويعاً نوعاً من الإصلاحات النظرية ومعنى ذلك أنهم يدرجون سياساتهم ضمن الإستراتيجيات الإستعمارية، لأنهم يتخلون عن مطلب جوهرية (الحق في وجود سياسي وطني) يدور أي مقابلة حقيقية وهكذا تظل السلطة الإستعمارية الماسكة بجميع وسائل العمل والجزاء صيدة الموقت على الدوام.

أن سياسة الإدماج سواء كانت عن قناعة أو مجرد تكتيك تؤدي إلى طريق مسدود، وهي بذلك تدمر خاطفة في كافة الأوضاعيتين وإذا كان هذا الجانب لا يظهر بوضوح على الصعيد النظري فإنه لا يمكن تحقيب على مستوى الممارسة، وهناك

مظهر سلبي آخر في الأسلاحية، يتمثل في فتاعة تصورات غريبة تبدو في نظر الرأي العام كحلوق ممكنة، مساهمة بذلك في إثبات الأوهام وتأخير الوعي بالمشاكل الحقيقية موضوعية.

هذه الحالة الخفية كانت هي كغالبية في الطفلة السياسية الجزائرية التي كانت - في غياب تنظيم وطني قوي - حثالة تلوس تنوعا على جزء هام من الرأي العام الذي كان يتغير أساسا من أيولوجية التغييرات الإصلاحية، ولم يكن حينئذ يستشرف مستقبل بوضوح. وفي عفا الصياق من الطبيعي أن تظل للعواشيع التي تدارلها الديارات الأسلاحية، وشعاراتها السياسية والاجتماعية محدودة بالضرورة، لذا كان من الممكن أن تصبح تعبئة الجماهير واقتصادها لساحة النشاط في التحدث وراء أهداف ثانوية، وفي كانت هذه التعبئة جد إيجابية في تلك المرحلة، أن تعبئة الجماهير وتحديد أهداف للنفس والتفاعل بين مختلف العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية. كل ذلك من شأنه أن يهيئ الشروط المواتية لبعاد حركية جديرة بالثقة.

و الواقع أن الأزمة بومند كانت سياسية واقتصادية اجتماعية في آن واحد، من ثمة كانت تزيد من سيطرة الظروف السلبية للجماهير الشعبية، فداد كان الناسون للفقر، وعمل الأجنبي والتمن وصالح التجار يكون تحت وطأة الاستغلال وكانوا يمشلون في الوقت ذاته لفككتات الأزمة الاقتصادية العالمية.

وقد نال الجزائريون لفكرة طويلة خلوخ لتفليمت تحت وحة أبواب العمل، خلافا لمنظورهم الأوروبيين الذين كانت هذه التغيرات تدفع عن مصالحهم، وقد شرع في تنظيم العمال الجزائريين بفرنسا وبلجياتا. بفضل الكونغرس العالمية للعمال المرحمين، للواليات للحزب الشيوعي الفرنسي، وتكفلت هذه النقابة - بحكم طابعها الملزم - بمصالح العمال الجزائريين على نحو أكمل من النقابات الأخرى مثل الكونغرس العالمية الفرنسية للعمال، والكتاتلية للعمال (الموالية للحزب - الاشتراكي)، فقد كلفت هذه النقابة ترحم شعارات الحزب الشيوعي حول

استقلال الجزائر، تلك الخطوات التي كانت من الممكن أن تساعد في استقطاب اهتمام الجزائريين.

وكانت معظم الثيورات السياسية وتجهت بشكل إيجابي على الخصوص، فذهب الجزائريين في الإنخراط في هذه النقطة التي كثر لها موقف متحيز في أسراريات 1927 و 1929 بالجزائر العلمية. وقد طلع المختوبون الجزائريون في المؤتمر السادس للكونغرس العالمية المصعد بماليس سنة 1931، عن أهمية البروليتاريا الجزائرية ونفها كاحتياطي ثوري. وبالتالي ضرورة تأسيس منظمة مركزية جزائرية

وفي 1 مايو 1932 خرجت الكونفدرالية العامة للعمال بالتحركات النكبة ضد الحرب الامبريالية والنظام الرأسمالي، من أجل الثورة العالمية ومجلس السوفيات، بحيا استقلال الجزائر، وكان الهدف من ذلك إدماع البروليتاريا الجزائرية في استراتيجيتها الثورية العلمية. غير أن تلك الخطوات لم تكن تنسحق تمام الإنطباع على الوضع بالجزائر.

وكان شعار الإستهلال الذي سبق أن انتشر في العام بالمواظاة مع شعار الإدماء، وجاءت الأزمة الاقتصادية وماتهم عليها من بطلنة، لتزيد من إقبال العمال على التماسك في الكونفدرالية

هذا التنظيم الذي كانت الأغلبية الساحقة من أطرافها أوروبية. لم يكن يجمع في صفوفه غير عدد قليل من المشرقيين الجزائريين فقد كان عددهم 3467 من مجموع 31421 عضو. ورغم مشاركة العمال الجزائريين أكثر فأكثر في الحركات الاجتماعية والإضرابات، فإن ثورتهم ونشاطهم الخاصة لم تكن تؤخذ بعين الإعتبار دائما، فالتفاهت التي كانت قاعدتها وقيلبتها من الأوروبيين أساسا، كانت تعيد - شبيبا - إلى توجيه الحركات الاجتماعية حسب انشغالات الأغلبية ومصلحتها الخاصة.

هذه النتائج لم تكن تمنع العمال الجزائريين من التجاوب مع المشغلات الاجتماعية الاقتصادية التي تهم أعمالهم، وقد أبدوا في بداية نشاطهم

الاجتماعي^(٢٢)، استعداداً اقتصادياً كبيراً في العمال بنسب من ظروف الحياة والعمل، وإذا كان عددهم قليلاً نسبياً قياساً بعدد المصوتين بالجزائر (وعند المندوبين أيضاً)، فمرد تلك مواقف على من الإحالة والقيام بالعمل القسرية جداً تجاه الجزائريين، وكان هذا القمع أعنف ما يكون أثناء الحملات التي تضع المندوبين والانتخابات، على أساس تهمة التشويش ومعاودة فرنسا.

لم يكن للعمل الجزائريين - منسجمة العديد من أشكال التمييز والمعتقلين استغلالاً مفرطاً، وإن وسائل كالأية للتفاح عن مصطلحهم، لاسيما أن البطالة المزمنة كانت تخيم على الجزائر غير أن هذه المواقف المختلفة لم تكن تمنع تطور الحركات الاجتماعية شيئاً طويلاً مماثلاً مع ارتداد وعي العمال وأربابهم في الفضائل، لقد فتحت الحركة القلاحية - رغم هذه التناقضات إضافة جديدة أمام العمل الجزائريين الذين تمكنوا في ظلها من الإعتكاف بمذاهب العمل العنصرية، وأصبحوا يشكلون قوة اجتماعية لها وونها في الحركة الوطنية.

وشهدت الفترة ما بين 1930 و1936 العديد من الإضرابات والمظاهرات ذات الطابع الاجتماعي والتي كانت كثيراً ما تتخذ من المظاهرات السياسية، فقد سجل لا 28 أضراب بمشاركة 69523 مضمون (من بينها 220 أنبوب ومشاركة 52845 مضمون خلال 1936 وبعدها). وفام بهذه الأضرابات المنقولون وعمال البناء والمهاجم المنحدرين في ثلثيات مواجهة بالعمد خاصة، ولكن عدد الأصوات أقل في الزراعة، ولم تظهر إلا سنة 1936 حين سجلت عشرة أضرابات في عمالة تستعملية بمشاركة 2433 مضمون.

أمام هذا القليلان السياسي الذي تلقته مطلق التنظيمات المنظمة والنضال ضد القمع، حاولت سلطات الاحتلال أن تحطم الإنطلاقة الشعبية الواعدة، لكن هذه المحاولة لم تفعل أكثر من تصعيد التوتر الداخلي، فقد اتخذت الحكومة يهدف التصدي إلى هذا الغيلين أجراءات للحد من حرية الصحافة والإجتماع ومنع الدعوة في المساجد^(٢٣). ولكن هذا الإجراء الأخير يستهدف للعلماء خاصة، بعد أن أصبح نشاطهم مبعث قلق للاستعمار ومن ولاء من المصلين للمحتفظين.

لقد شجع حركتي الخبز جزائري بعد منع الشيخ العظمي من الدعوة في المصعيد الكبير للتعهد بهذا الإجراء، فطاعت الشرطة والجيش بتفريقهم بعنف، وكلنت الحملة المذهنية للجزائريين قد جعلت إلى الغرض، لا سيما عقب الجولة التي قام بها الشيخ بن باديس عزو الجزائريين فلكه فاصبحوا لا يتحملون تدخل الإدارة المباشر في الشؤون الدينية، وهكذا بدأت موجة الاستجابة تتزايد في عموم البلاد وهي العن الكبرى بوجه خاص.

ولأثبت هذا المناخ لن نعتمد - صلبا - على رجال الدين من اتباع الادلة، فاصبحوا عرضة للشبهات القلبية والمساخنة ويشعل إليهم بالقمع العنيفة. وقد اتسع هذا القلبن أكثر عام 1934، وحصد ذلك الاحتدام لمواجهة بين المسلمين واليهود بفرنسا وانعكاساتها بالجزائر.

ولم بعد المسلمين يتوددون في التعجب عن مطالبهم واحتجاجهم، ولمشاركة في مختلف المظاهرات إلى جانب القوى اليسارية، فقد ضم الاستمراض المناهض للفاشية (12 فبراير 1934) بشوارع العاصمة (حزبي 50 ط) ولم يكن هذا الاستمراض مبادرة من التنظيمات الأوروبية وحدها رغم القنفي بنشيد الأهمية وتوحيد شعار «تحيا (محاسن) السوفييتية» إذ شارك فيه الرمنيون السرازيون بشعاراتهم الخاصة ودعوا الرابة الوطنية.

والواقع أن مناخنا نجم شعاع أفريقيا، نشوء الفصح المسلطة على هذا التنظيم خاصة، لم يكن أمامهم من سهول في معظم الأحيان عبر التحالف مع منظمات اليسار والإمام في مظاهرات مع شجع وشجيرة الأمة بباريس، فتم عليه في إطار سرية) وكانت سلطات الاحتلال تحاول باستمرار التقليل من أهمية المظاهرات ذات الطابع الوطني ومن شعارات خاصة.

ومن جهة أخرى، كان القمع المتزايد من جراء المصادقة على منشور ميشال - بقرار من اللجنة الوزارية لشؤون المسلمين - يواجه بمعلومة شعبية داخل البلاد، فقد نعد كل من الشيخ بن باديس والدكتور بن جلول في قبة لجنة إمام أكثر من عشرة آلاف شخص بـ «العس بالحويات القينية والحويات الديمقراطية».

وبعدنا أدى القودر المذكور (إلقاء الصحافة، وقض رقابة أمنية على المصاحف، غلق مدون، التعليم بالعربية) إلى تفجير موجة من الغضب فقد نظامه خلال شهر مايو 1944، أكثر من 60 ألف عامل عبر 12 مدينة كبرى في الجزائر. وفي نهاية نفس الشهر تجمع 15 ألف شخص بقسنطينة، وفي شهر يوليو أُضرب 11 ألف عامل بوهان ليلة أسبوع⁹⁰.

وتسجل هذه الحركة الشعبية التي لم يسبق لها مثيل بالجزائر، نهاية الإستسلام وأطلاق سراح حاكم لثوقت. لولا الحزب القاطن قذافي، علما أن هذه الحركة لم تكن منظمة تماما، ومن شدة الفتن التي تولد عنها لم يكن بمأمن من أي عمل عسكري أزي احتلال تجاوزها رغم أن مطالب الحركة ظلت معصورة في نطاق سياسة الأماج.

وحسب الإستراتيجية فعلا خلال الأحداث التي عرفت قسنطينة من 7 إلى 5 أوت 1944⁹¹.

فقد وقعت - الأسباب - بسيطة - عمليات بين الطائفة اليهودية والسكان المسلمين أدت إلى مقتل 27 شخصا (4 من المسلمين و 23 من اليهود). والملاحظ أن قوات الأمن التي هربتنا على التحرك في الوقت المناسب لم تتدخل للفصل بين الطائفتين إلا بعد ظهر 5 أوت. أي بعد أن حدث ما حدث.

وقد جعل هذا التفسير البعض يعتقد أن الإدارة شجعت مسؤولية تلك المذبحة القاسية، إذ ربما حاولت صوغ إستياء المسلمين نحو الطائفة اليهودية وإستغلال تلك المذبحة لنزع بذور الغناء بين الطائفتين.

هذه الأحداث أثارت إستياء جميع القويوات الجزائرية والمنظمات اليسارية، ولم تتوان بعض التنظيمات على غرار نجم شمال إفريقيا والحزب الشيوعي في تحصيل الإدارة مسؤولية ما حدث بعد أن رأيت في تلك المذبحة تصعد والترويج بالخطر لأعلي المهملين، والفرح بذلك تشديد القمع السياسي.

وثنيين أحداث قسطنطينة، موجة الغضب الفاجع لأبعد للمحاليين والأحرار من هذه السلطات وأدت ثلوج بقمع أشد كما يؤكد كذلك مبرر شؤون الأهالي أمام المندوبيات المالية (7 نوفمبر 1934) : «د فن الحظوظ على الأمن هو أول مظاهر (السياسة الخاصة بالأهالي). ولعمها وأكثرها استعجالا».

وقد أصبح معظم الرعسميين الفرنسيين يتعاضدون قلبيون في التورود المقيمة إلى المسلمين يعانمينة الذكرى السنوية على تأسيس أول إصلاحات 1919 هي أقصر ما يمكن تقديمه، وحضر وزير الداخلية وينتهي أمام مجلس الشيوخ بعد جولة تفقدية بالجزائر، لا بد من احترام المصلحة، موضحا أن فرنسا لن تعود في المستقبل القوة «عند الضرورة».

وفي نفس السياق كان ممثلو المستوطنين يحضرون على مزيد من الصرامة والاستعمال الذي يشفي الموضع ويشرف الطبيب».

وفي 26 مارس 1935، أصدرت الحكومة مرسوما جعل أسم ديني الشهير. بهذا الطريق لاكثر أشكال التمتع بمسألة، وكان ترسانة التمتع للجامعة لم تكن كافية، وفي نفس الوقت تم تعزيز قوات الأمن، بعد الإصلاحات المنتظرة.

وقد كشفت هذه السياسة الطمينة الساقطة في التبدل حدود النشاط الأصلي (لم تكن المطالبة السياسية الجزائرية كلها تتبين هذه الحقيقة بوضوح)، لكنها مع ذلك لم تفت في هزيمة الحركة المثلثة والإحتجاجية، وكان من نتائجها لتلرب القوى الاجتماعية السياسية من أوروباين ومسلمين من مختلف الإنتماءات، شعربهم، اشتراكيين، ليبراليين، وطنيين (فهم شمال إفريقيا)، علماء، منخبين.

لقد وقعت هذه القوى بمقاومة ضد التمتع، دون أن يؤدى ذلك إلى الإثقال دائما بينها حول أهداف سياسة مشتركة.

وأبرمت المنظمات القيسارية (الأوروبية) بالجزائر، عهدا مشتركا على غرار نظيراتها بفرنسا - التي يعاقبها في هذا المضمار - تعهد بمقتضاء بـ «تعبية الفئات الكادحة ضد فئور الأهالي ومصلحة - القولتين والحريات الديمقراطية؛ حرية

للمصلحة والإجتماع وحماية أخلاق المسلمين وعاملتهم وتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة بالجزائر، ومعارضة لمشروع بالمولاسيم، والضغط عن المنظمات النقابية والفعالات الإجتماعية.

ويبدو المحتوى الإسلامي لهذا العهد واضحاً إذ لم يكن يتضمن أية إشارة إلى المسألة الوطنية، فقد كان يعكس بالأساس ضرورة وحدة العمل بين تشكيليتين من اليسار الفرنسي والشيوعي للجهة الشعبية، وكان لحزب الشيوعي يومئذ قد أخذ يفكر سياسياً، وتعمل بذلك كواجهة عن شعور استقلال الجزائر، وقد تسبب له ذلك في بعض المشاكل الداخلية، إذ عارض بعض مناضليه مثل فير هذا التراجع بقوة، وغالوا على موقفهم هذه الغلبة العزيمو اللامن للحزب.^(٥٥)

غير أن هذا التغيير لم يكن له نتائج محسوسة على الصعيد الوطني الإجتماعي. فاستثمرت حالة اللاتجان في التوسع عبر العديد من المنظمات والإطاريقات التي شملت الجزائر كلها.

وبعد أن عجزت سلطات الاحتلال عن وقف نشاط الحركة الشعبية الواسعة، حاولت تغيير سياساتها بتعيين وال عام جديد (الربو). كان عليه أن يعالج الأصول التي طرقتها بالنسبة الأهلية.

لكن أحداث الحول المتلاحمة والتهديدات والعنف المسترطنين الجذرية، والتخريب الذي كانت تمارسه الأفرقة بالجزائر. كل ذلك لم يترك كبير أمل في أي تصوير حدي للسياسة الإستعمارية.

لقد سبق أن وصفنا باختصار نشاط وتنشور الحركة الإجتماعية السياسية الشعبية ما بين 1930 - 1936، وهي الفترة التي تميزت على الخصوص بظهور النقابات والمنظمات الإسلامية التوسعية، وكان تطور الوضع بمرئها مقابل تلك، قد تجسد في تأسيس الجهة الشعبية، ووصولها إلى حكم معد تشريعات 23 أبريل - 3 مايو 1936. وقد حدث هذا الحدث بصيصاً من أمل في الأوساط السياسية والندنية والمساو الفرنسية، ما عدا أن تبلور في مشروع الأمانج.

وطي هذا العنق، ينتقد نجم شمال إفريقيا بشعار الاستقلال الذي تخطى عنه الحزب الشيوعي، ولم يكن له أي أثر في التبرع بالإصلاحية، لذا سنتابع تطور نهضة هذه المنظمة التي سبقتها بقوة ما شيئا فشيئا بشكل حلسم داخل الحركة الوطنية.

مسار نجم شمال إفريقيا ضمن الحركة الوطنية

إذا كان دور نجم شمال إفريقيا لا يبرز بوضوح من خلال الوصف السريع للحركة بالجزائر، فليسبب في ذلك أن هذه الحركة تعرضت للقمع منذ نشأتها، وواجهت معضلات في تنظيم قواعدها داخل البلاد. فقد كان نشاطها في البداية يتحصر في دوائر المهاجرين المغاربة بفرنسا، وذلك من حيث كونها في مؤتمر بروكسل العناضل للأميرالية (25 نواير 1927). وقد بذل مسؤول الحركة الحاج مصالي ومناضلون آخرون معه جهودا مضنية لترديد نطاق نشاطهم بتنظيم المنهج من المبرجات من جهة، وتكثيف الاتصالات مع أحزاب اليسار الفرنسي من جهة ثانية.

ولقي شعار الاستقلال حدى طمعا وسط عمال شمال إفريقيا. فسلخوا إلى الإضرابات جماعيا في النجم. وهكذا تم إنشاء ففسات الأولى سواء بباريس وضواحيها أو في أهم المدن الداخلية. ومبرحت الحكومة بالرد على توسع هذه الحركة الصغيرة في نظرها بتشجيع المراتبة على عمال شمال إفريقيا، ثم بحل النجم سنة 1929. ودعوى أن برنامجه بشكل مسلحا بالسيادة الفرنسية في أفريقيا الشمالية وللاعتاق على قرار الحد كجا النجم إلى اعتماد تسمية جديدة، «نجم شمال إفريقيا المسجل» الذي ساهم في التمكن لتتار القوي. فهاثيا وسط الهجرة، لكن تولجده بالجزائر وبالغرب عامة قل يستطع بالمعهد من العطببات. فالتعبية الثاقبة على لسان العمال المهاجرين. فملائين إلى البلاد. لم تكن كافية للتصليح بالنشاط الصاري في فرنسا. فكانت لثا لابه من يعث فيلو قوي في الرأي العام، يستند على تنظيم النجم بالجزائر. وهذه العرض تم إنشاء صحيفة «الامة» عام

1930، بنية تمكين النخبة من عبور البحر المتوسط والانتقال داخل البلاد، وقد أدى
بت الأيديولوجية القومية الحديثة وسمت بالثورة الشعبية.

فقد كان لمصحف الأمة كبير الأثر. بإصدارها أول صحيفة جزائرية تعبر جواً
عن المصالح الحقيقية للشعب الجزائري⁴³ فنشرت اللجنة الأولى لمصاعدة
المصحف والدفاع عنها، كما سارعوا لتطوعوا إلى التكفل بتوزيعها. وبفضل هذا
الطرح أخذ التيار الوطني ينمو بسرعة وتجدد ذلك في ظهور العديد من القسامات،
وهكذا أخذ النشاط الفصلي الوطني، ينتظم بطريقة تعيد للفكر في الأكثر
والسلوكات للسياسة يومئذ.

فقد اغتلت النخبة مناسبات الذكرى الثمينة لحدث حيلة للتدريج بالإستمرار في
المنابر. وفرض مصابي أثناء إجتماع عام بتوجيه مذكورة إلى عصيا الأمم، تولدت
المزامم القومية والسياسة الأنواء على عقيلة التوضيح.

وتم توزيع هذه المذكرة علم، بكتاب جامع. بفضل صحيفة الأمة التي أصبحت
هجرة وصل ليس بوزن الهجرة وتجزأت بحسبها بل أكثر من ذلك بين مختلف أنحاء
البلاد ذاتها. وقد ساهمت بذلك في نمو فكرة الإستقلال في أوساط الشعب، إلى
جانب السياسة الأهلية الأممية.

وإذا لم تؤد المصحف في أغلبية مختلفين الذين لم يسلطوا عن تحفظهم بعد، فقد
أثرت على الأقل في جزء من الشعبية المتعلمة. ووقت المصحف انتقل سوياً إلى
أولع بحبها من 12 ألف نسخة عام 1932 إلى 44 ألفاً عام 1934⁴⁴.

أخذ التيار الوطني ينمو بانتظام في جميع الأوساط. وعلى سبيل المثال، تناول
كلمة مغدي زكريا عضو نجم شمال أفريقيا ليشيد بفكرة الإستقلال الوطني في
المؤتمر الثاني للثنية المسلمين بشمال أفريقيا للمنعد بالجزيرة سنة 1932 وإمام
فجاء النجم والسمعة المنزلية التي اكتسبها. دور فادته وضع يؤرخ مقاسم
لوضعية الجديدة (إضافة إلى منعه الأصلي الداعي إلى إستقلال شمال أفريقيا
كلها). وتم ذلك فعلاً، خلال جمعية عامة انعقدت في 28 ماي 1933 بـ 44 مشروع

بروطانيا، صلاحت بالاجماع على المشروع الذي قدم باسم الفرع الجزائري للنجم
(في مرحلة النجم المجيد).

وقد شرع المعنضون الوطنيون هي تنظيم وتنظيم الحركة بطريقته متهجية،
فضلا عن تنظيم التظاهرات الجماهيرية. وفي هذا الصدد شارك النجم في
المنظمات المتنافسة للفتاوى بباريس في ٢٠ فبراير ١٩٣٤ إلى جانب المنظمات
الديمقراطية، وكان يومئذ يتأخر بالتصديق مع الأطباء (أول تقرير مؤلفهم) عند
مشروع قبوله الرامي إلى منح للمواعدة كفرنسية ليعضد آلاف من الجزائريين.

وبذلك النجم اتجما ضمنا بباريس (في ٢٥ يونيو ١٩٣٤)، في إطار حركة
الإحتجاج على قسامة بالحموية الدينية وقبول منح العلماء من الدعوة بالمساجد،
والد من هذا النجم، لكن منظمه تجاهلوا الفروقات مع ذلك. وكان ذلك درية
لبنين جملة من الطمع، تمثلت في مدافعة مسائل الفانية وأهتقال العديد من
العناضلين الذين دعشوا بمحافظات الشرطة للتشويق والتضرب.

وفي مطلع نوفمبر ١٩٣٤، أعتقل الحاج مصالي وثلة كل من عمال أمعاش
وبلقاسم راجف، وحكم عليهم بالسجن ستة أشهر، وبغرامة قدرها ٥٠٠٠ فرنك
بتهمة أعادة تأسيس جمعية محذورة وثلا ذلك حضر النجم من جديد، لكنه راسل
نخاطه بأمر الإتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا.

ومثل مصالي مرة أخرى بعد الأذواج عنه أمام محاكم أميان وليون... لكن موجه
القمع لم توقف نشاط النجم الذي شارك في حملة التتديد بالفرق الأبطلي لأشويها
(١٩٣٥)، وكان مصالي عضو في وفد للشعبي^{١٥٦} (التيبة الشعبية لاحقا) الذي
كلف بالإحتجاج على هذا الفزولدى عصبة الأمم.

وفي نفس السنة شارك بجنيف في المؤتمر الإسلامي الأوروبي إلى جانب شكيب
أريسلان وجميل مريم باقي ورواض الصالح الشخصيات البارزة في حركة التحرير
العربي الإسلامي.

وفي 16 أبريل 1935 صدر عن محكمة الاستئناف حكم يعترف بالطلاق غير القانوني لحل للنجم (1929) واعتقال مصالي للذي استرجع بذلك حريته ابتداء من فاتح مايو الموالي. لكنه مالبث أن أُدين من جديد فلجأ إلى سويسرا طيلة ستة أشهر، بينما اعتقل كل من راجف ومعهثتر.

وأثار وصول فلبية الشعبية (بفونسا) إلى الحكم أما لأغلبية كما هو معروفه وصاحب تلك بعض القاموس في الجمعية الفرنسية فقد ألقى رئيس الحكومة الجديد الأنتونكي ليون يلوم (الذي كان مصالي بجانبه في مظاهرات 6 فبراير 1934 المناهضة للعاشية) بسوءم حل للنجم وتم الطفو على مصالي في نفس الوقت. وقد استغل قادة النجم موضعية الجديدة وأجواء الحرية النسبية لتقديم عريضة مطالب لوزير الداخلية للفردسي. كما شنوا استعراضاً ضخماً بمناسبة تظاهرات 14 يوليو 1934 شارك فيه 40 ألف من شمال أفريقيا كانوا يرددون شعارات بتعزيز شمال، أفريقيا وسوريا والعالم العربي.

وعندما كان المظاهرات برهوتية هذه الشعارات ثلاث وألها سوريا وشمال أفريقيا خلفاً أمام عربدهم، مما ألقى على ظهوره ذلك اليوم جز من العماس النصارى. وقد كشفت تلك المظاهرات حقيرة النجم على نعمتنا الضامير حول التمرارات التي تدليها.

وكان تأثير هذا المظنم في أرضنا الهجوة يتزايد بشكل لم يسبق له نظير، وكانت سمعته تكبر بالمقابل لدى جميع شتات الشعوب المستعمرة المتواجدة بفرونسا. وقد ساء ذلك في أقامة تنسيق وثيق لاسيما في أوت 1935، بعد إنشاء لجنة من التجمع وكل من المستور الجديد (فونس) والعمل المراكشي.

وكان لهذا التنظيم من جهة أخرى علاقات وطيدة بمظنمات أخرى، مثل لجنة العفر للهند الصينية والشموب المستعمرة، والولطة السورية لحرق الإنسان، وجمعية استقلال إثيوبية واتحاد العمال الفزرج إلخ.. وكان كثير ما يقدم مساعدات ثمينة لهذه المظنمات.

وقد عرفت النجم خلال تلك الفترة، رغم القمع، لجمة التي تضللتها توسعا، صار بعقضاء حزيا حقيقيا، غير أن مركز هذا الحزب كان ما يزال وسط الهجرة بفرنسا، ومن ثمة خطر احتمال تجزؤه من القساعات المعوية التي بدأت تظهر بسرعة في الجزائر، وكان على النجم نتيجة ذلك أن يسارع في معالجة مشكلة التنظيم والإستراتيجية، في مواجهة الحركة الإصلاحية التي كانت تحاول جر الشعب وراء مشروع قبولته.

أن التطويق إلى جوانب من العقول التي اعتبرت مبعيل النجم منذ نشأته إلى هاية 1936، يسمح بالكشف عن الأسباب التي حالت دون انتشاره بالجزائر منذ بدايته باعتباره أول تنظيم يطالب بالإستقلال الوطني، ويجعلنا نميل إلى تفسير ماحدث عن تأخر كما فعل القمعيين بماءلين اثنين: قوة الحركة الإصلاحية من جهة وضغط مدني شعبي للإستقلال لدى الرأي العام من جهة ثانية.

والواقع أن القمع يؤثر فعلا في مجرى نمو التنظيمات الواعنة للنظام القائم. وهذا التأخير يكون أقوى في تلك المرحلة التي يكسبها خابها جزريا كما هو حال النجم، ويصاحبه التأخير على هذا الجانب لما سيكون له من تأثير في مؤثرين أقوى بون مطالبته، فبما أن الحركة الوطنية فقد كان على النجم أن أن يهذل مجهودات أكبر وتضحيات أجسام، ويؤثر على توجه القوى من الإلزام، لضمان وجوده أولا وتغيير موازن القوى لصالحه بعد ذلك.

فهذه الحركة واجهت على مدى عترة سنوات تقريبا مصاعب داخلية، فضلا عما كان يتعرض له ضابطها للرؤوسيون من قمع واعتقال، وفرجع عند المصاعب إلى مصدر نشأتها ناته، كما سبق الإشارة في الفصل السابق، وإلى الظروف الموضوعية التي أثرت في تكوينه فقد كان عليها أن تجد يقدر لا يستهان به لتطوير نضالها في سبيل الإستقلال والحفاظ على إستراتيجيتها النظامية والتأكدية والإستراتيجية تجاه المنظمات الفرنسية اليسارية، مع الحرص على مواصلة القتال في الضروري في نفس الوقت، مما الميقل يفسر إلى حد ما تباطؤ

النجم في تنظيم صفوفه وشجنيذ عدد كافة من المتمصلين المتمولين الطابرين على الاصطلاح يعمل سياسي على قدر من الأهمية بقرينة فعالة، ولاشك أنه من الصعب تقديم أرقام دقيقة حول مناضلي النجم وتزايد عددهم، ومع ذلك لا بأس من ذكر بعضها على سبيل الاستدلال. يقدّر عدد المنضمين في النجم بـ 3000 سنة 1927، وبـ 4000 سنة 1929. غير أن مقياس الاتصال ثم تكن تلوثر في هؤلاء جميعاً، فالمناضلون حصر، فقد المنضمين كانوا أقلية، تعبر على نوايا المنظمة واستمرار نشاطاتها، وكان بعضهم أعضاء في نفس الوقت في تشكيلات يسارية مثل الحزب الشيوعي أو النقابات والجمعيات الاجتماعية للمستعمر.

ويبدو أن لادوانية الانتماء (النجم - الحزب الشيوعي) طرحت على الإجماع العام المنعقد في 28 مايو 1933، فتمت الموافقة بمنعها مستقبلاً.

وهكذا تلوح النجم لتنظيم صفوفه ليزداد نفوذه شيئاً فشيئاً في أوساط البويرة، كما تبين ذلك منفرقة على تنظيم العمال لاسيما خلال مظاهرات 1934.

وبعد سنة أصبح الهيكل القاعدي بالفرنسا يتركز على سبع أقسام، وارتفع عدد المنضمين في نهاية أكتوبر 1936 حسب معيار النجم إلى 11 ألف منظم، وبلغ عدد الأقسام بالقراب الجزائري 30 موزعة بين أهم المدن مثل العاصمة والبلدية والمدن الصناعية وعناية وسكيكدة ونلمسان وورغان ومستغانم إلخ... فضلاً عن عدد من الخلايا بالمدن الأخرى وبالقرى، ويمكن النجم من الانتشار بالجزائر أصبح في صميم الحدث السياسي، لهذا فإن شروطه لتنشيط السياسي كانت أصعب، وكان صعود الجبهة الشعبية بالفرنسا بمثابة المنعصر. وقد أسهل النجم ذلك ليميد تنظيمه هناك الباطنية بعمق، لضمان تكيفها مع المهام الجديدة ومتطلب الكفاح الوطني.

ويكتسي هذا الكفاح أهمية قصوى لأنه كان يمثل هدف تحويل حركة وعظية رافعة شحات تأثير الأملايين إلى قوة وطنية مؤوية وكان النجم يوفر على عدد من الأوراق المهمة، تسمح له بقيادة الحركة الشعبية، بعد أن انضجته تجربة أكثر من عقد من الاتصال الفعيل، واستطاع تنظيم صفوفه داخل للكوادر الوطني على أساس

برنامجاً النوري، وكانت الحركة الشعبية تؤمن بحرية للتضليل بسبب سياسة
التهورات الإسلامية والأفراط في الأمل المحقة على الحكومة الفرنسية الجديدة
وقدرتها على تلبية مطالبها.

انقسامات الحركة الوطنية:

المؤتمر الإسلامي الأول: مولف لتشكيلات قومية

لقد توارثت للحركة القومية شروطاً متداخلة أحدثت تغيراً مداخلاً، مثل
تنامي الحركة الشعبية على انحدار الإجماعي والسياسي والثقافي، واتساع
النشاط المطالب، وتعزيز الحركات السياسية ورموز شعبية الشعبية إلى الحكم
بفرنسا، لكن بكل الاستفادة من هذا الطرف المتناهي، انشأت كل من جمعية
العلماء والهادية المنتمين وراء حماس شعبية الشعبية. واتبع عن ذلك انضمامها
إلى صفاء الذهب المتأخرة، جامعة لجميع التطلعات، مقابل بعض الحقوق لديها
وحدوداً من سواها. لقد وضع هؤلاء الجماعة الوطنية على الرافعة بأمل تحقيق
مطالبهم ضمن الإطار الفرنسي غير كهنين براتب الجور السياسي.

في مثل، هذه الأجزاء القديمة، فقدت هذه التشكيلات المؤتمر الإسلامي الأول
وذلك في 1 يونيو 1936 بمشاورات معظم التطلعات السياسية الجزئية، ماعدا نجم
شعالي أفريقيا الذي كان يطالب بالاستقلال معاً بذلك مختلف أشكال الأدماج
وقد حاول ممثلو التجم تلبية المشرفين عليه بعرايب سياستهم، وظلوا الكلمة
بالمناخية، لكنهم حوّلوا من القاعدة بمساعدة التبعيات.

ولم يكن اتصال التجم وهدم في رفض الأفعال التي رسمها الأصليون
لأنفسهم، لهذا توفيق المندبي المعضو لجوز في جمعية العلماء، يحاول من جهته
اقناع ابن باديس، ولادة الاحامية المنتخبين بأهواء مسحة وطنية على مطلب هذا
المؤتمر الأول من نوعه.

عنا الحسبي لم يجد الصدى المتأخر، فحصل صلحبه التخليب عن المؤتمر بالسفر
إلى تونس، وحتى لا يفسر لغيره كثر من الخلافات ثم لتوصل مع المنظمات إلى حل

وسطاء يغطي هذا الغياب بسجة امتلاء المحتى إلى حزب يغطي هذا الغياب بسجة انتماء المعنى إلى حزب الدستور. وحرصه لتلك على عدم التدخل في «تقاسم بين جزائريين»¹⁷⁴.

ويقدم هنا المؤتمر في معظم الأحيان على أنه حدث إيجابي، لكنه في الواقع كان مؤتمراً محدومين وفرة ضئيلة أخرى. إذ لم يناقش المشركون فيه أية مسألة جوهرية، وقد توجت أشغالها بعد مباحثات من التقاسم في مواضيع بعيدة عن مصالح الشعب الجزائري، بالمصادفة على ميثاق بأسماء المصلحين الجزائريين وبأشياء لجنة تنفيذية للسهر على تطبيقه وفيما يلي محتوى هذا الميثاق:

3 - الحاق جميع القوانين الإستثنائية

2 - إلحاق الجزائريين بفرنسا الحاقاً كاملاً. مع إلغاء المؤسسات الخاصة (من مدوبيات محلية وبلديات سطلمة وولاية عامة).

3 - إلحاق على القوانين الأحوال الشخصية وإعادة تنظيم الإدارة البلدية المسلمة أكثر طائفية والتسجماً مع روح الشريعة الإسلامية (تفنين الشريعة).

4 - فصل الدين الإسلامي عن الدولة.

* تطبيق جميع القوانين المستوحاة من هذا تفكيراً إلخ...

* إلغاء جميع القوانين المتعلقة بالعلماء العروبية والتي تميل إلى اعتبارها لغة أجنبية.

5 - حرية تعلم اللغة العروبية وحرية التعبير للمصحفة العروبية.

* المطالب الاجتماعي، التعليم الأجيالي لجميع الأطفال، مخطط للبناءات المدرسية، توحيد التعليم للأرمني والأهلي. تنمية صناديق البشارة لجميع الفئات من البطالين.

* المطالب الاقتصادية: نفس الأجر لنفس العمل نفس الرتبة لنفس الإستحقاق، توزيع المساعدة التي تقدمها العروبية للجزائرية على كل من الفلاحة والتجارة

والصناعة التقليدية توزيعاً ذاتية وبحدود تميز بقاء على الأصل، إنشاء تعاونيات ومراكز لتكوين الفلاحين، وقف عمكية حجز الممتلكات توزيع المشاريع الكبيرة غير المعتمدة على صغار الفلاحين وعمل للزراعة الغاء قانون الغلات.

٦ - المطالب السياسية: المغر عن جميع كتبة السياسية هيئة انتخابية واحدة لجميع الناخبين.

الافتراح العام، التمثيل في البرلمان (الفرنسي) ^{١٢٦} وكان للمؤتمرون يعتقدون أن الحاق الجزائر بفرنسا مباشرة والهيئة الانتخابية الواحدة (لناخبين من المسلمين وفرنسيين)، يمكن أن يعمل للجزائريين نفس المستوى مع الأوروبيين بالهزارة، في إطار المواطنة الفرنسية فالطالبة بالأدماج السياسي مع الإحتفاظ بقانون الأحوال الشخصية، يمكن أن يجعل من الجزائريين فرنسيين بامت معنى الكلمة، ليصبحوا بذلك في نفس الدرجة من حيث التلوث مع الأوروبيين الذين عائلوا يهزروب سيمثلهم بضمائم الوجود الفرنسي ويمكن للمساواة في الحقوق بين الثلاثين أن تجسد في مساواة فعلية بين مواطنين دولة واحدة أيذنا بزوال النظام الاستعماري.

ولتعزيز هذه السياسة الجزائية، كان المؤتمرون يطمحون بإمكانية للجزء في حالة الفصل إلى طريق أكثر جنسية.

وبصرف النظر عن التماثل والتفسيرات والتاكتيك المتبع، فقد كانوا سطلين في مبهمة الاستعمار، وكثرت هذه السياسة توفي ظهورها لمطلب وطني حقيقي، بإشاعة الوهم والمفوض بدل تنمية الوعي الوطني بالتنوع يكن الشعب ليس خاضعا للحرر، كان مجره محاولة لأبيهم للجماهير كشمعية بشرعية سياسة انهزامية يلزم معنى الكلمة والغرابة أن يرى بشجاول والتمانية المططرين في مشروع الميثاق تجسيدا لمطالبهم، فلما أنهم كانوا يمثلون يستمرار يحقوق المواطن الفرنسي، رافضين فكرة الوطنية ذاتها، لكن من حقا في تستغوي مشيكة الحزب الشيوعي الجزائري (الذي يزعم أنه حزب غوري) في تلك المسرحية.

ويعني تلك بكل بساطة، أن هذه الحزب ظل منذ تأسيسه كحزب جزائري وفيما لحظ الحزب الشيوعي الفرنسي، حوصلا على تطبيق ميثاقه تحت إشراف «معلمين فرنسيين»، وكان الحزب الشيوعي الفرنسي قد شروح منذ سنوات في مراجعة مهامه إلى أن انسقط شعور الإستقلال من قاموسه نهائيا وبهذا أجهد نفسه في التحليل والشروح القوامية، فهو كل ذلك يظل غير كاف لتغطية خيانتة أمواقه الكسابة.

ذلك أنه من الصعب منطقيته الدفاع عن موقفه بقلب بالإسراع، بينما كان في الأمام القريب بجملة راية الإستقلال^{١٢٤}

وهي قبل العلماء بميثاق المؤتمرون تناقض كبير، لا تكاد مواقفهم المبدئية على أصولية عربية إسلامية أبعد ما تكون عن المقامعد الحليكية، سياسة الأدماج، وقد إنداد، فموقفهم بهذا القول وهو أنهم يتبنون سياسة الأدماج ويتبنون هي نفس الوقت من وجود الأمة كجزائرية وعن الإستقلال، وكذلك على تلك ملجاء على لسان ابن باديس، الاستقلال حق طبيعي لكل شعب على هذه الأرض، وبهذا على الجزائر باستقلال وأصبح ويمكن نؤمنا عندئذ أن تحول عليها كأمة حرة، وهذا هو الإستقلال في نظره، وليس استقلال ندم والحد، كما يفسره المحرمون من طغمة «الاستقلال» هنا يمكن تحقيقه مع مرور الزمن بالاعتماد على إرادة فرنسا^{١٢٥}.

لأن إرادة فرنسا هي التي تجعل من الجزائر مقاطعة فرنسية بصفة نهائية، ولم يكن مشروع بلوم «فيوليت بعني غير ذلك في نظر أكثر السياسيين الفرنسيين وضوحا، وقد كتب المؤرخ شه. أ. جوليان في هذا المسجده أن مشروع بلوم «فيوليت كان أضمن عتبة أمام الوطنية، بل أمام الوحدة العربية بواسطة إقامة فاصل من «الفرنسية بين تونس والمغرب» وقد أجمع المستوطنون على إفضال نص كان من الممكن أن يجدر فيه خلاصهم^{١٢٦}.

ويضيف ش.ر. أجزون في نفس الإثبات قائلًا: وهذا المحصول على المواثيق العامة، كان من وجهة النظر الفرنسية. فتخرج حاجز أعام الوطنية، كما يشير إلى ذلك تقرير لاغروزيليل.^(٣٧)

وقد كان نجم شمال أفريقيا على حق عندما رجع سهام نقده بعد بضعة أشهر نحو حكومة بلوم، بعد أن كشفت عن وجهها الحقيقي «كمتصرف وفي كل شؤون الأسبانية»، وكان يتهم هذه الحكومة بأنها أصبحت أكثر أميريالية من سلطاتها، كما كان يتهم الحزب الشيوعي بأنه «انتقل من الأممية إلى اللوطنية الاستعمارية». إن موقف النجم الشهيد في التنبؤ بميثاق المؤتمر الإسلامي كانت منطوقها على الأقل، ويعبر عن جرأة سياسية كبيرة ورؤية واضحة بكل تأكيد.

وبناء على ذلك سنناقش ما سألوه جملة واحدة على «سياسة الإدماج ودعائها» وما زاد في سمعة النجم في لوساطة التمهيد. على حساب الإصلاحين الذين بدأ إشباعهم يتراجع شيئًا فشيئًا. ■

وقد أرسل المؤتمر وفد إلى باريس برئاسة بن جلول لتقديم عيال إلى القادة الفرنسيين، فاستقبله ليون بلوم وفيرلوت وبي. موش. واستمعوا إلى أمثالته. لكن بعد تبادل الآراء في مسائل شتى عاد دون أن يحصل من الحكومة.^(٣٨) على تصديقات ثابتة، ساعدت بعض الإجراءات مثل التراجع عن المسألة أو المنع من المسلمين المواطنين، وإعلان العدو وإخلاء قانون الأعلي، وتطبيق الإجراءات الاجتماعية المسخرة بفرنسا (السيرج) لا سقمه فحظ المندوبة، تنظيم النقابات بطرق قانونية) ولم تكن هذه الإجراءات متنوعة وثقة فوفرات أخرى. باستثناء يعطى المشاريع القانونية قليلة الأهمية أو ذات الطابع القمعي مثل إنشاء شرطة دولة في بعض بلديات الجزائر.

هذه النتائج الهزيلة لم تمنع الوفد من وصف مهمته بالفاتحة جدا وبفضل هذا العوض استقبله عروته بحماس تعبى من طرف قسم من الشريحة المتعلمة من السكان، أما الجماعات الشعبية فلم تكن تشعر بأنها معنية حقًا، دون أن يعني

ذلك لأنها غير موحدة بالإتحادات السياسية والإقليمية والثقافية، فقد كانت تحس بدرجات متفاوتة الوضوح، وأن مطالعها الحقيقية لا تجد كبير مدى وسط الفعلة المحفزة حول مطالب المؤتمر.

تجمع شمال إفريقيا بالجزائر مهرجان الأوث 1936

ولتخليق هذه النتائج إلى الجمهور، نظم وفد المؤتمر مهرجان بالمطبخ الهادي في العاصمة بحضور 20 ألف شخص. وقد تمكن الصالح مصالي - الذي وصل إلى الجزائر في نفس اليوم - من التأكيد في هذا الجمهور وكسبه إلى منظمته بكلمة طلقها بالمعاصرة بعد أن مضت له الفرصة بصعوبة. وأعلن مساندة تجمع شمال إفريقيا للمطالب العاجلة للوثة في ميثلق المؤتمر، عزم خواصها واهتمامها، مسجلا في هذا السند أهمية أي مطالب مهما كان ضئيلا، نظرا لحالة البؤس والافتقار المعيمة على السكان.

ومما جاء في كلمته: « انهمد عظام اسم متخلفي أمام الشيخ الموراي ابن باديس، بأن أمثال كل حافي وجميع أناس أن يهتف لمساندة هذه المطالب وخدمة القضية النبيلة التي هي قضيةنا جميعا، لتكني أعلن مساندة وفطنا للفاعل، لما جاء في الميثاق حول إلحاق بلادنا بفرنسا وتمثيل سكانها في برلمانها.

فإذا كان اليوم ملحقة إدارية بفرنسا ونابعة لسلطتها المركزية، فذلك متجذرة لمزج هدف متبوع بالجنال عسكري، يرتكز بحالة على الجيش التاسع عشر. دون أن يوافق الشعب قط على هذا الإلحاق، بينما نجد الميثاق يطالب بالإلحاق طوعية، بإسم مؤتمر يفترض فيه تمثيل الشعب الجزائري بالإجماع، هناك إذا فرق هرهري بين إلحاق مترواح عذبة، وإلحاق تدعى به عن طيب خاطر، كما جاء في مؤتمر 7 يونيو بالجزائر (الذي ختم أشغال في 2 ساعت).

نحن أيضا من أبناء الشعب الجزائري، لكن لا نقبل لهذا أن تحقق بلادنا ببلد آخر رغم إرادتنا، أننا لا نريد دهن مستقبل للشعب الجزائري وأسله في كتمر الوطني بنية نريفة كلنته، فهذا المستقبل لعلة بين أيدي القليل الغلام، صاحب الحق الوحيد في توجيه قدره ومصيره كما يشاء.

كما أننا نرفض الشغل الجزائياتي لأكثر من سبب، لأننا نعلم أن إلغاء الصندوقية الحقة والولاية العامة، وتطبيق باقضاء برلمان جزائري منتخب بواسطة الإضراف العام دون تمييز على أساس اللون أو الدين، فهذا المولمات الوطني الجزائري الموحود يعين المكان، سيحصل لصالح الشعب ونعت مراقبه قلمية شرة.

وفي اعتقادنا أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لتمكين الشعب الجزائري من التعبير عن نفسه بحرية وصراحة، بعيداً عن أي تضيق أو تلاعب إدارية.

لقد سمعت قبل قليل إلى الخطباء الذين سيقولون، أن حكومة الجبهة الشعبية استبدلتهم بكثير من الإحترام والحفاوة، ولأريد هنا أن أباش أو أقتل من شأن الاستقبال وأجرائه، لكن يودي أن أول على الشعب الجزائري أن يتل بلفظ، فلا يكفي إرسال وفد قديم عريضة مطالب كما لا ينبغي أن نضيق كثيراً بحفاوة الاستقبالات.

فالمطالب، في جميع الأحوال لا يمكن أن نتحقق من تلقاء نفسها، أيها الإخوان لا ينبغي أن نعتقد بأننا أنجزنا المهمة ونلبي طنام مله جلودنا، لأننا مللنا في بداية المشوار¹⁵.

وبما في ختام خطابه إلى تنظيم المسفرة والإكتاف الجماعري حول نجم شمال أفريقيا، الذي سيقدمهم في طريق الإنتماء حسب قوله،

وقد جعل خطاب مصالي نفساً جديدة وقوية حازمة وأفكاراً واضحة حول المسئلة الجزائرية، كالمصا بذلك تفتاض وتودد وتكتيك التيارات انسياسية الأخرى وكثرها العلوية على الشعب الجزائري.

للي هذا الخطاب- تجاربا قويا لدى الجمهور الذي صفق له جويلا، تعبيرا عن مسالده لسياسة تحريرية وقوة لدور وقلة آخرين بجولة استحوقت ثلاثة أشهر، جابروا خلالها مختلف أنحاء الجزائر يعقدون الاجتماعات والمهرجانات.

وقد استقطبت هذه الجولة فتصلو كثيرين، انقروا في القسمات الناشئة بالمدن خاصة، وهكذا تمكن التجم من تنظيم سيقده بالجزائر، حيث لاام مناضلو

ببساطة فليقر في تلك الدعوة إلى شحول تحريكهم قولاً وكتابة. وقد آت اجتماعهم الشعبية والشعبية في ذلك نهجا متعززا وتغلا جديدا في تحقيق مطلبها الحقيقية.

فاخذت سمعة انصار المزدحم ومبتلى مطالبه في التراجع، تلك المحمة التي كسبوها في جو من الغموض، واصبحوا يتأيدون بنوع من التوجس تنامي للتيار الطوري، دون أن يروا في ذلك عيبا هوهم إلى انتعاشي عن مطلب تعكس نهضة إصلاحية تجاوزها الزمن. وجاء التفتيش للعنقي محمود بن دالي (المدعو كحول) خادما الأندلس من طوب المدمر مكاشفة. في الوقت المناسب ليملي على المعتدلين مزيداً من الانطواء. بعد اتهام الشيخ العنقي لمقداد العلماء بتدبير هذا الاغتيال واعتقاله (تتضح فيها بعد أن كان بويضا والرج عنه بعد أن أعلن ولاءه للإدارة).

عجز الجبهة الشعبية - الفصح

عرفت البلاد حدة من التفتيش لشعبه سموي الألفة الاقتصادية والإجتماعية وإنشطار البطالة على نطاق واسع. وكثرت تلك الاضرابات والمظاهرات العمالية التي كانت أحيانا تتحول إلى صدامات مع الشرطة مما أدى إلى سقوط خمسة قتلى بين عمال المناجم المضربين والتكويج في شرق الجزائر⁽¹⁷⁾.

وأخذت الجماعات الشعبية تفكك أكثر فأكثر في النظام السياسي والتفاهي وهيا بمصالحها الخاصة. بعد أن ساهم النشاط الوطني لنجم شمال أفريقيا في فصل مشايخها عن انتماءات العائلات الأوروبية.

وقد أخرج هذا الوهم التفرقات المتمثلة. كما أحوج الإدارة والتنظيمات الأوروبية التي كانت تحاول جذب الجماعات الجزائرية لخدمة لمبادئها الخاصة، وتزيد تعلق الجماعات بالشعارات التي وقعها فنجم في أكتوبر 1936. وهي، بالله الشعب الجزائري نظم نفسك إننا نود أن تعيش وتنتصر⁽¹⁸⁾.

ومن جهة أخرى لم تتمكن حكومة الجبهة الشعبية من تمرير الإصلاحات الواردة في مشروع يوم - فيوليت والتي وعدت بها جامعة المؤتمر الإسلامي الذين دى فيهم الخلق بمسب. تلك رغم لفتين جمعوا دعمهم لحكومة الجبهة الشعبية - بولسطة لجنة ما بين الجماعات

وإذ انما في نفس الوقت التحريض للسياسي وعواقبه لقد رفضت الحكومة
 مبردة أمام معارضة المستوطنين واليهود بقرنصه وثلثت اتحادية رؤساء
 البلديات في الجزائر (في قبضة المستوطنين) متصرا بشل الجهاز الإداري، بينما
 ثلثت الصحافة الإستعمارية حملة واسعة ضد الإصلاحات المذكورة، بلغت حد
 التهديد بإعلان التعبئة في صفوف الأوروبيين والتخروج عن نطاق الشرعية.

وكانت اللجنة الشعبية تواجه معارضة شديدة من جهة اليمين في إطار التنافس
 على تقاسم النفوذ، فكان هذا الأخير يحاول التوسع لاحتجاءه صفقا للبهوض بينما
 كانت الجبهة تنشط لاحتجاء الأجواء والفلاحيين وعمل المناجم، وكان المستوطنون
 يسمون من صفوفهم بطلان حلتهم من رسائل سياسية وصالية خسمة.

وكان من الطبيعي أن تؤثر هذه العمليات المتقاطعة في حكومة بلوم التي تدرت
 حل نجم شمال أفريقيا (في 26 يناير 1937) ¹⁰

بعد أن عجزت عن تدوير الإصلاحات المنتظرة من أصل الحزب الإسلامي،
 وهكذا قامت بدل منظمة لانتخابها سوس أن سمعتها كانت لخزائد وسمه التجماعين
 الجزائرية، بفضل سياستها السلمية رفضا متفصلا.

كل حل النجم نقطة تحول في سياسة للجبهة الشعبية، رغم اقتراحات البير
 صارق الذي أعرب عن أمته في حينه «دولة جزائرية بالجزائر» ورد ابن باديس
 الرافض للإدماج (الكامل) هذه المرة، هذا ماثيره لدن الجزائريين أنتصار حزب
 الحرية تونينا، نريد أن نصبح الجزائر محمية، أي دولة بعقراطية تحت حماية
 فرنسية، فالأدماج لم يعد يحنيا لأنه ستميله ولأنه يفتقد شخصية كما لاثيره
 الإستقلال التام لأننا لا نملك قوة للدفاع عنه فطوطنية الجزائر ترة تمسلة ليست
 زلزالا معصرا ولا تمرضا عافيا محوشا، بل لومعة لمة تريد أن تظل هبة، حافظة
 لذكريات أجدانها عجيرة على سميتها الوطنية حريصة على تراث وأصليها، هذه
 الأمة ستمد يد للسعادة والوفاء والفتق بالجمهورية الفرنسية شريطة أن شملها
 بالمقابل يد الوفاء والصفاء ¹¹.

ليس مستبعدا أن يكون هذا الموقف والموقف من قبل ياديعي، ردا على نجاح شعور الاستقلال الذي كان اتجه يدعو له في أوساط الجماهير، علما أن النقاش السياسي الدائر على مستوى القاعدة كان يبرز شيئا فشيئا خطا موقف الأصلاحيين، لاسيما بعد أن عثت وعود الحكومة حيرا على ووقه وتأكيد انطباع الجنري، والفني في نفس الوقت لملامحة تمسحوسطين والأوساط الأمبريالية.

وهكذا نأكد شيئا فشيئا أن طريق هاتج العنصرية لا يؤدي إلى الاستقلال الذي لا يمكن بلوغه إلا عن طريق ثورة للشعب. وهناك ألفت سياسة الأعيان العظمين وشوي المواها الحوية، بترك مكانها تفريجها لسياسة الجماهير وتنظيمها ونشاطها الذاتي والهجوي.

إن المصالح العسلط على هاتج شمال أفريقيا، لم يكن يستهدف غير تدمير الثمار الذي أفرى لمكافحة الاستعمار. ركز قور من النجاعة والعمل من أجل تهيئة الشروط الضرورية للقضاء عليه نهضة، ولا يمكن تحقيق ذلك بدون العمل المنظم للشعب والحصول على استقلال حقيقي، وكان التجم يشكل بحق أداة من أدوات السياسة التي ترمي زمام المبادرة إلى الشعب. للمسؤول الوحيد من مستقبله.

ولعل أكبر خطأ وقع فيه الأصلاحيون مسمو شجب بالأوساط السياسية الساترا بفرنسا، ويمدى مشيئة طبقة اجتماعية، أو بما يحصل بين الأحزاب من حلول توافيقية، بدل ربط هذا المصير بزيادة الشعب نفسه، ولهذا لحسب وجنرا أنفسهم في هاتج، عندما قوت حكمة بلوم بعد طول تردد النطفي من مشروعها سنة 1938.

تأسيس حزب الشعب الجزائري والمشاركة في الانتخابات

بعد حل نجم شمال أفريقيا صرخ مصالي ورفاقه يقاسم حرب الشعب الجزائري (بنليصو - ياريس في 14 مارس 1937) مما يدل على أن القمع كان ليؤثر في عزيمتهم.

فالانضام في سبيل الإستقلال لم يتوقف لحظة واحدة، خلال الفاصل القصير ما بين حل النجم وتأسيس هذا الحزب الذي شغل نظر ملوك الجزيرة إلى الجزائر. الأمر الذي يكتسب أهمية كبرى بالنسبة للحركة الوطنية الجزائرية^{٥٩}. وهكذا يوحد حزب الشعب تضاماً للنجم بعد حله للمرة الثالثة.

كانت لعبة العربات السبعوقونية مفرقة جذوة نسبية، بالقدر الذي يسمح بتأسيس منظمة وطنية خلافاً للوضع السائد بالجزائر، ورغم اعتبار الجزائر أرضاً فرنسية، فقد كانت تبدو وكأنها بلد آخر تماماً، بسبب الفجوة المعروضة على تطبيق القوانين بحكم وجود قسمين وطنيين في مفاصل الحكم - فضلاً عن انتشاريهات الإستعمارية لذا كل لا بد من الإستدانة من الإنتقال القانوني النسبي بفرنسا، لتأسيس حزب للشعب الجزائري الذي مع ذلك في مأمن من القمع.

وكل من الأهمية بمكان في تلك السنوات الحاسمة (1939-1935)، سواء بالنسبة للحركة الوطنية أو للثوار الثوري (الحزب - حزب الشعب)، أن يتمكن كل منهما من التعبير عن نفسه ونشر أفكاره وتنظيم صفوفه وسط الجماهير الشعبية وكان على هذا القدر خاصة أن يتجنب التيهيش أو التهور بمظهر الأقلية، ولو كانت فاعلة، حيث تأثير التجمع من جهة ومناوأة التيارات الإصلاحية من جهة ثانية.

فالتيارات الإصلاحية المعتمدة في إطار التمرنر الإسلامي، ما انطقت بلسان - بموافقتها - على الحركة الوطنية طالما إصلاحياً حاصلاً لمرافقة السلطات الإستعمارية.

وكان خطر الإلتواء هذا يمكن في معارضة الإصلاح بمختلف أشكالها، لذا كان المتفاضلون الثوريون يولون أهمية كبرى لأوسع اتصال ممكن مع الشعب، لإقتراف مخرج آخر أكثر تطابقاً مع طموحاته. وكانت أكثر المهمات شعبة إلا هي هذا الصعد نشر شعار الإستقلال على أوسع نطاق، بهدف وضع حد للأمال الزائفة التي يمكن أن تعيقها الحركة الإصلاحية والتجربة الشعبية.

فالوفاق الموضوعي بين هاتين الحركتين كان يستهدف خلق القطار الثوري الذي يشكل حرجا لكلاهما وهو يتحدد بعمليتهما أطم التجماع، وكان لابد من التقياد بهذا النهج في جميع المفاصل السياسية.

لأن تحقيق هذا الهدف لم يكن ميسورا بواسطة انتشار الحزب للمحدود بالضرورة. ولهذا السبب اضطر قلعة كتجم (المحلول) إلى تعديل صياغة برنامج حزب الشعب الجزائري لتحتيد قوة تحت مظلة «إعادة تأسيس رابطة مطوقة».

ولكن يتميز حزب الشعب عن التجمع، فهو قائم على جدته الاشارة إلى الإبتدلال إفريقيا الشمالية من برنامجه وأن كل تنظيم الجديد يطالب بالإستقلال (بواسطة انتخاب بولسان جزائري عن طريق الإقتراع العام دون تعيين على أساس العرق أو الدين).

ويبدو هذا التوافق التكتيكي في تموضع المكتب السياسي وزع على مثل «شور سري بالجزائر العاصمة جاء فيه يمثل برنامج حزب الشعب قبل كل شيء في الفضائل العامة من أجل تحسين الحياة المعنوية والمادية للجزائريين. وهذا هو الحزب عن الشعب الجزائري بكامله. ويعمل لتكثيف جميع السكان بدون تمييز عرقي أو ديني من الإستفادة بنفس الحقوق والتدريبات مقابل أداء الواجبات المفروضة على الجميع، وشعاره «لأدماج والاندماج لكن للتفاني».

ويظهر الحزب الأسماح ضروبا من الوهم فالجزائر قوية بأكثر من 6 ملايين نسمة، يشهدون نفس اللغة ويعتقدون نفس الدين، ويعيش بينهم ماض مشترك، هائل الشعب متعلها به وفيه له. معه الجزائر لا يمكن أن تدمج أو تذوب في كيان آخر.

لكن بإمكانها أن مع هذا الكيان فالحزب ليس انفصاليا. وأن كل متعسا بحريته أكدا خلية، ذلك أن قوة الأشياء والمصالح تفرض على الشعوب أن تتحد وتتجاذف لضمان أمنها ومستقبلها والتمكن من تبادل تمل المتصاليات. (١٢)

وينبغي أن نذكر من بين المظاهر العاجلة للحزب مطلب الحرية لجميع سكان الجزائر، ولقد قاع عن صغار التجار والصناعة التقليدية والعمال وصغار الملاكين والطايع والمهن الحرة، وحسب الملاء والتقوض في التليم التجريب

وكان من المفروض أن يشجع الاعتدال الاقتصادي لحزب الشعب، جمعية العلماء وازدادت بالذات خاصة على التقرب من مصالي، لكن حدث عكس ذلك فالجمعية واتحادية المنتهزين خاصة، أصبحت تحارب أكثر من أي وقت مضى على التعاضد مع حزب الشعب، والتقرب إلى الحزب الشيوعي الذي كان يعتمد في دعوته التشهير بالحزب الوطني لأنه كان يرى فيه منفعاً خطيراً.

ذلك أن العمل التوضيحي الذي يقوم به حزب مصالي كان يكشف يوماً بعد يوم تهاقت سياسة الحزب الشيوعي الجزائري وبفضل هيبة حزب الشعب، فزاد صدى شعاراته انتشاراً بين الجماهير، وهكذا وجد الحزب الشيوعي نفسه أمام حركاء تتجاوزهم من على رؤسهم ويمتلكون مزاياه تماماً.

وكان العلماء والهادية المنتهزين والشيوعيون يملكون بحق أن حزب الشعب لم يتغير في مظهره وأن عدم برامجه مبدلاً في مظهره، ومن ثمة فإن الأسباب التي كان وراء رفضه للتحالف مع التيار الثوري متنازل فائمه، فهم لم يكونوا يدمرون التحالف، إلا على أساس برنامج أساسي وإندماجي.

هذا المنعكس كان موقوفاً من حزب الشعب الذي ظل دعماً عظمكاً بسطبه البرلماني أي الإستقلال، فقد كان يرفض الإدماج بمختلف أشكاله، واستمر في تربية مناسلين في هذا الاتجاه وتوجيه جهود نحو أعناق جيل من المقاتلين القادرين على نهدي سياسة الجمع وشحمل مايتطلبه الانضال الثوري، من التضحيات.

وكان ش. أ. بوليان الصغير المقتنع بسياسة الإدماج يجد صعوبة في فهم أسباب احتضان الشعب الجزائري لشعار الإستقلال وعزوفه عن شعار الروح الطيفية، وكتب في ذلك يوماً عن اليوتيليتارية الأهلية ببلايس ولهوره لتوقف

المطالب الاجتماعية لتترك المجال للمطالب الوطنية، وينسب لخطأه عندما يطلب مصالي باستقلال الجزائر على المدى البعيد بمساعدة قوعدة، فإنه يلتحق بالعلماء والدةستور الجديد والعمل للمراكشي. فالثوري هنا يحتفي أمام السعلة.⁽¹⁴⁾

هذا الكاتب الذي وقف بشوق ضد سياسة المستوطنين يمثل ثمة من الديمقراطية الفرنسية، لم تكن تثير القشة الجوزية بتحول عن انوائيم الفرنسية.

هذا الموقف جعل الميمس الفرنسي بشكل عام تقريبا، يسميه فهم الظاهرة الوطنية والحركات القومية لتحرير الشعوب المستعمرة منحت نوات هذا الميمس لم تكن لتتصور، التقدمه خارج هياكل السياسة الفرنسية أو من دون أيمنها مباشرة.

فالمطالب الاجتماعية لا يمكن بذلهم أن تغطي بمطلب الإستقلال، والالتزام الإسلامية، وكانوا يرفضون هذا الرضاء خاصة، رغم أنه يشكل شخصية الشعب الجزائري بأسره.

وكان نجم شمال أفريقيا تم حزب فطحت بنيتي هذه الشخصية التي بذت حقيقة طاول حزب الإستعمار وأثناء الإحتلال، ولم يكن النجم ولا حزب الشعب وحيدا في تأكيد الإنتماء إلى الواقع العربي الإسلامي، فقد كان العلماء في المطبعة على هذا الصميم وحتى المنتخبون من أمثال بن جلون وفرحات عباس كانوا يعلنون إسلامهم، وفي الواقع كان هناك تشيرون يطالبون بالحقوق الفرنسية، لكن في إطار قانون الأحوال الشخصية الإسلامية.

طريقة مصالي إذا لا يمكن تصنيفها مع العلماء (والدةستور الجديد والعمل المراكشي)، فهي منس، ذلك من تمطي الواقع العربي الإسلامي بعنا سياسية، إنما تؤكد طلبها الثوري الذي يعزها تعيوا جوهريا عن تيارات اليسار الموالية لفرنسا، مثل الحزب الشيوعي الفرنسي والإصلاحيين الجزائريين.

ولم تكن هذه الحركة رائدة على صعود المنظمة فيستغلال الجزائر وحسبه بل كانت رافدة كذلك باعتبارها حركة مسلمة لتحرير والوحدة، لذا فإن حزب الشعب يختلف عن الإسلاميين لأعلى مستوى المطلق فلهذا بل أكثر من تلك على مستوى طرق ووسائل تحقيق مطلب الشعب الجزائري.

أن مندوبي النجم عندما أكتوا على دأوة المسلمين ووحدة الإسلام، إنشاء المؤتمر الإسلامي الاقليمي المنعقد بجنيف في 12 سبتمبر 1935، إنما كانوا يعبرون بذلك عن مشاعر ملايين المسلمين الجزائريين تحت ذور قبليان الإستعمارية. طبعاً لم يكن إسلام النجم وحزب الشعب إسلام أميل، بل إسلام الجماهير الشعبية الذي يشكل دنياء وأملها في الكفاح والحياة فتحتة الجماهير شعبية لتحقيق أهدافها المقدسة بأهم القيم التي تهز أعمالها، بعد من صميم الإستراتيجية الثورية، غير أن ثورات اليسار الفرنسي لم تكن تشاغل مثل هذه النظرة فقد راح الحزب الشيوعي يحاور، يبرر موقفه الإصلاحية وقبول مشروع ملوم فيرليت الإمبراطوري، بإتهام محاسني باغلتاني، أندريو ثورية البرجوازية الصغيرة والوحدة الإسلامية، وأنه تلخر في نكح بشكيب أوسلان (الذي كان يناضل في سبيل التحرير الوطني للشعوب العربية الإسلامية ومن أجل رحلتها)، وهكذا يلتمح بصف الشخصيات والليارات اليسارية الأخرى التي كانت ترق في حركة النور العربي الإسلامي خطراً على الوجود الفرنسي.

فالذين كفوا يسيرين على نهج القومانية الصغرى هم من يملكون بالإمساك، وليس أولئك الذين يناضلون إلى جانب الجماهير من أجل الإستقلال الوطني.

ويمكن أن تؤكد على سوء التجاوب القاريكية للشعوب بأن ليس هناك بصفة عامة أي تملز بين الثورة والإسلام، فليس هناك من يمكن أن يمتنع أي مسلم، من إلهات وجوده ذاتية وموضعية في التنازل الثوري. ويتبني الإبتعاد في هذه الصدد عن الأفكار المسيحية المتراكمة حول الإسلام والقومية العربية والتعصب الإسلامية عامة، فهذه الأفكار المسيحية تخمب بجذورها في غابر الزمن وهي تجد بالغرب

مأبقيها في مختلف التيارات الفكرية (من المسيحية إلى الماركسية) وجاء الاستعمار ليضعها إلى منظومة، ويوظفها في نهاية الأمر - كما يوظفها المستوطنون - لتعجيز الشعب واستغلالها وقد وجدت هذه الأفكار في السياسة العنصرية أكثر أشكالها تطرفاً (أي اليمين والمسلطون) وتكتمل في النقطة الدورية فنزلت هذه الفجوة وحفرتها الأسلمية في تفريق مصيرها بنفسها.

وفي معرض الحديث عن تأسيس حزب الشعب الجزائري وتحدث إلى. جولياني في فترة أخرى، عن تقليد سليمان النور الذين أعينوا فنظيم أنفسهم في الحزب الاجتماعي القروسي^{١٤٠}

أن مثل هذا التعبير من شأنه أن يعمق نواها من البلية في ذهن القارئ لأنه يشبه حزب الشعب بحزب يميني فلاموز مثلاً لم يستطع التخلص من بقايا عقيدة لواء الشيك الثوري بقيادة منسقي الذي عاكف وتمسك به الاستعمارية الأوربية التي لم يستطع تسم من اليسار القروسي فنشعر منه.

أن الشيك القروي «كان ليصبح مثلاً حقيقياً لمطامح الشعب الجزائري في الاستقلال الوطني» لولا أنه لم يكن به من عقيدة الاستعمار بجميع أشكال. وقد حمل حزب الشعب شعار استقلال إفريقيا الشمالية وصل باستمرار من أجل تحقيقه، غير أنه ليس بإمكانه أن يخل في ذلك سجل الحركات الوطنية وكل من تونس والمغرب. لذلك من العمل للمراكشي والفتور الجديد استراتيجيات الوحدوية الخاصة. المستوحاة من وضعية فتورية تكتمل في نظام الحماية المقروض على كلا القطرين.

وبناء على ذلك كان قادة الحزبين يرون أن هذه الوضعية تجعل معادلة تحرير بلديهما أمراً، مثالية بوضعية الجزائر باعتبارها «أرضاً فرنسية».

ومن جهة أخرى لم تكن سياسة الاستعمار التقليدية (فرق تسد) وتكفلك سياسة الأسلاح بالجزائر غريبة عن غياب حركة «الوحدوية أصلب عرباً وأكثر توحيداً».

وضع ذلك فقد حافظ حزب الشعب مائتاً - تسوة بنجم شعالي افريقيا على
 اتصالاته بالدمشقر المحدث والمحمل المراكشمي، بهدف التلصيق بين سياسات
 الأحزاب الثلاث وترقية التضامن الطبيعي بين شعوب المنطقة، وعن الشراهد على
 تلك أحداث أبريل 1938 بقوتمس والقمع الذي سيطر على الشعب التونسي خلالها،
 فقد ندد المولنيرين الجزائريون جهنا للقمع، وكلفوا قبل ذلك قد شتوا في 20
 نوفمبر 1937 أضراباً مماننة للإضراب العام الذي قورم للمستورد الجديد.
 ويمكن القول أن التراجع التكتيكي لحزب الشعب أجلبه ظروف التكفاح الجديدة،
 والضرورة الملحة لتعبئة الجماهير للشعبية، وكانت المشاركة في العمليات
 الإنتخابية فرصة للإتصال بهذه الجماهير

الهوامش

- (1) J. Herguez, *Le Magreb sous deux gouvernements*, p. 233.
(2) *Ibid.*, p. 234.
(3) المؤتمرون الأوائل (المكنسي) المخطط بتونس في مايو 1930 مثل لسانت فوطاج لومبارد أو الإعلان الصادر عن روح المؤتمر، يتعلق «الهدف الأساسي للمؤتمر في حملة صليبية مثالية على الإسلام في إفريقيا الشمالية».
(4) لا ينبغي الخلط بين «المتدينين الجزائريين» و«المتدينين المسلمين في إندونيسيا بن جلول وزملائه مباني».
(5) M. Koudilouch, *Le vin politique à Alger*, 1978, p. 191. 194. *Alger de 1919 à 1979*, S.N.E.D.
(6) M. Vialatte Valgérie «*Le vin politique*», 1978.
(7) C. Rochet, *Le changement social*, C.J. Ed. H.M.I., Paris, p. 228, op. cit.
(8) C. Baccarini, *Musique des populations algériennes de la colonisation turque à l'indépendance*, T1, Ed. L'Asie, Paris, 1976, p. 150.
(9) ملح سناتوسي، كونسولت جيمارو في 14 يوليو 1865 سنة الوعايا الفرنسيين لكل من المسلمين واليهود، أصبح شهيداً بموجب مرسوم كرومر (1870) مواطنين فرنسيين بينما انخرطت هذه المواطنين فيها بعض المسلمين بالمعنى.
(10) M. Aguer, *Les algériens musulmans et la France (1871-1919)*, L.P.U.P., Paris 1968, p. 165.
(11) مكرس قانون 1881 بالجزائر نظاماً متدياً بئس فتون الأهالي الذي لم يلغ في سنة 1944ء.
(12) يسمح هذا القانون المستعدين وخلصت فيما بعد بمعرفة ملكة جزائرية وقعية باسم الفنانون.
(13) C. Baccarini, op. cit., p. 150.

(ينس أمر 22 يونيو 1834) (ملف الأولي) ديتولي حاكم علم القبائل العامة والإدارة العليا بالحيولات الفرنسية في أفريقيا الشمالية (أمانة الجزائر حيد).

{14} Sylva Wisner, *l'Algérie sous l'Empire*, Ed. *esperance* Marseilles, Oct. Nov, 1948, P.49-53. *Temps*, n° 9

يشتمل قانون الأسس الجديد الصادر في 19 ديسمبر 1900 المصنوع في العملية التي تصادق على التبرعات التي يقدمها لوالي فعلى كثر كمرك هيئة نقاب، منح بعض الاستثنائية للجزائر (المستوطنين)، والتخلي باحتفال عن قانون التمثيل والإدماج التشريعي التخصيص في 1854.

{11} C. Roussier, *op. cit.* p. 111.

يشتمل الإدماع هنا في تفضي المؤسسات القومية المركزية إلى الجزائر. أي تقليد الأجهزة الإدارية الفرنسية مثل سياسة. ومن خلالها تجريد الجزائر من أية سلطة أو حرية سياسية وتشجيع توسيع الاستيطان بواسطة التطرد وجنود القوميين من أملاكهم وتجميعهم في مناطق محددة كما كتب المؤلف.

{12} J. Berque in *Magazine de la culture algérienne*, 1955, p. 245-246

{13} A. Noureddine, *Nationalisme et nationalisme algérien*

{14} A. Noureddine, *La culture algérienne*, 1954, p. 203-210

{15} J. Durieux, *op. cit.* p. 202

{16} J. Durieux, *La révolution algérienne algérienne et le P.C.A.*, *op. cit.* p. 329-340

{17} لسان النجم بعد فتح الإقليم سنة 1927

{18} J. Durieux, *op. cit.* p. 100

19 انضم يوم عمل لطريقا رسمية إلى لجنة التجمع القومي التي أصبحت مقبلة الشعبية بعد ذلك، إلى جانب الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي والديمقراطي الاشتراكيين والكونغرس العامة للعلم.

{20} أحمد توفيق المدني. حياة كفاف. ج2 مصدر سابق ص 251

{21} N. Noureddine, *op. cit.* p. 85-87

{22} J. Durieux, *La révolution algérienne algérienne et le P.C.A.*, *op. cit.* p. 326 et suiv

يحدث الكتيب الخمس من الجزائر خلال 1933-1934 حول المواقف السليمة عن موقف ولحد لا يرمي سوى مشاكل اليوم لاندولية الفرنسية وحدها فضلا عن كثرات شبه الاستعمارية طالع لوبت والديمقراطيات 331-346 حول التطور الجديد في سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي ولجديد من المعلومات طالع أيضا -

nationalismes et nationalisme en algérie 1932-1962, par et pour Abdel [?] Fondation
nationale des S.C. politiques par, [?] 1965

(23) شهاب عبد البزول "يونيو 1935

(24) C.R. A. Indes, l'Afrique du nord et l'Algérie, op. cit. p. 134

(25) C. R. Algerie, histoire de l'Algérie contemporaine, op. cit. p. 90.

(26) Ali. Moudi, la Belgique et l'Algérie, op. cit. p. 134

« لقد بلغت الحركة أوجها سنة 1936 التي تلت في نفس الوقت بداية طريقها.

(27) كتب توفيق المني في مذكرات (ممدوح صفيق، ص 253) أن أحد المؤامرات يكون صرح الفداء
المؤجلة لعام الحجاج ابن بابويه التتلا: « ذكروا أن فرنسا تملك مائة

فرد عليها ابن بابويه، وأعلموا فيها الوزير أن الله مع الجزائر.

1939, op.cit. p. 340-343 (28) la vie politique en Algérie de 1919

(29) A. Nahrabi, op.cit. p. 92

(30) les journal et presse 31-01-1936.

(31) la presse algérienne, Les mouvements nationalistes algériens, brochure éditée par la
commission nationale d'organisation et de documentation du M.T.L.D. en Algérie,
S.N.L.L.C. (S.N.L.L.) Paris, P. 33

(32) A. Nahrabi op.cit. p. 50

(33) idem p. 33

(34) la presse, 10 avril 1936

(35) C.H. A. Pulver, l'Afrique du nord, op. cit. 1937

(36) idem p. 109

الفصل الرابع

الكفاح والتحولات السياسية وسياسة الانتخابات*

الحملة الانتخابية الأولى لحزب الشعب الجزائري (جوان 1937)

بعد ثلاثة أشهر من تأسيس حزب الشعب الجزائري (P.P.A.) خاض هذا الأخير أول تجربة انتخابية له في تاريخ الحركة الوطنية وبالرغم من تعميم هذا التحلل في السنوات الأخيرة، وخاتمة سنة 1936، إلا أن هذه التجربة كانت امتحاناً عسيراً للإضافة إلى تنوع الذي سيطر عليه، فإنه واجه معارضة جميع التشكيلات مثل جمعية العلماء، والجمعية القوام، والحزب الشيوعي، وفي صراع مع هذا الأخير ومع الإدارة، فإنه لم يكن يعتمد سوى على شريحة وقليل مناضليه، وكذا على دعم الجماهير الشعبية له، ولم تكن سمعته الطيبة عند هذه الجماهير، تعني الفوز السابق في ظل النظام الانتخابي القائم؛ فعند المواجهتين (هي الجزائر عامرة) لم يكن يمكن له أن ينعكس الأهمية العددية للجماهير المسلمة والمجتمعة من قبل كلشكينة وطنية، ولم يكن لدى السكان المسلمين بمدينة الجزائر وقدين يقرّب عددهم حوالي 120 ألف شخص تقريبا. سوى 3163 ناخباً؛ فكانت الانتخابات البلدية بمثابة فرصة سانحة لحزب الشعب الجزائري، كي يشارك ويصوب على الحملة الانتخابية. ولم تكن هذه الحملة شعبية مباشرة لها، بل كانت أكثر تسليسية، إلا أن دعاية المرشحين الحاضرين تجاوزت إطار انشغال البلعية، لتتعد إلى شرح المواقف السياسية من كبريات المشاكل للراية.

وقد كانت هناك ثلاث قوانين في مواجهة قلعة حزب الشعب: (1)

1. القائمة الجمهورية للمساواة السياسية والاجتماعية، وتكون من أغلب المستشارين الذين انتهت عهدهم من ثمالي، تيلو، وعشرون من الحزب الاشتراكي (S.O.E)، مع بلحاج (سكرتير المؤتمر الإسلامي). وكانت هذه القائمة تعتبر قائمة المتفجرين التي ينشطها تيار (رجال أعمال معروف)، وقد قدم المرشحون أنفسهم على أنهم ديمقراطيون ومناضلون في المؤتمر الإسلامي، وكذا أنصار ميثاق المطالب المؤتمر، ومشروع فيوليت.

2. القائمة الموحدة الشعبية، (الحزب الشيوعي الجزائري (P.C.A) والتي جمعت مستخدميه، وحفلوا الموظفين، وكلفت تحت إدارة بن علي بركوت (الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري). وقد التزمت ببرنامج الجبهة الشعبية والمؤتمر الإسلامي، وبحلتي ميثاق المطالب الصادر في 7 جوان 1937، واعتبرت أن القسويت على مشروع فيوليت بعد مرحلة تمهيدية نحو الاقتراع العام، وحق الاجتماع للجميع، وتزويد منظمات المؤتمر ولجبهة الشعبية بالمقررات والملاعب الشعبية.

3. قائمة الوثام والوحدة، التي شكلها ملاك وفجار الحتياء إلى جانب رجل أوربي وهو الأستاذ لادميرال Mc Ladmiral، وبوضوية (رئيس القائمة)، شيكين. وقد كانت هذه القائمة تعمل من أجل برنامج الدفاع عن مصالح السكان الأهالي، والمتجسد في مشروع فيوليت، وكانت هذه القائمة الأقل تمثيلاً.

وباستثناء قائمة حزب الشعب الجزائري، فإن جميع الفرائع الستة، كانت تساند مشروع فيوليت، وقد ولدت قائمة فائزتين انتقلت بالمؤتمر الإسلامي، وهذا (القائمة الجمهورية لتيلو، وقائمة الموحدة الشعبية لبركوت).

إن أنصار هذا المؤتمر لم يقدموا قائمة مشتركة كما كان الاعتقاد سائداً، ثم أنهم لم يكونوا مؤهين للوم حزب الشعب الجزائري على أنه كان يشكل عنصر تفرقة. لقد عرفت الحملة الانتخابية فترة متسارعة وكبيرة بسبب مشاركة حزب الشعب

الجزائري الذي أظهر مناضله نشاطاً حقيقياً. غير أن معظم هؤلاء المناضلين لم يكونوا تأخمين بسبب حصر منتهى ومع ذلك فقد تمكنوا من تنظيم التجمعات واللقاءات الخطابات والقيام بشرح سياستهم، كما لم يكن لهم معوي الوسائط الخاصة من مناشير وجرائد وغيرها. تعرضوا بلقي للترشدين بهذه المناسبة إلى المسائل السياسية مستعملين جميع الحجج. غير أنهم تناولوا في الغالب مسائل شخصية. وكانت جريدة «البلطاج» (el balta) التي يصورها الأمين لعمودي، والمقربة جدا من جمعية العلماء، تصدر قائمة فلوحة الشعبية (الحزب الشيوعي الجزائري p.o.a). وقد كتب الشيخ العقيلي عن موقف المؤتمر الذي يهتم «رسمياً» في عدم التحزب والمشاركة في هذه الحملة. ولما طبع أن تعاطف العلماء وكان موزعاً بين مرشحي القائمة الثمانية إلى المؤتمر. ويذكر أنه لم تلم أية جريدة إلا إذا كان فرانس الإعلام، بنشر برنامج حزب الشعب الجزائري. هذه الحملة التي استرعت الاهتمام للكبيرة لعامة الجزائريين انتهت بالتعامل (billage) في الأسبوعيات. وقد فُتحت بها قائمة الوحدة الشعبية (الحزب الشيوعي الجزائري)، مقدمة «الأعيان» والمثقفين. أما حزب الشعب الذي جلس أول تجربة انتخابية له، فإنه لم يكن يأمل هذه المرة في تعصيب مناضليه في قائمة، خصوصاً أن عدداً كبيراً من هؤلاء المناضلين والمثقفين لم يكونوا حاصلين في القوائم الانتخابية (من بين 3163 ناخب، لم يشارك إلا 2186 في عملية التصويت، وهو ما يمثل نسبة 69 ٪ موزعة كالتالي: القائمة الجمهورية، 550، قائمة الوحدة الشعبية، 700، قائمة حزب الشعب، 210).

غير أن الأفكار التي طرحت في الدور الأول بدأت تأخذ طريقها، وقد قرر حزب الشعب الجزائري أن يبقى متفضلياً في الدور الثاني، ومما نفع منه تكليف الحزب الشيوعي الجزائري لهجمات عليه حيث وجه معظم حملته ضده. وقد تصدعت قائمة الحزب الشيوعي بوجود الأمين لعمودي، عضو قيادة جمعية العلماء. لقد كانت المعركة طاحنة بين الجناح الإصلاحي للقائمة الشيوعية والوطنيين من

حزب الشعب الجزائري. إذ حاول الشيوعيون بالاعتماد على التخطيل أن يقدموا حزب الشعب الجزائري على أنه حزب قاسي، وأن مناضليه، عملاء مستغلزيون ومغامرون يقتسمون دولة حزب الشعب الجزائري، وعلى أنه امتداد لحزب الشعب الفرنسي التابع لليمين (P.P.)، وأن حزب الشعب الجزائري يعتبر امتدادا لحزب الشعب الفرنسي (P.P.)، وله نفس مواقف هذا الأخير. وهو ضد الجبهة الشعبية وضد المؤتمرون. كما أنه منحصر في فن الاستنزاف والعنف وثمة توافق بين رؤساء البلديات الفاشيون وحزب الشعب الجزائري.¹⁹

خلال الدور الثاني (4 جويلية 1937) انتخبت قائمة توحدة شعبية التي كانت مدعومة بالثلاث الإسلاميين وقد جمعت 105 صوت. كما حازت قائمة تيار (المتطرفون) على 670 صوت، وقائمة حزب الشعب الجزائري على 320 صوت (أضافت 110 صوت عن الدور الأول). وقد فهم الشيوعيون أن نجاحهم مهدد بأن يكون طرفا أمام موجة العمق الوطني التي تزعها حزب الشعب الجزائري، فدرس أن يثوب الحزب الشيوعي من هذا الحزب، وأن يطلق حملة من الافتراءات في محاولة لعزل حزب الشعب عن باقي التيارات السياسية.

المؤتمر الثاني (جويلية 1937)

إن الأفكار التي روجت ضد جميع حصر الحزب الشيوعي (P.P.)، لم تؤثر على الجماهير من صال وشباب، بل بالعكس فقد أحس هؤلاء بشعور جديد بالكرامة والامل في أعماقهم فلقد أيقظهم ليعمل على قيام به مناصرو حزب الشعب الجزائري من شغلهم. وكان لشعور الاستقلال سدي يدوي بميدان لدى معظم الجماهير الشعب التي كانت تتلج بعين من كرمية تلك البثيلة والفسخ اللذين أحدثهما الإصلاحيون حول مشروع فيوليت. وفي ثلوث التي ضاعف فيه هؤلاء الإصلاحيون نشاطهم لإر نجاحهم في الانشغالات بهدف إعادة بحث للمؤتمر الإسلامي، والمطالبة بتطبيق سياسة الاندماج (التمثيل البرلماني)، في هذا الوقت، دعم حزب الشعب الجزائري نفوذه وسط الصحفيين. وكان هذا الشرح يبين بأن

مضيق المجموعات العنصرية للمؤتمر الإسلامي كان مرتبطا بسياسة حكومة الجبهة الشعبية، في حين صغر حزب الشعب الجوزقوي، متعقبا أكثر فأكثر بظرواح الجماهير الشعبية فيه وخلاصة منهاضة تشهاب.

وقد كان تحضير المؤتمر الإسلامي، قسني في جويلية 1937 يمثل فرصة لهذين التيارات الرئيسية لتوضيح مواقفهما. فخلال الاجتماعات العديدة التي سجلت انعقاد المؤتمر، كان حزب الشعب (الذي لم توجه له الدعوة للمشور بنقطة من الشيوعيين)، يشن هجمات على المؤتمر مسلطاً عنه مصفة الإسلامي والجزائري، مادام أن لجنته مكونة من السبائيين، والمايويين، والموليين الفرنسيين، وكان مناسلوهم يدخلون في أغلب الاجتماعات للمطالبة بمواقف واضحة حول المسألة الوطنية. وقد تعرض مثل هذا العمل إلى نقمة ضدهم الإسلاميين وخسارتهم مشقة أمام الجمهور. وواصل المناهضون عليهم دور كمال بلقرغم من طرفهم والنصائح الدائم من هذه الاجتماعات التي حاولوا خلالها كشف التناقضات.

لقد كان عددهم ينحصر في توريد الجماهير بحظائر مشروع هويلته، الذي يريد استبدال سياسة التجنيس القروي أمام صعود الحركة الوطنية، لقد كان هذا المشروع مثيرا للاشماع. وه يمني تقويض عتسته، لمناومة الوطنية العربية، وكانت هذه الأخيرة ضد المصير الوهمي بالنسبة لكل من اليسار، واليمين والإسلاميين. وحظر الاتحاد القبطاني للمالية الذي أخذ موقفا لصالح مشروع الحكومة، حيث انضم إلى سدا الاندماج ويرجه صرخة استغاثة لأنه «إذا أريد كليبهم أمام المسلمين مرة ثلثة بعد جهنمي 1919 أو 1930 فإن ستم المطاطرة بإلغاء السكان في وطنية عربية مجهزة المعاني»⁹

لقد كانت الأحزاب المسلمة للجبهة الشعبية، تفضل أن «تري ورقة انتخابية بين يدي الأهالي، بدلا من رؤية بندقية». ولم يكن مشروع بلرم فيوليت الذي صاحبه ضعة كبيرة، يسمح بالاستفادة منه سوى لأقلية (21000 ناخب معظما قريبا)، ولم تعد ورقة التصويت التي تحير ملاحا تماما، تؤثر سوى في اتجاه

الحفاظ على الجزائر تحت الولاية الفرنسية، (لذلك فهي تخدم في الواقع فئة
البروجوازيين وعملاء الإدارة)

وحتى العلماء أنفسهم الذين دعوا من انضمامهم للوحد طو الآخر، إلى هذا
المشروع، وزعم تأكيدهم على وجود الأمة الجزائرية، إلا أنهم قدموا في هذا
التناقض، ولم يكن لثقل الإسلاحيون يأتيه في بعض الظروف التاريخية، تعديل
العودة إلى الديمقراطية، الوسيلة الوحيدة لتحقيق التطلعات الشعبية وبالمناسبة
لديهم، فإن مشروع قبوليت يعني أنه المسلمين الذين قبلوا وساندوا المشروع ...
يريدون خلسة للتسليم بعبء أن الجزائري المسلم بمكان المجتمع بئس حقوق
المواطن الفرنسي، دون التخلي عن هويته الشخصية. لا انتظر الطبع. لكن صجوه
تقدم. ويوم لا تفرغ أعصابه إذ يبقى ثابتا إلى حيث يكشف له المستقبل عن الأمور،
وفي هذه اللحظة سيصبح السياسة التي تعيها عليه الأحداث الجديدة. فإن كانت
جيدة فستكون هذه السياسة جيدة، وإن ساءت فالأحداث تصبح كذلك هذه
السياسة سيئة.⁽¹⁾

لقد نسي هؤلاء أن المستقبل لا يمكنه أن يكون سائجا من عمل الحاضر. فالعلماء
وجميع المنظمات الأخرى يعتقدون شأنهم شأن اللجنة الجزائرية للمؤتمر، بأن
الهيئة الانشعابية الموحدة (collège unique) التي تتخذ منها فئة ضئيلة من
المسلمين وجميع الأوروبيين تشكل خطوة نحو الاقتراح العام المطلوب به في
ميثاق سلقب المؤتمر في جوان 1936.

وبالرغم من اعتقاد أنصار المؤتمر وتصريحاتهم «اللتزيم» ودعم السياسة
الفرنسية من اليسار لهم، فإن مشروع قبوليت بقي في هيئة مشروع فقط.

لقد كان حزب الشعب يمثل المستنأى في هذه العملية. إذ رفض صراحة هذا
المشروع الذي لم ير فيه سوى خدمة، وأنه ينبغي إلى تفكير المجتمع الجزائري.
وأكد الحزب في جريدته «الأمة» (El Oumma) بأن «المشروع لن يبرأ» وأنه
يستحيل أن تغير الجنسية مثما تغير ربطة للعنق، «منسيتنا هي قبل كل شيء»

ماهيينا، وتاريخنا وأخلاقنا وذكرياتنا وعاداتنا الخلفية، وكل ما يدخل في تكويننا، ولا يمكن أن نخرج كشخصية من محتولنا بفعل واحدة...^{١٩}

وقد دفع الضغط السياسي الذي مورسه حزب الشعب الجزائري على الإصلاحيين إلى محاولة هؤلاء تبني مواقفهم بالجزائريين الإيجابية لمشروع دويلته إذا لدعوا بأن الأغلبية طجز لتزويده قد قلوا هذا المشروع كجزء من مطالبهم.

والواقع أن هذه الأغلبية لم تكن تتجاوز دلترة السياسيين والشخصيات والأعيان. وكانت الأغلبية الفعلية متكونة من الفلاحين والعمال والنشباب والوطنيين الذين لم يكونوا متفقين. محاسن هذا المشروع.

وقد عارضه الطيوعيون والعلماء مشرقة حزب الشعب في المؤتمر مطالبة لمعرفته لهم أكثر. وقد كان اعتقادهم بأنهم سيميطون علاقات جيدة مع حكومة الجبهة الشعبية. وقد كان هذا المؤتمر الذي سمي إسلاميا سيارا في الواقع قد ألقى أحسن المنطقين عن الإسلام.

ورغم ذلك الذي ليداء المؤتمرون فيه نشطه قد دلوت في جزء من الخلافات فغيرائية النواب، أو بالأحرى، من جلوس كشف عن بعض المتفظات إزاء هذا المشروعين، كما أن نهاب ندرجة ملحومة. وثورة حكومة الصبهة الشعبية أزال بعض الأوهام، ثم إن البرلمان الفرنسي، وه ألوم من ومرد حكومة بلوم (Blum) لم يبد أي نزابة حسنة، وانتبه المشيرون على المؤتمر الإسلامي إلى أن ضغط بعض ممثلي الاستعمار كان يشكل تلالا كبيرا في فرنسا أكثر من هذا المؤتمر الذي اعلمه اعتبر أنه يمثل جميع الأهالي. وعليه ومنه مطلق خيبة أمل، أمر هؤلاء النواب للمتمردون بالاستقالة من مناصبهم في حلة عدم المسادقة على مشروع بلوم فيبوليت. وقد وجه واحد من الناطقين اترسميين للمؤتمر، وهو الأمين لعمومي، هجمات ضد مسلمي. ولتهم بأنه مقولان مع كثير الكترول والإدارة بهدف إجهاد المؤتمر الإسلامي.^{٢٠}

وكانت هذه الفجوة تستعمل غالبا من طرف المؤتمرين للرد على هجمات حزب الشعب الجزائري، وكان الاتفاق المبرمج بين هذا الأخير ورفقة قبل الاستعمار شائعا عن سوء نية طليعية.

وإذا كان حزب الشعب الجزائري قد عارض المؤتمرون، فخلقه كل من يعتبر مقلب وهم هذا الأخير، منافيين لتطورات ومصلح فتنسب الجزائري، وكان مناضلوهم على قناعة مشتركة بأن اتجاه المؤتمرون سيلوذه إلى المأزق. وكان مشروع بلوم فيوليت يلتاض روحا وشكلا مع الاستقلال الذي كان الحل الوحيد للمصالحة الجزائرية. وكان المناضلون المؤتمرون، ولنظائرا من فصاحت ومواقف ثورية، بالأممون جميع صيغ الاندماج. ولواتك الذين يدعونه كاشيو عيين و"العلماء". وقد كتبت هذا الكتاب الصواعق من مؤتمرين

أولهما ثوري، (حزب الشعب الجزائري) والثاني إصلاحية (المؤتمرون).

أما من ربه الظلم الاستعماري (الذي رفض المشروع) والذي رمته غلاة المعززين، فكان ينظر إلى كل تغيير ولو كان شكليا على أنه أساس بنائونه وبمسائله. هذه الأفكار لوجدية والمترجمة والمتمسكة بالديمقراطية انت بهؤلاء إلى تقدير خاضعين لمصالحهم على المدى القصير. وهرما بلومهم عليه مثلا فيوليت وآخرون⁽¹⁾، لقد اعتبر هؤلاء أن السياسة الاستعمارية القبلية عاجزة أمام الوضع الجديد، حيث كانوا منشغلين أساسا بالدخال على الوجود الفرنسي، الذي يقتضي استمرار وإدارة نهضة شكل النظام الاستعماري من صميمه، بالاعتماد على إصلاحات مبسطة.

لقد كان حزب الشعب الجزائري يرفض معاملة ثمر فعلة ومعالجة للوطنية، ويعمل على استبدالها بمعاملة ثورية فخرية نوحها على هدم الوجود الاستعماري من أساسه. ولقولنا أن هذه المعاملة كانت تعكس تردد ولونيك النيارات الإصلاحية التي بدلت تشكك في قدرات حكومة الجبهة الشعبية، بعد أن حولت استقطاب أمم الشعب إلى ميسجك وتوقية الإصلاحات المطالب بها من قبل

المؤتمر الإسلامي، وكان نشاط حزب الشعب الجزائري قد حوّل تدريجياً الرأي العام الجزائري في اتجاهه القديكتلي، وكشفت بنفس المنامية تالاط ضمت الصحافة الإسلامية. كما قام في ذات الوقت بتقوية السمعة الاستعمارية، وتند بقوة منبذعة مشروع بلوم- فيوليت التي يرمي إلى تعزيز الهيمنة على الشعب الجزائري واستغلاله.

ويتنميه بانتظام الاستعماري كله، فإن حزب الشعب الجزائري أثار معارضة كل اليمين الذي نعت به المناهض للوطنيين. وجلب كذلك سخط الإدارة عليه، لأنه كان يهين بالسيادة الفرنسية. ولجس ذلك من ثولية من جانب المدافعين عن الاستعمار، والمعتدلين من أقصى اليسار على مقاومة حزب الشعب، حيث حاول هؤلاء أن يسيثروا سمعت وسط الرأي العام بتهامه بأنه يتكون من «أهيين» و«منحرفين» و«معرضين»، ثم بأنهم أذل واقعية بسطقتهم للاستقلال، مثلما قام به مثلاً مناضلو شيوعية المؤتمر¹¹ في اجتماع لهم بمدينة Diamour في 12 يوم 1937 جويلية) إن هؤلاء مثلنا أم أيرفا، فمن موطون بفرنسا، وكان هذا رأي جميع أنصار المؤتمر الإسلامي.

كانت أغلبية **الفرنسيين** الموجهة نفس مصالي الذي أعطى للحزب بشجاعة ونشاطه بديميكية كبيرة، ولم يسمعت هذه الحملة العاطفية للحزب الشعب في تلاهم مناضليه بهلاً من إشغالهم، هبت انضموا إلى المدرسة القوية للعمل والثبات والتضحية، وكانوا يحضرون للتضحية بحياتهم من أجل استقلال الجزائر، مثلما يشهد به العهد الذي قطعه العشاريون في تجمع 18 جويلية 1937 (بقاعة السيما طاعة 12 ش)، ووجهوا يديهم على الألقاب التي استهدفتهم بتجديدهم أكثر، مثلما حدث في تظاهرات 14 جويلية 1937 بالجزائر العاصمة (ومن نقاط بحياة) والتي حققت نجاحاً باهراً وقد افتقرت جريدة «السان الدين» بتاريخ 15 جويلية 1937 بأنهم «كانوا الأكثر عدداً، والأحسن انضباطاً». فقد عرف «الجاهلون» - كما أسماعهم العلماء - كيف يتحلمون الضرب، والحرمان، وهجوم المعاملة الإمبريالية، ويصرخون في وجع الألم بأن الجزائر لن تتنزل عن هويتها

وسمى قرى عسلة إلى الأبدية كانت هذه إجابة مصالي لخصومه الذين عيروا من خلال جرائد «الديفام» (La Défense) والعمالة الاجتماعية (La Justice Sociale) (التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي)، عن أفكارهم ومواقفهم، وقد كانوا يهدفون من وراء صفوهم، إلى جو حزب الشعب الجزائري إلى مواقفهم المعتنقة. وبعد أن متعوه من حضور المؤتمر، حاولوا ليصنع تفويض هذا الحزب في جهة مصادرة الأعيان. ويوضحه لهذه اللعبة فقد حكم على مصالي من قبل الحزب الشيوعي بأنه «عميل للاستعمار واشتقون الأهلية والإمبريالية».

كما ندد حزب الشعب الجزائري من جهته بعنف كبير بالمؤتمر الإسلامي الذي استغلته الحزب الشيوعي الجزائري للتأثير على الجماهير العسلة المتنامية للاندربولجية المعلنحة. وقد صرح مصالي قائلا: إن المؤتمر الإسلامي ليس مؤتمرا إسلاميا. وهو ليس حركة فاعلات ومسيرته وفي قرواته، فالأوامر صادرة إليه من حزب أجنبي».

مصحح أن الشيوعيين قاموا بتفوية (من الذوا) المؤتمر وأغلب لجان الجهة الشعبية للمؤتمر التي تشكلت للمطالبة بتطبيق مشروع بلوم - ديوليت.

ومن جهة أخرى، فإن حملة التدمير للمؤتمر الموجهة ضد الرطبيين كانت تبدو مطبوعة. ذلك أن الإثارة التي لم تتوقف عن نبع هذا التلويح، وحدث في هذه الحيلة تشجيما وفرصة لضربهم أكثر. فنظروا التلويح الذي كان يثير قلقا كبيرا لدى السلطة الاستعمارية. في نفس الوقت يكشف الطابع غير الوطني للسياسة الإصلاحية التي نادى بها التدمير للمؤتمر.

توقيف مصالي

في 27 لوت أوقف مصالي رفقة مجموعة من أصدقائه (خضير، كحول، زكرياء، وغيرهم) بتهمة «التحريض على الشعب ضد سيادة الدولة» وقد حكم عليه بسنتين سجنًا. كما جرد من حقوق المدنية والرطبية والمهنية، وتعرض لمعاملة مذلّة وخسيسة⁽¹⁾ في سجن بربروس (الجزائر) حيث جُلس مع وفاته.

مثل هذا الفعل والمعاملة كلنا يهودنا إلى للعساس بكولمة رجل ذاع صيته وطبقت شهرته الأفاق بسرعة كبيرة بين طيهاثير الجزائريه. ولقد تمت هذه المعاملات في ظل حكم التجريه الشعبيه المتعصه من قبل الشيوعيين، والتي كانت تمثل أمل العلماء وفيدالية انتواي.

يجر أن هذه العمليه التي استهدفت حزب الشعب الجزائري جعلته يكبر في أعين الشعب الذي أبدى تعاطفه أكثر فأكثر مع المناضلين الذين لم يوفقههم العجز، بل بقوا ثابتين على عيدهم.

وخلال محاكمة مصلي الحاج، قام هذا الأخير بشروح برنامجه، «طالبنا السياسي الرئيسي هو بالثقله تأسيس بولمان جزائري. ولكن بهبه الأفضى أن هذا الأخير موجود من خلال المندوبيات العمليه، والامس، بطريقه غير ديمقراطيه، إننا نطالب بقويها إلى مجلس منتخب بالانتواي تمام دون تعيير عرفي أو ديني». وقد اذبح طرحات عباس والعماء والأمين لعمودي بسفله متأخرة على الإجراء الذي سلك على مصلي. أما الحزب الشيوعي فإنه فعل بذلك بعد مسودد التتكم وقد ألهمه عدة مناضلين وفدويين بأنه كان مدبر عمليه توليف القادة الوطنيين. وهو ما يظهر من خلال نداء اللجنة المديرة لحزب الشعب الجزائري «المطابقه أن مصلي لم يره في نظري الأوامر من الأمير شكيب لوسلان، و٧ من ستالين (Staline). ولأن نجم شمال إفريقيا رفض الاستماع إلى الحزب الشيوعي، فقد تعرض إلى ضربات موجعه»^(١٤)

وكانت الإنارة والحزب الشيوعي الجزائري يستهدفان معا ولأسباب مختلفه. تحديهم المعظم التسييسية الوحيدة التي تعبر بصعق وشرعية عن النطاعات الوطنية للشعب الجزائري. فالينسية للإدارة كانت هذه حثيثة مغنية هي العطالية بالاستقلال. أما الحزب الشيوعي الجزائري الذي كان مشغولا بوجوده الخاص، فإنه كان يرى فيها حركة في تطور مستقر تقوم بتجديد الجعافيو. وتصر على تقديم مناضليها على أنهم ضحايا يفتلون للتجارب ويقومون بإيقاظ الفوقز المسودة للشعب.

وكان التمسك بالدين وتكليفه مع القصور كتيبيولوجية كفاح ضد الاستعمار،
والظلم اتواضح لمصلحة الشعب الجزائري وثقافته وشخصيته كانت كلها
بالنسبة للشهويين غرائزية، حتى ولو كانت تخدم الثورة. وهذا لم يمنع الحزب
الشيوعي للجزائري من البحث عميقاً عن التحالف مع العلماء المسلمين المحدثين،
ورفض الاعتراف بفضل المسلمين الآخرين المثيقين من الشعب (مناضلو حزب
الشعب الجزائري)، الذي يعمر لتكافحهم وتثنيهم ونظرتهم السياسية الواضحة،
بل بالعكس حاول الإساءة إلى سمعتهم مدعماً في ذلك بقطع الذي كان يسلط
عليهم، والذي أبغى الشعب في وجهه على مزاياهم.

وباعتبار الشيوعيين يمثلون وحدة من القوى الرئيسية للحبهة الشعبية، فقد
كانوا يستلزمون هذه الوحدة^{١٢} ليندووا به «الوطنية المزدوجة لحزب الشعب
الجزائري»، خاصة وأنهم كانوا يعاندون سياسة الاندماج.

ولتجديد هذا التضامن الذي حاول خصومهم أن يزعجوه، قام مسؤولو هذا
الحزب بشروح ولهجة متشككة ومضمون سياستهم في جريدة الأمة، إنها منظمة
متشككة من جزائريين فقط وهي ليست منظمة الأمالي على العموم، إنها تعيد
منظمة العمال الذين يمثلون لشعبة مدخولها من الطبقات النحوا للبورجوازية
المتوسعة، وهذا الصناعية. والتميز الحركة والفكرية تمثل أقلية قريها. «ويعكس
سياستها تركيزها الاجتماعية وهي تدعم الصفات الاجتماعية، وتعتبر عن
الاندماجات العميقة للجماعير، وقشي يعتبر حزب الشعب الجزائري معصداً لها. هذا
الخير حزب مستقل سياسياً وتنظيمياً وهو مستقل عن كل حزب. أي كان. والأهالي
الجزائريون هم أولادهم من يرسمون خط سيره».

«إننا شكل الأهالي حزباً تدرك صفوفه فقط من الأهالي فمن ذلك بعد ذلك
بأربعها وهو تعبير أيضاً عن التطلعات العميلة لشعب محروم برمه، ويحاول بكل
الوسائل بناء وسيلة تعبير عنه. «لقد تمس الجزائريون حزيهم الخاص، وأوجدوا
جريدتهم الخاصة، لأن الانتشلات قيومية للأحزاب العمالية للعلروبول، تختلف

عن انشغالنا نحن إن نقص التواصل في الجهد بخصوصي كعسالة العامة مع كل تنوعاتها، والتفهم، والتفهم في الرأي مع تفتل المناشئين لا تسبح بالتعاون موعوب فيه...».

«حزب الشعب الجزائري، لا يفهم التعامل بالحقن وهو مستعد لأي تعاون ممكن مع جميع المنظمات الديمقراطية، وعلى وجه خاص الحنظعات البروايثرية (العالمية) «المترولوج» والتعاون اللزيم مبني على طمسالة بين الأحزاب، وليس على التخصوع والشمعية»^{١٢}.

العلاقات بين حزب الشعب الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري :

لقد كان التصديق بطرح مشكل العلاقات بين الحزب الشيوعي وحزب الشعب وهو المسألة الكبرى التي لم تعرف حلاً إبداعاً، لأن الحزب الشيوعي كان يلجأ إلى مواءمة التوافق في آراء العلاقات (خاصة في الجزائر) والتي لا تتركز على أية حقيقة، ولم يفرط الحزب الشيوعي نفسه في المركز الرئيسي سوى بلوادة من طرف واحد، على أنه يملك الحقيقة الأيديولوجية والسياسية.

ويمكن أن نقول في نفس الجوبة أن «تشكيله الاجتماعي، واستئلاله السياسي (حزب الشعب) مما اللذان يديران حلق الحزب الشيوعي إنه عدو خطير على الحزب الشيوعي لأنه يميل أكثر وأكثر إلى منقوته على طيلة العمال الجزائريين التي تنامي بشكل مطرد» إذا كان الجزائريون قد حاربوا عن الحزب الشيوعي، وفوجوا إلى حزب الشعب «إن ذلك راجع إلى حزم هذا الأخير» إن الحزب الشيوعي المقرب إلى الجمهورية، وباعتباره حزبا قويا للنجم الشعبي، وسعنة لصكومة نفس الحزب، يفرم بتخصير أثرائه العام للإعلان عن حل حزب الشعب. وإذا كان قد نجح في حط صفحات جديدة مليئة بالفتات والاختلافات التواصل الذين عرفهما خلال حرب قويت وسوريا في السجل لانهبي للصركة العمالية، مستضاب صفحة مليئة بالخطي ومحنة بالعلو تحمل هذا العنوان: «في 1937 تخلى الحزب الشيوعي عن المواقف الأخيرة للجنطة السانية التي هي لمركزين، لصالح مواقف وردوه القهل الاستعمارية»^{١٣}.

هذه المفولات التي جاء بها -مقاشرة- والتي أعدها تكتسي أهمية كبيرة، وهي تختصر جيداً أسباب الخلاف بين حزب الشعب الجزائري والحزب الشيوعي، وتوضح العوامل التي أدت سرباً للشعب الجزائري للتنبؤ بانهزامية الحزب الشيوعي دون أن يتمكن هذا الأخير من توجيهه لثقل ملموس وموضوعي للخط السياسي لحزب الشعب الجزائري عن طريق العناية المطلقّة أو الإمانة.

هنا المتهج الذي كان يؤمنه الحزب الشيوعي بالمستور، كان دون تأثير حتى فيهما بعد، لأن حزب الشعب الجزائري يخرج من المعركة متعباً أكثر، وهو ما تأكد من خلال انتخابات 1937.

الانتخابات القطاعية لأكتوبر 1937:

كانت مشاركة حزب الشعب الجزائري في هذه الانتخابات وسيلة أخرى لمقاومة القمع وهجوّهات خصومه بمجرد الحضور على عتبة في المجلس قدام، وكانت قبل كل شيء وسيلة جيدة لإثارة انتباه وتطهير وسط الجماهير مع زعيمها المحبوس مصالي، وذلك على قاعدة اختيار سياسي، وقد عين مصالي مرشحاً في هذه الانتخابات، وهو بسطن بربوروس، وطوراً مصالي أكثر اعتدالاً في صراخه ببرنامج حتى يتجنبه حلّ حزبه؛ إذ عرّج قائلاً: إن الأمة المستعمرة (يكسر الميم) ستقوم الجرائر نحو شعور شعوري ومادي. وهدف حزب الشعب الجزائري هو الرقي بالمرائر إلى مصف الأمم الكبيرة.

ومن بين المطالب التي لوجها للحزب في برنامج «¹ تحرير المندوبيات العالية إلى مجلس جزائري منتخب بالاقتراع العام من ثمين عوني أو بعني، و إلغاء قانون الأتالي وقانون الكفالات واحتواء الحريات الديمقراطية، وتعليم اللغة العربية، وتطبيق القوانين الاجتماعية، ومراجعة الضرورية للتساعدية على الدخل، وتأمين البنوك والمصانع».

وكان شعار هذه الانتخابات «انتخبوا مصالي» ضد القمع، ومن أجل الوحدة، هناك لوضعية لوجعنا هذه، وهي ميدان مطالبات وكل واحد يمكنه أن يحتفظ

بأيديولوجيته الخاصة، مع توحيد جهودنا في إطار عمل مشترك لا تقاوم شعبنا من
بعضائقة التي يكاد يهاجم.

وكان الخيال السياسي الذي اقترحه حزب الشعب الجزائري المناهضين بهند
إلى التثديد بمسألة الإجماع التي وافقت على هذه الأرض المتخللة والمسلمة، «
تتخوفا الوطني، مستذكرون فرنسا بوعودها على أن تصل بالشعب الجزائري إلى
مستقبل مدبر لتحويل اجتماعي وإنساني».

والد وجهت جبهة الشعب، تداء إلى حركة تضامن مع المسجونين السياسيين،
وأيا الشعب الجزائري، التكريم، يمكنك من الآن أن تتخوفا بابتكك الخيلاء، وبأبطالك
الذين يمثلون، بأبطالك المحبوبين من أجل قسمتك، لقد كانت، حركتك فكرتهم
وسعادتهم، (بمانيهم وروافدهم... وبالجمهورية لصالحهم هناك نحن سياسة القوة
والشعب والأهل للاستعماري»⁽¹⁾

والد، قام مناهضو حزب الشعب الجزائري بنشاط حثيث خلال هذه الحملة
الانتخابية، رغم الابع ونهجمات الأحزاب الأخرى التي طغت مرشحين هي
الأخرى، فعمار بوزقان (الحزب الشيوعي الجزائري) كان يطلع عن برنامج الجبهة
الشعبية وعن مشروع بلوم-ترويت ومن حاج (الحزب الاشتراكي الفرنسي)
(S.F.I.C.)، شكيب (من الأعيان) بمانيلز برنامج المتمر.

وقد أصدر القدر الأول على فور مرشح حزب الشعب الجزائري بالمعركة الأولى
منقدا بكثير بالي القن شحيد، وذلك ونزعم من انفساء الإدارة بـ 2453 صوت، شكيب
بـ 71 صوتا، لوزان بـ 360 صوتا، حبيب بـ 264 صوتا، زروق بـ 168 صوتا، ومن حاج
بـ 955 صوتا. هذا الفوز الساحق لحزب الشعب الجزائري حيز جميع خصومه.

والحزب الشيوعي الجزائري الذي تسمى بجمع حزب الشعب صار يلوم
الإدارة على عملية حبس مناضلي هذا الأخير. يدعي أن ذلك «منح لهؤلاء صفة
الشهداء» ويضع عدة متخمين لاحقا مرشح حزب الشعب الجزائري.

وكان هذا العرق يفني عن كل تعليق.

في النور الثاني لم يبق سوى ثلاثة مرشحين: مصالي، بن حاج (الذي استقال من تازول أوزقان)، وزورق، موشع، الإتيق، والتي يضاف إليه الترشح لفوري الارتجالي للأمين العمودي التي اشتهر به مصغور ككلا، عدا من جريدة «الدفاع» de defense، وأربع سنوات من الكفاح (الشعرى)، وكان شعار أصد قات في شبيبة المؤمن الإسلامي «انتخبوا على الأمين العمودي لأن مصالي لا يجوز امتخابه».

وحصل مصالي حقا على 3450 صوت، مصالي ولعمودي على 1535 صوت، وزورق على 1730 صوت، وبين حاج على 800 صوت.

وكانت النتائج الرسمية، كالتالي: زورق 3450 صوت، وبين حاج 800 صوت¹⁹، وكان شعبا في نصح لوزورق بالفوز بالموتبة الأولى، انتهت 2300 صوت لمصالي.

وقد تم تعيين نظام فوري الانتخابات الذي سيصبح واحدة من مييزات الانتخابات في الجزائر، وإذا كان دستور الإدارة صاغها لدرجة أن مجلس الولاية (municipal) اعترف بأن لوراني التصويت²⁰:

أنني تحمل اسم مصالي قد ألفت دون سبب شرعي، «معتبرا أنه من الصحيح لو هدت أوراق التصويت في بعض مكاتب الجزائر كما كان يجب لصالح السيد مصالي والتي ألفت إجماعا، ثم «إيمان بالتأكد أنه لا يجب مكان زورق مهي الدين».

ومعاً لم يمنع من الإعلان عن انتخاب زورق مهي الدين، ورفض احتجاجات مصالي على أنها غير مؤسمة، تطبيقاً للمادة 113 و13 من موسوم 6 فيفري 1919، الذي بمقتضاه كان مصالي غير قابل للتصويت غير أن الشيوعيين ومن كان يساندهم كانوا أكبر الخاسرين في هذه الانتخابات، وهو ما يمثل مخرجاً سياسياً حقيقياً لصالح الوطنية. فقد شرعت منظمات «سياسية» تظف مناهضتها الذين التحقوا بالعزب الأكثر منطقية والأكثر فمقية، فتم مصالي تطفل في الأحياء القصبيرية، والأكواخ، وتنظيمه أحد يقف تدريجياً في البلاد، ولتحت الحركة

قومية التي كانت على غاية تلك الفترة تحت سيطرة التيارات الإصلاحية، وغيا آخرها
 بقدهم حزب الشعب الجزائري، وانتشار أفكارها وسط الجماهير الشعبية، فلا
 السياسة ذات أسنان التفتش لتشبعه ولا سياسة النماء أو الانتخابين
 (النواب) استطاعت أن تعرف تطور القومية الثورية المعتمدة على عمل الجماهير،
 والتي يجسدها حزب الشعب الجزائري، ووعيا من هذا الأخير بفتصلومه فإنه
 استخلص نتيجة هذه الحالة: «إذ كان للوحدة والوطن والأكوة، عنصر في الجزائر،
 وفي مدينة الجزائر خصوصاً، فلا يوجد مشروع ولم يكن له قلة الحياة، لوقف في
 طريق مصالح».

«أما دعا جسرته، ليس زووق معي البيزة الطام النبوي للإدلة ولا الطام
 الآخر، بل في بحثنا عن مصلحة الشعب الجزائري، خروج إدارة شؤون الأمالي، أو
 في مصلحة أخرى ظاهرة».

وقد ثارت، نفس الجريدة على 144 شهرا من السجن التي صدرت في حق
 المصادمين من شعب مصطفى، سجنهم يتلم تحت، ومائة النظام الأكثر شناعة مما
 يمكن تصوره».

«محاكمة مصالي والانتخابات البلدية سنة 1935»

لقد عملت محاكمة مصالي على تحسيس الجمهور بنزعة كبرى، بحيث ركز
 الرأي العام حول اسم الزعيم القومي. وقد اضطر القادة الإصلاحيون حراية أو
 أكثرها، على إدانة هذه المحاكمة، غير أنهم لم يستغلوا هذه الظروف الملائمة
 للوحدة للإتفاق مع حزب الشعب حول قضية سياسية تكون أكثر تقدما على
 برنامجهم، إن انتقل مركز الثقل من الحركة القومية نحو الوطنية الثورية، تأكد في
 نوفمبر 1935 خلال التفتحات الجزئية لمجلسين بلديين (مجلس الولاية أعلن عن
 إلغاء «انتخاب الأمين العمودي (بوكرت)». وقد ساند حزب الشعب الجزائري
 قائمة الاتحاد الاقتصادي والاجتماعي، مع ترشح علي بومسيل (مصالي مصالي)
 وحياس محمد.

أما الحزب الشيوعي الجزائري، فقد تم حذو ويوكوت على قائمة الاتحاد الشعبي مع نفس برنامجه الانفصاليات السابقة وقد تمهيز مرشحيه بوضوح ولم يحصلوا سوى على نصف الأصوات التي حاز عليها يومئذ وبهاض محمد من الاعتماد الاقتصادي والاجتماعي للمعمول من طرف حزب الشعب الجزائري. وهكذا تحول الفاضلون المسلمون خلال مدة لا تتجاوز السنة نحو مواقف حزب الشعب الجزائري. وقدروا خلال ذلك بالسياسة الإسلامية، وقد تطلنوا أكثر للأمال التي عليها انتمى المؤتمر الإسلامي على الجبهة الشعبية قتي وعموما كاتبة.

لقد ضيع المؤتمر الإسلامي أوهامه، واستثناءا لشموعيين الذين وانسلوا في الدفاع عن سياسة الجبهة الشعبية. وتطلن الشيخ ابن باديس وسط العلماء إلى المازق الذي كان فيه التمزق، إلا أنه كان يتناول أن يوفق بين الشرعية في كل استحقاق مع القوة المحتلة والمواقف السياسية المعاكسة للمعظم لهم، أن يؤكد وبنية إسلامية معتدلة.

وقد خبئت حكومات الجبهة الشعبية كحكومة شرقان سباروم (Catherine-Biloué) أكثر الإسلاميين الذين تبنوا مواقف التحفظ، ولم يندروا فيها تقنيم كما جرت العادة، وهو ما جذب لهم انتقادات ويوكوت باسم الحزب الشيوعي الجزائري، بحيث كان هذا الأخير يصر على إظهار ألفة ثابتة للجبهة الشعبية رغم شائكل هذه الأخيرة.

وقد أجاب ابن باديس على هذه الانتقادات بما يلي: «إن فرنسا نعد ولائي بوعودها لأنها رأت مصلحتها في عدم الولاء بوعودها، وهنا يعني ألا أمل في رؤيتها تحيد عن هذا الموقف ما لمثل تجد فيه مصلحتها. إن الجزائر تعرض للضخا وتتساق إلى الخطأ، ومن الممكن أن يمتد هذا الضخا، وهذا الخطأ، كما من الممكن أيضا أن يظهر في أبعثه سواب أوهامها، وهي أن تتساق أن وراء الخطأ والخديعة، ومنسقط في البأسر، وستعرض لجميع الأثر وتعمل ما سيطلب لها... أن الأخير سددعنا إلى الكفاح والصدام دون العرف من الخطأ والتضحية»⁽⁹⁾.

هذه التدخلات كان يعمل فالات عدّة. ويبيّن أن الشيع لم يكن غافلا عن المآل الذي كان سيؤدّي إليه سينتة العرّوحو الإسلامي، لكن لم يستطع التنبؤ التطبيلية. ولم يغير من توجهه فالأمناء عن منح ثقة للحكومة الفرنسية مثلما قام به العلماء، لم يكن يعمل سياسة فائقة على أن تهيئ نهجا جديدا للشعب الجزائري، ولا تؤثر على قرارات الحكومة الفرنسية.

وكانت إحدى الأسباب العميقة التي جعلت العلماء ينتهجون سميلا يعلمون أنه دون عجز، هو أنهم لم يكونوا يؤمنون في قولهم لتفهمهم بالاستقلال، بل لأنهم احتفظوا إمكانيات كطاح الشعب، وبقوا في تغيير إمكانيات الاستعمار.

كذلك المذهب « الشيوعي »⁹⁹ للكنّاخ العمالي، وتركيزهم البشرية (شيوخهم المحترمون والفضلاء، لكنهم لا يحبون العمل المباشر)، والفضلة القاسية أساسا على النية الحسنة وذكاء الخصم لقبول تنازلات لمصلحتها السوية، كانت تعمل من جهة العلماء، الثوار المودعي للإصلاح. فكانت الجمعية بشورتها الكبيرة أنذاك فيكي سياسة كتب لها فشل بدلا من «هم التوجه الثوري للحركة الوطنية (حزب الشعب الجزائري)» بطله، والذي نشوء معه في عدة نقاط، وأهزت على التراجع الحزب الشيوعي الجزائري الذي كان خليفة لاسلواتيحية الحزب الشيوعي الفرنسي، والتي تمثل في دمج مصالح الشعب الجزائري. بمصالح الفرنسيين السيمسي للجهة الشعبية. وقد انتبه العلماء إلى غموض هذه الأخيرة بتأكيدهم بأن « المستمرة تحتفظ جميعا بعائلة والجيوة الشعبية »، فكان للطاقد يشغلها رجال يتعارضون مع فكرتها فالأبطال الحقيرون لهذه الفكرة لا يملكون أية سلطة، ويكتفون بالخطابات. ولهذا السبب نعلم كشعب بأنه من الآن فصاعدا علينا الاعتماد على أنفسنا وعلى الله.¹⁰⁰

... لم نذهب إلى فرنسا لنطلب الاستقلال للجزائر. لأنه يجب أن تبدأ أولا بتحرير عقولنا وتخليصها من الضعوبة (صحن الصحافة الإسلامية، 1986).

هذه التصريحات كانت عبارة عن معارضة قسرية لسياساتهم، خصوصاً وأن حكومة الجبهة الشعبية شنت حملة قمع واسعة ضد الحركات الوطنية في جميع أنحاء شمال إفريقيا. هذه السياسة كانت تبين جلية بأن الاستعمار الفرنسي لم يكن مستعداً لتصور إخضاع المطالب الوطنية للشعوب العربيه، ولأنه جلياً بأن دعوة الجبهة الشعبية لم تكن سوى خدعة لإكثاف الانقسامات داخل الحركة الوطنية الجزائرية وتكوين جناحها المعتدلة وعزل حزب الشعب الجزائري.

وبالرغم من «التهليل العلنية» لعضاء الجزائريين داخل الحزب الشيوعي الجزائري، إلا أنهم لم يكشفوا لرومان الحلفاء في المعركة، إذ أنهم انسحبوا وراء مكانة الترجمة الثوري لحزب الشعب الجزائري، وبعداً من التخاصات مع هذا التوجه في موقفه العام، فإنهم دعوا إلى التجمع حول سياسة الجبهة الشعبية التي عرفت بردها ضد الحركات الوطنية الحزبية.

للم يوافق مشروع فيولايت حتى على قبولهم الفرنسي، وهو ما أثار احتجاج الثواب، واستغللتهم التي التفت بالإصلاحيين من كل التوجهات في المستعمر كبر، وهذا لم يمنع الحزب الشيوعي الجزائري من إبقاء نفته من خلال بركات لديران، شونان، والتنديد بالوثائق القديمة وأما في صعود هذا الأخير بحثية دفن «الجبهة الشعبية» وقد علق أمله على رؤية الثواب المسلمين يسحبون استقلالهم والعودة إلى مواقعهم باعتبارهم مدافعين عن «جمهوريةنا المسلمة في المهجر»، ويسهلون بذلك عمل المنتقم لحكومة الجبهة الشعبية لتسحق الجزائر المسلمة. إن الجماهير المسلمة وجميع قوى الديمقراطية الفرنسية صديقة للتشبيها، لا يمكن إلا أن تحيي هذه الإشارة الانتقائية.

في فترة صدور هذا التصريح، كانت فئة قليلة ممن كانوا يؤمنون بالجبهة الشعبية في الجزائر. فحظيت الحزب الشيوعي الجزائري، وأكثر مما كان عليه العلماء، ترسي إلى المير بالبلاد فخر الملق، وكما تراءه فإن معتقيل الجزائر كله

كان مرتبطا بالنسبة للحزب الشيوعي الجزائري بمصير الجبهة الشعبية، ويتولى الديمقراطية الترقمية.

وقد أوصى الأمين العام لعمومي (فدييه القومر) الحكومة الفرنسية بإنهاء هذا الإصلاح الذي لا قيمة له بسوعدة مرسوم عادي، وتجنب النقاش البرلماني الذي سيضع لها وقتا ثمنا من شأنه أن يستتقص ويثير الانتفس في وقت الجميع في حاجة إلى السكينة والمتحفة. وهو يرى أن «قليلًا من الإزادة الحسنة، وتوقيع سيحفلان، الغزو الروحي للجزائر».⁽¹²⁾

إن لعمومي: يقترح الغزو الشامل للجزائر، في حين أن الشعب قاوم خلال عدة أجيال هذا الغزو الروحي نفسه. وقد وثق الشيخ العقبي (من العلماء) لهجة لم تكن عربية من لهجة الأعيان العلماء لتأثير الاستعمارية وتمزيبهم قشرية. إذ قال: «نحن لغوسا، ومع فرنسا، في حالة ما إذا كانت فرنسا معنا، وتحملنا على قدم المساواة مع باقي أمثالي».⁽¹³⁾ وبقي فعلا على هذا الخط ولم يغير موقفه، وابتعد تدريجيا عن ابن باديس ليندمر إلى الثمار مع فرنسا.

في جوان 1936، أصبح بديها أن مشورح ديوانيت الذي أجلى إلى أجل غير مسمى لم يشهد انطلاقه. وقد كان أنصوة الأكتو عزا. بكون فعلا في إدارة اليسار والديمقراطية الفرنسية لإرضاء مطلبهم.

وكان ابن جلولة الذي يمثل التجمع الأكثر اعتدالا للمؤتمر الإسلامي، قد طرح جهدا فائق وشكرك الإصلاحيين خلال اجتماع بشبي التركي. وبمضور النائب لاغروزيير (grouzière هـ). إذ جفر الحكومة الفرنسية من نتائج سياستها التسلية قائلا: بلوهم من إزالة الأوامم بصفة كبيرة لدى الجماهير المسلمة، ورغم تدخلات المراسيم على الأوسل وتعلمهم ثقافة عربية طائفا لانفقد الأمل، لأنه وأعلنه أنهم المسلم، أحزاب اليسار تحظى تحيئة نحن أعضاء لدرابية النواب المسلمين بالدعم الثابت غير أنه وحتى أخلي مسؤوليتي، ومسؤولية النواب المسلمين لغير الحيتة فإن الانتشار الضيق يمكن أن يحدث حركات لا يمكننا نحن النواب المسلمون صنعها.⁽¹⁴⁾

كان النواب ويأخذونهم للشخصية، يفتنون كقوة المدورن المواجهة للوطنية،
 الثورية، لكن الحكومة القومية أصبحت تعتمد أقل على مبدأ الإصلاح الذي صار
 متجاوزاً، وتعتمد أكثر على القمع للحفاظ على السيطرة الاستعمارية. وقد أصدرت
 الحكومة مرسوماً جديداً (24 ماي 1936) يقرر أن «أنا كان يقسم على المساس
 بوحدة التراب الوطني أو بسلطة فرنسا على التعلقات حيث تمارس هذه السلطة،
 ومهما كانت وسيلة في ذلك، سيخالفه بالسجن لمدة تتراوح بين سنة إلى خمس
 سنوات، وبغرامة تتراوح بين 100 و 5000 فرنك (المادة 90)».

كما حضرت أيضاً المجمع على أنجز تطاليز في وقت بقي فيه الإصلاحيون (علماء،
 طلبة الخواب، والحزب الشيوعي) يتحكيون ويصوتون على اتباع سياسة صلت
 فيها للاستعمارية أمراً بديهاً واستثناء استثنائهم. فإنهم لم يعدوا عن مواقفهم.

الهوامش

* ترجمة مؤلف أعراق

(1) الأمة، 11 جلتفي 1938.

(2) Mubfoud Kaddache, la vie politique, op. cit., p. 312.

(3) نادي النشري بالعاصمة.

(4) المحاضر، ص 1937 (المجلس المركزي للصحة العامة).

(5) La différence, 4 Janvier 1938.

(6) L'Essence, 4 Janvier 1937.

(7) نظرية موديم، نشرت في كتاب (L'Algérie vivante et morte) ed. Alcan, 1931.

(8) هي منظمة يديرها الأمين العام، وقد عقدت اجتماعاً لها في قاعة سونما بالجزائر (Démocratie) في 12 جويلية 1937.

(9) وصلت لنداء الإدارة القضائية إلى مرحلة الانتلاخ حليمة وحلق لصحة كتي فرد إلى سنوات عديدة، وهو العمل الذي اكتمه طارق الفدي، جويلية 1937.

(10) الأمة، ديسمبر 1937 منذ أن سلحت العلاقات بين الحزب الشيوعي الفرنسي ونجم شمال إفريقيا (E.N.I.) أنهم سقوا ملئاً من طرف الشيوعيين بأنه كان محبلاً يعمل لصالح شيك لربلان، ورغم الاحترام الكبير الذي كان محلياً، وكه لهذه الشخصية ويقاسمه نفس الظلم العربي الإسلامي، إلا أنه كان يختلف معه حول عدة نقاط مكتوبة أو استتارية.

(11) كان الحزب الشيوعي وعن دون مشاركة في الحكومة، بدعم سياسة الجديدة الشعبية بكل قوام.

(12) الأمة، ديسمبر 1937.

(13) Mubfoud Kaddache, vie politique à Alger, op.cit.

(14) الأمة أكتوبر 1937.

(15) جريدة الشعب (المحررة) في 15 سبتمبر 1937.

(16) La Mobilisation de la République algérienne

(17) نكودو النعموس المتطلة بالبيان المذكور والتكثفات أمام لجنة الإصلاحات في كتف الحركة الوطنية السابق للذكر.

(18) مالمسة، نوفمبر 1937.

(19) م. هداش، المراجع السابق، ص 349-350، ص 350.

(20) كتاب ابن باديس الذي كان واحدة من المتدوين.

«... ثم نطلب إلى دراسة لتطويع المستعمرات الجزائرية. لأنه يجب أن يبدأ أولاً بتحرير عقولنا وتخليصها من السخونة (صدى الصحافة الإسلامية 5 سبتمبر 1936)».

(21) «التعب» نوفمبر 1937. كان من الطبيعي أن يبالغ العلماء في قدرات الجبهة القومية لتحرير الإصلاحات وأنهم آمنوا بأن الطرب الشيوعي يتفكر به عضوًا فليلاً في هذه اللجنة، بإمكان أن يطلب دواءً منه.

(22) la lutte social, 8 janvier 1936

(23) La défense, 16 mars 1936

(24) la Jilbab, 7 mars 1936.

(25) l'entente, 27 avril 1936.

الفصل الخامس

قتل سياسة المؤتمر وترسيخ التيار الثوري*

حزب الشعب الجزائري

لقد أدى التطور حيلولة الجبهة الشعبية إلى إحياء آمال الإصلاحيين، وإنا كل هؤلاء ■ استمروا في ترميمه، فإن ذلك يعني بأنهم احتفظوا بجميع وسائلهم وخطواتهم، من دون لكجة ملحوسة، وأظهر من ذلك، ثم تمكن لديهم أي سياسة جديدة. فقد سباحت آخر الانتخابات، وظهر التمسك الجزائري بمبادئه الحقيقية، أما، من حيث مبادئ القوة.

وكان حزب، الشعب الجزائري الذي يمثل الحزب الوحيد الذي ندد بمشروع فيوليت، يشهد اتصالاً في سياسته، إذ أنه وحده جازفي 1936 استعاض المندوبين التي تاريس نفسه في صحيفته، حيث صرح: « نعلم جيداً أنقسط بأن معارضتنا لمشروع فيوليت، ستعبر عنها معارضة المستعبيين منه، لنقتلنا قبلنا بذلك، لأننا « نقتلون بأنه ■ نقتلك للمجتمع المسلم ولما بهجه علينا أن نفعل كل شيء، لنفتح للشعب المسلم الذي يثق كثيراً في منطقته، من أن يكون صانعا لحسارته الشخصية¹ ».

في مارس 1936، (دائماً في نفس الصحيفة)، استعرض حزب الشعب الجزائري نشاطات المؤتمر ليقول: « أن المؤتمر الإسلامي (7 جوان 1936) يقدم لأشعة مطالب للحكومة. وفي 26 جازفي ■ تم حثو نجم شمال إفريقيا، ولأنك أن ذلك كن أول مطلب للمؤتمر الإسلامي وفيما بعد اختلط العيالق العمالي مع مشروع بلوم- فيوليت، وإلزام المستأثريون حالة كيرت.

وفي مارس 1937، توجه وفد من المندوبين عن المؤتمر إلى بلومبي، وظن
الاستراتيجيون أنه يمكن التفاوض مع العرليطيين والبراميكالين، «العيساوة»¹²
والكاثوليك. وفي جويلية 1937، سبّح المؤتمر الثاني في «نادي الشرق» من طرف
المسيحيين، واستقال رئيس المؤتمر. لأن المؤتمر لم يكن كما ظنه، أي مؤيد إسلامي
يجمع توجهات الجرائد

وبعد فشل المؤتمر تذكنت النقطة السياسية لحزب الشعب الجزائري، وهو
ماجلب إليه تعاطف شباب المؤتمر الإسلامي، الذين التحقوا بمواهب حزب الشعب
الجزائري، مثلما تشهد عليه هذه القوصية التي صوت عليها خلال اجتماع في فيفري
1938، الذي جمع شباب حزب الشعب الجزائري مع شباب المؤتمر، «نظرا إلى
الأحداث الخارجية والداخلية التي شفي علينا الضرورة العاجلة لوحدة الشعب
الجزائري»، «ونظرا لأن هذا التوافق يعنه المطالب العاجلة، والمستوحاة من جميع
المنظمات والأحزاب المكونة للرقى في البلاد مع احترام أيديولوجياتها الخاصة»،
«فإن شعبية المؤتمر وشعبية للعلماء باعترافها مؤتمريين، وحزب الشعب
الجزائري، يتجهدون أمام الله وأمام الشعب، بانتخاب ممثلين قصد التشاور ووضع
برنامج مشترك للتوافق والعمل بين الجميع، وسيلخذ الممثلون اسم لجنة التوافق
التي منظم تقريراً للشعب، وحدة لا غيرة»¹³

وقد أثر عمل مناضلي حزب الشعب الجزائري على الشعبية التي أغلقت من
مراقبة المؤتمر، وكثفت للهجمات على هذا الحزب كقوة ما، وقد قامت جريدة
لعمودي¹⁴ بنشر نشاطات حزب الشعب واللائحة التي صوت عليها مكتبه
السياسي. ليندد بأهداف «إيطاليا الفلطية في إفريقيا الشمالية، ويطالب باحترام
الوحدة القومية لمقاطعة شمال إفريقيا».

وبالرغم من شلعات القاعة القضاكية، إلا أن هجئات الأركان الإصلاحية بقيت
على حذائها.

وقد نشأت المؤتمر رغم جهود الشيوعيين لإبفائه في كبتشاط، في حين أن حزب الشعب الجزائري يواصل تقدمة قبي الهلام وكلاهما انتقم يتم بفضل الكفاح الدائم للمناضلين ضد الإدارة من جهة، وحد الفلندية والعتنقات السياسية الجزائرية من جهة أخرى.

وبدلاً من أن تقوم هذه الأخيرة باستغلال من التخلي من سبلستها الخاطئة، فإنها أصرت على هجمات وألقوا بها ضد حزب الشعب الجزائري

وكان المثال عن هذا الموقف الخريب قد أعطاء فوجات عباس الذي كتب أيضاً: «... مصالي ودون علم منه، يظهر كرجل للندبة الإلهية. لكن هذه المناورة من الطراز العالي (المزايدة في المؤتمر الإسلامي جبرناح لا يمكن تحقيقه قد أحييت» وبوليس ثبقي ففنها فيها والصاح مصالي في لوحده في مواجهة عمله. في حين يضحى به أولئك الذين استلوا، ومصبوه هو السج. والإدانة التظاهرة»¹⁴

مثل هذا التحليل يشير إلى غياب أفق سياسي وإلى الحالة البسيكولوجية الخاصة عند الإصلاحيين في هذه الفترة، باعتبارهم شعاعاً لدور من التميز من إدراك حقيقة الوضع وقصد لإزالة القيود على التفكير. وهو يشير في خطه السياسي رفض حزب الشعب هذا الوثائق المزعومة بوجه ويزن للفضية، وصرح في هذا الشأن « أن حزب الشعب الجزائري ليس له أي شيء مع حزب الشعب التونسي، ولا يمكن إطلاقاً أن يكون بين هذا الحزب الذي يمثل الأمل الجديدة للبروجازية، وحزب كبار الكولون في الجزائر، وبين حزب الشعب أي فلبس مشترك معركة ضارية»¹⁴

وقد امتدت سمعة هذا الحزب إلى الشهاب السكت الذي صار يعني أكثر فأكثر ضرورة الالتزام السياسي، مثلما يبينه هنا كشميرج حول دور المثقفين الذي سرح به واحد منهم: «... أمام الإمبريالية الفاعلة التي جتت طرقها التقيدية، وجه مصالي نداء للرجال ذوي النزامة العسنة الذين لا يكتفون بالمعرفة، ولكن يريدون العمل...» نتمهد بأن نعمل على أن نكون جديريين بالحقبة التي وضعها فيها مصالي¹⁴ وقد أخذ المعتقلون يتحققون شيئاً فشيئاً بحزب انشعب الجزائري

للكفاح من أجل الاستقلال. ولكي تتجنب تقدم هذه الحزب، قامت الإدارة بتكليف الفهم على نشاطاته العامة وسعت اجتماعاته وتجمعاته. ظهر أن هذا العمل كانت له آثار عكسية، إذ تدعم نفوذ الحزب وقوله لدى الجمهور لوجبة أن الحزب الشيوعي الجزائري رأى مرة أخرى أن ... إجراء لمنع يتخذ في ظروف تبدو أنها تريد أن تنصب الجمهور المسلمة ضد فرنسا على عهد الصحة الشعبية، وتساهم بذلك في شعبية العناصر المعرضين للثلاثين للتجمعات.³⁴

هذا النوع من التحجج الذي نجده على مر تاريخ الحزب الشيوعي الجزائري والمستملة لإخفاء مواقفه الخاطئة، منهم هي إقصاء الشيوعيين.

وبالرغم من المواقف العدائية لأعضاء المؤتمر، وخاصة للشيوخ العظماء، فإن حزب الشعب الجزائري احتج على الإدارة المديرة بعده، ووجه تلميحاً، وكفى، على انقسامنا لنشجداً عدوانياً مشتركاً.³⁵

وأنتم خطيروا العظيم وجه الحزب بناء لتدمير المؤتمر من أجل عقد اجتماع إسلامي جزائري على قاعدة توافيق أمضى في تناول المؤتمرات، لكن دون جدوى، لأن هؤلاء المؤتمرين يلزمون إزاء حزب الشعب وتسلطوا إثارة ضد الإدارة، وتحمل مناضلو حزب الشعب الجزائري لوحدهم كل ثقل التفتيش والتوقيفات والضرب، الإذاعات القاسية (تمثل الشوطة في مقر الحزب بالعاصمة يوم 19 سبتمبر 1938، والذي خلف 40 جريحاً، وعدة عمليات توقيف في صفوفه من بينهم ثممكم على 4 مناضلين، 12 سنة سجن).

ولم نلم أية منظمة بأدنى احتجاج، مواقف ضمنية على العملية أو من جراء الخوف مثل الطيف الفقيهي (الذي بعد أن قضى ثباتاً في السجن وجد أنها ضلّة، فاستقال من جمعية العلماء).

نجاح حزب الشعب الجزائري في الانتخابات القطاعية لسنة 1938.

سجلته هذه الصلة السياسية تنويع حزب الشعب بالرغم من عدة عراقيل واجهها في تطوره، وقد أفلح إلغاء انتخاب زروق محلي الفين (في لمجلس العام) من طرف

مجلس الدولة، انتخبات جديدة، وكان على القوى المتخضرة أن تزن كلامها: إمام
الداخلين خلال حصة كلفت فعملت لاحتجاجات سيصمها حقيقتها.

وقد اختير ممثل حزب الشعب في مؤتمر الموقوف في لرامواي الخامسة، من
بين المناضلين المجهولين عند العامة.

ودعت فعرانية المنتخبين من جهتها توضح التصديقي بقرينة. أما الأمين
لعمودي فزال تركيبة شبيهة المؤامر وتمعنه أغلبية العلماء، فيما دعم الحزب
الشيوعي حاج عملوه وفي زورق محي القين، حنلاً لولاية الإدلة. كل حزب
الشعب الجزائري يريد تطبيق التطلعات الوطنية للاستقلال ودعوة الناشطين من
الشعب للتصويت على مرشح يخرج من صفوفه. وقد تعرض موة أخرى لهجمات
جميع الأحزاب، وود بحزم قائم لعمودي، ولمسناً إياه على أنه لعبة في أيدي
الشيوعيين، بعد أن خدم أمثال قسوة شكيكن والمنتخبين والمسال في لعبة الإدارة.

وقد أسفر النور الأول عن نتائج انتخابية:

(23 أبريل)

الجزائر زائد 13 بلدية، 13179 سجل 90/2 ناخب.

دور 3277.

زورق محي الدين، 2733.

بوفريفة، 1599.

- حاج عمار (الحزب الشيوعي)، 458.

- لعمودي، 644.

في الدورة الثانية، لم يبق سوى ثلاثة مرشحين رئيسيين في الصراع (بعد
انسحاب بوفريفة وغانول حاج عمار لصالح لعمودي) والذين حصلوا على:

- دور 4468.

- زورق محي الدين 4182.

- لعمودي 833⁽¹⁾.

كان انتخاب محمد تيار تذكيرا (إنما كان الأمر في حاجة لذلك) على موجة الحمق التي حركها الرأي، وجعلت حزب الشعب الجزائري أكبر حزب، وحاز دورا على عدد من الأصوات أكثر من مصالي (بما يقرب حوالي 1000 صوت) خلال الانتخابات السابقة، واعتزف للجميع بهذا الانتصار الكبير، وحتى أشرس خصوم الحزب. أما بالنسبة للإصلاحيين، فكان الانتصار لجميع التوجهات، وإذا كان عدد الأصوات التي حاز عليها زروق كبيرا، فإن ذلك لم يفضله صاروف الدولة، غير أن التدهيانات والإقصاء من مكاتب التصويت، والمضغوط من كل نوع التي مورست حتى يتم انتخاب زروق، كمرئح الرسمي، لم يكن لها الأثر الحاسم.

وقد استنفدت حزب الشعب الجزائري بعد خروجه من تصور رغم القوى الموجهة من قبل الدولة، والحزب الشيوعي وجميع خصومه. « إن نجاحاته المتواصلة والمبارزة، أعطت للحزب الشيوعي اتساعا والكثير بالجزائر. الحق الذي لا جدال فيه لاحتكاره للسلطة في كل مكان، شعورهم عن شعور السوفييات في كل مكان». وقد قرر حزب الشعب الجزائري ذلك حتى بقيت بأنه ليس لها إلا من اللعبة السياسية لجميع أمثال بركاته. ومن خيانة الحزب الشيوعي والذي نكر برنامجها الانتخابي⁽¹⁷⁾.

جدال حزب الشعب الجزائري مع الحزب الشيوعي الجزائري

توجه الحزب من خلال نفس الجمعية إلى المستثمرين البلديين من الأهالي، الذين صاروا أغلبية بعد الانتخابات، إن السكك المستثمرين لمدينة الجزائر لا يربون سلعكم إطلاقا تتحدثون باسمهم لسبب بسيط هو أنهم يسمعون منكم الثقة التي منحتم لكم في فترة من القمصر.

سامتي المستثمرين البلديين السوفييت، أو حلو، إن الشعب قد نقباكم.

إن هذه اللهجة المنيفة، شجرت دوجة القماء التي طبعت العلاقات بين حزب الشعب الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري، عقب الحملة التي شنها هذا الأخير منذ 1936 ضد الحزب الوطني.

وهي فترة لاحقة، ومحولة منه لتدوير موقف الحزب الشيوعي الجزائري خلال هذه المرحلة. إنَّ حزب المليحة الاشتراكية (P.A.R.)⁽⁵⁾ كان نجاح الحزب الشيوعي الجزائري كان يثير قلق الاستعماريين بشدة ووقع حزب الشعب الجزائري على موقف «معاد للشيوعية» وهو ما أثار بين الحزبيين جدلاً شديداً يفتتحه، سواء من جانب أو من آخر، والذي يعكس في نفس الوقت صراعاً بين إيديولوجيتين، إيديولوجية الطبقة العاملة، وإيديولوجية البورجوازية الصغيرة.

وعلى العكس من هذا التأكيد فإن الخلاف كان قائماً حول خطين سياسيين، خط الإصلاح الذي اتبعه الحزب الشيوعي الجزائري، فينبول لمشروع يقوم - (قبوليت)، وخط الاستقلال الوطني والكفاح الثوري الذي دافع عنه حزب الشعب الجزائري. ولم يكن هذا الخط يمثل إيديولوجية البورجوازية الصغيرة، لا بتكوينه البهري، ولا بمحافظاته، ولا حتى بأهدافه ووسائل عمله⁽⁶⁾.

وإذا فرضنا نفس على أنَّه الحزب الأكثر شعبية والأكثر راديكالية رغم الإدارة والمؤسسات الإصلاحية،⁽⁷⁾ حزب الشعب الجزائري، سار واجهة للمركبة الوطنية، وكان عليه أن يتحمل على عاتقه هذا لأن المسؤولية لتفاحة قصد تحليل المظاهرات الوطنية للشعب الجزائري. وعليه، فلابد من دراسة هذه الحملة، لقد كان الرهان كبيراً للحزب الشيوعي يريد منع صعود (حزب) «مليحة» على تمويل للعمل وجذب المصروفين، لأن حزب الشعب الجزائري ليس حزب «إيديولوجية البورجوازية» التي تركز على المصلحة الشخصية كما يدعم الحزب الشيوعي، بل بالعكس، فهو يعتمد ثوبه من العمال والبطليين ومن كل جماعات الجزائريين المسلمين (الأغلبية الساحقة) الذين توكلهم منقلب الحزب الشيوعي والإسلاميين على الهمش. ومن دون أن يجعل المتأخر الاجتماعي للعلامة، فهم حزب الشعب الجزائري والشعب الجزائري أكثر فأكثر أن محل التحفة بقي يكمن في لتحرير الوطني ونهاية الاستعمار بكل أشكاله فن وضع شعار الاستقلال بدلاً من شعار مشروع بلوم - قبوليت يمكن اعتباره والحد من الامتصاصات الكثيرة للتقيل الثوري.

وبتجنيد الجماهير التي بقيت إلى غاية تلك الفترة ضحية مفارقة السياسة الاحتجاجية للنزاع، والسياسة القائمة الأملاك والمقايضة والاستراتيجية السياسية الإصلاحية الحزبية الشيوعية، فإن حزب الشعب قد وضع بذلك البذور الأولى للاتجاه النوري والشعبي، وأصبح الشعب واعياً بحقه في الاستقلال التي لا يبرهن، وفي نفس الوقت بالشروط التي يجب توفيرها لتحقيق ذلك. وتعلم أولاً ألا يعتمد إلا على نفسه، وعلى إمكانيات الشخصية، وليس على شخصيات أو منظمات تعمل وسطاء لتتاجر بخلافه، والتي صيؤكده المستحيل أنها غير فعالة. أما الإدارة الاستعمارية، فإن لعبتها العقيمة واضحة بلغت حدودها، وتوقفت حيث تم انتقادها، ومع أن دواو محمد انتصب بطريقة شرعية، وأن حضوره بالكتاب واحد من حزب الشعب لا يمكنه التنازع على حداثات المجلس العام، إلى أنه فُصل وعُرض بالعرض الذي يؤمن بالإدارة وهو زروق محي القنن؟ وقد نجد حزب الشعب بهذا التمسك لأنه من خلال هذا التلويح للفتح لمجلس قلاية، والذي لا يشرف تونسنا وماضيها فعلى الشعب الجزائري أن يقدم بأن الاستعمار ينتقم بقوة ضد الفتح المدوي الذي طبق على أدائها الإدارة،^{٥٥}

وقد سهلت بعض الاحتجاجات من جانب المنظمات الإصلاحية، ضد الضريبة وتزوير الانتخابات، ووقع منع نشاطه على المستوى الشعبي (منع الاجتماعات السياسية)، فإن حزب الشعب وسع عمله أكثر إلى النشاطات الاجتماعية للشعب، الأفرع والخلجان الشعبية، أعراس الهنات، كانت كلها تمثل مراكز للنشاط، وكان المناضون مضمونون تديتاً وطنياً عن طريق حركات وخطابات وإنشيد وطنية.

شبكة الجماهير:

لقد قام هؤلاء المناضون بعمل تروبي وسياسي هام من خلال شعرات الحزب، هذا العمل القاعدي والذي نُفذ بشكل حديث (بالنفسية للجزائر) كان حدثاً هاماً في تلك الفترة، إذ أنه جتأ الحزب وسط الجماهير الشعبية، وبشكل آمن حاجز للقمع

وحتى النساء اللواتي كنَّ قبل ذلك خارجَ تجمعاتٍ السهراسية، بدأن في الانضمام. حينئذٍ، حضرنَ مؤتمراتَ جنازة كحكاة تُوْلي^{١٣١}. في لحاظ الموكب الجنائزي، الذي حمل جثمان الشهيد إلى مقبرة سيدي محمد (المذكور، العاصمة) لكثير من ١5 ألف شخصاً منهم مجموعة من النساء اللواتي كنَّ يوفعن على التخليد الوطني الذي ينشده الرجال، بالزغاريد.^{١٣٢} هذه التزاويد التلمعية كانت تعبر عن عواطف النساء عن الأفراح الكبرى أو الأحزان الكبيرة حيث كانت تعني الدعوة للتخلي بالشجاعة والصمود. وهي تفسح التفرين وتضاعف الطاقات. كانت هذه الجنازة جد مؤثرة. أعقبها عبد جنبلل معاتلة. وقد جمعت مقامرات ١4 جويلية 1939 نهائياً لتلقي حزب الشعب الجزائري على باقي الأحزاب إذ جمعت منه المظاهرات 25000 جزائرياً إلى جانب النعجة الشعبية، ويشعاراتهم الطامسة: «براهن جزائري الحرية للجميع، الأرض للخلايين، مدارس مربية، احترام الإسلام، احترام المساجد».

ورغم الخلافات والانتقادات إلا أن حزب الشعب سيُثل نجم شمال إفريقيا رجداً نفسه دائماً جنباً إلى جنب مع القوى التقدمية. فكان برهان علي قوله قد تحدث تأليفاً كبيراً وأثر تذكروا بعضهم (الإصلاحيين) ولقي بعضهم الآخر (الاستعماريين). وكان هذا البرهان كذلك الأخير بالمسبة إليه لأن سماء التعليم كانت سوداً وطمح العرب، بالتعب، مما منح الإدارة الاستعمارية الصفة لتتمزج حملة كبيرة من القمع والانتقادات.

كانت فكرة الاستقلال تأخذ متربها. يباينها حزب أخذ يشبه كل بصورة من أجل تجسيدها. وكان الرصاص بين هذين المصممين والبرهان في تعبئة الجماهير، بشكل الطير الوحيد على الاستعمار. خصوصاً وأن مصالي وأسد فامد عد أئماً عقوبة المسجون وأطلق سراحهم يوم 27 أوت 1939، وهو ما دهم نشاط الحزب. غير أن الإدارة رأت بأنها «تعرض النضال الوطني للخطر»^{١٣٣}

وقد ضربت الإدارة بة وقت فحسرت حروب الشعب وجميع جرائمه (الامة البرلمان، الشعب) في 29 سبتمبر 1939. أي حوالي شهر بعد إطلاق سراح مصالي وقد أوقف هذا الأخير مع عضوات المنسنيين والعقائطين. وكانت هذه التوقيعات المكتبة قتلية بالنسبة للحزب الذي كان يطالب بالاستقلال.

وهتى الشيوخين الجزائريين وبالزعم من «وافتة» للعتقلة إزاء المسألة الوطنية الجزائرية، فإنه لم ينبج هو الآخر من المحضر (أو الحل) والتحق مناضلوهم بمناضلي حزب الشعب، في العجون، وفي مواكبة العشد. وسقط للجمع بمختلف أشكاله على جميع أنحاء الجزائر، وسمح للورى الأكثر رجعية للاستعمار لفرض قانون السيطرة والاستغلال على الشعب الجزائري بمساواة أكبر.

وقد عرف الاستعمار الفرنسي كيف يوحى برعده، مغرصة الإصلاحين ضد تيار الاستقلال في وقت كان هو يقوم (بعدة عشر سنوات) بقمع هذا التيار. وقد رفضه بعد أن فشل برعده، حتى إرضاء المطالب المحتشمة للمؤتمر الإسلامي واعتقل أول خمسة ليشبون جملة قمع شاملة على كمال الحركة الوطنية.

ودون أن نعيد كتابة التاريخ يمكن القول أن التوزيع كان سيكون شيئا آخر، لو تبكت جميع اتجاهات الحركة الوطنية كقوة الاستقلال وفصامت مع حزب الشعب. وكان بإمكان الإمبريالية أن تنفرد في قمع هذه القوة السياسية كما كانت دائما، وذلك لطوقا منها ومن ثورة جموع ممثلي الشعب الجزائري حستها في ذلك الطرف المظلم. وقد ظن الشيوخيون بأنهم سيستفيدون من هذا القمع الذي سقط على حزب الشعب، واحتلال سيدان الفصم، وهم بذلك وضعوا حسابات خاطئة، وقاموا بعمل أحمق بالجملة. أما جمعية العلماء التي كانت ضحية لاستراتيجيتها المتعاطلة والمخنة بالإنلاقات (قضية العقبي) فإنها أدارت ظهرها للجمع. في حين بقي النواب الذين يتصوا من جراء فشل مشروع فيوليت، في خلاف حول نوع الشرعية التي يعبرون عنها للحكومة الاستعمارية، فلا ابن جلول و«الجمع الفرنسي المسلم»، ولا فرحات عباس مع «الاتحاد الشعبي الجزائري»⁽¹⁾ الذي كان يريد التوجه إلى الشعب، كلنا في مستوى إبرائه خطورة الوضع، أو القدرة على تحديد خط سياسي متطابقا مع المصالح الوطنية للبلاد.

تأكيد الخط الفوري عند حزب الشعب الجزائري،

الحزب الشيوعي الفرنسي، والتحرير الوطني

لقد لمكن لنا متابعة تطور الحركة الوطنية في خطوطها العريضة بعد الحرب العالمية الأولى إلى نهاية عتية الانقلاب الثاني الذي عصد شويحة هامة عن البشرية وتسدنا لم يكن وصف هذه الحركة ولكن محاولة الكشف عن عسل تكوين التيارات الفوري من هذه الحركة، ومر خلال ككفاح، والتقلبات السياسية، والإيديولوجية، وكذا مواضع الكفاح الاستعماري. وانطلاقاً من هذه المعطيات الموضوعية، يمكننا الجزم بأن تجم العمل الفريقي وحزب الشعب الجزائري هما الآن مثلاً هذا الجار ولا أحد دون مثله.

ومع أن جمعية العلماء قد ساهمت بعمق إيجابية على المستويين الثقافي والديني، إلا أنه لا يمكن اعتبار سياساتها على أنها استغلالية. حتى وإن كانت قد ساهمت بقوة في تأكيد التمسك بالجزائرية. قيمة يمكن اعتبار الذواب (الدينية) بأنهم الأكثر تمسكاً للثبات، والفكر القومي، الاندماحي في إطار قانون خاص لو من دونه (مسلم).

ومن الصعب أن ندري في الذواب، بمسلماتهم، وتكريهم وثقافتهم، على أنهم العبادون للوطنية المستقلة.

أما عن الحزب الشيوعي فإنه كان إلى غاية سنة 1936 حزباً فرنسياً يترافع كرمي لكنه منشغل فعل كل شيء بالصراعات السياسية والاجتماعية في فرنسا، وباستراتيجية الشيوعية العالمية. وتأسيس الحزب الشيوعي الجزائري لم يغير كثيراً في هذه الوضعية، بل بالعكس فإن الحزب الشيوعي قد أعطى سطة الاعتدال لبرنامجهم للدرجة أنه يمكن تصنيفه بوضوح، ضمن التيارات الإصلاحية الأكثر اعتدالاً. وبإتباع من يحاولون التمتع في هذه التيارات (مع بعض النجاحات المؤقتة) في إطار المؤتمر الإسلامي، إلا أنه بقي خارج الاهتمامات الوطنية الرئيسية. ويمكن القول أنه كل يعمل في الجزائر من أجل وطنية فرنسا الاشتراكية والتي ستصبح مركز قيادة للبندان المستعمرة والدمجة. لكن كون فرنسا

الاشتراكية هذه لم تكن سوى ثقافة وأمنية الحزب الشيوعي. ولا أحد كان يتصور قيامها، فإن هدف الشيوعيين من عملهم كان بهذا المشاكل الاستعمارية التي كانت ملموسة، بفرضية والسعة.

ومن جهة أخرى، فإن الحزب الشيوعي كان يعتبر نفسه بأنه الصانع الرئيسي لإنهاء الاستراكية في فرنسا، ولذلك فقد ادعى من تلقاها وأحد بلن صاحب الدور انفرادي، واعتبر القوى الأخرى الطليقة وإنها تساعد لتبعه المخطط والاشتراكية. وحتى خلال «مرحلة الثورة» (1925-1935)، عندما ساند كفاح التحرير في المستعمرات، وحلها في الاستقلال، لم يكن يدخل يدور ذلك في اعتبارها. لكفاح العملي ضد الفرنسية، وهي أثنى انتشاره للذين، ومع أن الشيوعيين الذين كانوا يعلمون بصدق للاستعمار قد كانوا في صفوفهم ضد الفرنسية (الفرنسية) وروح التفوق التي تطبع الفرنسيين، بما فيهم العمال، ومنذ أجيال، فإنهم لم يدوروا إلى الفخس من ذهنية السيطرة والتحكم في كل شيء (l'égocentrisme) كحزب فرنسي وكحركة مركزها القادي مشترك في الاتحاد السوفياتي، ويحلى هذا بوضوح منه تحليل أدبيات الحزب الشيوعي الفرنسي¹⁷⁹ والذي تؤكد هذه المقالة «لا يجب أن ننسى أبداً أن نشوء من الجمهوريات السوفياتية المسماة للفرنسية. روجيا وأندونيسيا، وعن حركات البروليتارية (العملية) الفارسية والهندية»¹⁸⁰.

يمكن أن نستخلص من صميم هذه المقالة بأن الحزب الشيوعي (الفرنسي) لم يكن بعيداً عن تصور وضع نفس النظم السوفياتي لفرنسا ومستعمراتها، وهو النظام الذي وحد المستعمرات القيصورية للقمية¹⁸¹ نحو أن الشعب الجزائري، ومثل الشعوب المستعمرة الأخرى، لم تكن لديه لا المصلحة ولا الإزاحة في الاندماج في مثل هذا النظام الذي كان يعني مهقة مفقودة من السيطرة.

إن مناهضة الاستعمار الخاصة عند الشيوعيين محدودة في ظهورهم المتعدد للتحرير والذي يبدو أنه لا يعني في نعتهم: «الطيف» (العمل) الذين لا يملكون فيها سوى قسماً ضئيلاً¹⁸².

وأهملوا أيضاً واحداً من الأبعاد الأساسية للحركة الوطنية وهو بُعد إقصاء السيطرة الأجنبية على أشكالها وخاصة منها الإيديولوجية والثقافية فعلا في الجزائر تعتبر فكرة الأمة في طور التكوين في خيط من هشوين عرقاء، (موريس ثوريز) ^(١) فذهب إلى حد ما الإيديولوجية الاستعمارية التي تنكر وجود أمة تكونات سابقا، والذي تحاول تحويل الاختلافات العنصرية إلى خصوصيات وصراعات بهدف إذلتها وتفجير المجتمع. إن (فكرة) مفهوم الحزب الشيوعي حاد عن الأمر الواقع الاستعماري.

اللهوامش

• ترجمه حواله اهرابی

- (1) El camuflaje, 12 January 1956.
- (2) La técnica de la guerra, y el arte de la guerra. En este libro se trata de la guerra en general, y no de la guerra en particular.
- (3) El camuflaje, 12 January 1956.
- (4) El camuflaje, 12 January 1956.
- (5) El camuflaje, 12 January 1956.
- (6) El camuflaje, 12 January 1956.
- (7) El camuflaje, 12 January 1956.
- (8) El camuflaje, 12 January 1956.
- (9) El camuflaje, 12 January 1956.
- (10) El camuflaje, 12 January 1956.
- (11) El camuflaje, 12 January 1956.

يذكر الأمر بالتحليل مشي منبهة النجاة من ذاتي الحاضر كحول وقد اتهم الطمخ العقدي بأنه
مبني على الفتن.

- (12) le jugement algébrique est vrai

1939 (الآن) حزب الشعب الجوزاوي-1

- (13)
- Journal of Philosophy*
- 1972-1973)

مجلة السليمة الاشتراكية (parti d'avant garde socialiste) وهي التسمية الجديدة (بعد 1968) لـ p. 11 ص 3

(١٤) موضوعياد. هـ. ج. هو الذي نستخدمه من فيزيولوجية الجورجوتية الصغيرة بتعلقه مع التغيرات السجالية، شطرنج، وهذوية تنويعه والاشتراكية، وكما أنه كمنفعة من إصلاح حقيقي (لكنه غير ديمقراطي) وبأساليب جديدة تجلج قشرب لثاني، يمتد خربل ومن الموضوعي أيضا أن حزب الشعب كمنزاري، الذي يمثل فيزيولوجية الجسماء الضمنية والعمل الجزائريين.

(15) le *publicateur algérien* 18 mai

(16) وقد كانت جوائز واحدة من مسؤولي نهضة الشعب وحزب الشعب ج. وعضو المكتب السياسي، لم رئيس اللجنة المركزية، أوفد في فبراير 1938 وشوفي من نشر سود المعطاة والإعجاب. وقد كان على رأس قيادة حزب الشعب بالجزائر بعد سبون مصالي

(17) *El oumma*, 20 avril 1939.

(18) بالفضل انقسمت لبرالية فتواب إلى عدة مجموعات، حيث تأسس الاتحاد القارسي-الإسلامي لابن جاور، والاتحاد الشعبي الجزائري لفرحات عباس. ولم يعرف هكتين المرتكبين أي نشاط جديد بلنكي

(19) voir *bulletin communiste*, n°331 1-18 janvier 1923, p.47-48. Le *communisme dans l'Algérie du nord* (projet de programme d'union générale du congrès fédéral d'Algier, 14 janvier 1923).

(20) Jambou Mouta, *le P.C.F. et la question coloniale*, p.27. voir aussi J. Jambou, *la révolution algérienne et le P.C.F.*, 2 tomes, op.cit.

(21) voir Bennington, C. *L'Algérie, l'islam et autres approches*, p.190, Paris, 1968.

(22) في الواقع، أن هذا المذموم جعلهم بالملامح التصرفات التي تضمنتها على مساهمة كداح التحرير، والاختفاء والإصلاحات في أكثر استعماري، مكيف أساساً حزب الشعب الجزائري، فإنه كداح كاداً مطالبات وحللتها الشعب. الجزائري، ولم أن دورهم الاجتماعي كانت في الطفولة، من أسروا مواجعة، عمل، مساهم الفلاحين، سلفو الثوار، ومن تلقين.

(23) اجتماع عقد في الجزائر في شهر في 1939 أتمم 3000 أوروبي و 1000 مسلم

III. S'agit, communisme et nationalisme, op.cit., p.110-111.



القسم الثاني

تحويلات الحركة الوطنية خلال
الحرب العالمية الثانية



الفصل السادس

تطور الحركة الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية

(1939 - 1945).

لم يحدث اندلاع الحرب العالمية الثانية تأثيرا مباشرا في صالح الحركة الوطنية التي كانت قد انقلمت ولعبت معنوياتها جراء فشل مشروع بلوم فلوبيت وكان حزب الشعب الجزائري الذي كان قد حارب هذا المشروع نفسه، يتطور بسرعة، غير أن حله واعتقال رؤسائه ونصح مساهليه لوقف هذا التطور في شكله «اللقانوني» على الأقل.

وقد دخلت جمعية العلماء في سبات وحذر أحد أكثر أعتسائها نفوذاً ألا وهو الشيخ المليلب الحطبي عند ولاية الحكومة الفرنسية^١.

وحدث الأمر نفسه مع طينالية تلمنشتيت التي سئلهم فيها بعد إلى فرعين. أحدهما هو فرع بن جلول - الاتحاد الفرنسي الإسلامي - وفرع فريجات هيلس - الاتحاد للشعب الجزائري - الذي تطور في صفوف الجيش الفرنسي.

وكان لحزب التشيوعي الذي حل هو أيضا لأنه ليد سياسة الجبهة الشعبية إلى أبعد الحدود يحاول أن يكافح ضد سياسة فيشي دون أن يتهم أساسا للهزيمة الاستعمارية الفرنسية.

لهذه الأسباب مجتمعة لم تكن الحركة الوطنية تملك لا الوسائل ولا الإرادة السياسية كي تحول لفصلحة الجزائر التغيرات التي طرأت بفعل الحرب وخاصة ضعف مراقب الاحتلال.

وعليه فقد واصل نظام فيشي سياسة - الخطأ عن الإمبراطورية - الثقلية وزادها خطورة، على غرار جميع من سبقوه.

ومن ناحية أخرى كانت هذه السياسة تحظى بإجماع كل فتيولات الوطنية الفرنسية الرئوسية التي كانت تعوض الاحتلال الغزوي والاعلاء وتحارب من أجل تحرير فرنسا.

وكان كل من الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الجزائري، يشتركان وإن بصورة مختلفة في الانتماء نفسه، كما تبين شغلاتهما الخاصة بالانتماء للفرنسي الإسلامي.

وكان بإمكان حركة وطنية موحدة وخاصة منذ 1939 قبل إعلان الحرب - أن تفرض على الأقل شروطاً سياسية لإشترائه الجزائريين في الحرب.

كان يعتقد ورها أن مشتركة تحرير البلاد عند انتهاء العدوان. وبدلاً من هذا تمت تعبئة عشرات الآلاف من الجزائريين وبقي الآلاف منهم في ساحة المعركة من دون أي مقابل ليبددهم بل على العكس من ذلك فقد تم استغلال هذه العمالة بالدم في الحرب ضد القوات الفاشية لتتبرز كاهمية في الجزائر عن طريق إدمان رسمي.

وقد أظهرت المطالبات السياسية الفرنسية غياب وضوح سياسي باعتبارها أنها تستطيع من الضعف (المؤقت) للحركة الوطنية للعامل - على الرغم من الاضطرابات الكبيرة التي عززت العالم - على كثرة أنواع الاستعمار رجعية.

غير أن المسؤولية الأكبر تلح على عاتق الحزب الشيوعي كانت تستهين بمطالب الشعب الجزائري مرهمة إياه بذلك على تتجوه إلى استعمال كافة الوسائل حتى يصرز. وكان على الإصلاحيين أن يتفهموا بصورة شاملة جداً أن الهزيمة التي تكبدها فرنسا وحركة المقاومة ضد الاحتلال النازي كانت ستؤدي إلى إعادة النظر في المطامع التي تقوم عليها الإمبراطورية الفرنسية، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث وقد كان عدد من الجزائريين (خاصة الشباب) يجدون العزاء في فكرة أن استعمالاً بهذه التجزؤ في الطبقة السليمة الفرنسية إلى عوجة التحول إلى فكرة لا يمكن القضاء عليه إلا بواسطة معركة قومية.

ومن ناحية أخرى، وزعامة على الصلح والشورى التي تحدثها، فقد أظهرت الحرب الجايح النفسي للقوة، وهشاشة بذلت التفكير وأنظمة (منظم) التي كانت تبدو مدينة البهليل.

وهذا أحد الأسباب التي جعلت التبلات الإصلاحية تكلف موقفا أكثر تقصا وتتذلى عن سياسة الإحراج.

وإن كانت قد جعلت وضع الشعب الجزائري أكثر صعوبة (ثورة، أوبئة، جوع، قمع)، فقد فتحت في الوقت نفسه آفاقا (جديدة) أخرى.

نعم إن مناضلي حزب الشعب الجزائري 1938، خلصة الجيل الجديد به أو يتصورون الحرب بصورة أكثر صرامة، فلجئوا بذلك في خلق فكرة سياسية قادرة لا على الإثارة والدعاية حول فكرة الاستقلال فحسب، ولكن على المشروع في نشاطا تنظيمي عملي والتحضير لمرحلة التحرك (العمل) والحقيقة أنه الوضعية الجديدة التي أوجدتها الحرب وحدها حزب الشعب الجزائري، وتتمتع بالشفاعة، وأبشع الاصلاحيين، شككت، الكثيرة من عوامل النضج للثوار الثوري ورفضت لها آخر من الهقاوسة، ولا ينبغي أن ينهم من هذه أن هناك نقصا بين الأجيال بين مناضلي ما قبل 1939، والمناضلين الذين نشأوا بحزب الشعب خلال المرحلة السرية.

فالامر يتعلق بهي أوضح، لدى جميع المذاهبين، بالمشكلات التي تطرحها الثورة، والتطورات الجديدة للحرب¹⁸

وبداية من عام 1939، كثر دعاية القاعة إما مسجونين وإما قد رحلوا إلى المحطات، وكان على التنظيم أن يمتدج بشكل مضموس، فقد وصل مناضلون جدد إلى مراكز القيادة، وأصبح التجنيد على مستوى القاعدة أكثر حزمًا والعمل النضالي أكثر انتقالية.

ولإحباط القمع، كانت مبادئ المنظمة السرية تطبق بصورة أكثر صرامة، وكانت الإدارة الاستعمارية تعتقد أن بإمكانها قطع مخرج حزب الشعب ووضع حد لنشاطه. وعندما أحسست بالسخط المتزايد في فوسات الشعب زادت من قمعها.

وكانت تضرب (عن طريق الحكام قذيفة) ^{٢٤} فائدة تلحق بالذي كان وحده قادراً على أن يطردهم الشعب المسلم ويُسقط له الأهداف السياسية الوطنية وقد مرّ هذا الذبح حتى الجنود الجزائريين للمجنّبين في الجيش الفرنسي حيث كانوا يذبحون إلى المضايقات والظلم (وقد فُتشتت التعاليم الوطنية أيضاً بين العسكريين الجزائريين).

وقد حدث أعتقه ليعبر عن هذا التذمر في ثكنة (Maison civile) في شهر جانفي عام 1941، إذ انتفض مئات الطلبة الجزائريين من فلبق مشاة المشرق بقيادة أحد ضباطهم وادخلوا المدينة وبغوا حرها المبطنة خلال عتايام، وقد تم القضاء على هذه الحركة مع قووم اليهودش الفرنسية. وعلقت الحركة عشرات الضحايا من الضابطون ولكن التلميح الذي تلاها انتهى بالعديد من الانقلابات في صفوف الثوار الذين تمت تصفيتهم في حطين دلي بأعداد كبيرة حسب شهادات الشهود ^{٢٥}

وقد كان هناك تطعن كبير في لعل وعدده هذه المذبحة التي بلغت عاصمة وحسب الشهود أنفسهم، فقد كانت علامة على حمول ثورة على مستوى جميع إقامات العسكريين الجزائريين.

لأسباب بلوت مجهولة. ثم بلوت هل عسكري (Maison civile) لجوابد مما يفسد فشله، وهناك حقيقة أكيد: وهي، أنه كان يعمل ضابط هل موجب ضد المصل. وقد فسرها بهذه الطريقة الشعب المسلم.

مهاكمة مصالي:

يطلب أن هذه المصالة قد أثرت في فواتر القضاء المحكمة العسكرية الذين حكموا على مصالي رغم موقفه المعتدل تحييد وتصويحه أمام هيئة المحكمة ^{٢٦} وسامع هذا الحكم من دون شك في إضفاء شرف والفائدة في عيون الجماهير، على مصالي، كما أن الكذبات التي كتمت جفوان فجزائر العاصمة بداية النطق بالحكم، «يحيا مصالي»، فالجزائر لنجى فتريدته تعكس جهلا مشاعر الشعب ودون

أن ذلك من عزمهم الأحكام الصادرة في حق قضايتهم، وجد المناضلون فيها على العكس من ذلك، مثالا يعتد لمواصلة الكفاح، دون أن يحبط عن عزائمهم القمع. أما حزبهم فبعد أن حرم من مسؤوليه العظام فقد تكيف مع هذه الفترة وازداد قوة محبطا أهداف الإدولة، وفيما عدا الشيوعيين الذين كانوا يعمرون القمع الفاشلي على يد - فينشي (وأقل منه بسبب عملهم في سبيل تحرير الجزائر من تطبيق أوامر جميع الأحزاب الشيوعية ضد الفاشية). وكان حزب الشعب الجزائري يعمل وطأة القمع.

كان يعمل بمرور هذه المعارضة المؤسسية الرئيسية للإستعمار. ويعمل الأمل في التحرير، فالكفاح ضد الفاشية لم يكن ينهي في تنوره ثم يؤدي إلى التخلي عن حق الشعب الجزائري في أن يكون مستقلا ولم تكن لديه ثقة في أن حركات المعارضة المؤسسية ستسحب لتطاعت الشعب الجزائري عند انتهاء الحرب.

والد وجدت هذه البصيرة الشائفة ما يبرزها فيما بعد، بسبب مواقف الحكومة الفرنسية التي أقوتها للمقاومة. كان من واجب الحزب الشيوعي الجزائري⁽¹⁾ أن يكافح ضد القوى الفاشية التي كانت تعطل تونس وهددته نظرية، لكن لم يكن ينبغي عليه فعل ذلك، كما حدث بالفعل، على حساب الكفاح من أجل استقلال الجزائر. وعلى الرغم من موقف مناسله الشجاع والتضحيات التي قدموها فقد وضع الحزب الشيوعي من جديد خارج للمسار الثوري.

كانت هذه فرصة أعطي إليها حتى يضع نظريته الثورية موضع التطبيق ويتحالف مع حزب الشعب الجزائري على أساس نمو تحرير الجزائر والكفاح ضد الفاشية.

وبمساعدة الحزب الشيوعي الفرنسي مجموعات المظلومة الأخرى، كانت الأحداث ستعرف تطورات أخرى ولم يكن هذا الحزب سيقتصر في التأثير في الحركة الوطنية يومئذ رويما نظريته فترة حزب التحرير.

غير أن موقف الحزب الشيوعي الجزائري (التي كان محاكاة لموقف الحزب الشيوعي الفرنسي) كان يتمثل في منح الأولوية لحرب ابلدان الأوروبية من أجل تحريرها دون أن يضعف إليها المصالح الوطنية للشعوب المستعمرة.

أما حزب الشعب، فعلى العكس من هذا، كانت مشروعية للمعركة ضد الديمقراطية لا يائني لها أن تعجب ثملعات التجم. تتميز لثري الذي كان هو أيضاً ضحية لاستعمار طويل، وقد علمته خبرته التاريخية أن لا يعتمد إلا على نفسه وأن لا يتسنى مهما كانت الظروف مصالحه الأممية. ولا يتبقى له أن يشكل على حسن نية الأطراف الأخرى سواء أكانت الطبقة العمالية أو ديمقراطية قوية كالمحطة، أن يضموا له الدفاع عن هذه الحقوق.

ولم يكن ينبغي للحزب المحتومة ضد القومية وللثامن للبروليتاري أن نحل، بالنسبة لحزب ثوري، محق حرية تعبير شعب مضمته كما كان الحال مع الشعب الروسي.

حقيقة أن الحزب ضد المستمر لثاني كانت تتطلب نظائر جميع الجهود، ولكن ألبست هذه الفترات الممثلة هي التاريخ التي تأخذ فيها مثل الحرية بعدها الكوني هي التي يجب أن يتم فيها إسقاط الفريوات نومية على هذه المثل وتوسيعها لتشمل جميع الشعبين؟

وعلى الرغم من الاضطرابات الفكرية التي حدثت منذ عام 1939، فقد ظهر الحزب الشيوعي الهناري من خلال مواقف الإصلاحية غير مثاقم دائماً مع حزب التحرير الوطني.

وقريباً سيصبح بعداً جداً عقارته بشتيلات الإصلاحية لموجات سياس والمعلماء، التي كانت قد تطورت بعمق ملحوظة. خاصة بعد نزول السلفاء في شمال أفريقيا (8 نوفمبر 1942).

وقد ظهر عدم انسجامه على حكمه وتطور الحركة الوطنية التي انتشرت أكثر مع ميلاد أحباب الحرية والبيان. وقبل نزول الأمريكان الإنجليزي. لم يضر العلماء الذين جرموا من الخمل قاتلين لهم إلا وهما تشيخ للطيب الحقيقي الذي كان على اتفاق كبير مع الدولة وغادر الجمعية والمعلمين أين يذهب الذي توفي عام 1941، أي نشاط سياسي.

وتوخيا للخطر، راحوا يتكلمون أن تتسبب الظروف ليهلوكوا الشهور واكتدوا بالفساد طارئة الكفافية، بلتي كانت مضمومة.

مبادرة فرحات عباس :

كانت المبادرة اتسيغسية الوضعة قبل هذا التكوين قد تخطت من قبل فرحات عباس الذي فتح إلى العايشة "بستانه" *Recreational Parks* لائحة مطلب ، لقد تمت عصفرة الجزائر وكانت النتائج متونمي أكثر المطلب موعودة، ولكنه تم استثناء أمور غاية في الأهمية ألا وهو عصفرة سكتة اليد وها قد وصلنا إلى مفارقة تاريخية، كان ست ملايين شوقي على أرض أوروبية وفي المناطق الأوروبية كل مضطحة يرمي بسلسلة إملاجات من قبيل

1) إنشاء «مستشفى فلاحية» مخصص لمواظبة جالجلان الفلاحية للدارثلحفاة على الفلاحين في لوانهم.

2) «مستعمرة» مبنية المؤسسات الكبرى وتعلم لراشها إلى الفلاحين.

3) تطوير التعليم الذي لا يمكن لأي إصلاح أن يكون حيايا بدون.

4) إنشاء «مجال جديد» من البلديات يكون أساس الدولة.

ولم يكن فرحات عباس الذي حلق بمسألة الامماج قد تطلعي بعد من هذه الأميرة كما تبينه سيرته.

وقد نلت الكلمة رغم حالات الضخمة السابقة لا تشوبها شائبة، في القاعة الفرنسيين، حول دورهم على ترقية الإصلاحات وقد لقي من قبل نظام فحشي، الرهض نفسه الذي لقيه من الأنظمة السابقة، غير أن هذه الثقة سمحت بهما بعد، بفعل هذه التحيزات المتعاقبة من ناحية، والمشرجات الكبيرة التي عرفتها الأحداث يومسول الثورات الأنوار وأمريكية إلى شمال إفريقيا.

إنزال الأنجلو أمريكيان

كلن لجزائر يقدرون أن شيئاً ما قد تغير، وكلن لتسواجز التي كانت تعزل الجزائر عن بقية العالم فبذلت. حقيقة أنهم لم يملكو آمالا على الأمريكيان لتحريرهم من الاستعمار، ولكن الكثيرين منهم كانوا يعتقدون أن وضعا جديدا كان قد نشأ من رحيل نظام فحشي الذي كان يطمع الإرهاب، والإمراض والجوع

وكان التيفيس يفاك بالسكن، كغيره كانوا قد أُنهيهم لعدم الغذاء الذي أخذوا
 هبشي ليساعده في الجهد الحربي وكان الجزائريون يعيشون في فقر مدقع فرأوا
 في هذا التحول نهاية كابوس وتصدقا لظروف المادية التي كانت قد نادت إلى
 أقصى الحدود. وبالفعل، فبعد اثنا عشر نوفمبر من عام 1942 (نزول الحلفاء)
 وتنصيب سلطات «الحلفاء» وسلطة جيرو (Giroud) بالنيابة لفرنسا واغتيال
 دارلان (Darlan)، عدت الحياة السياسية ولحقت بهم إلى الجزائر العاصمة. وأخذ
 الحاكم العام بيروثون (Peyronnet) بعض الإجراءات التي استلزام منها
 الشيوعيون. إذ أصبح حزبهم شرعيًا.

أما مفاضلو حزب الشعب الجزائري فقد تم إطلاق سراحهم من السجن ولكنهم
 رفضوا تحت الإطاعة الشعبية بعيدة عن المدن الكبرى. فقد أطلق سراح مصالي
 الذي كان محبوبا في لامبوز (Lambouze) عام 1943 ووضع تحت الإطاعة
 المحدودة في موعاري (Boghari) غير أن حزب الشعب الجزائري لم يرفض له
 بممارسة نشاطاته بصورة قانونية.

وإن كانت الإدارة تعرف قاذفه قد كانت تجعل القوة التي نشأت من البرية.
 وكذا لمصروها السياسيين. وقد أضافها الهدوء التام في الوضع في توسيع منظمها
 بجنود كثيف وبنش تعاليمها.

وقد شاك أن سرقها من القضية الوطنية كان ملبيا وينفج ضمن التغيرات
 الكبرى التي تمت في الحكم وفي الحكومة العامة للتحريض الوطني.
 أما الحزب الشيوعي فقد تشكلت به وحدة الحزب الشيوعي الفرنسي التي كان
 يرأسها ل. مارتي (L. Marti). وكان مشغلا بصورة خاصة بالمشورون الفرنسية.
 كانت قضيتهم الرئيسية «الحرب من أجل التحرير» وكان يفتن قضية التحرير. ولم
 يكن أحد ينتقص من قيمة مطلب التحرير للجماعات الجائعة، وانطلاقا من أهمية
 الأحداث التي كانت تجري. كانت سياسة التحرير تبدو سقيمة لأنها كانت تصير
 للشعب الجزائري وكلفه فجز من أن يتطوع إلى أمور أخرى، وزيادة على ذلك كانت
 هذه السياسة تدل إلى تركيز اهتمام الجمهور في التحرير (يعتبره مسألة حيوية)

في الوقت الذي كانت فيه جميع المصالح الوطنية مرهونة، وكانت هذه صورة من صور التفضيل.

فرحات عباس يتغلى عن سياسة الإدماج:

كان أدم تقيير يطلو على الحركة السياسية الجزائرية هو ما قام به فرحات عباس، وقد اعتيرقه بعض الأوساط القبلية القروسية ردة (تكاد تكون خيانة) بنية سيئة أكيدة، في حين كانت هذه الأوساط نفسها لا اعتزضت على سياسة الإدماج التي كان يعمل من أجلها فرحات بملء لوعلى الأقل لم تفعل لها شيئا يذكر كتجمع.

ولم يكن هذا الأخير قد فعل شيئا سوى أن كلف موافقه مع برطع ورأي هذا وبين كان يبتدئ شيئا فشيئا عن موافقه السابقة.

كما لم يكن فرحات عباس، وهو المؤيد لإدماج سياسي مستحيل يؤمن بوجود الهوية الوطنية للجزائريين إنما تأكد هذه الأخيرة بما يعكس طروحاته عن ما جعله يدخل سياسته تحت مظلتها، وإن كان فرحات عباس لم يكن ليصدق مراحة من وطنية بالمعنى المطلق للمصطلح، كقول بوء في الحركة الوطنية كان يتمثل في العطالية بالعطوفى التونسية فقد أجهد بشجاعة في نهدين مصير مواليه، وإن كانت الوجهة التي يسير فيها غير ملائمة للثمة

ومع ذلك كانت مساهمته في التكنج من أجل الإدماج وفشله وبالمفارقة، أيها يبين لأنها أظهرت للرأي العام الجزائري أن الاستملا لم يكن يرضى على بالمطالب التي تتبع مباشرة من سياسته الوسمية الخاصة بالإدماج والتي صرحت بها مراراً (الحكومة الفرنسية).

وقد سهل تطوّر مواقف فرحات عباس (وسياسيين آخرين) نحو مواقف تقارب أكثر من التطلعات الوطنية للشعب للجزائري في ظل الوضع الذي كانت فيه الجزائر، انضمام القيادات الأكثر اعتدلا إلى الحركة الوطنية بالمعنى الأوسع للكلمة.

رقد تمثل موقف فرحات عباس الجديد في البداية في رباط الصلات مع
سياسيين وديبلوماسيين ومن بينهم ممثل للرئيس روزفلت غورفي (Munphy)، وقد
تناولت المحادثات تطبيق ميثاق الحلف الأطلسي على الجزائر.

وكان هدف القمعة الأمريكي، كما كتب «The Atlantic»¹⁴ هو الوصول إلى اتفاق
يسهل توحيد القوى الجزائرية ضد العدو المشترك وأنه ليس مستبعدا أن يكون
فرنسيين الوطنيين الذي كان حليفك يبحث عن صورة يعطيها البرنامج للجزائري. قد
استسلم لمخاطر المفاهيم الأمريكية توجيها نحو الانتقال الفوري.

ويمكننا أيضا أن نعتقد أن فرحات عباس كان قد توصل بنفسه إلى مفهوم
الفيدرالية، وهو مفهوم كان موجودا مسبقا في سياسة الإدماج مع قانون داخلي
إسلامي، التي كان ينادي بها وكانت تمثل في نظره الشخصية الثقافية المتميزة
للجزائريين.

وقد انظم ببساطة إلى تصور العلماء¹⁵ ومساعيهم الإصلاحية التي كانت
تطالب موافقة السلطات المختصة لتطبيق النظام.

وهذا ما فعله فرحات عباس. عندما قدم في 22 ديسمبر من عام 1942 للحكومة
علماء، والممثلين الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى رسالة الممثلين
المسلمين الجزائريين إلى السلطات المرفوعة من المنتخبين المسلمين للولايات
الجزائرية الثلاث.

ولم يكن لممثلي فرنسا وحكومتها سوى هدف واحد ألا وهو القضاء على قوات
أعدائهم، ومن أجل ذلك كانوا بحاجة إلى تعزيز صفوفهم إلى مؤازرة الجزائريين
وجميع سكان شمال إفريقيا.

ولم يحصل هؤلاء على أي وعد محدد في مقابل ما طلب منهم من تضحيات فقد
كان فرحات عباس والمتمسكون بيوهين للتحقق من أن حق الشعوب في تقرير
مصيرها، والذي أعلنه في البداية، كان سيطبق أيضا في الجزائر. ولهذا فقد طالبوا
بإعطاء مؤتمرا لإعداد مشروع ميثاق اقتصادي واجتماعي لهذا البلد.

وبحجة أن الرسالة كانت موجهة إلى السلطات المسؤولة، لا للسلطات الفرنسية، فقد رفضتها الحكومة الفرنسية.

وكانت هذه الوثيقة تحمل في نكح السلطات الفرنسية شكل الإنتذار التهديء بإضافة مشاركة للجانبو الألفية إلى المجهود الحربي إلى الدعوة المصيفة إلى مزتمر يجمع المنتقبين والعمالين القومالين لجميع للمنظمات الإسلامية⁽¹²⁾ وكانت هذه السلطات تعتبر أنه من غير التمكن أن الشعب الذي كان لمنازه يعوتون في ساحات الحروب يشترط مبعوثان لا يتم فصيله فضيلة الخاصة.

ولم يحد هذا الرفض من عزيمة طوحت عباسي فقد سلم بعد ذلك بأيام النص نفسه إلى السلطات الفرنسية مع مواجاة جساميتها ولكن هذا المسمى لم يلق أي استجابة، إذ عامل البترول التيحة للمعلمة التي قدمت لائحة المطالب في شهر جانفي عام 1943، بأحتلال لاذلة وكفى حديثا عن الإصلاحات، لهد جنواه، وقد كان لذلك العام المدني والعسكري. سيرة الصراحة على الأقل.

بيان الشعب الجزائري:

بعد ذلك بشهر، نُشرت، ذرعت عباسي في موقفه، وهو الأمر الذي انعكس في بيان الشعب الجزائري. كان هذا الأخير يشكل انتقاه لاذلة لاحتلال الذي لا يعترف بالمساواة مع الجزائر المسلمة إلا على مبعيد واحد، الأمر والتسيلات في ساحات الحروب، وهنا تكلف، على الألفية، أن يقاتل ويحوش، يصفه أهلية ويعطى له راتب ومنحة مرتفعة ولو كثر يحمل شهامة ومخمس.

ولقد ند بالأمواج مرهبا، لقد نُشرت ميلمسة تماهي وتشكيل ضعب واحد شعرت الحكومة الأبوية نفسها أنها سياسة فشلة .. فالمعسكر الأروبي والمعسكر المسلم خلا متميزين أحدهما عن الآخر، دون روح مشتركة تجمعهما .. وفيما يلي، لن يطلب المسلم الجزائري أكثر من أن يكون جزائريا مسلما.

وقد تتمكل لجزء الأول من البيان من نكح طريق للاستعصار الذي منع في موهو عيته للقايخية بقوة A. L. L. الذي انتقص على نأت الترت من عضه

السلمسي، وانبرى في مهاجمة ثوريكية معادية للحرب^{١٩٤} بدى فيها الاجتماع بالخفية من فشل الإنساج في كل حوث من حروفها.

ولنفس الغاية ربح يؤيد فكرة أن البيان الذي كان يعدّه مجلس كان موضوع نقاشات في مكتب الحاكم العام وأن مورفي، وأوغستين بيروك (Augustin Berque Murphy) كنّا يؤكّنه

وقد دافع فرحات عباس عن نفسه فيما بعد (توت 1946) مؤكداً أن البيان لم يحرر في الحكومة العامة، ولكن أعدّه الشعب المسلم وهو يعبر عن التطلعات المشروعة والحقيقية.

وإن كان فرحات عباس قد تكلم مع شخصيات فرنسية أو من جنسية أخرى، فهذا ليس أمراً عجيبة فقد كان دائماً نصير حول وبحث من الحرفاء، وليس هذا هو الأمر، فقد كان البيان بشكل مفرجاً سياسياً حاسماً لأنه جمع رجالاً كانوا قبل سنوات، يوطنون لية فكرة الأمة أو الدولة أو استقلال الجزائر، فمن هذا الجانب فقد ملّ على التطور المتعبر في الزاوي العام الجزائري والتغيرات السياسية الاسلحية.

ومن بين العوامل التي ساهمت في إعداد البيان، يحدث كثيراً أن يتم تعيين وجود حزب الشعب الجزائري في السرية لأنه كان ممنوعاً دائماً وعليه لم يكن يستطيع أن يعبر بصورة رسمية.

ولم يكن يشارك في منشآت السياسية.

ولم يكن يقضي أن عدداً من قائدات كانوا قد التقوا عدة مرّات فرحات عباس، معاً أدى إلى تعصب البيان للتقاط الوثيقة.

وبعد تجربة 1936 - 1937 (مشروع بلوم شولت) لم يستطيع فرحات عباس وأصدقائه أن يجزفوا بأن يروا حزب الشعب الجزائري يحدد بالبيان، لذا فقد وضعوا في حسيانهم هذه الأنكلو الويسية عند تحريرهم للوثيقة.

ولم يكن الثقات كافة القوي الوطنية حول المشروع الوطني للبيان مناقضا لاستراتيجية هذا الحزب الذي كان عهده الرثيضي هو الاستقلال، وإن كان تحرير

التيان قد عهد به إلى مرحلت عكس. حتى ذلك قد تم بعد مشاوره معظي التيارات الرئيسية للحركات الوطنية (حزب الشعب الجزائري مع لمين دهاغن وحسين عسلة والطباء الخ) التي أعطت موافقتها على هذا النص التي يستتعيها التجمع الشعبي¹¹ ويحتوي هذا النص موضوع الاتفاق بين طرح عكس وطرح حزب الشعب الجزائري على النقاط الأساسية التالية.

(1) إنهاء الاستعمار الذي ليس سوى استقلال شعب من قبل شعب آخر، وتطبيق حق تلويذ المصور في جميع البلدان صغيرة كانت أو كبيرة (إعلان ويلسون مبدأي الأساس).

(2) وضع دستور للجزائر يضعه

(أ) الحرية والمساواة المطلقة لجميع السكان دون تمييز لعرقي أو ديني

(ب) إلغاء الملكية الإقطاعية وتعميرها بإصلاح زراعي وكفالة وحق للمواطن الكريم للبروليتاريا الزراعية الكبيرة.

(ج) الاعتراف بالدولة العربية لغة رسمية مثل اللغة الفرنسية تماما.

(د) حرية الصحافة وحق إنشاء الجمعيات.

(هـ) التعليم المجاني والإجباري للأطفال من الجنسين

(و) حرية العبادة للجميع وتطبيق مبدأ فصل الدولة عن الكنيسة على جميع الديانات.

(3) المشاركة المباشرة والداعمة للمسلمين في حكومة بلادهم، وهذه الحكومة وحدها قادرة على أن توجد في مخرج وحدة وطنية كاملة مشاركة المحكوم عليهم والسجناء السياسيين أي كان لتتخلصهم الحررية.

وقد سلّمت هذه الوثيقة في مارس 1943 إلى الحاكم العام Peyrouton، وتم قبولها على اعتبارها «قاعدة للاستشارات» وقسمت إلى الممثلين الأنجلو أمريكيين.

يجوز أن الحاكم العام أكد على «اقتراحات أكثر واقعية» وكون لجنة¹² لإعداد برنامج إصلاحات قابلة للتجسيد حتى خلال الحرب. وقد اجتمعت هذه اللجنة في

يوم 14 أبريل ويوم 23 جوان 1943 مع محافظ الحكومة A. Berque

وقد تمت الاقتراحات الواقعية على شكل مطمح للجزائر من قبل المؤلفين
الجزائريين في 10 جوانه إلى الجزائر فيقول والجنترال كاتروكس Catroux، وقد
اعتمد في 26 جوان من قبل لجنة التوصلات بحضور محافظ الحكومة الذي أعطى
موافقه¹⁹⁴.

وقد تلقى النقاط الرئيسية لهذا المطمح بتحرير الجزائر. ووضع دستور مستقل
وحالما يستتب الأمن، تصبح الجزائر موثة ذات دستور خاص يعد من قبل مجلس
جزائري منتخب وفق الاقتراح العام من قبل كتلة سكان الجزائر.

وقد تم التأكيد على ضمان سلامة الخطوط الجزائرية ورجوعه، وكذا على الاعتراض
بالاستقلالية السياسية للجزائر، بوصفها أمة عتيقة مع حق فرنسا في الرقابة،
وبمساعدة عسكرية للحلفاء في حالة نشوب نزاع¹⁹⁵. وكان ينبغي أن تجسد هذه
الإصلاحات «حكومة جزائرية مثالية من وزارات موزعة بالتساوي بين مؤيدي
فرنسيين ومواطنين مسلمين».

وقد عرض بعد ذلك الحاكم العام بهاسفير محافظ عام لفرنسا في الجزائر.
وكان مبدأ التمثيل المتكافئ معمولاً به في جميع المجالس وكانت الوثيقة تحتوي
على ست عشرة من الإجراءات¹⁹⁶.

الذي يؤول من دون تشويق للمسلمين إلى جميع الوظائف العمومي
والمساواة في الخدمة العسكرية. وإلغاء قوانين الطوارئ وفتح بيوت الفلاحين
وإنشاء وزارة عمل... وحرية تعليم اللغة العربية وحرية العبادة الإسلامية، وحرية
الصحافة العربية والفرنسية، والعلم الجزائري للثقافة المسلمة، غلبه وقد أعلن
المحقق عن تأييده أن يتم مع المغرب وفرض تنظيم فيدرالية ولايات أو اتحاد شمال
إفريقي. ولأن هذا اقتصر كل قد نعد بفرض جعله مقبولاً لدى السلطات الفرنسية لذا
كان على هذه الأخيرة أن تتفاوض بتجسيد الإصلاحات التي كان يحتوي عليها.

وإن كل المحقق يتحدث عن التحويد والدستور المستقل ومجلس جزائري
منتخب، عن طريق الاقتراح العام. فإن الاستقلال لم يكن لوجوا قط، إنما حق الرقابة
والترجيح لفرنسا.

وإجمالاً فقد كلل العلق بشكل فورية متعمدة ولا يعقود حتى مبدأ الديمقراطية
الأساسية لأنه يدعو إلى التكاثر في التمثيل في جميع المجالس.
وسيتطلب أمل القواب الذين علقوا آمالاً على اللجنة البرلمانية للتحرير الوطني
لديهم أن يبعد أن يمدى أنها قبلت بهذه المطالب كراجعت السلطات الفرنسية عن
موقفها

وقد صرح الجنرال كلاركس (Clarke) «مهاقد الدولة للشؤون الإسلامية»
أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا وأن فرنسا لن تقبل أبداً أن تترك للجزائر
مستقلة⁽¹⁾ وقد لهذا المصالح من طريق A. Berque، مدير الشؤون الأجنبية،
«إجراءات معدومة التأثير» ومن المحمودية يمكن جلي أنها كانت تهدد غير ذات
أهمية بالنسبة للقواب المصالحين.

وخلال الدورة المملوثة لوفود القاب في 22 سبتمبر 1943، أعلن هؤلاء قواب
وناهم للأهداف التي يحدون عليها البيان والعلق. وكرد فعل على ذلك اعتقل
ال C.F.L.N. قواحات عباس وسليح عبد القادر ورسميا ومن الإقامة الجبرية (في
الجنوب) «لتحريضهما على العصيان في زمن حرب».

وبعد هذه الخطوة القوية، بحث شباب اثنا عشر (من أصل حوالي خمسين) من
موقعي البيان والعلق، للنهر لظنوا، خضوعهم. ونجح منا أمام إعادة بحث قضية
الجهة الوطنية الذي كلز قد بحث أملاً كبيرة في طوس الأماليين والتي انتهت
بالنشل والقمي. وكان ال C.F.L.N. قضي وتمكب اثوة خطأ تراصياً وأظهر عفتيه
الاستعمارية. وقد أدى هذا الموقف من C.F.L.N. مع دخول إلى التصيل بأحداث
ماي 1945. وبالرغم من تطويعهم السياسي لم يكن قواحات عباس والمصلحين
الموقعين على البيان قد فهموا بعد أن المصطب التي لا يسأندوا للعمل القومي كان
مالها الفضل من دون شك، وكانت منه إحدى العلامات الفارقة بينهم وبين حزب
الشعب، الذي كان مذهباً للحزب يعتمد على تنظيم اليساريين ومهاد.

وقد جاء الوضع المصطب من المصطلحات الفرنسية لأي شكل من أشكال المصطب
الوطنية لمؤكد صحة تصور حزب الشعب في جزائري الذي سيطر منه التيارات
الاصلاحية أكثر فأكثر.

وقد اختلفت أن الدلالة هي المضمون للسياسة الاستعمارية لسياسيه والتي تتمثل رغم اعتبارها الجزائر أرضاً فرنسية هي معاملة الجزائريين (المسلمين) ككيان اجنبي أو موالي.

ولم يكن سياسة ما يسمى الاتحاد لتعطيل بها أي معضه آخر سوى الحفاظ على السيطرة على الشعب الجزائري واستغلاله.

ولم يكن منح الحقوق الفرنسية لبعض عشرات الآلاف من الجزائريين (20000 بالنسبة لمشروع بلوم (بوليت) ليعتبر من هذه الحقيقة شيئاً.

وكانت المجموعة العربية التي كانت وثيقة في مجال الاستعمار، بمعارضتها لأي تطور. فحارب هذا الاتحاد الذي لا معنى له. وكان الأوروبيون هم السادة وكانوا يديرون البقاء نهائيه وكانوا يديرون في كل إصلاح، مهما كان طفيفاً. سياسياً باستراتيجياتهم المفرنة، وكانوا قد نعموا على أن يجهضوا جميع هذه المشاريع الإصلاحية، حتى تلك التي كانت الحكومة الفرنسية تراها ضرورية لتكبيد الاحتلال مع الأوضاع الجديدة وتهدية «التواجد الفرنسي» (لقد قاتلوا بالتدابير ضد السياسة المحترمة للأصلي) (مؤتمر للمعمرين لعام 1919)، وإصلاحات عام 1919، ومشروع بلوم (بوليت) حتى مقتصد على المشروعات الرئيسية].

وكان هذا الاعتراض المنظم للمعمرين على أي إصلاح، يمثل بالنسبة للحكومات الفرنسية المتعاقبة، مبرراً مناسباً يشرح لها أن لا توفي يوموها بالإصلاح التي فعلوها للجزائريين.

والحقيقة أن سياسة السلطة المركزية وسياسة المعمرين لم تكونا تستلزمان في طبيعتهما قط، بل على العكس من ذلك فقد كانتا متكاملتان وطمحان إلى هدف واحد: ألا وهو «الإبقاء على الجزائر فرنسية» كانتا تختلفان فقط في الشكل وإن كانتا أنسلاطة مركزية فعلا غير «رسمية» بسلطة الأوروبيين في الجزائر، وكان لديها الوسائل لتفرض الحلول التي ترواها في صالح فرنسا.

وكان هناك ميل إلى المبالغة في إظهار قوة «المعمرين» لتفسير فشل محاولات الإصلاح

والحقيقة أن هذه الفترة كانت لا تمثل شيئا كبيرا مقابل قوة فرنسا.

وإن كانت تكتسي هذا الطابع فيفضل توافق عدد من المصالح في كافة المجالات ولم تكن السياسة الفرنسية الاستعمارية تتواءم من دون الأوروبيين الذين كانوا يضغطون وجودها المادي، ولم يكن هؤلاء يستطيعون التخلي عن «المتروبول» لمعارضة سيطرتهم على شعب بلكنه.

وكانت أسطورة فرنسا الديمقراطية أو الليبرالية التي يعتنقها «معمرون» جشعون وعنديون، من أن تغمر بالفضائل الضعفاء المستعمرة، متسترة لوقت طويل بين «الديمقراطيين».

والحقيقة أن قوة المعمورين والإيقاع عندهم في الجزائر يتوغلان مباشرة على قوة المتروبول ويعكسان إيديولوجية الإمبريالية الفرنسية. وفي كل مرة كانت فيها المصالح مهيمنة، لأسباب تاريخية، على تطبيق سياستها، وكان المعمورون الأوروبيون، سجناء، بدورهم على «التحدي» عن أرائهم (هذا بعض الحالات المستوردة كجنوب إفريقيا، وروديسيا، شيم).

وكانت، سياسة الإصلاحات الفرنسية التي تتميز بالبطء، وباعتدالها المحدود جدا، نسيو عكس التطلعات الشعبية والسنو. نشرة لمصلحة مصالح الدولة الاستعمارية والأقلية الأوروبية. وفيما كنا كانت هذه السياسة تمثل ضابعا.

وكان الاصلاحيون الجزائريون يعتقدون من حصرية (مثل فرحات عباس) أن «المصلحة العليا لفرنسا» لا تتفق مع مصالح المعمورين، وكانوا يعتقدون أن بإمكانهم حمل القادة الفرنسيين على منح امتيازات للجزائريين للمحافظة على هذه المصلحة العليا التي لم يفهموا بشأنها طبيعة الاستعمار.

الهوامش

١ - استقلال العتيبي عام ١٩٦٨ من مجلس مقاومة جمعية القضاة. بموجب رفض ابن براهيم أن يوجه إلى الحكومة التونسية كدليل ولاه وبعد أن وجه إليه الاتهام وتم اعتقاله، لفتاء المحاكم المملوكة كحول - تعدد أبنه - ثم بعد ذلك توجه ذلك أن يتغلب على الظروف من السجن - لنظر توثيق التفتيش المذكور من 26/2/68 إلى 15/3/68

٢ - هم جزء من التيارات الذين تم تخصيصهم بالمشاركة السياسية من أجل القضية الوطنية، والذين وحدهم تمسكوا بالثورة (البركرا) ضرورة الكفاح المسلح.

٣ - كان المناهضون يرون الحصول على السلطة لأن الانتقراط هي حزب الشعب كان ممثلاً التعبير للذين للمسلح.

٤ - الحكم على مصالي الحاج بـ ١٥ سنة من الأشغال الشاقة وكنا أسعقك بغير سبب وطلبنا من المحكمة وعضاؤها بغيرهم.

٥ - بيانات جمعها المؤلف لدى قضاة المحكمة بين الذين كانوا مترددين في هذه القضية.

٦ - ما أتى بريد حزب الشعب المسكونة لتسليمه احتياطاً لنا ليعتد، لفتنا وديت، نحن لا نريد تسليمها إنما نمردها مع فرنسا. ضمن أنظر الصحافة التونسية. ولما ما أعطنا الفرنسيون ذلك تسلمت من أجلهم. فقد أهملوا حتى الآن أن يسلطوا عكسهم في هذا البلد. لكن أعتقد أنه سيكون هناك مناصر ما رؤى سلطات جبهة صفاقس وعظماء نحن نريد تعاوناً حقيقياً. روبرت أبون، لصول فكرة الجزائرية - Farard - من ١٩٦٨

وقد رفض مصالي نهائياً (كثيرة) أي شكل من أشكال التمسك مع نظام قديمي وسلطاني للمحور الذي كان يمارسها ليدخلوا جها. وهذا عكس بعض التماسك الذين كانوا يرون أن يلعبوا ورقة هذه التمسكات لتحرير بلعهم. حتى أنهم كانوا فئة وميعقون من الجور من ١٩٦٩

٧ - انظر الدراسة بعنوان «الثورة الاشتراكية المضطربة في عام ١٩٦٤» من قبل حزب المطبعة الاشتراكية المستمرة للحزب الشيوعي الجزائري (PCA) والذي يحاول فيها هذا الأخير فيما يشبه النقد الذاتي، أن يبرز المواقف السابقة لرجل ش.ج ١٩٦٥

٨ - E.H. A. Aubert - مسودة شمال أفريقيا ص 242

11 - كان العلماء مرشدين بالشخصية العربية - الإسلامية للشهوات تربت وكثرت مديون في أن يروى
مشرقا به من قبل السننات الفرنسية مع قبول الحاج سيمسي. (الر. غلة لتدافع للحرب عام 1939)

12 - 13 - جورالين، الخريفة للشمالية تسمى.

14 - حسب أحد قادة حزب التسمية الشونثوي، شكك فيكونه ألا وهو ليدن لياتين. حين ميايرة
البيان تعود إلى بعض مسؤولي هذا الحزب لكن الجارة التي تم ذكرها مؤلفا، فصلت في الأخير هذا
للحل ليستل في الاتفاق.

15 - استمعت الهيئة الإسلامية الإسلامية إلى عشية الزعماء الشونثويين وهم معروفون وجمعت
تأليفهم ومن بينهم بوزمان، الشيخ الإيولقي من جمعية للتعليم مصطفى الحاج، طوحت عباس
... الخ.

16 - بيلن الجمهورية الشونثوية من 13.

17 - توجه النصارى الطائفة بالميان وإثنت فلان. لمقام لخدمة الإسلام في الحركة الوطنية،
Op.cit من 184



الفصل السابع

أحباب الحرية والبيان

التجمع الوطني

وفي الوقت الذي وعى فيه الإصلاحيون جدواهم هذا الجملة استأنف الـ C. F. & N. (بعد خطاب ديول في تسميتهم، المخطوط الأصلية لمشروع بلوم قبولت¹⁰).

ولم يكن الأمر الشهير ليوم 12 مارس 1944 سوى مشروع بلوم قبولت موسعا إلى 50,000 مائونا في الحقوق كاملي الحقوق المقتضية (بدل 20 000) ورفع التمثيل في المجالس المحلية إلى 512 بدل ذلك في السابق¹¹.

وقد قسم المجتمع الجزائري إلى قسمين (أغلبية) التي تستفيد من المواطنة (المادة 17) وباقى السكان وهم جميع¹² من لم يملأوا شروطا من رغبتهم في أن يكتروا تحت سيطرة الإمبراطورية لكاملة للولاة الفرنسي من الفترة 2 من المدة 11 Le double college + كان يجب جعل الممثل الوطني للشعب الجزائري تماما حتى لا يبقى في هذا الإجراء أي تطور في حين لم يكن من شأنه إلا أن يفصل هذا الشعب ويضعه في حالة على مواصلة معركة التحرير الوطنية.

وقد شكلت النصوص التي تلت هذه الأمور ثامنا جديدا على عظمى سنة، أي في غاية عام 1964، وقد كان للثامنة ملايين جزائري لعدم دفعه من النواب هي البرلمان كذلك الذي كان يملكه المليون أوروبي. ولم تكن تستهف سري الترقية المعنوية والاجتماعية والاقتصادية للجمهورية المستقلة. وكانت سياسة الإدماج هذه مجرد غطاء لتوسيع استقلال الشعب الجزائري والسيطرة فيه.

وقد وقعت الجزائر مجددا في وضع الاستعمار الأكثر وجمعية، وكان عليها أكثر من أي وقت مضى أن تعتمد على نفسها كي تتحرروا وهو ما لم يكف حزب الشعب عن الدعوة إليه.

وطي الفريقت الذي كلّف فيه الشعب الجزائري، يشقّ بكلّ هراة إلى القصور الوطني، مثل جميع الشعوب الحظوظة، كلّ هذا الأمر يمثل لمثلًا حقيقيًا. فقد كان ينص على الإبقاء على السياسة الإستعمارية المخلوطة عن طريق نظام تشا ورم ذلك، وبالمفارقة، من المخلوطة وفي بلد لم يكن قد تحرّو نسلا من الإحتلال النازي. وقد حشد ضدها ببساطة، إجماع قتلوات الحركة الوطنية، فوجدت عباس (الذي أطلق سراحه مع صايح في ديسمبر عام 1943) ، وقلماء وحزب الشعب الجزائري. ولم يكن هناك سوى القويوعين الذين يرون فيه فضائل^(١)، (لا شك أن ذلك كان بسبب وجود ممثلي الحزب الشعبي التونسي في الـ C. V. I. N. إلا ونعا فرونسوا بيوكس François Billon وفرناند غروني Ferquid Grenier الذين دخلوا إلى المجلس الوطني في أفريل 1944).

وكان هذا الموقف، يفترض بكون حزب الشعب الفرنسي كان موقفا على برنامج الـ C. V. I. N. (مثل جميع الأحزاب الفرنسية) مما أجبر بالثالي الحزب الشيوعي الجزائري على أن يساند برنامجا لم يكن يحتوي إلا على توسيع الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأهلي والمعمّرين.

ومما أخّره كان الحزب الشيوعي الجزائري، الذي كان يدّعي أنّه يعلوب سدّ الفجوة من أجل تحرير الشعوب الأوروبة، يتعاطى مع سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي المرتبطة بالاعاضى الاممويالية الدوشية.

وعلى أية حال ، فلم يكن لموقف الحزب الشيوعي لجزائري أي انعكاس على الواي العام وقد حجب عن طريق الخطة التي مدّت مع مبحرة نهارات الحركة الوطنية بهذا الأمر ، عن طريق العناية المكمّرية والمنطوقة ، مقاطعة للتصويت في المعسكر الانتخابي الفرنسي. عدم التمتع في القوائم الانتخابية الفرنسية ، وإن كان تسجيلنا قد تم تلقائيا، فلا تصوّته. كلّت هذه التعليمات الرئيسية، وكان هذا موقف رفض جديد يشمّم يدفع من حزب الشعب الجزائري.

حزب الشعب محرك الجماهير

مع أنه كان دائما غير شرعي، فقد كان حزب الشعب يقوم بنشاط سياسي كثيف ويوسع تأثيره وشخصيته عبر جميع الأجزاء.

ففي هذه الفترة من عام 1944، كنز يشكل للعباد الوطنيين للحركة الوطنية، وبدأ أنه التهان الوطنية ذو الطابع القومي.

كان هناك مجهودا كبيروا في التنظيم، ويحاول في الوقت نفسه أن يولد باقي التيارات الأخرى للحركة الوطنية، نحو لوضعية انعكس إلى أقصى حد التطلعات إلى الاستقلال، وكان كل فئدة للسلطة الإصلاحية يعطي لئلا أكبر لمطروحة الثورة، أي التحرير عن طريق تنظيم الجماهير الشعبية وعملها.

وقد أشي موقف الـ C. I. L. N. وأمر 7 مارس 1944 مرة أخرى مسعة توجه حزب الشعب. ولأنه كان يعرف حدود التزام الإصلاحيين لواء العمل الحقيقي للمشكلة الجزائرية، فقد اجتهد هذا الحزب في لعب دور حاسم في توحيد الحركة الوطنية.

ولأنهم فعلوا مع خبرتهم الثورية في الكفاح، وفوقهم الفهم المتواضع، لم يكن ملاحظوه يفترون في عهد فاعة القوة الاستعمارية. وسواء كانوا ينضمون إلى اليمين أو إلى اليسار فقد اكتسبوا حسا ثوريا بالواقع في ظل شراسة المعركة من أجل تحرير البلاد، وفي الوقت نفسه قدرة على التنظيم لم تكن معروفة حتى تلك الوقت لدى التيارات السياسية الجزائرية.

وكان دورهم، الذي حاول بعض خصومهم أن يحدوا منه، حاسما في الواقع في أهم المراحل التي مرت بها الحركة الوطنية.

كما أنه حزب حازم، وكان سيشترك في إنشاء حركة، لصدقاء البيان والتحرية، ويكفي أن نورد مثلا واحد لئلا على قوة التنظيم لدى الحزب، ففي ياكور (وهو حي في الجزائر العاصمة) كان تنظيم الشباب لحزب الشعب يتألف من أكثر من 600 مناضل مارتين ومفسمين إلى جلايا، وكان هناك عدد أكبر في الأحياء الأخرى للجزائر الكبرى حيث كانت لجنة مركزية من الشباب تقود هذه المنظمة.

وكان المناضلون عموماً معربين على التخليط المبهشم، وكان بعضهم يفكر بعد في الحصول على الأسلحة^{٤٥}.

كان هذا التصميم هو الذي ما صنع حزب للشعب حزباً مختلفاً عن بقية التنظيمات ويطلق أكثر الإبارة

وبعد عام 1942 (الفرز) كانت جميع التنظيمات تفتتح بلشعرية ما عدا هذا للحزب. (كان ما يزال مسجوناً، ورأسه تحت الإقامة الجبرية في جنوب العاصمة في ديبال Reibell) ولكن في كل مرة كان يتمكن منها من العبث في الحياة السياسية في نفس ظروف التشكيلات الأخرى. كان يرفض نفسه بطابعه الوطني ويهبط بمخاطف الجمالين

ولأنه لم يكن مجهولاً قط فتوة هذا الحزب قد بقيت عليه الإبرة الفرنسية تحت الطميط ومسحت بذلك بصورة غير مرئية البقية التنظيمات بأن تتوسع على حسابها، وقد أحدثت بذلك لعبة توازن لصالح التيارات المعتدلة مثل الإسلاميين أو الحزب الشيوعي (الذي كان يسلوك في الساطة)، أما عن مسئلة الخاصية (الذين كان يطلق عليهم الإداريون) فكانوا مفسدين تماماً

ولأن الرأي العام الجزائري كان قد تطور بسرعة، بحيث أن جميع الأعيان التقليديين أمثال بن جلول (والأخرون) فكان قد تجاوزهم الزمن. ولم تؤخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار بصورة كافية من قبل معظم المؤلفين. فقد كان هؤلاء يكثفون في أعمالهم بدراسة الحقائق السياسية الظاهرة، دون الأخذ في المصيان القمع الذي كان يمارس بصورة شتى على هذه المنظمات مما يشتره الأهمية الحقيقية للديارات السياسية وكذا قيمتها. ويتقصر من شأن الكثير الرواديكالي.

أما الدوافع والمخاطر التي يواجهها من يتاحل في صفوف حزب الشعب فكانت أكثر تعالماً منها في أي تنظيم آخر. والآن نخص بالتمسية لمعجم الحزب الذين كان عليهم أن يعرضوا أنفسهم أكثر لضربات القمع.

كان العمل السياسي لحزب تروي مقصده باستمرار لحشد صفوفه، غير أن المحن التي كان يتعرض لها ويتغلب عليها عبرت للتنظيم وتوت مناضليه

وكانت الفصحيات والمعاملات التي كان يعيشها العديد من العامة...
والمناضلين وكذا تفانيهم من أجل القضية، مثالا يحتذى بالنسبة للجماعات
كانوا يدفعون من وعيها السياسي.

ولم تكن رجاهة مصالي، لتصور وحدة قوة حزب الشعب، فقد كانت هذه القوة
تتوقف على التزام هؤلاء المثقفين وهؤلاء المسؤولين ذوي الأخلاق العالية
وذكران الذات والمثابرة والعمل الدؤوب، وهي السواري غالب الأحيان.

كان حزب الشعب يمثل بهذا مجموعة كبيرة في الوطنية والكفاح من أجل القضية
الوطنية وأمل الجماهير الضعيفة، وهذه الأسباب، فإن كان الدليل القوي الذي يمثل
قد ضعف في بعض الأحيان، فقد كان ينتهي دائما بأن يتقوى ويتماهى مع الجماهير
وهم جميع أذرع الجمع، وجميع الهجومات التي تكن يتعرض لها من قبل خصومه
وأحيانا بسبب، نقائصه الخاصة، هكذا كان حزب الشعب الجزائري، عصابة تأسيس
أحباب الحرية والبيان.

أحباب الحرية والبيان

رفضت سياسة الـ 17... 1954 للمجسدة في أمر 7 مارس بصورة عشوائية
التدخلات الوطنية للشعب الجزائري، ولم تدع فضا للممثلين المعتدلين، للحركة
الوطنية أي خيل سوى خيل الكفاح إلى جانب الجماهير الشعبية.
وقد تصادف هذا مع وضع خلوجيا وأخلاقيا ملائم مما سمح بتأسيس تجمع
وطني كبير بعد انتخابات وقائعها بين التيارات الثلاثة للحركة، حزب الشعب
(سري) والعلماء والمستفيدين مع فرياح عاصف.

ولم يكن حزب الشعب يتصور فقط الانسحاب الكلي بين هذه التيارات الثلاثة على
أساس البيان بل كان يرى في ذلك إمكانية تشكيل حركة شرعية، تسهل أكثر تجمع
القوى والتعبير عن الواقع الجزائري. وقد حملت هذه الحركة بمبادرة من فرياح
عباس باسم أحباب الحرية والبيان. وقد وضعت قوانينها من قبل فرياح عباس
نفسه لدى ولاية قسنطينة.

وكانت العادة الثالثة من لقولتين تعرفان بعبارة هذا التجمع هكذا : « يقوم التجمع بمهمة مباشرة تتمثل في الدفاع عن البيان الذي يعدّ تعبيرا عن فكر حرّ وحرّيه، ونشر أفكاره جديده والإدانة القوية لتعصّبات النظام الاستعماري، ومنهجه العنصري وتعصّبه.

أما عن وسائل العمل، فكانت تتمثل في : « ملتقات جميع ضحايا القوانين الاستثنائية، والقمع الاستعماري، والإفتاح وخلق نهج رأي عام في صالح البيان، وتعميد الناس على فكرة وحدة جزائرية وترغيبهم في أن يتم إنشاء جمهورية مستقلة هي الجزائر، متحدة مع جمهورية فرنسية، جديدة ومناخية للاستعمار وللإمبريالية، وخلق تضامن بين جميع سكان الجزائر مواد اكتفوا مسلمين أو نصراني أو يهودا، ومنعهم الإحساس بالتمييز والرغبة في العمل معا وحرّ الأمر الذي يشكله حسب تعبير دوران (Rochas) المتمسك لمكون بلأمة، (العام ١٧) . ومكثا أعاد فريجات شمس^{١٧} الصلابة مع مطالب المنظمات لتشكيل أحزاب الحرية والبيان.

«... وقد أنشئت فيه الملاءمة، وكثرت بينهم حزب الشعب مصالي الحاج، وكانت أحاديثا عنصرية كذلك، لما التمسوا عبودا وقد وهنوا وعاتيون على التسرع، كانوا يفضلون الإعلان عن جميع آخر : « أصدقاء الديمقراطية والحرية، المرافق على السياسة الإنتمائية.

« وكان المنشقون المتحدون حول البيان قد حصلوا على حسب ما ذكره، في مارس وأفريل 1943 على تحرير المعتقلين والحكوميين السياسيين لنا قائد غابر مصالي الحاج سجن لا مبيد (بانتة) وقضى يومه الأول حرا في شقته في سطيف وبعد إقامة قصيرة في الجزائر العاصمة وضع ومن الإقامة المصروسة في بوجاري (Bougari) قرب شلالة (جنوب الجزائر).

وقد زوّنه مرتين، وقد اعتصم عملي، لكن مع بعض التحفظات، كان ينظر به ولكن دون أن يتحمل مسؤولية ذلك وكان يدرك جيدا أنه كان ينبغي فعل شيء، ومع ذلك، كما قال لي،

« إذا كنت أشق بك التجسيد جمهورية جزائرية مشتركة مع فرنسا، فعلى العكس من ذلك، لا أثق مطلقاً في فرنسا، فلن تعيد فرنسا شيئاً ولن ترضخ إلا بالقوة، لن تمنحنا إلا ما نفتكه منها،

وأنا شخصياً، كنت لدي ثقة بفرنسا التي فشلت على المقاومة لا يمكن أن تخذلنا، ففي نظر الكثير من الأصدقاء، كل من غير أولاد التفكير أن الشعب الفرنسي الذي عانى ليلة سنوات أروع الكهيممة الهلالية، لا يحقق ثملاً لنا أملاً ودية.

كان الاحتلال قد هباً فرنسا التي أكثر جديده ولم تكن أجهل انصعاب وأنواع المقاومة التي كان عليها مواجهتها - وهي قائما على أية حال. ولهذا كانت تعبئة الجماهير أمراً ضرورياً.

« وقد بدى لي هذا الأمر ممكناً لمعارضة الجزائر كانوا قد انفردوا مع الهلالية تمت نظام فيشي وقد طأطأوا رؤوسهم، وكان العقاوومون الفرنسيون في السلطة. كانت هذه الحركة وكذا المعلنون السكسي قد استجبت في كل مكان في ظل المساواة بين المستعمرات القديمة والعملاء الجديدة. فلم لا تكون هذه «ثورة» قذونية ممكنة بالتمسك بالجزائر - وثونس والعقوب»⁽¹⁾

موقف حزب الشعب الجزائري

توضح هذه المقالة التفكير العميق لفرحات عباس ومواقفه ولمسكه بمبدأ تحويل وضع يلقانون، أي من دون صف وضع شوية (الحكومة الفرنسية) مصمم على العنصرى قديماً.

كل طرح فوحات عباس مقبولا من الناحية النظرية، لكنه كان يخطيء في تصور هذا الشرط الذي يفرقت عليه الحل الثنائي وفرنسا في الحقيقة، لم تكن مصنعة لثبة لقبول الشروط في هذا المسار السلمي للحل، بل على العكس من ذلك، فقد كانت سياسة هذا الشرط تتمثل في ربح الوقت دون أن تتصور أي علاقات أخرى غير القوة للمنطقة.

أما مصالي الحاج ومناضلو حزب الشعب الجزائري، فكثفوا قد كونا فكرة واعية عن الإصطناع الثورسي ومكيفتيته وهنا هو السبب الذي من أجله لم يمنحوا أي ثقة لهذا النظام الذي على الرغم من وصوله للحقارحين إلى السلطة، راح يواصل الاستجابة لمنطقه الخاص، ويهين ويستغل ويحافظ على وجوده عن طريق القوة.

وبقول الإنطراط في البيان والمشاركة في تجمع أحباب الحرية والبيان، أظهر حزب الشعب، أنه لم يكن من قصد الكل أو للأشياء، وترك الفرصة لمبادأة المعبدلين (مع الأبناء على مواقف الخاصة) حتى تجعل السلطات الفرنسية تتصرف بالهزيمة الوطنية، مع أنه كان مقتنعا بأن فرنسا لن تمنحنا شيئا...، ولأنها لن ترضى إلا بالهزيمة ولا تمنح إلا ما تفكره عنها.

ونظرا لاستمرار الاستبداد الإمبريالية وفروق تصور الكفاح في صفوف المركبات الثلاث للحركة الوطنية كما هي مشكلة، كان على حزب الشعب أن يخرج من الهزيمة، وقد أضحى في أن يكون أحباب الحرية والبيان، نحو موقف ثوري يكون أداة حزب فعالة من أجل التحرير.

ولم يكن وجود مناضلي حزب الشعب في وسط أحباب الحرية والبيان بمثابة «الزواقة الانتخابية» كما كان بعضهم يسمي (حقيقة، فقد كان داجما أساسا عن الانتخاب على أفكار البيان ثم بعد ذلك عن الانتماءات المبرحة بين الاتجاهات الثلاث لإعلان هذه الحركة.

وكان سخط العلماء وفوضاء هيئات والمنتخبون معروفون جيد الذوا السياسية لحزب الشعب وأهدافه ونمطاته، وكنا نشاط مناضليه الثوريين.

وكان أمل هؤلاء هيرزية جميع الاتجاهات السياسية الجزائرية تجتمع حول الفكرة الوطنية (خلافا لسياسة الإصناع) وهو الهدف الأدنى لأي تجمع، كان هذا في الواقع أمل الجماهير الشعبية في أن تروى الحركة الوطنية موحدة على أساس تملعائها إلى الإستقلال.

وقد شكل تأسيس أحباب الحرية والبيان (في 14 مارس 1944 بسطيف) حداً مهماً، قلل من الأولي التقى العلماء والمنتخبين وفرضات عباس وحزب الشعب في الاجتماع نفسه الذي كان هدفه الاعتراف بالفضية الوطنية. ألا وهي د جمهورية جزائرية متحدة مع الجمهورية الفرنسية المتجمعة.

وقد استقبل الرأي العام الجزائري الإتحاد كاتمة بحماسة كبيرة. فقد كان يرى فيه وسيلة قريبة للوصول إلى الإستقلال.

ويجب أن توضع في الخلفية العظمى من الجزائريين لم تكن تتطلع إلى الفهرقية الفرنسية إنما إلى صيغة فوحدية بين الألمان العربية والإسلامية وهذا كانت تنظم إلى مواقف حزب الشعب.

وقد أعلى هذا الأخير تنازلات عن بعض مبادئه حتى يسمح بالإتحاد مع التيارات الإصلاحية وكان يدري بذلك أن يضمن لأحباب الحرية والبيان دوراً دورياً. كما كثرت من نشاطاته حتى ينشئ نهائيه (الإستقلال الكامل من أجل العربية، والنضال مع الشعوب العربية والإسلامية والبلدان المستعمرة).

وقد وضعت وأهيكالته ومنهجية شامي. وتنظيم ونشاطه الضال في طليعة الحركة.

وبفضل نشاطه المخلصين وأنكروه ثباتاً منذ زمن طويل كان هذا الحزب يمثل بحضوره أمام الجماهير الشعبية الضامن للتمتع الوطنية، كما أن هذا الحدث كان له أثر كبير على الرأي العام، إذ كان يستجيب لمتطلبات موحدة للشعب ويقنع أمامه أذاً جديدة.

وقد أحدث تأسيس أحباب الحرية والبيان وضعاً جديداً، وخلق شعوراً عاماً ملائماً لضم الوطني.

وأصبح آخر أنصار الأداة الإستعمارية معزولين ومحبطين. فهذه الحركة بما لها من قوة، تستطيع أن تغفل التسييس الإستعمارية عشية نهاية الحرب، عن طريق المطلقة بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

وعليه فقد هيا أحزاب الحرية والديمقراطية فترة انتقالية واضعاً له كهدف «توحيد الجزائريين على فكرة أمة جزائرية وديمقراطية في تشكيل جمهورية مستقلة في الجزائر متحدة مع الجمهورية التونسية المتحدة» مناهضة للاستعمار والإمبريالية.

وكذلك فكرة فيحوالية ضمن الإطار التونسي طغى فكرة الديمقراطية المباشرة، وهو ما كان بمثابة التوافق مقولة بـ«الجزائري».

وكان هذا التنازل عن الدفاعهم الدستورية من فروعها عباس وأصدقائه يؤمن بالتزام أكثر على الصعيد الاجتماعي (أخذاً في الحسبان سياسة حزب الشعب)، والسياسة لأن الهدف كان يعني أنه سيحل محل «التيارات الطبقاتية الحاكمة» ويهدد إلى المساواة بين الناس وحق التوافقية والديمقراطية والوطنية للشعب الجزائري، وكذلك «كشف مبررات وممارسات الترتيبات وجميع القوى الرجعية والاقلاميين المصلحيين والتونسيين» وجميع من لديهم مصلحة أيا كانت في الإبقاء على النظام الاستعماري»^{١٩}.

ولم تكن الخطوة الديمقراطية نحو الأمام أمرًا عارضا، كما أعلن الحزب الديمقراطي الجزائري^{٢٠} وإفقا إنشاء أهداف التميز والحرية، الذي كان خير فقرة إلى الأمام من قبل الحركة الوطنية.

ومن وجهة النظر هذه، كان معين (أ. ح. ب.) يمثل تطويرا مهما، لأن لم يكن حليما، في تطوير التيارات السياسية والفكرية التي تمثلها. هذا التطور الواضح للاصلاحيين نحو القضية الوطنية التي كان يدفع عنها كثير حزب الشعب، كان يشكل بذلك الضغط على الجماهير.

وتدخل هذه الأخيرة في الحياة السياسية هو الذي سيلعب دورا ذا أهمية متزايدة ويحدد محتوى الحركة الوطنية، وقد تركت سياسة الشخصيات أو الاعيان مكانها تدريجيا لسياسة قوى الدفاعة والمنظمات التي تعكس تطاماتها.

ومنذ ذلك الحين وجدت الامة للاستعمارية التي كانت تستطيع حتى أن تؤثر في الاعيان وتسيطر على الحركات المطلبية (العضوية) وتعزله التيار الثوري (ح. ش. ج) مستعملا قمع، تضعها أمام وضع حديد.

كان في مواجهتها حركة وطنية موحدة وإن لم تكن منظمة بعد، فهي تستعد
نودها من الجماهير الشعبية، التي يحركها معنى هي أبداً تتبوأ للثوري، وكانت
هذه الإدارة شكاء، نفاقاً بجتر هذه الحركة التي عرفت خلال شمع أشهر نجاحاً
معتبراً.

وقد كتب فرحات عباس : ... خلقت الحركة النضال الذي تعرفه وقد وصل
50,000 انضام إلى الممر الاجتماعي الكائن بـ ()، ساحا الكاردينال لافيغري
(Cardinal Lavigerie) بالجزائر العاصمة ...⁽¹⁾.

وعند المنخرطين هذا، الذي قد يبدو مبالغاً فيه ليس فيه ما يجتهد بالقياس إلى
الحماسة الشعبية، التي كانت سائدة في تلك الوقت، وقد تم تشكيل أكثر من 50
فرما لأحباب الحرية واليهان في كل أنحاء الجزائر.

ويعد أن استمدوا الشجاعة من توسع أحباب الحرية والمبار، هي الجزائر الذين
الذين مللوا زمناً طويلاً جيبسي المصمت والخصوس النظام الاستعماري، سلوكتهم
ووقعوا رؤوسهم ولم يعودوا يرضون بالاحتلال الذي كان مسلطاً عليهم بصورة
يومية من الإدارة والاهلية الأوروبية.

وقد برز السلك الجديد للجزائريين برفضهم لأي إجراء احتلاري والنضال عن
كرامتهم.

وقد أثار هذا الخوف في الأوساط الاستعمارية وأجج حقد بالعربي، الذي في ما
منى يعامل باحتلال، وقد انتشر التوتر بين الشعب الجزائري من ناحية والإدارة
الفرنسية والأوروبيين من ناحية أخرى، عبر لقطر للجزائري برمته.

وقد أظهر هذا الإنقسام بصورة مثالية وجود قوتين رئيسيتين : ألا وهما
الشعب الجزائري من ناحية، بركة لولته هي التحدو ومن ناحية أخرى الاستعمار
الذي يجتهد في الإبقاء على علاقات الهيمنة والاستغلال، وشعر هذه المواجهة في
الحقيقة إلى فترة الخبز القروسي، وقد عرفت محاولات متعددة، من الكفاح المسلح
إلى المقاومة السلبية.

غير أن القمع المتواصل الذي كان محتلفاً على الشعب الجزائري جعل بعض الكتاب أو السياسيين يعتقدون أن المستعمرين كانوا قد أجبروا على أن يقبلوا نهائياً بالاستسلام كأمر واقع، وكلفت وجهة النظر هذه قائمة على السلوك اللين للوضع للأقضية السياسية وبعض ذوي الإمياز لدى النظام الاستغلالي.

كان هؤلاء يلعبون دور الوسيط، ولكنهم لم يكونوا في الحقيقة سوى ضلّ لمواجهة الشعب الجزائري والاستعمار. وكان «إخلاصهم» المتكلف يرمي إلى إخفاء هذه المواجهة تحتها. بما كان يتيح لتلقي هذا الاستعمار أن يتمحور ويظهروا الجزائر على أنها بلد «مسلم» وبالتالي غافد للوطنية، ولا يعاني أية «مشكلة وطنية».

كما أنه عندما فرضت الأخيرة نفسها بهذه القوة، أصاب الأوساط الإمبريالية خوف غريب.

وما دامت المظاهرات الوطنية تتم على مستوى الفيلوت السياسية مثل حزب الشعب الجزائري، فالخطر لم يكن يتهدد بحجمه هذا السكان الأوروبيين الذين ظنّهم العناية الكافية التي كان يمارسها المعمورون وضمانتهم الحرة كانت تحرس على حمايتهم ورفع أي مساس بشوي الإمبريالية منهم.

ولكن بمجرد أن بدأ الجزائريون يظهرون من خلال سلوكياتهم اليومية قنطرة الذي طرأ على علاقاتهم بالاستعمار، شعر الأوروبيون أن وضعهم المهيمن قد أصبح عرضة لتهديد فعلي.

ولأنهم اعتدوا على «الأمم» بدونية، فلم يستطيعوا أن يتقبلوا أنه بإمكان هؤلاء أن يعتيروا امتداداً لهم وأن يلقوا بأن يحتموا بصفتهم بشراً كاملي الإنسانية.

وكان الشهور بلكراسة الذي كان المستعمرون يصرون على فرضه، بعد في نظر الأوروبيين تعدياً على الرقعة التي كانت لأفريقية المستعملة من الأوروبيين تدعيها لنفسها.

وقد أثر هذا السلوك الجديد مخاوف كبيرة لدى هؤلاء وأصبح في الوقت ذاته مشاعرا العتوان لجميع نجاه الجزائريين. وتجاوزون هم القومسيون الذين حاولوا ختم هذه الحلجة المطعنة إلى الكرامة التي كان يحس بها شعب الطاعون تحت نير الظل، كان الفرق إلى الكرامة بتجاوز اليوم من الحاجات الأخرى دكم كانت كبيرة⁽¹²⁾.

هؤلاء الفرنسيون المفلان لم يكن يرون من سبيل للقضاء على الظلم سوى المساواة في الحقوق مع الفرنسيين وتخصيص ثروات المعيشة لأقلية جزائرية لم يستطيعوا إزاء شعب الجماعي لهذه الحاجة إلى الكرامة الوطنية التي كان يتطلع إليها الشعب الجزائري.

كما أنه ورغم نداهات فريحت عباس وفصائله تجاه الألية القومسية، فقد انضمت هذه الأخيرة إلى صف العدوين وعملت أكثر القوة التي كانت تفصلها عن المسلمين.

موقف الحزب الشيوعي الجزائري :

كان عمل الحزب الشيوعي الجزائري الذي كان مدته الثلاثين هو تطوير تكوين الطبقة البروليتارية على أساس الانفتاح الاجتماعي بعيدا عن أن يرسم هذه الصورة. وكان العمال الأوروبيون يتضامن على عدد معين من المطالب الاجتماعية والاقتصادية ويتوقعون تحديداً عين كان التضامن يمكن أن يؤدي إلى التحسين في الوطن الجزائري. وقد دخل جزء من الجزائريين (من الحزب الشيوعي الجزائري) من المنظمات الوطنية للألفية الخمس من الجزائريين، حتى يوافقوا الأوروبيين والبلوا الانتعاش في نظام فونسي (ميمقراطي وأشتراكي و بوليتاري) ولم يأت هذا النوع من الاتفاق، وإنما على الضعف العددي للحزب الشيوعي الجزائري بأي بأموه لحل المشكلة الرئيسية للتحرير الوطني⁽¹³⁾.

كان هذا الحل سيتوقف أكثر فأكثر على عمل الجماهير المربوطة للشعب الجزائري. ولم تكن لتنتج سوى عن علاقات القوة الجديدة، لا على صعيد طبقة اجتماعية محددة، وإنما على صعيد جميع القوى الشعبية الطامحة إلى وضع حد للهيمنة الأجنبية بكل أشكالها.

وكان العداء بين معسكر الجزائريين ومعسكر الأوروبيين لابد منه، لأن الأوروبيين رفضوا أي اندماج في المجتمع الجزائري، وكنوا على العكس من ذلك يعملون على تدميرهم وتحويلهم بمجتمع تصوره قديم ومصالح أقلية وضعت بالقوة وغصبها عن المجتمع الجزائري التثقيفي.

ومن الضروري أن نشير إلى أنه بعيدا عن الاختلافات في البرامج أو المواقف السياسية، كان الخلاف الجوهري يخص طبيعة المجتمع الذي كان يفترض أن النضال يتم من أجله.

وطبيعة المجتمع منه هي التي أخطأها الحزب الشيوعي الجزائري إذ كان يركز تاريخيتها وخصائصها والتقدم الأساسية التي كانت الجماعات الجزائرية تؤمن بها، وبسبب إيديولوجيته، واستوائه بينه وتركيبته البشرية، لم يكن الحزب الشيوعي أهلا لأن يعمل مع التطلعات الشاملة لهذه الأخيرة. وقد عرف جميع أحباب الحرية والبيان الشجاع لأنه كان يتعاضد من خلال هذه التوجهات مع تطلعات المجتمع الجزائري العنصري الذي كان يروج تحت المظلة والاستغلال.

ومع ذلك، أساس أحباب الحرية والبيان، ثبت هذا الأخير بمسيرة متزايدة أنه مدرك لإمكاناته ويحاول حتى أن يتجاوز انتقادات المعتقدات والبرهان.

وكان الحزب الشيوعي الجزائري يستعين بإمكانيات الكفاح لتسبب بدمته، وداع براصل سياسة الإندماج القومية التي كان يأمل أن يراها تطبق بفضل مشاركة الوزراء الشيوعيين في السلطة، تحت ولية تصاوغ الطبقي.

ولم يكونوا يعرفون أنه في بعض المراحل الهامة من التاريخ، كانت مصالح الطبقة قد تقلصت لصالح مصالح الجماعات الشعبية، شريطة أن يكون لهذه الأخيرة تنظيماً، وكان ذلك التنظيم هو حزب الشعب الجزائري.

وفي هذه اللحظات كان مفهوم الوحدة الوطنية، وعن طريق القوى الأساسية التي كانت تحركه، يحل محل مستوى ثوريا بينما كانت مفعولهم البروليتاريا والصراع الطبقي، كما كان يطبقها الحزب الشيوعي الجزائري، وجهة موضوعيا.

حقيقة أن البيان لم يكن العلاج خضائفي، ولكنه كان يمثل إطار كفاف عند الإمبريالية وفي ذات الوقت مجالاً تتلوى فيه أشكال الإحتجاجات التي تكونه. فكل واحد من هذه الإحتجاجات كان له خيلوته، واقتضياته.

فعلى سبيل المثال، لم يكن وجود حزب الشعب في أحباب الحرية والبيان يعني تخليه عن خيلواته، إنما إمكانية تشلوكها مع الأغلبية لأنها كانت قتلاء مع المصلح الأساسية للشعب الجزائري، ومن ناحية أخرى، لم يكن يجهل هشاشة أحباب الحرية والبيان، ومحدودية على صعيد التنظيم والكفاح.

وقد سخر جميع خبرته ومناضليه المتمردين ليؤدي دور التمسك الذي يستند عليه، أحباب الحرية والبيان، ليجعل منه حركة مهيمنة، قدرة على التمرد والنباح عن تطلعات الشعب الجزائري، مرسداً بذلك أكثر فذكر حضوره في وسط الجماهير التي كانت حقلها حسباً للأفكار الثورية.

وخلال هذه الفترة مثلاً (من تأسيس أحباب الحرية والبيان في 14 مارس 1944 إلى غاية مؤتمر مارس 1945) بدأ حزب الشعب، في وكان ما يزال غير معترف به، نشاطاً كثيفاً وعميقاً في المدن والأرياف، وشكل في إنشاء فروع أحباب الحرية والبيان، وإنشأ بعضها هو بنفسه، وكثيراً ما كان مناضلوه عنهم هم «محركو الرئاسيين».

ولكنه على سبيل المثال، حافظ على عوكة التفاسير موزة لينتدأ أي احتمال، إذ كان يدرك أن هزيمة قوية من الإدارة في الخيانة في وسط أحباب الحرية والبيان لم يكونوا أمراً مستبعداً. إذ كانت الحركة سافراً خلفاً جدياً وشكر بسرعة كبيرة في جو من الحماسة العامة.

وكان حزب الشعب يحاول أن يحول هذه القوة الكامنة إلى طاقة نوعية، بأن يناقش فيها مواضيعه عن الاستقلال، والتمسك بالعرابي والإسلامي والمناضل للإمبريالية.

وكان أحباب الحرية واليقين يتطور في هذا الاتجاه مما كان يقضي على أعمال الإصلاحيين الفرنسيين» وأتصور إجماع الجزائر في «العائلة الفرنسية» في حين كان هذا البلد جزءاً لا يتجزأ من حضارة أخرى.

وقد أسهم تسلك الشعب الجزائري بقمه ومخشيته العربية الإسلامية يلعب دوراً للوسيلة الأنجع للتصدي لجميع المحاولات التي كانت ترمي إلى تفويبه في مجموع، كانت إيديولوجيته نزاعة للهوية والإستعمار واستغلال الشعوب الأخرى. ولم يكن الشعب للجزائري ليقاوم عن تلويعه ولا لينسج روحه مقابل بعض الإصلاحات التي كانت محسنتها قبل كل شيء هي إيجاب بطون الإستعمار وتبرير نظام الإستغلال، كما أن نخلص هنا طشعب كان يجب أن يتكفل بها في مجموعها ويذاع عنها بكل قوة وبجميع الوسائل.

وهذا ما كان حزب الشعب يتشبث به منذ سنوات طويلة، ولذا لم يتخلى وقد تطور الوضع بما هو في صالح طروحاته، عن موقفه الملائمي ويترك لوجهل بمعاون قناعات وطنية معتدلة لم تقتل بمزدهم بتوجيه الحركة ودون أن ننظر من أنفسهم أو فترتهم بأي حال. فإنه من الواجب أن نلاحظ أن تاريخهم حديث العهد لا يؤهلهم للقيام بهذا الدور وكم هو صعب هذا زيادة على أن البلد كان يدخل أكثر فأكثر في مرحلة ثورية

كان عمل حزب الشعب يتوجب إرفاقه العملي للمسؤوليات تجاه الجماهير الشعبية، ولم تكن هذه المسؤوليات تفتقر على صيغة بلا طائل من أجل تبوأ مكانة، بين شخصيات أو فصائل إنساني إيجاب الظروف الضرورية للنمو الدائم الذي لا رجعة فيه لحركة وطنية.

وقد كان حزب الشعب التزويك الأهم في هذا التجمع، وكان عمله ينزع سراحة إلى توجيه هذه الحركة نحو المطروحات المذكورة أعلاه وكان مناضلوه يناقشون هذه المطروحات أنها أمام الجماهير ومناقضي الإتجاهات الأخرى الذين كان الكثير منهم يشاطر ترويجها تصور هذا الحزب.

وكان أولئك الذين ينشرون هذه الأفكار على "ثوية" أحباب الحرية والبيان من أتباع سياسة الإدماج بتدرجات متفاوتة.

وكان معظمهم من يدي الريبة والإتقاسات في صفوف هذه الحركة، وعليه فقد كانوا يجدون في أن يخلقوا فيها التناقضات، لعلهم أن التناقضات التي بدلت منها أحباب البيان والحرية لخالها كانت متقاربة وكانت أحياناً تقاتل وأنهم تنصهر بعد في التفتيم نفسه.

كانت الإتقاسات ما تزال قاذرة وكان لا بد لها أن تزول مع الزمن وكذا الصراعات والتناقضات الجبلية ولم تكن الحركة حديثة الإنشاء قد تمكنت بعد من تجاوز بعض التناقضات، حتى أن الإمارة كانت توازن على أن هذه التناقضات هيئها ولا تلو جهوا إن وجدت الترحمة، كي نزيدنا تقياساً، لأنها بوغلت من قبل حركة الجماهير القوية التي حوكت بسرعة كبيرة العلاقات بين الإستعمار والشعب الجزائري منذ راحت تحرك مزامراتها في الظل كعائتها.

وهما بعد إنشاء أحزاب الحرية والبيان، ومع النزوع إلى الصلابة في داخل الحركة، للجزائر في تلك حركة تحوير الشعوب، والمكناج ضد الإستعمار، كما في تطور الوضع الخارجي خلق ثورها ملائمة للحركة.

السياق العام وتطور الوضع الخارجي

كانت الحرب العالمية الثانية تغزو من نهايتها، وكانت الجيوش السوفياتية تدحر بسرعة القوات الألمانية نحو الغرب، بينما كان الأمريكان والإنجليز وحلفائهم الذين تزلوا عام 1942 في شمال إفريقيا وفي فرنسا عام 1944، تضيق خناقها على ألمانيا النازية.

ولم يكن أحد يثبث في نهاية هذه الحرب وفي أن استسلام ألمانيا يفت مسألة بضعة أسابيع أو بضعة أشهر على أكبر تقدير.

وكانت القديلة ضد النازية والفاشية تضرب أطنابها، ووعود تحديد جميع الشعوب تملأ الشعب والتصوريات^{١٤} خصوصاً عند الأمويين بقيادة روزفلت، وكانت تغني كما لا يخبره لدى الشعوب التي كانت طريحة الاحتلال والاستيطان، هل كانت الشعوب الإستعمارية ستؤثر وضعها بتغيير لصالح التغييرات في العلاقات الأخوية التي تنسج على أوتارها؟

من سندهد إرساء نظام ديموقراطي يحترم الحقوق الأساسية للشعوب في الحرية والإستقلال الوطني^{١٥}

كان أكثر غموضاً مع ذلك بمنعهم من هذه التغييرات الكبرى كان من شأنها أن تسهل معركة التحرير، وكان هذا في الأسم فمعصية^{١٦} يلحق بها على حق جميع الشعوب في اختيار شكل الحكومة التي يرغبون العيش في ظلها،

ومع ذلك فإن المثل الديمقراطية التي ننسجها، الحظاء، كان ينالها موقف القوى الاستعمارية القديمة وتحالف الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تميل إلى استبدال أشكال عبثية جديدة بالإستعمار التقليدي.

وكان الجرائيرين ينابهن كثير من الإضماع سحر الأحداث جميعها، ولكنهم أبدوا اهتماماً خاصاً بالحركات السياسية للبلاد العربية والإسلامية على غرار المغرب وتونس وليبيا ومصر وجبهة سوريا ولبنان وفلسطين.

كل من من المغرب وتونس وشهران وضعاً كوضع الجزائر، رغم وضعهما القانوني كدول تحت حماية فرنسية، وكانت الحركات الوطنية خاصة الإستقلال^{١٧}، وقد استقر الجدي، فكأن من أجل التحرير ونسخدم بنفس الإمبريالية العنيفة التي تولدها الحركة الوطنية الجزائرية، وكانت تتعرض للهيمنة نفسها وتعاني الدمع ذاته.

إفريقيا الشمالية

في بداية عام 1944، كان المغرب مسرحاً لأحداث خطيرة تعود لرفضه الاعتراف أن تأخذ بحسب الاعتبار المطالب القومية التي تنسجها الإستقلال، على شكل

بيهان للسلطان محمد الخامس إلى المقيم العام وإلى مفتي الحظاء^(٢٠) وكان قادة
 الإسقلال أمثال أحمد بقرأج ومحمد اليافقي قد اعتقلوا بحجة باطلة تمثل في
 إلجوسسة للعدو. وسرعان ما فطمت مظاهرات شعبية حاشدة، في المين الرشعية
 للمملكة للاحتجاج على هذا التمسك فتم قمعها من قبل قوات حفظ النظام الإقارة،
 الأمر الذي أدى إلى سقوط عشرات القتلى والجرحى في صفوف المتظاهرين.
 وبهذا أخلعت السلطات الفرنسية رايقتها في كسر الحركة الوطنية المغربية
 والتسدي لأي تطور في اتجاه التطلعات الشعبية. ولكنها قوبلت بنتيجة عكسية، إذ
 تعاض الشعب المغربي أكثر مع حركة الوطنية التي كان الملك محمد الخامس يلعب
 فيها دور الرمز الوطني، وهذا على الرغم من موجة تطبيع التي ساءلت على الوطنيين.
 وفي تونس توسعت الحركة الوطنية وواجهت السياسة الإستعمارية الفرنسية
 نفسها والتصورات الرجعية المتطرفة على مجمع المغرب من قبل الد. L. N. ،
 ولم تكن هذه الأخيرة تتوحد في تنقصي لكل تحركات وطنية، ووسط
 القوط الذي كان يسود في تونس عند وصول قوات «الحلفاء» فقد ناور كي يفتح
 الأمريكيان والإنجليز بالمعرف المزيدي للألمان الذي كان يقفه القامة التونسيون (كما
 في المغرب) والمثقلين أساساً هي مرهف أباي صنعت. وبوراقية.
 ورغم ضعف هذه الإتهامات، فقد عزل أباي وأرسل إلى إقامة في الأخواط ثم
 إلى شمال (الجزائر العاصمة) ثم باو حيث مات عام 19٤7^(٢١)
 وبعد القوة، أظهر الرقي للعلم التونسي سخطه على السلطات الفرنسية، وزاو
 حجم الحركة الوطنية إلى درجة أنه حرم الفائز من «مشتدتين عقبين» فكان هذا
 الأخير مجبراً أمام شعاع التطلعات الوطنية التونسية على منح بعض الإصلاحات
 الحليفة (كما في الجزائر) حتى يستعملها لملوية هذه التطلعات الوطنية نفسها.
 وقد شدد على انعكس من ذلك هيمنة وسيطرته على الدوائر الرسمية، للمقودة من
 قبل (الصماية، الوزرات والمديريات الفرنسية).

وعن طريق الحماية وكذا الميثاق الجديد سيجدي الميثاق، منزعج الإزاحة، كان المقيم الفرنسي يقود فعلياً البلد معباً عنها بتلك تقاليد الإمارة المباشرة دون احترام لما ينص عليه الوضع القانوني للحماية . وهكذا كانت سياسة الـ C. H. L. N. هي نفسها في جميع بلدان المغرب رغم الأوهام للقانونية في المغرب والمجزلة وتونس.

وكانت تلوح في شكل قمع، وقوة اقتصادية قنصلية للحطاب الوطني والإبقاء على العلاقات الاستعمارية من طريق القوة.

وكانت هذه السياسة تميل إلى تدمير الحركات الوطنية التي تظفر لطلعت الشعب وتنهز عنها وإلى عزلها جميعاً عن بعضها البعض وفي ذات الوقت كانت تجارب بعض الطابع العربي الإسلامي لهذه التحولات عكسة من جهودها لفصل المغرب عن فضائل الطابع العربي الإسلامي هي في الحقيقة التي تتصدى بصورة أكثر قوة للسياسة الفرنسية الإمبريالية والهيمنة الغربية.

وكانت الإيديولوجية الأسبورية التي تقوم أساساً على مبدأ تفريق الفئات الغربية خاصة قوة فرنسا، مصدر إلهام الفكر السياسي للقيادة الفرنسية، إن كان هؤلاء يرون في الحركات الوطنية العربية الإسلامية خطراً يهدد بالوجود الفرنسي، أي في الحقيقة النظام الاستعماري بالاستقلال والهيمنة.

كما كانوا يحاولون من طريق الإصلاحات تصفية أن يكافحوا ضد هذا الخطر ويضعوا إلى الأبد شمسهم على بلدان كانت شخصيتها ومسالحتها الوطنية تختلف عن مصالح وشخصية البلد المستعمر.

وكانت عودة انبعاث الحركة العربية الإسلامية بتشكيل قوة عنصرية كبيرة للشعوب العربية التي كان مشغولها يأخفون ذلك في حساباتهم، إذ، عند بعض الفروق، فقد كانت مشكلات هذه الشعوب واحدة، ألا وهي التحرر من رقة الأجنبي وإقامة علاقات جديدة مع بعضها البعض ومع المجتمع الدولي.

إما أن C. F. L. N. بدلاً من أن يفهم الاستراتيجيات التي كانت تحدث في العالم والعاجات إلى تخوير الشعوب، راجح ويكرر ببرنامج السياسة التقليدية (الإستعمارية). وقد بدأ معثو في المغرب نحو مدركين للتغيرات وولجوا يتصرفون وكأنهم في عز أيام الإستعمار.

وفي المغرب، كما في تونس والجزائر، كثيرا يرفضون أي حديث عن التطلعات الوطنية للشعوب، حتى ولو كانت في إطار (الحكم الذاتي) (الذي كان بمنح عليه الدستور والحركة القروية المغربية والبيضان الجزائري).

ولم يكتفوا بذلك في هذه المطالب كما صرح به، الفاتح العام، P. ⁽¹⁾ سوى طموحات ذهبت إلى إعادة امبراطورية الظلمة، في كامل مجدها كما كانت في القرنين 12 و 13، جاعلين من السلطان، والنهاية، ليس شريكاً لغرضاً، وإنما أعضاء فاعلين في الجامعة المغربية.

وكانا يهتزان المغرب ذكر تسوطاتروا عظمة فرنسا، «...أما قيمة استثنائية من وجهة نظر المكانة التي تستطيع فرنسا ويجب عليها أن تحتلها في العالم». وبهذا فمعنى نفسه، يتجه لتحرير الجزائر *Algérie* في أكتوبر 1943 في بوجية T. A. M. ⁽²⁾ وفيها هم في أوروبا والمغربية في أن معاً ففي تلكه «... يجب على شلال إفريقيا أن يتخلص من جلابة التثوق ليدور في تلك فرنسا ولا يمكن للممبعين التعمال الإفريقيين أن يدرجا إلا في كشيدوالة للأراضي الفرنسية».

مثل هذا التصريح وغيره كثير حول العلاقات الوثيقة بين فرنسا وحكوماتها، كان من شأنها أن تجعل الحركات القومية أكثر ولديكية، وتقرب زمن لمواجهة والحصومة، بين هذه الحركات والإستعمار الفرنسي المصمم على سد الطوق أمام كل مطالب وطنية الذي بلغ عام 1945 نقطة للأوج.

الحركة العربية، سوريا - لبنان

كانت معركة التحرير في كل من سوريا ولبنان الذين كانت فيهما السيطرة الاستعمارية أقل وطأة منها في المغرب، تأخذ معنى الثورة التي كان يتعين للإستعمار إقامتها أن يرضخ ويمتدح بالإستقلال لهذه البلدان.

وقد وعت البلدان العربية الأخرى وضعاً يُوَعِّزُ تعزيزاً تدريجياً للتقوى الأجنبية، وقد ترجم هذا الوعي عن طريق سياسة تقارب، عملت وتبعتها تطلعات الجماهير العربية إلى الوحدة.

وقد تجسدت بعد عدة لمجتمعات عن طريق تأسيسه في مؤتمره يوليوس في 14 أفريل 1943، لجامعة الدول العربية التي بعث مجيئها أملاً كبيراً في جميع شعوب العالم العربي الإسلامي.

كان كل من الشعوب والسياسيين في المغرب يتلمذون بالعلماء عميق أحداث المشروط خلاصة المبادئ التي كانت تجري في هذا عام 1943 لتأسيس وحدة عربية لم يكن شكلها قد حدد بعد، وكانت هناك هذه أشكال ممكنة:

1) دولة فيدرالية ذات سلطة سياسية مركزية
2) دولة فيدرالية ذات برلمان مركزي وصالح تنفيذي له مطلق السلطان السياسية.

3) كنفيدرالية يركز فيها على التضمين والتعاون.

ولم تكن للمثنيين العرب الجبهة الضرورية لإنشاء وحدة حقيقية باختاروا شكل تضمين وتعاون بين الدول وبوهم ضعف مستوى الاندماج في هذه الصيغة، كان اجتماع فيفري ومارس 1945 في لشعة لوزراء الشؤون الخارجية لتأسيس جامعة الدول العربية، يمثل نجاحاً في نظر الجماهير. وبعد التوقيع في 22 مارس 1945 على ميثاق الجامعة، من قبل مصر ولبنان وسوريا والعربية للسموعة والأردن كان الرأي العام العربي يرضى في تلك بداية تجمع كافة الشعوب العربية

وقد كان لتأسيس الجامعة العربية الذي يعتقد اليوم أنه متواضع جداً، مدى كبيراً عبر جميع العالم العربي. وقد وجد فيه المغرب الذي كان تحت وطأة الاستعمار تقديراً لمجلى في تحريره وتحقيقه والدول الأخرى.

وكان هذا بعد من التحرر والوحدة بين الشعوب العربية يمثل خطراً على
الإمبريالية العالمية، مع أن بعض القوى كبريطانيا العظمى لم تأخذ مأخذاً سيئاً
بإدراك الأمر.

وقد لوحظ بسرعة أنه كان يستعد قوته من تطورات الجماهير وأنه يوشك أن
يزعزع حتى قواعده والاستراتيجية الإمبريالية. وكان لهذه الأخيرة رهران آخر في
جعبتها فاستندت على الصهيونية في فلسطين، لتتصدى للحركة العربية لتحرير،
معزلة إيماناً ومضاعفة من معارضة (كانت غالبة القول في تلك الوقت متأثرة
بندوات بالقوى العالمية الكبرى).

كان ذلك إذن جبهة عريضة لتكثاف هذه الإستعمارية والامبريالية تنصر عبر العالم
العربي وتندمج في حركة التحرير لجميع الشعوب في العالم، وإفريقيا وآسيا (مثل
فيتنام، والهند، وأندونيسيا حتى ملتحص على أكبر الدول فقط).

ولم تكن الهزات لتتجاهل هذه الأحداث والتغيرات وفي هذا السياق كانت
الحركة الوطنية في هذا البلد تتكاثف وتبحث عن أفضل قسمل للبلوغ أهدافها في
التحرر.

وقد عرفت هذه الحركة التي كانت قد توجدهت لمبتداء من عام 1949 في شكل
أحباب البيلان والتحررية (يضم الحركات الثلاث: حزب الشعب والعلماء وطلحات
عباس) امتداداً سريعاً على جميع الجماهير، وقد عجل تحولها إلى داخلي والموقف
المتشدد للإدارة الفرنسية والنهاية الوشيكة للحرب. لاعتقاد مؤمنو وطني لتكثيف
هذا التجمع مع المطالبات الجديدة للإصلاح سواء في الداخل أو في الخارج.

الهوامش

- (1) استشهد كثيرًا في شرح خطاب وشمس C. F. L. M وهي غسطنطينة (2 ديسمبر 1943) ومؤتمر بولزافييل (جانفي 1944) على اعتبارها مؤلفة مرة أخرى الإستعمار. كان الأمر يتعلق بمسألة بإعادة ذكيرة الإستعمار لتفريغ التي طرأت في فرنسا، والجزائر والعالم، بهدف مواصلة الأخذ بعينها بالرسائل نفسها إثناء بلهجة متفككة.
- (2) للتدخل بالنسبوي (أو بالأحرى بالأساري) في الإقليم لفرنسي، الذي كان يعتبر إصلاحا جريئا كان قد طالب به عام 1920-1921. الأمر جالد (في عيسى القليل الإستعماري).
- (3) يفي الدة ملايين جزائري مسلمين هي المستند الثنائي أي مواطنين من لدولة ثنائية.
- (4) كان الضميريون يذبحون وجهة نظر الدة C. F. L. M مع بعض الفروق، كما في من الجبهة المتحدة. فبالنسبة لهم كانت هذه المشاريع دعوى على إصلاحات تفرعية في حين أنها استعملت كمسائل للقضاء على التمييز الوطني.
- (5) الثورة الإستراتيجية هذه مجلة سياسية وثقافية وأيديولوجية تصدر في باريس من الطيف الاشتراكية من 25.
- (6) في التفكير بارت من الشباب وجمع أسامة خبطة، ولينا تفرض، لم يتردد هؤلاء الشباب في الذهاب للتمرد عليها من المعسكرات الأنجلوأمريكية مضطرين بصياتهم.
- ولم تكن هذه البداية معزولة على غرار الجزائر في موضوعنا هذا في القوت المركزية الشابة للبرائر الكبرى (وكنك في هذه المجموعة). فقد استعملنا أن تلاحظ أن هذه الإنشادات كانت مشتركة بين الكثير من المثاليين.
- (7) - La nuit coloniale, op.cit. p. 150.
- (8) - Kool.
- (9) - Du manifeste, p. p. 61-62.
- (10) عملا أوّلان المجلس الوطني الثنائي في 3 أفريل 1946.
- (11) فترحات مجلس المرجع السابق.

(12) كانت الغالبية العظمى من الشعب خاضعة للنظام الاستبدادي، في ظل ظروف حياة وعمل حربية.

(13) على العكس، كانت صحيفة الاتحاد، المنشورة في الإمبراطورية الروسية، تسير في الاتجاه عكس الاستقلال الوطني، فبدلاً من تمديد تفويضها في السياسة (على غرار الإصلاحات) وانكسار الفروسة للإنقواء في أسوداء الليان والحرية، واحوا يمدحون في كحفاً وعزل أنفسهم بإنشاء «أسوداء الديمقراطية والحرية».

(14) منذ هفانج جانفي عام 1972، تمهد الحلفاء عن طريق «إعلان الأمم المتحدة» ما عدا نظام مسلم وأمن فضلاء بعد الحرب.

(15) حثت الميليش التي تترجم عليها منظمة الأمم المتحدة بـ «مؤتمرين أوكس» في سبتمبر عام 1941، وأعد ميلاد الأمم المتحدة في مؤتمر سان فرانسيسكو (25 أيلول - 25 جوان 1945)، وتهدف إلى الحفاظ على السلام، وأحذوا من حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، فإسقاط عن بعض الحريات، والعساوافة بين الأولاد والامه، فتمكنت الزوايا الإجتماعية في الشرق الأوسط للتمسك في محيطها من الحرية.

(16) تأسس حزب الاستقلال في ديسمبر 1945.

(17) رجع هذا الجهاد من طرف العديد من الشخصيات والقيادات، فإسقاط من بينها استقلال المغرب، كإعلاناً لثمة زعامة محمد بن جرسف.

(18) شاول اندري جوليان، أفريقيا الشمالية، ص 91.

(19) ذكره شاول اندري جوليان، المصدر السابق.

(20) نفس المرجع.



الفصل الثامن

التوجه الراديكالي لأحباب البيان والحريّة

أحداث ماي 1945

بلغ تجمع أحباب البيان والحريّة ذروته في ربيع سنة 1945، وفي كتفه أخذت الأفكار التحريرية تنمو وتتكاثر في الأوساط الشعبية. وكان حملى للجساعير ومعتهم حوله قد نطقت لنظير السلطات الاستعمارية إليه: فاحتلت الأوساط السياسية في الجزائر المزيّة الأولى في اهتماماتها.

وبالرغم من أن برنامج التّجَمُّع كان معتدلاً نسبياً إلا أن الوأي العام الجزائري كان قد نشبّع بفكرة المطالبة بالاستقلال. وهذا ما جعل التّوجه السياسي للتّجمع يفتلي مع التيار الثّوري (من التّجمع إلى حزب الشعب)، وكانت الإدارة الاستعمارية ترمّز دون حياء على خلق حزب الشعب وتقييد دوره لطلالئم في صفوف أحباب البيان والحريّة.

وبالرغم من أن تلك السلطات كانت قد خلقت حزب الشعب عشية للحرب العالمية الثانية إلا أنه صرّح مشمّوفا على العمل تحت طائلة الاضطهاد، فكيف أسلوب نشاطه بحيث ينعكس مع ظروف العمل الثّوري ويضمّن له المواصلات فيفضل نشيئ هذا الحزب بمبادئه اتجه التّجمع نحو التّلوّف في مطالبه وساهم في دفع الحركة الوطنية إلى مصاف القوى الحركات التحريرية التي واجهت لدول الاستعمارية. ويفصل تجلّو حزب الشعب التّوزائري في سعيهم الطّائفة الشّعبية؛ ثمكّن من مطاومة كل أشكال القمع التي سيطرتها الإدارة الاستعمارية عليه.

عندما تعارن حزب الشعب مع "حلب: البيان والحريّة" ساهم هذا ملوفا في إضفاء الصبغة الشعبية على التّجمع حيث انخرطت الدّعات الشعبية في صفوفه

بكل ديمقراطية، وهو حزب الشعب الجزائري، مكانة معتبرة في التجمع ودرجته الكفة لصالحه ومن ثم أصبحت مطلب شجع أحزاب البيان المشاركة في صوراها. كان الجدل قائما حول الأفكار والمبادئ المتفق عليها بالصعدين الوطني والخرجي : فعلى صعيد التنظيم الداخلي للتجمع، كانت المعنى هو ترسيخ اللطروحات الثورية لحزب الشعب وعلى الصعيد الخارجي، كان الهدف ضرب السياسة الاستعمارية.

نجح حزب الشعب الجزائري في توحيد كافة طروحاته لأنها كانت منسجمة مع طموحات الشعب الجزائري، فالتغيير الذي بدأ يظهر في صفوف الشعب قد انعكست آثاره في شهر جانفي 1945 في صورة إعانة توزيع اللوى الداعية في صفوف قيادة أحزاب البيان والحموية، حيث نجد عدة مسؤولين من حزب الشعب (أمثال الأمين بيلكهن وحسين عسلة، مسؤولو التتالي المكي وغيرهم)، معشوقة هؤلاء الساساتين إلى جانب القادة، توي الاتجاه المععدل، الذين تشكل منهم هيئة قيادة أحزاب البيان والحموية أعطى منحرجا حشما هذه التتاكيلة.

ولقد حدث التغيير العاسم للتجمع في المؤتمر الذي انعقد في الجزائر من 02 إلى 04 مارس 1945 حيث انعقدت جملة من اللطروحات المتسمة بالنسبة للوجهيات الشعب.

انعقد المؤتمر تحت وثلاثة مصالي الحاج الثنوية (الذي كان تحت الإقامة الجبرية في جنوب البلاد) وأسفر على ما يلي :

- رفض اللطروحات المؤيدة لتتاسم النظام الفيدرالي الذي دافع عنه انصار فرحات مباس.

- تبني المؤتمر فكرة برلمان جزائري وحكومة جزائرية لكنه رفض أن يتحقق هذا الهدف تحت ظل فرنسا أو في إطار فدرالية فرنسية.

- ربح فكرة انشطار جمعية جزائرية تأسيسية بالانتراع العام دون تعيين في الشرق أو المدين. وكان هذا آخر اختيار يميل به المؤتمر صو للحل الذي يكفل للجزائر الحصول على الاستقلال بالأسلوب الديمقراطي.

في نفس الوقت رفع المؤتمرون عريضة تدّوا إليها بالجمع المصلّح على المناضلين وكذلك أدّوا الإقامة الجبرية المفروضة على مصلي الحاج. وفي ختام للعريضة حياً للمؤتمرون مصلي الحاج كزعيم للشعب الجزائري بنون مثلاً.

ليس الحدث الأكثر دلالة في وقائع هذه المؤتمرات هو التوجهات السياسية الجديدة ولا الإقرار بأن مصلي الحاج هو الزعيم الوطني؛ وإنما الحدث هو تلك التبعية الذي طرأ على التدبيرة في ظرف عام واحد سواء من حيث فتح الأبواب أو تطور الأفكار السياسية.

أصبح حزب الشعب الجزائري، بمثل تلك الأغلبية في الحركة الوطنية، فأطروحة الثورية اكتسحت أطروحات الكفالات المتدنية (الممثل في جمعية العلماء وطرحات عباس).

وبهذا ازداد التناقض بين الاستعمار والحركة الوطنية، حيث تركز على الحكومة الفرنسية للتوصل إلى حل يرضي جميع الأطراف. خاصة وأن الإصلاحات التي لوحت بها لم تحط بالحد من طرف الشعب الجزائري، ولم تقل رضى المتمردين، هذه الوضعية نجحت عن ثغرت الحكومة الفرنسية في موقفها الرافض التسليم بالواقع الوطني ورفضها للتخلي عن شجرة شمرية ولو كانت حلولاً انتقالية مثل تلك التي نادى بها فريجات عباس كـ "كتاب" شاولي كندري، جويليان" مضطرب المؤتمر ما يلي: "كلنت أغلبية الجزائريين نريد منح القولة الجزائرية المستقلة حرية الاندماج في النظام التي تخالفه يلوستها هي". خاصة أن انعقاد مؤتمر الجزائر صادق مؤتمر هليوبوليس الذي أتت تلك الجملة العربية.

وأضح أن الخيال الذي يطمح إليه المسلمون كان يصيب في هذا الاتجاه. ثم يضيف قائلاً: "أصيب المؤتمر الجزائريون بخيبة أمل مثل التي أصابت "بورقيبة" الذي مثل الحزب الدستوري لتجدهم في القفوة وكان مقتنعاً بأن زمن الاستعمار انتهى إلى غير رجعة.

يعتبر مؤتمر هليوبوليس نقطة الأوج التي بلغها الأمل في تجسيد جامعة عربية، فكان المناضلون مقتنعين تماماً بأن قرارات ذلك المؤتمر سوف تغير وجه العالم وتكون المناضلون يؤمنون بإقتراح عودة طمحيي القلتة¹⁰

لأن هذا المؤتمر الملغى بالصيغة الانتحاجية لم يكن في مقدوره فهم طموحات الشعوب في الوحدة ولا تعلقهم بالشخصية العربية الإسلامية، تلك المقومات التي ما فتئت السياسة الفرنسية تعمل على سحوها أو تشويهها.

لقد عكست قرارات المؤتمر المقومات الإسلامية التي تنصّبها المطالب الجزائري بخصوص إعادة إدماج الشعب الجزائري في مسار الحركة السوسلوية العربية.

كان شاول أنغري جوليان من كتيرين غيره: يعتبر البعد العربي مجرد "علم" بينما الحقيقة أن هذا البعد يمثل أحد المقومات المهمة في ضمير عشرات الملايين من الناس.

الواقع أن العلم هو السياسة الادماجية (الذي يتألف عنه هذا الكتاب وغيره) أي تلك السياسة التي جاء بها كتون ١٩٦٦ مؤسس المنظمة في إعلان دستورا وبالتالي في تأسيس الاتحاد الفرنسي (فماذا بقي للبرم من ذلك الوهم الاستعماري؟) وبالوهم من أن الوحدة العربية تنطوي على كل التناقضات ورغم ضعفها فإنها ما تزال قائمة على نهضة التحسين العربية وتحريك عجلة التاريخ.

كثيرا ما وجّه شاول أنغري جوليان ونحوه من الكتاب الإنسانيين؛ اللوم إلى قيادة الاستعماريين على قصور فظوهم وعدم تفهمهم للثقافة.

وكثيرا ما ولجأوا بكل شهاعة تصوّف المستوطنين، وشهروا بالظلم المسلط على الطبقات الضعيفة "الأهالي" أو "الأنميّة" غير أن هؤلاء لم يستطيعوا التخلص من "عابري" الإيديولوجية "الاستعمارية" - قسارية ظم بدخلوا في حسابهم الأبعاد الأسلمية المميزة للحركات القوطية فوجدوا أنفسهم في موقف مضاد لتموحيات الشعوب فلم يدركوا أهمية وعشق القفزة التي أحدثها المؤتمر في مسار النكاح من أجل الاستقلال.

فشل فكرة الثورة باسم انقلابيون

كان لزاما على الشعب الجزائري أن يعترض كل أيحاء مويته الانسانية! استعدادا لمعركة التحرير، خاصة وأن السياسة التي قادى بها فوجات عيام، وكان يعتبرها كهيئة بمنح الحزائر دستوراً يعكسها من تحريك ثورتها "بالقانون"، ذلك المساهمة أنبتت عدم فعليتها.

كان تصور فوجات عباس للثورة الجزائرية في إطار فرنسياداشا على الاعتراف بدونية الشعوب المستعمرة واحترامها والواقع أن هذا التصور قد تلاشى بسبب تعنت السلطات الفرنسية في مرفضا لكن هذا لا يعني أن التوجهات الجديدة لأحباب البيان والحرية قد انماوت، ظهورها للمعيار التحرري بالطرق السياسية، بل بقيت تؤمن بأن هناك ولاشك فرصة حقيقية لانقزاع الاستقلال بواسطة النضال السياسي.

كان أحباب البيان والحرية يؤمنون فعلا بفكرة "الثورة بالثقلون" ولكن الأمر المؤكد هو أن ذلك لن يتسنى إلا بتمهيد الشعب وتنظيم جميع ثقله.

إن وزن هذا الحزب ونشاطه كقيلان بتليو، وازين الثوري لمسلح الحزائر دون استبعاد احتمال اللجوء إلى أساليب أخرى من الفضال بما في ذلك الكفاح المسلح في وقت لاحق.

لا شك أن الثنائي في الكفاح والعمل السياسي من عروادة والتعبئة الجماهيرية التي طمعت منه الفترة يجد نفسه في عوص الشديد على تشكيل قوى سياسية تتميز بالثورة على ضمان الاستقلال مهما حدث.

لم يحدث أن واجه الاستعمار حركة وطنية واسعة وضلطة بهذا الحجم لذلك عمد إلى أسلوب الاستنزاف والمناورة بغية التمهيع والتخفيف وبث الشكافي، وحاول أيضا تفكيك صفوف أحباب البيان والحرية وإثارة العزلات بين المسؤولين.

كان الاستعمار يعتقد أن هذه الوسائل تمكنه من عزل حزب الشعب الجزائري، وهو القوة المبركة في هذا النجوع، وبالتالي تضمن له ثنائي الخطر الذي تعطله القوى الوطنية إذا ما اتحدت ضدّه.

تعرض قرحات عباس، شخصية للتخويف من مؤثره المتحكم للعلم وقد أدى اتحادها كالتالي، حلول موظف الإملوة لغد انتباهي إلى نوع تشكيلة فروع لحساب البيلان والحدودية المكثفة بتشر جريدة المسلوقة فقال لي: «إن في مكانب تلك الفروع عناصر معروفة بالتمثلها إلى حزب الشعب. إنكم تعملون لصالح مصالي» على قرحات عباس على ذلك بقوله: «إن من حق جميع الجزائريين الانضمام إلى أحباب البيلان والحدودية وإن أهم شيء بالنسبة للجزائري سنة 1945 هو تلبية المطالب الوطنية وتسطير برنامج للتنفيذ تلك المطالب؛ فالأمر أن نرتاح الحكومة بوجود حزب الشعب في هذا التجمع»¹⁴.

المنهجية الاستعمارية تمارس القمع.

كان مصالي الحاج هو المستهدف من كل الإجراءات القمعية التي تسلكها الإدارة الفرنسية على الجزائريين ففي 16 أبريل 1945 في حينما كان مصالي تحت الإقامة الجبرية في مدينة نصر القبلي، دمر وفي ولاية البزائر عملية استنزالية (باسم عملية Perilici) وهي عملية عسكرية ضد قاتل البدر العشبة¹⁵ اتخذوا إياها معكاً لاعتقال سليلته أدت تلك الإجراءات التمسكية إلى قيام مظاهرات وطنية وانتهت باعتقال زعماء أحباب البيلان والحدودية في المنطقة (المنشابة) حدثت السلطات الاستعمارية مصالي الحاج مسؤولاً عما وقع، وفوزت نفيه إلى أقصى الجنوب الجزائري في مدينة القليعة (المنيرة) كانت الأزمة السياسية على أشدها وازدادت تلك الإجراءات هوائية.

في 26 أبريل 1945 أخبر عامل عمالة فسنطينة (Estrade-Charbonnet) الدكتور سعدان: أحد مسؤولي أحباب البيلان والحدودية بأن بعض الاضطرابات توشك أن تقع وسوف يطلوها سمور قراو رجل حزب كبير، وعن ناحية أخرى أكد رئيس الاتحادية شيوخ البلديات العبد «أبو» Abbo بأن اندلاع أحداث الشعب وشيك الوقوع وأن الجنرال ميقوي سيضطر إقروها إلى إخلاء إصلاحات¹⁶ مارس 1944¹⁷.

فلقت جبهة القوى الكولونيالية هذه الأخبار بمذعور كبير ولكنها، أمام تطور الموقف أخذت تتأهب لصد الطويق في وجه العوجة العلومة للحركة الوطنية. أمراء فريجات عجل في زعيم أحباب القبائل والحرية بأن "المستوطنين كانوا يعارضون قانون مارس 1947 وكانوا منادونين لأحباب القبائل والحرية وبونامجه. ولم يكتفوا بذلك بل عدايتهم للإصلاحات ويجعلونهم على إقتضاها. كان الوضع على تلك الحال بمعنى أنه في الوقت الذي أخذت الحركة الوطنية تتطور كانت الجبهة الكولونيالية تتكلم

كل خمسينا يريدون إبعاد أحباب القبائل والحرية عن المشاركة في الانتخابات البلدية التي انطلقت في تونس. وبذلك دخلت تلك الانتخابات في الجرف للتهيب فور القوى الشعبية.^{١٧}

وعلى ضوء هذه الأحداث لا يمكننا تجاهل تتواطؤ (الضمني على الأقل) بين الجناح الأكثر تطرفا في صفوف المصيرين وبين الإدارة الفرنسية.

كان زعماء الحركة الوطنية واعين بما كان يحدث ويعدون من استغزات. فكروا دءاءتهم للشعب كي يتخذوا بآلية لإحباط المذاورات

كلت الحركة الوطنية متحمكة في الوضع ولم يكن من مصلحةها كتمان مطالبها أو الحد من نشاطها. بل كان لزاما عليها تفويت الفرصة على المستعمر بعدم الخضوع لاستغزالاته وبضرورة السعي في الاتحاد المعاكس لإحباط أعدائه الوأمية إلى حد الحركة الوطنية.

كانت انتمسالة المصروحة أمام الحركة الوطنية هي ضلالت استمرار تطورها وهي نفس الوقت اجتناب الوقوع في فخ الحزومات التي كان المستوطنون والإدارة الفرنسية يمدونها.

لم يعد في رشح الجماهير الشعبية تحمل المزيد من التسلط فتعاظم استباؤها من استمكة نفوذ الاستعمارية بطموحاتها الوطنية. ومن الإصلاحات المشبوهة الوأمية إلى تخريب الصفوف فلقد انتفض العهد الذهبي للاستعمار. وصارت الجماهير الشعبية عزيمة على تكسير أغلال المستعمر.

أعلنتم زعماء الحركة الوطنية فرصة الاحتفال بالذكرى المئوية للعالمى للشغل في 01 ماي وكذلك الاحتفال بالهبة في 08 من نفس الشهر: فتقدوا مطالبات سلمية تتدرج بالرفع الاستعماري، وتؤكد للمعلم مشروعية الطموحات الوطنية للشعب الجزائري، وتعد بالترقى السياسية مقولة "الجزائر أرض فرنسية". فقد دخلت الجزائر آنذاك مرحلة المأودة في سعيها للتخلص من الإمبريقية وتحقيق استقلالها مثل بقية الدول.

بالنظر إلى أهمية تلك التواريخ ومداها في العالم، كان ينبغي على الجزائر استغلال المناسبة للتعبير عن إواقتها الوطنية رغم كل مخاطر الاستغلال والفساومة: وهما الرسلتان انثان طالما لجا إليها المستعمر لإسكات الشعب في هذا الطرف الحاسم.

تسمى هذه الأيام إلى منع الشعب من التعبير عن مطلبه الوطني وكانت تسمى في نفس الوقت إلى إظهار الحركة الوطنية كاتلية "متطرفة"، "وشرذمة أعداء للنظام".

أصبحت لجنة حرية CFN - وأحيانا تدعى أكثر واقعية بعض الشيء - فمعروف بوجود مشاكل اجتماعية واقتصادية ولكنها تدعى بأن في إمكانها إجراء الحلول الاجتماعية دون المساس بالنظام الاستعماري، وأن الإدماع هو الحل. في نفس الوقت الذي كانت فيه تكون الإدماع مرفوضة من طرف الشعب الجزائري كانت تقدم من وجهة نظر بعض الفرنسيين كبديل للمطلب الاستقلالي بخرط الإلهاء على الهيمنة الاستعمارية.

في إطار التثديد بهش السياسة نظم زعماء الحركة الوطنية، وخاصة حزب الشعب الجزائري، مظاهرات لإحياء ذكرى 01 ماي 1945 وللاحتفال بالهبة حيث استغللت هذه المناسبة للتعبير عن مشاعر الاحتجاج الوطني.

إن السياسة الاستعمارية هي الصديق في سياسة أحداث ماي 1945. ولقد كتب الكثير عن تلك الأحداث ولكن معظمها كتابات مغرضة حاولت تشويه للمقري الحقيقي للأحداث.

مظاهرات 7 ماي 1945.

في ماي 1945 يلحق حزب الشعب الجزائري بتنظيم مظاهرات عبر التراب الوطني (من المعروف أن هذا العلم قد احتفظ بتنظيمه قسري رغم تواجده ضمن تجمع أحباب البيان والحريّة) وكلفت تلك المظاهرات متميِّزة عن التي نظمها القمكيّات الأخرى (الحزب الشيوعي على الخصوص) بقداً أعدّ حزب الشعب العلم الجزائري وحسب الشعارات التي يرفعها المتظاهرون تحضيراً «معكاً مثل» (الاستقلال للجزائر، نهاية الاستعمار، تحرير مصالي).

شارك في المظاهرات عشرات الآلاف من الجزائريين عبر كل قسم الجزيرة في مسيرات منظمّة سارها بالانضباط. كانت قوات الشرطة تحاول استفزاز المتظاهرين لكنهم ردوا بمسكين بواسطة الماشي مدققة.

في الجزائر العاصمة أطلقت الشرطة النار على المتظاهرين وقتلت مئائتين اثنين وأصبحت حاملي العلم (الحقائب وزيار) وعدداً كبيراً من الجرحى. لا بد من الإشارة هنا إلى أن ما حدث في الجزائر لا يمكن اعتباره سبباً لتبريد رد فعل الشرطة، فقد حدثت اضطرابات في مناطق أخرى مثل شرشال وكانت نتيجة التصرفات الشرطة ضد المتظاهرين.

حدثت مشاوشات هنا وهناك ولم تقتل الكثير من المصلين.

إنّما الغالب، بعض المصلين في الجزائر العاصمة سقط الشعب عبر كل التراب الوطني وتوتر الوضع بشدة وانتشر خبر حرق العاصمة في كل مكان. لا غرابة في أن ينفجر شعب بلقنة ضد الإساءة والاستغلال ذلك لأن تصديق الاستعمار لطموح شعب الجزائري لم يرد. إنّهم فعلوا في نضاله.

في هذا اليوم بلغ التملّص بين أممات وإوانة الشعب الجزائري والمستعمر أشده. ولقد كانت السلطات الكولونيالية موقفة لتنتج المظاهرات على الصعيدين الداخلي والخارجي، حيث كانت القوى السياسية المتنامية تمثل خطراً على النظام الاستعماري وأوهامه. إنّ تجاهل النظام الاستعماري لموقفة الترويج ورفضه الاعتراف بثوات الوطني الجزائري، أدّى به إلى حلول حريق انقبح والعواجه مع الجزائريين.

فشلت سياسة التخريب التي اعتمدها الاستعمار يوم ١١ ماي ولم تكن عزم الشعب الجزائري من انمضي لثمة.

مظاهرات 8 ماي 1945.

ومرة أخرى (أثناء مظاهرات 08 ماي 1945) حاول النظام الكولونيالي كسر عزيمة الجزائريين. ومثل ما هو معروف فإن هذه المظاهرات نظمها لاجتماع البيان والحرية على المسجد الوطني وكثفت مطالبها فتحدود حول: الاستقلال - نهاية الاستعمار - إطلاق سراح محبالي.

وهذه المرة كان إقليم قسنطينة مسموحا للاستقلالات. في حين سطيف واللمة كحزت الإدارة الاستعمارية نفس التسيير الذي نظمه في الجزائر العاصمة وتشتت وراء نفس الحاجة أي الوقت طرأ إقليم العفاني لتشتلات المكتوبة على اللامعات وكذلك وقع العلم الجزائري.

كتب السيد فوحات عباس عن هذه الأحداث بقول : « 08 ماي 1945 كان يوم فلاناء وهو يوم سرقي أسبوعية. تستقبل معينة سطيف في مثل هذا اليوم ما بين 5 و 15 ألف شخص من الفلاحين والتجار القادمين من المناطق المجاورة ».

إن الإدارة الاستعمارية هي التي أشتت للجزائريين بتنظيم المظاهرات استجابة لمطلب بعض المسلمين الذين اعموا من ربههم في وضع بلقة من الزهور على قبر "السدي المجهول".

نرى لمن سكتت هذه القضية : لقد امتنع شعب عامل العمالة أنه سكتها لراحد من مسؤلوي حزب أحباب البيان والحرية لذلك لم يطلب منه استظهار موته ولم يشترط عليه تقديم طلب كتابي، ولم يتم إشعار رئيس بلدية المصينة بالامر.

أما عامل عملة قسنطينة فقد كان على علم بذلك وأذن بالمضاهرة بشرط أن يرفع المظاهرون العلم للجزائري في لثمتها، وهنا وقع العلم قبل على الشرطة أن صلق النار.

تتخص الميوزات في نظر السلطات الاستعمارية في عبارة واحدة هي "الظروف المعقدة".

في الأسبوع الذي سبق يوم 01 ماي نظم حزب الشعب الجزائري (الحزب المحظور) مسيرات احتجاجية لانتفاضة برفع الإقامة الجبرية المفروضة على مصالي الحاج

قتل في مدينة الجزائر شخص واحد وجرح آخرون. كما نظمت مظاهرات مماثلة في مدينة سطيف شارك فيها أكثر من 4 آلاف فلاح. كان هذا بمثابة إنذار من طرف للشعب الجزائري إلى تعللطات الاستعمارية.

غير أن مظاهرات 05 ماي كانت أعظم وكانت مخصصة، لنقل العسيرة من المحطة الواقعة قرب الجامع الجديد. تقدم المتظاهرون نحو ألف متواضعين العلم الجزائري، ولما وصلوا على مقربة من المبنى المسمى "تخي فرنسا" وسط المدينة، تقدم محافظ الشرطة لاندراع العلم من يدي حامله،⁽³⁾ حاول الضابط أن يهاجم، فإذا بالشرطة تحلق الوساخ فكلت شخصا وأصابا آخرين بهجوم فكانت هذه بداية الاضطرابات.

على عكس ما وقع في الجزائر العاصمة، حيث واصلت العسيرة سيرها، فإن المتظاهرين على التخليص في سطيف لم يستمروا احتواء الشعب الجماهير فانظرقت هذه المسيرة وانتشر أوضاعا عذرا المعبدة واشتدوا مع القوات الاستعمارية ومع الأوربيين.

الاستفزاز والقمع.

كان السكالي الأوروبيون لا يخطرون عداؤهم للعرب وهذه الحقيقة مقبولة عند الكتاب، لكن الفرق على أن هذه ثم ازداد حدة بفعل التناحر الواضح بين السكان (المعمرين والجزائريين). وقد استغلت الاستفزازات المتعمدة في تدهور الوضع. كانت المظاهرات سلمية وهادئة ومن المؤكد أن تعليمات متطعها كانت وأضحت بخصوص تجنب الإذاعة وعدم حمل السلاح من طرف المتظاهرين. وبالفعل لم تسجل أية حالة استعمال السلاح من طرف المتظاهرين في اليوم الأول رغم أنه تميز بأحداث عنيف خلفت 27 أو 29 قتلى وعددا كبيرا من المرحى.⁽⁴⁾

فاحتشر القمع على نطاق واسع. ومن شأنه فزعهم راح سكان منطقة سبليت؛ يهاجمون المراكز الكرواتية. بما فيها حق بتفيزات ومن غيرها من موظفين؛ وجاء هذا التصعيد نتيجة منصفية للإجرامات الجماعية كميالغ فيها ضد المتظاهرين. فانقلبت المظاهرات إلى ثور وسكنت معينة قائمة نفس المسار.

وبناء عليه فإن تطور الأحداث بهذه السرعة كفى متوقفاً فالنظام الكرواتي؛ الذي يتألف من الفولبيين والأشراكين والشيوخين؛ شجأ إلى الاستعانة بالشرطة والجيش والمعمرين الأوروبيين الذين انتظموا في مليشيات. ودماروا مع السلطات على قمع الجزائريين.

يشهد على ذلك تفكيك الجماعي والتعذيب القوي المدمرة بالقنابل وآلاف الجزائريين الذين أعدموا بدون محاكمة وألقي بعضهم من أعالي مطابق حوطة الشاعلة. (يوجد لوح تذكاري نقش على الحجارة من طرف اللطيف الأجنبي بسجل تاريخ 1945 إحياء لذكرى المجازر وشاهدة على مكرهم)،

إن المنظمات الاستعمارية بوثانها هذه الجرائم التي راح ضحيتها جزائريون وأوروبيون كانت تسعى إلى استعراض ثورتها لثبت الرعب في كل أرجاء البلاد وتصد قوطة الوطنية المارمة

لقد واجه الفرنسيون الثورة برهنية كبيرة وبدون تمويه. وفرضوا حالة السور في سبليت مع إصدار الأمر بإطلاق النار على كل عربي لا يحمل الشكوة على ساعده.

هات الجنود السفاليون وحرق الضف الأجنبي وقوات الجيش الفرنسي قسابة في البداية فقتلوا المحسبل. وحملوا على الأوزاق. واغتصبوا. لقد اقتصروا أعمالهم الجمعة دون رقيب وبكل حوية في نفس الوقت الذي كانت فيه الطرابة "Tromwin-Duilly" تفصف ضواحي حوطة. كما استعملوا سلاح الطيول لخصف القرى والدواوير فدمروا 40 محش Melkts (تجمعات سكنية تأتي ما بين 50 و 1000 ساكن). ويلاحظ أن سكان مدينة قائمة (توي الأصل الأبرسي) نسا رادا الضراب الذي خلفته الإجراءات الجماعية على القرى المجاورة لثانهم القمعور بأنهم في حالة

حصلوا فنظّموا أنفسهم في طرق حرس عشى للذئاع تصعباً لأي هجوم من طرف
الألماني (الأنديجينا).

من الإجراءات الشعبية كذلك حملات التوديع ضد الجزائريين حيث تم إعدام
عشرات الألماني (الأنديجينا) دون محاكمة وغالباً ما كانوا يكيلون انهم بصورة
جزائية. وشملت في تلك العجائز أيضاً عناصر من اليسار العنصري؛ طبعوا
أساليب شبيهة بتلك التي تطبقها الفاشيون.

كتب شارل أندري جوليان عن هذا ما يلي^{٢٩} "توجد وسائل قمع أخرى تمت
معرضتها على للشعب الجزائري فقد أُلغى بعضهم ولحق الأضرار في شوبوليس
(بالقرب من فالمة) كما أن السيد (Achard) وهو نائب عامل العمالة قد أطلق
بسطه على المتظاهرين " ويشارف من السيد (Curiaux) الذئاع بلسم
المعمرون ورئيس بلدية مكيك^{٣٠} (Philippoville).

"بلغ القمع والعنف أشده في منطقة فالمة على الخصوص، بأمر من نائب عامل
العمالة (Achard) " فقد لوّك الحرس الشعبي بالتعاون مع القوات العسكرية أشد
أنواع القمع وأكثرها وحشية " ويروي عن بعض الكتاب أن الجزائريين المعتقلين
كانوا يُطعنون كرها من طرف حركتهم ويتم ذللتهم على أيدي الحرس الشعبي.
هكذا اجتمع على الجزائريين الاتحاد المندمج، الذئاع من الفاشيون إلى
الشيوعيين.

إن مسأله مشلوكه الشيوعيين في مجال القمع التي عرفت مدينة فالمة لم تعد
بحاجة إلى إثبات إن ما أدلى به " (Gernoric Tillou) و " (C.H Fourcaud) شهادة
مؤكدة بخصوص الأعضاء الثلاثة للحزب الشيوعي الذين نظروا الميديشات
(طردوا فيما بعد من الحزب). وكذلك الشأن فيما يتعلق بالنصريحات^{٣١} التي أدلى
بها نائب عمس ممثل الحزب الشيوعي، وتصريحات ناجي عيسى من الاتحاد
الشبي للجزائريين حيث قال الأول "إن نائب عامل العمالة (Achard) تصرف كما
يجب. ولم كنت مكانه لفعنت مثله بالضبط لقد تحلى باليقظة اللازمة أما الثاني
فقال، لقد اتخذنا نائب عامل العمالة لو كنت مكانه لفعنت مثله.

تواصل القمع عدة أسابيع؛ والمعروف أن المضاد الذي شعرى لها الجزء أثريون، كانت مبيكة الذية ممسقا وكفى القوى التكنولوجية كانت لتحديد الفرصة. ولا أدنى على ذلك من الأعمال التشريعية التي لو تكيف بحق الشعب. فمعنى النساء بقوت بطونهم بالثبات، وبعض الرجال عبقوا أمام أعين الجمهور، والبعض الآخر أحرقوا وهم أحياء. جرى كل ذلك بدافع الانتقام، وكانت النتيجة مقتل 45,000 جزائري. لقد اعترضت الإدارة الاستعمارية على هذه التقديرات؛ ولا غرابة في ذلك فهي حريصة على التقليل من فظاعة الحدث إن تقدير (السلطات الاستعمارية) لعذب النقطى هو 1026 وهناك من يقدر عدد القتلى ما بين 6,000 و 15,000 أو 20,000 قتيل.

والواقع أنه بالنظر إلى الوسائل والإمكانيات التي سخرت للتخفيف من المجلد، حطمت من الجزائريين عشرات الآلاف وهذه التقديرات غير دلائل فيها. لقد تم اعتقال مئات الآلاف عبر كل النوايا الجزائرية. وقد ذكر "شارل لندري، جوليان" في تقديراته بأن 8,500 جزائري تمركزوا للاعتقال منهم 3,600 في إقليم قسنطينة، و500 في وهران، و350 في الجزائر العاصمة. وهذا في شهر نوفمبر 1945⁽¹⁴⁾.

كما أصدرت المحاكم العسكرية 557 حكما بالإعدام لعدم ثبوت الدوى و 1,007 أحكام من بينها 899 حكما بالإعدام و 64 حكما بالاعتقال الشاقة المؤبد و 129 حكما بالاعتقال الشاقة لمدة متفاوتة كما سبى 250 حكما بالبراءة. لقد تمت معظم هذه الاعتقالات بدون إثبات. كما ألقي القبض على ماسلي حزب الشعب وحزب أحباب النيران وعلى مناضلين نقابيين وعلى سكان القرى الذين لم يشاركوا في المظاهرات.

بعد هذه الأحداث أيمد مصالي الحاج من الجزائر إلى إفريقيا السوداء (الغايون) وتم اعتقال فرحات عباس والتفكترو سعين يوم 08 ماي 1945 في الوقت الذي كان فيه في مقر الولاية الحامة على الساعة الحاشرة والنصف كتب فرحات عباس بهذا الصدد يقول: «لقد كنا هذا اليوم لحجاب لبيان والحرية لتدعيم النهاسي لمعظم فرنسا على اتصال الأطفال في الحروب»⁽¹⁵⁾.

التي القبض على أهم العناصر في حزب الجبهة الجديد والحرية والتي القبض أيضا على البشير إبراهيمي بتهمة المصالح بالأسن العلقي البرتسي. ولقد امتنع كثير من المحامين الأوربيين عن الدفاع عن المتهمين بعد أن وصلتهم نواب للحامين (Grossfeld) ليحث محامي محكمة الاستئناف بالجزائر على الامتناع عن الدفاع على المقدمين (١) في حالة تعيينهم مباشرة من طرف المحكمة (٢).

أحداث أحداث ماي ١٩٤٥ إلى الأفعال عنكيات الفتوة التي منسوبة للجزائريين بداية عهد الاحتلال حين كان الجيش الفرنسي يتجلى بالمسكن مستعملا كل وسائل القمع والتعذيب والقتل بقتل إحياء الروح المعنوية للشعب وبالتالي تسهيل استقرار المستوطنين.

من عادة الحكومة الفرنسية أنها عندما تدرك بأن القمع لا يستند إلى مبررات وأنه كان مهالفا فيه، تعدد حيث إلى تعيين لجنة المصفي الحقائق هكذا كانت سياسة الحكومة التي تارومت السيطرة النقوية حيث عيقت الجنرال (Tubert) للقيام بمهمة التحقيق في الأحداث. وعلى كل حال هذه اللجنة لم تقم بمهمتها ولم تتمكن من التمثل إلى قائمة.

كانت الحكومة الفرنسية تسمى ظاهرة الانتصاف طبيعة تجاوزات الجيش أثناء تصديده للأحداث، غير أن السلطة لم تنتقل إلى الجزائريين ولم يصدروا المطالبات فاللجنة لم لا يهينها من طرف نظام نظام همة الوحيد هو تيرزة ذمة البعض والتهرب من مواجهة الأسباب الحقيقية.

هذا ملخص عن تقرير (١) (Tubert) يكشف نهضة أعضاء اللجنة وهم يقومون بالتقصي عن الأحداث ويهتدون نحو تركت المشاة والطيران والبحرية لضرب مبعثتي سطيف وجيجل أثناء عمليات تمهيد تلك المناشقة. اضطار الجنود الذين كانوا تحت إمرة الجنرال "دوفال" وكان في نفس الوقت على رأس الوحدة لبرية لمنطقة القسنطينة: للتدخل لتوقيف الأحداث، أثت طواغير الجنود المطالبة وفرة اللغيف الأجنبي (٢) لقمع الثورة.

لبناء الوحدة العسكرية في العذائق الريفيّة.. مستعدة لرفضنا ثوارا يحملون بنادق
والسلاح اوتوماتيكية وتم اكتشاف مصنع وشكس (هذه المصومة (أدلى بها نقيب).
في منطقة جبال المايور شمال سفيث شوكت الاضطرابات إلى عسيان. وحدث
أن فرق الجيش التي حضوت لإعادة النظام كثيرا ما كانت تستقبل من طرف سكان
بعض الدواوير بالبنادق وحتى بالأسلحة الأوتوماتيكية. هذه المعلومات قدمها لنا
كل من الجنرال فلاد الفوق العسكرية ومعلم تليفون الأجنبي وكذلك عامل عمالة
تسليمية.

كما تذكنت اللحظة من حضور جنك من الأجر بداخل مبنى الدرك في مدينة
(chevreuil) ينسل بين ثلاث غوف وقد اختبرته فتيرة أطلقت من الطابع.
إذا كان "المظاهرون" في حوزتهم مثل هذه الأسلحة كما جاء في هذا التقرير
فالسؤال الذي يطرحه هو لماذا وبأية سبب لم يتكبد الجيش الفرنسي سوى 12
قتيلا في صفوف الجنود و20 جريحا مع العلم أن فترة الاضطرابات امتدت من
يوم 11 إلى نهاية شهر ماي 1945

تعددت الظروف التي حارثت نهدي هذه "الاختلالات المنهجية" المسببة على
سكان منطقتي سفيث وقلمة ومن بينها وجهة نظر المستعمرين (هم مفتشون
بأن ما حدث كان ثورة مفتشة من طرف زعماء الحركة الوطنية (دون استثناء)
ومتهمون المظاهرين بأنهم أول من ينادي بإطلاق الرصاص على السكان الأوربيين.
وبناء على هذا الطرح فإن الميجور و"الفجاريات" أمر طفيف بالنظر إلى العاقبة
الأساسية عند السمرين وهي إنقاذ الجزائر التونسية (ط).

ينسجم هذا الطرح مع رؤية الإدارة التي كلفت مسؤولية الأحداث على منظمي
المظاهرات وما رفعوا أثناءها من شعارات تخريبية وتقول السلطات إن قوات
الأمن وجدت نفسها مجبرة على الرد القوي لأن المظاهرين هاجموا عندما
دخلت لانتزاع القاذبات.

كل أنقل كل يدر في هذه الفترة حول مصدر الرصاص الأولى (من أطلق
الرصاص؟ للشرطة أم المظاهرون؟) لقد صرح José Aboulker (في نفس

الجلسة) أن الاضطرابات كانت متوقفة ومحتقة غير أن أحد رجال الشرطة هو المسؤول عن القوافل العجوزة.

موقف الحزبين الشيوعيين الثوريين والجزائريين

لم يختلف موقف الشيوعيين عن أخوية القبول الثورية. لقد تصفوا السبب الحقيقي لهذه الأحداث؛ أي ضمور الشعب الجزائري إلى الاستقلال الوطني. وقد احتجوا على المبالغة في قمع السكان ولكنهم في نفس الوقت كانوا يطالبون بمعالجة المسؤولين الوطنيين عقاباً شديداً. ولم يكونوا يميزون بين مطالب الوطنيين ونسبقات الفاشيين والإدارة بل نادوا طوال شهر ماي بعملية شوسه مناهضة للحركة الوطنية وخصوصاً حزب الشعب الجزائري. وتشهد على ذلك شهادات كثيرة.

كان الحزب الشيوعي الجزائري بعد مظاهرات 1945 قد اختار الانزواء عن الحركة وتفضل أعضاءه الانسحاب من أجل تجنب قانون مارس 1948. كما رفضوا الانضمام إلى تجمع أحزاب الجبهة الثورية. واعتبروا الدعوة مزيفة لمهاجمة حزب الشعب. هي وثيقة تحت هذا العنوان: "موقف المستعمرين الهنريون". كما أصدر الحزب الشيوعي منشوراً جاء فيه: "في هذا اليوم العظيم من 10 ماي رمز القضاء من أجل مبادئ الجمهورية وضد الفاشية؛ خرجت الجماهير انقسمية لمناخضة الشوكات الاحتكارية والفاشية؛ 1948 سالاه المصروفين من هذا اليوم لإزالة يماه الأبرياء".

"في الجزائر خرجت شريحة الاحتقاريين وهم من المبرزين النشيطين في العمق السوداء، المعتمدين لدى بروجيو (Borgese) وبسردا (Serru) وبين قاعة (Ben Chino) ويلفاسم. لقد استنفروا الأطفال والقبائل لتتفهم مظاهرات مضادة لـ 50,000 عامل مسلم وأوروبي منكتين وراء الكواليدالية العامة للشغل CGT.

أحداث عمالة وقعت في وهران-

والاستفزاز من فعل حزب الشعب الفخري يتلقى الأول من عند هظر. ذلك الذي يعتدب الجنود الفرنسيين دون تمييز بين الأوربيين والمسلمين. إن هذه المظاهرات

التي تلتها حزب الشعب الجزائري لتلعب على المسرح العالمي الساحة إلى
فقرقة الصقوف. تلك السنوات حشرية لقد رفعت في الأقليم الثلاثة شعارات
ثلاثي باستقلال الجزائر، وتحث على الاستعداد لتنظيم المقاومة في الجبال
الجزائرية ووزع الكوامة بين الجزائريين، وتنظيم الإضرابات، هذا الحزب يتفك في
الجزائر والأمر البلدي التي تبني الإنفصالية.

«أيها الجزائريون: أيتها الجزائر: لا تنصوا أن المسعى لشق الصقوف هو
السلح المفضل لدى أنصاره. فالإحزاب واجب أن يمتدنا من إسقاط الأنظمة
عن الذين يمشون بمصالح الشعب الجزائري والشعب الفرنسي ويمكننا من
استئصال العنصرية والفاشية لهما وحدث أيها المسلمون: إن العملية التي
ينشروها حزب الشعب الجزائري هي العملية نفسها التي ينشروها العدو. طردوا
المتطرفين جميعاً كانوا»³¹.

في اليوم الموالي لحوادث 08 ماي 1945 حاول الحزب الشيوعي الفرنسي
تهدئة هذه المظاهرات كما يلي: «إن الشعب الجزائري كان مندفعاً إلى العنف من طرف
أشخاص جذعوهم لدى الإدارة. وأعلنت اللجنة المركزية لهذا الحزب مؤيداً
هذا الحركة الوطنية في بيان جاء فيه ما يلي: «ينبغي نورا معارضة منظمي الانتفاضة
الذين قادوا حركة الشعب معارضة شديدة وسريعة»³². ولم يكتفوا بهذا النوع من
التهديدات بل شاول الشيوعيون في وفد توجه إلى الحكومة العامة (في الجزائر)
لحلها على السمع.

ويمكن قراءة تقرير عن هذه المظاهرة في جريدة "Liberté" صدرت يوم 17 ماي
1945 وهي جريدة الحزب الشيوعي الجزائري، وما جاء فيها ما يلي:
«لقد توجه وفد من الحزبين الشيوعيين الفرنسي والجزائري يضم كلا من
(Nouveau) و(أورغان) و(Caballères) استقبلوا يوم الخميس 10 ماي
من طرف السيد (Aldauy) رئيس ديوان الشؤون السياسية والديبلوماسية لدى
الحاكم العام».

و أثناء المقابلة تحدث الوفد عن استنزافات أعوان غنتر من حزب الشعب والأعوان الآخرين المتميزين في منظمات تدعى أنها ديمقراطية. هذا الاختلاف المجرم يحاول عمدا إشعال ثورة الجوع، ونجح في لياقة الدم. كما أكد الوفد أن الهدف المتوخى من طواف الاختلاف المجرم هو البحث على الحرب الأهلية. واكدوا على ضرورة "معاقبة قورية وشعبية ضد المحرضين" ويرى الوفد أن التطبيق القوي لتلك الإجراءات مبعثهم في استكتاب اللهمه.

في نفس الجريدة وهي نفس الترخيص صدر كقاء الحزب الشيوعي الفرنسي إلى شمال إفريقيا وهو يعني اتحاد الطابور الخامس والإمبريالية الاشتراكية لصيانة التنظيم الديمقراطي. نفس المواضيع تكررت ضد الحركة الوطنية بنفس الخطأ الذي دفعي بذلك المبعوثين وتنشيط الحركة الوطنية بالمعقولين والاشتراكية.

فمن وجهة نظر الحزب الشيوعي الفرنسي إذن ليست تسلسلات الاستعمارية التي أصدرت الأوامر بالجمع مسؤولة عن الأحداث وإنما المسؤولون عنها هم مساهموا الجمع. هذا ما يستشف من بعض فقرات النداء الذي تبصرون في ثلثه النساويات التالية:

«كان في حيرة المظالميين لملحة أو ثوراتية، فمن موتهم بها ٧ ولماذا لم تحجز هذه الأسلحة ٨».

«في الإدارة المجمعة هم رؤساء حزب الشعب الجزائري، أمثال مصالي والواشون المشهورون في ثلثها لتتطلمت التي تتجج بالروح الوطنية، فعندما كانت فرنسا تمت السيطرة الفرنسية لم تحرك التنظيمات ساكنة وهامي الآن مطالب "بالاستقلال" هي ردت كفتت فيه فرنسا بحارب لتتحور من نهضة القوات الفرنسية والقمسي" فها في تحقيق ديمقراطية أومع».

«باحتك على طوبح كل الضحايا: فإن وقد الحزب الشيوعي الفرنسي يشعل بإيطاليا: يؤكد على أن أحولم النظام الديمقراطي محوط أساسي لاحترام سيادة الشعب» قال الشهيد لن يتحقق معون نظام: كما أنه لا يمكن للظلماء على المحرضين بقوة المرفاش».

«بالعكس: هذه الوضعية قبل كل شيء في صالح نساء فرنسا والجزائر؛ وهي فرصة سانحة لمن لهم ضمائر إنسانية، لأن ما ينبغي للقيام به دوراً هو محاربة هذا المخطط الاستعماريات عنيفة لمسيحة».

نحن لا نقصد من وراء هذه الانتقادات ولا القمع، وإنما نود تطبيق إجراءات تملأها العدالة، إنها إجراءات أخيرة من أجل سلامة البلاد... وينبغي أيضاً أن يفهم من خلالهم كل أعوان الإدارة والشرطة واليهود الذين ثبتوا عجزهم أو كانوا متواطئين؛ وينبغي إصدار العفو على كل العناصر التزوية الذين غرر بهم الخونة؛ وينبغي ضمان تعاون سكان الأرياف والقضاء على مخففات بين الأوربيين والمسلمين، ويجب كذلك استكباب النظام والسلم مستهينين في ذلك من الإصلاحات التي طالب بها كل من المجلس الوطني للعامة وكذلك فرنسا الحرة، وناسك منها تلك الإجراءات التي تخفي إلى ترميع مجال الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية لسكان الأندلسيين والمحميين».

من وجهة نظر الفكر الثوري، يبدو موقف الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الجزائري موقفاً استعماري، مضاعفاً للفساد الوطني، إنه نقض للثورة وهو أيضاً نقض لجهود الكفاح من أجل التحرر الوطني باسم الماركسية الإمبريالية الفرنسية. هذا التعاون امتداد أدى بهم إلى المطالبة بقتل زعماء الحركة الوطنية في الوقت الذي كان الشعب الجزائري يطوّر فيه معركة لتحرير الوطني، فلا فرق بين موافقهم عنه وموقف الأوساط الاستعمارية الأكثر تطرفاً من انصار القمع، بل إن الاختلاف الوحيد هو أن الأخيرين كانوا يفضلون القمع «النوعي» الدوجة ضد الإطارات والسياسيين الثوريين.

ما الهدف من الاستفزاز والقمع؟

كانت أحداث ماي فرصة سانحة لهم للقضاء على حزب الشعب الجزائري؛ ذلك الحزب الثوري الذي كانوا يريدون تختص منه وكلوا يفتنون أنهم سينجحون في إضعافه بتسليط العلويات عليه وبإثالي يقتكورة من ضرب الوحدة الوطنية.. وبهذه الطريقة يتسنى لهم ترشيح تنظيمهم كحزب ممثل للشعبية الشعبية وممثل

في نفس الوقت للحكومة القروشية. فلعبناهم إثنين ضلعي مع أهداف الإدولة
والاستوطين، من حيث الوثبة في القضاء على التثكيلات الوطنية للقادرة على
تحرير البلاد.

استطاع حزب أحباب النيل والحرية تجنيد الجماهير الشعبية ومكنها من
دخول معترك السياسة، فحوكت توجهات الحركة الوطنية بسرعة نحو الأطراف،
واستطاعت عزل الاستعمار وأخفكت سياسته "الاندماجية" التي ساندتها الحزب
المسيوعي الجزائري، فأصبح هذا الحزب في مؤخرة وكبة الحركة الوطنية بسببه
التحيزه للسياسة الاستعمارية.

كان من صالح الحكومة الفرنسية (بما فيها الشيوعيون) كسر الحركة الوطنية
وذلك بالتصدي إلى ثلاث قضايا من مؤامرات فرنسا وهي كالأني،

1 - إبعاد قمة الجماهير الوطنية بالقمع الوحشي وبفصلها عن حزب أحباب
النيل والحرية.

2 - كسر الوحدة الناشئة بين التثكيلات الثلاث (إدوات عباس، وقلماء
وحزب الشعب الجزائري).

3 - دفع حزب الشعب الجزائري وتقليص نفوذه وعزله عن غيره من التثكيلات
الوطنية بشتمه مسؤولية المؤامرة.

تعاليم شأن الحركة الوطنية فمهرت السلطات الاستعمارية عن تكليف
سياسيتها لتتماشى والأوضاع الجديدة: بل لعبت إلى الاستقلال الذي أدى إلى
اندلاع الأحداث الدامية فحوكت للمظاهرات الشعبية إلى مأساة.

بالفعل لقد كان هدفنا من كل هذه التجهيزات الشعبية هو إبراز إرادة الشعب في
التحرر الوطني. وكانت تعليماتهم إلى مختلف المرين تحثهم على تجنب الاستقلال.
كانت تعليمات حزب الشعب الجزائري تمنع المظاهرات من حمل السلاح بصفة
خاصة.

ليس لهذا الحزب أي ضئض فيها حجت من لسطوانات ولم يكن بحاجة إلى ذلك
خاصة وأن طروحاته كانت قد حظيت بمؤازرة شعبية عريضة في مؤتمر أحباب

البيان والحذرية، ويسرعان ما تدعت قوته عبر كل التراب الوطني، وكان من ناحية أخرى جريصاً على تدعيم الوحدة الفاشية تجسدت في شجعان لحباب البيان والحبوبة وجعلته مع حلفائه المعتبرين (فرحات عباس والعلماء).

لم يرفض حزب الشعب الجزائري فكرة تحقيق التطورات الوطنية بالأسلوب السياسي؛ بل كان لا يؤمن بجدوى هذا الأسلوب. وبالفعل لميزت سياسة الحكومة الفرنسية بـ"الوثائق الخاطئة" لفتنة الاعتراضات بالقضية الجزائرية، وفيما لقناته للمبني على تحليل دقيق للأوضاع، وحين انتهت الأحداث كان يرى أن الوضع لم يكن مرادفاً للعمل الثوري، ففي نظر هذا الحزب لا يبدأ العمل الثوري قبل توفر عدد من العوامل التي تهيئ الفرصة، ومن أهمها: الوضع السياسي الخارجي، الوطني، والتمهيد الشعبي، ومستوى التنظيم الملائم، فإذ كان العاملان الأول والثاني قد توفرّا فإن العامل الثالث لم يكن قد تحقق بعد.

هذا الطرح يدفعهم لحزم الشعب الجزائري ويخبره من ناحية التهمة الموجهة ضدهم بخصوص مسؤوليته في الأحداث، فكانوا إذن يركز اهتمام النظام الاستعماري على إنكار أو تجاهل العوامل الرئيسية المتمثلة في المجازر والقمع، وكان حزب الشعب الجزائري نفسه متعباً من بهن طعنها المؤامرة عندما اضطرت القادة إلى الدفاع الذاتي في ظروف تنافر بشيرة.

في هذا المستوى من التحليل وجد الحزب نفسه أمام مشكل عويص، فإما السكوت على الممنعة التي تعرض لها سكان سطيف وقلمة وإما العمل على تحويل هذه الأحداث إلى ثورة عارمة تطل كل أنحاء البلاد.

يبدو أنظم يحصل اتفاق على مستوى قيادة الحزب حول تبني أي الموقفين، إن التعليمات التي أبلت للقائمين على التنظيم كانت تحت على الالتزام بالبطانة، وتهدد الإطاعة إلى أن ما يحق لهم البعض لوامر الشروع في الانتفاضة لم تصدر إلا بعد أن تطورت أعمال القمع، بينما لم يصل الأمر لعضد إلى سميعة (في مقاطعة وهران) التي تحركت بدورها يوم 19 ماي 1945 بسبب (انقطاع المواصلات وحرق البلدية) كما تحركت منطقة القبائل الصفري (مدينة تيقورت).

أثارت قضية صدور الأمر والامر المضاد قلاقل في وسط القيادة؛ فالعديد من المسؤولين والمناضلين وجَّهوا إليها التوجُّه لأنها لم تتدخل منذ ذلك التاريخ في المسار الثوري. لقد برهن مواقف قيادة الحزب من ضعف ضلبي.

كتب شارل أندري جوليان حول هذه الأحداث (ماي 1945) ما يلي: «من الخطأ ربط أساليب الانتفاضة بالمستفزات المظهريّة التشنجية بدل ربطها بثورة الإرادة في تنظيم ثورة علوية. أما تحويل المسؤولية لفرحات أو الشيخ الإسرائيلي فهذا قول لا يستند على أي دليل (اختلقت الاختراعات الثورية) ولا على واقع الحال. في المقابل، هي المدن التي تتراجع بها الفكتories) وكانت أفضل وسيلة لتفجير الوضع هي التراجع بالافئات من أهدي بالمظاهرات، وبالفعل لم يحدث اضطرابات خطيرة في المناطق التي لم تدخل فيها القوات. شجر أن الأمر الأكيد هو أن أقلية منغلبة ومسلحة كانت مستعدة للأسوأ فنظمت أعمال الشغب: شيف تم إبعاد هذه المجموعة ومن مع قادتها؟ لا نملك الإجابة عن هذا السؤال، لكن هناك من يعتقد أن ثورة حزب الشعب الجزائري ١٩٥٥ مرء فيه وكل ما يمكن أن نفعل هو توجيه التوجُّه على الغرام الصمت أمام الجرائم»^(١٤).

السياسة الاستعمارية: هي السبب الحقيقي

لم يكن هناك «ملاء» ولا سمجحات إرهابية معذرة سلفاً في ما حدثه كان نتيجة غلبان القنوس المشحونة من جراء «قمع» فكان رد الفعل تعبيراً عن رسوخ مبدأ «حق» في الدفاع الذاتي لدى الجزائريين. لقد منعوا من التعبير عن مشوكلاتهم لوجستية بالطرق العنيفة. لا شك أن التناضلين المستعبيين ساهموا في توجيه رد الفعل الشعبي بمجرد أن بدأت أعمال القمع.

أما قيادة حزب الشعب الجزائري فلم تكن معاجة إلى أن تلقى التهمة عن نفسها ولا أن تنسحب إلى طرح الإطارة فتستلكر مقلد الأوربيين (وهذا شيء مؤسف) فذلك وقع على يد الشرطة وأوامرها في هذا الحجز تمتوتر. فإن اغتيال الجزائريين كان حتماً سيؤدي إلى سحق المواطنين وبقتلي بعضهم إلى رد تعصبت بأمثالها وهم في هذه الحال في غنى عن الحصول على توخيص من طرف حزب ما.

ينبغي ترحيب الاتهام للنظام الاستعماري الذي خلق مثل هذه الوضعيات وبذلكي
أيضاً إدانة سياسة الاستقلال والقمع الحقن تحت نظام قانون 17 مارس المنهض
للحركة الوطنية. (٥٨)

نفس المؤلف كان على عكس ذلك يست في تسليح مجازر ربيع 1945، كانت
بالنسبة للعسكريين والعلماء كإعلان عن عهد الاتصولات، أو ربما تولدت آمال
كأنها في صفوف المعسكرين الاشتراكيين في منطقة القبائل والبلوز هفتوا ساعة
الخلاص قد حلت وراحوا يزعمون القبولين بالجموع البشرية المستعدة
للتنحية.

إن مسؤولية المأساة لا يمكن توزيعها بشكل عادل بين النظام والمظلوم. منطما
لمعه الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي، وفي الاجتماع الذي جمعها يوم 07
جوان ١٩٤٥ الحزبان بأعمال المشائين القاسيين وأكثما عزيمتا على التمسيد
بشكل قوة لأية حركة تعمل على فصل الجزائر عن المينوربول ومثلها بالتحقيق
المحرفي لقانون 07 مارس.

إن المبدأ الرئيسي الذي يلتقي هذه التجهين واليسار هو إنكار الموجهات لشعب
الجزائري الوطنية، ذلك للموجهات ذاتها التي كانت العميد الرئيسي لاندلاع أحداث
ماي 1945.

نقد تجددت لجمهورية شعبية لهذه المقاديرت في 1٩ و٢٥ ماي ١٩45 من أجل
التمرد وليس للتعبير عن رفض مطلب الاجتماعية والاقتصادية لكن هذا لا يعني
أنها لم تكن معروعة من أيسر التمرويات. فقد كان قسم كبير من السكان يعاني
المجاعة، وذلك وهم لا يققه المعمرين لأنهم لم يتوقفوا.

ومع ذلك خرجت الجماهير للمشاركة في المظاهرات باسم الاستقلال الوطني
ولإنهاء الاستعمار، وكانت من خلال هذا تؤكد عزيمتها الوطنية ولإحداثها في التخلص
من العمودية والقمع والاستغلال.

إن الانتفاضة التي اندلعت بعد شن حملة تنمسية في سطيف وقلمنة،
كانت تعبيرا عن الكرامة كما أن لجمهورية الشعبية التي انتفضت لم تفعل

فذلك وهي مدفوعة بعزاجها العفواني كما قال "شول أنجوي جوليان".
(Afrique du nord en marche).

رغم السياسة الاستعمارية التي كانت تسعى لتشثيث المصروف بتعزيز الفلوق
الجنوبي، هذه المبادئ كانت تتقاسم الشعور بالانتماء إلى المجتمع الجزائري،
وهو جزء من العالم العربي الإسلامي. لقد برعته يذك على فشل السياسة
الإمبريالية التي مارسها الاستعمار في الجزائر يضعفه منذ أكثر من قرن إلى نحو
الشخصية الجزائرية وتشثيث المصروف لكن منها خفت لتأويلات والاعتبارات
إن أحداث ماي 1945 شكلت بداية لشمولية الجماهيرية في النضال الثوري
وأعطى بذلك مدنى الشعور الثوري لصالح الحركة الوطنية

إن الأحداث - حسب الأطروحة الثمالة - كانت من ثمرة القيادة المركزية
لحزب الشعب ضد إشغال الثورة. إن هذا الطرح ضعيف بمفاهيم التحليل رغم
إثبات بعض الكتاب.

كانت الثورة في مرحلة الإغناء لها، وكانت مستتلي بعد، فكل وسائل النضال
سياسي⁽²⁰⁾.

في فترات الضعف أكد من هذه الأحداث قد نالت نتائج سلبية على الحركة
الوطنية التي سجلت فائزاً مأموراً: السكان الذين تعرضوا للقمع موت بهم فترة
سادة اليأس. وهذا أمر ننتهيه.

غير أن الشعب الجزائري استخلص العبرة وأدرك بشكل فاطح أن النظام
الاستعماري قائم على القمع بكل أسقيه. وكل من تجزئ الثوريون في أهدافهم يفتنون
هذا النظام ويشعرون بالنضال والاحتواء تجاه الذين استشهدوا في منطلقة
سطوة وفلعة.

إن تصريحات "الولاد للجمهورية" الساهرة عن خدام الإدارة لم تخطح أحداً، ولا
الإصلاحات التي شمر *Châinaga* في إنشائها في عيلين الإدارة والزراعة
والصناعة والاطم.

أما على الصعيد السياسي فإن مرحوم 17 أوت 1945 منح للأقلية الأوروبية عدد مقاعد يساوي عدد مقاعد الأغلبية الجزائرية في غرضين مختلفتين: لتمثيل في البرلمان الفرنسي (هذا ما كان يطالب به الأخير خلفه في 1920) (غير أن هذه الإجراءات لم تمكن من حجب خطورة المشكلة الجزائرية بالرغم من استعمال القوة العسكرية، والرعب، والتهذيب والتسجيت. ففي جو الرعب الذي خلفته المعارك القمعية وخلو المساحة السياسية من أحزاب الحركة الوطنية سعت الحكومة إلى استبدال القوى الوطنية بقوى أخرى موالية لها هي الأقلية المتكونة من الأعيان والاشتراكيين والشيوعيين.

الانتخابات.

جرت انتخابات فول جسمية ثانية في 1945 (أكتوبر 1945) بعد خمسة أشهر من أحداث ماي بينما البلاد كلها مزالت تحت تأثير الحملة القمعية المطالب مناضلو الحركة الوطنية (حزب الشعب، أحزاب ثيبان والحرية) بمقاطعة هذه الانتخابات المقررة في تلك الظروف العصيبة. حيث احتل آلاف الجزائريين ورجت آلاف أخرى هي السجون والمعتقلات. لكن هذه الوضعية لم تمنع الشيوعيين من تقديم مرشحيهم، لأنها فرصة أن يجرؤ بها القوم مرورا وبالتالي لا مجال لتضييقها، وكان من الطبعي أن يشغلوا مناصب حكامهم الفلانيين واللعبة السياسية تقتضي ملء الفراغ. كان الشيوعيون أوفياء للفكرية المعروفة عنهم، وكانوا يصنعون استقلال فرنسا في الأوقات التي يشتد خلالها القمع الاستعماري ضد الحركة الوطنية أو عندما تملأ المساحة على الشعب الجزائري كانوا حينئذ يبادرون إلى تطبيق "مياعينهم الثورية"، التي تضيي بأن "تأكل مع القصب وتبكي مع الراعي" كما يقول مثل شعبي جزائري ولقد كوفئوا على ذلك بحصولهم على مقعدين، وكذلك حصل اتصال الاشتراكيين على أربعة مقاعد وحصل أنصارون جلول على سبعة.

كانت نسبة مقاعد الانشغاليات صغيرة هي المعنى حيث لم يكن من السهل اللجوء إلى أماليب الضغط والتهديد والتزوير. تشهر الأرقام الرسمية إلى أن نسبة المشاركة تراوحت بين 30% و 55%¹⁷⁹ لكن يمكن التفتيك في حصة هذه النسبة

المعقوبة نظرا لتعمود الإدارة على تزويد الأركان والتشجيع هي صفوف الوطنيين أن نسبة المقاطعة كانت أهم بكثير من معاملات الإدارة لم تتمكن الإصلاحات والانتخابات التي طبقها عناصر موالية للسياسة الاستعمارية من تحقيق ما كانت الحكومة القومسية تسبر إليه من دفع الجماهير إلى التحلي عن الحركة الوطنية، وبالرغم من تكتلج الأحداث والسلوك الوديع من طرف المثقفين؛ رفض المجلس للناسي القومسي المصادلة على مشروع بن حلول المطالب بالاندماج التام للجرائد في فرنسا (مع الاحتفاظ بالهوية الإعلامية) لكن المجلس الناسي ذاته أصدر قانون العفو بعد أن لاحظ ما أثاره السياسة القومية من استفكار على الصعيدين الداخلي والخارجي. فبدأ إطلاق سراح المعتقلين السياسيين خلال الأشهر الأولى من سنة 1946 فاعتبرت الجماهير الشعبية أنها انتزعت بذلك أولى انتصاراتها في طريق الكفاح الوطني (النهضي الإشارة إلى أن العديد من التكرارات التي كانت تطالب بالطمع: غيروت وجهتها فصارت جمالب بإصدار العفو). خبر أن هذا التكتل وعا أنجوتته من انفراج تسهي بعد عودة المساجين إلى ذويهم ثم بحث أن نغير بسحب الوضع السياسي الجديد الذي طوا مع نهاية الوحدة الوطنية التي حققها أصحاب البيان والعودة.

الهوامش

1) CH. A. Jullien, *op. cit.*, p.260.

2) *Nouvel orientaliste*, *op. cit.*, p.213.

3) اليسر الرامل علكة ما يتفقون بحثاً عن الترفيع لمتوسم فيسطنطين بالإنارة الاستعمارية.

4) F. ABBAS, *op. cit.*, p.153.

5) F. ABBAS, *op. cit.*, p.151.

6) F. ABBAS, *op. cit.*, p.154.

7) CH. A. Jullien, *op. cit.*, p.262.

8) CH. A. Jullien, *op. cit.*, p.263.

9) Cité par Robert ARDRE, *Origines de la guerre d'Algérie*, p.112.

10) هذا التوسيع إلى الجمعية الاستوائية في 10 جويلية 1945، الجريدة الرسمية، ص 1148

11) Germain TILLOU, *Les universités algériennes*, Ed. De Minuit, 1957, p.162.

12) G. F. Favre, *La révolution algérienne*, Ed. Pion, 1959, p.76.

13) استشهد وزير الداخلية *Le Progrès*، بـ«توسيع ردا على لئال فيلوسي محمد شوقرية الذي قد يجمع التوسيع من طرف *Le Progrès* وكان هذا في ثورة للجناب الوطني التوسيع التي كانت من 28 فيفري 1946 إلى 1 مارس 1946، الجريدة الرسمية، ص 502-503 و 535».

14) CH. A. Jullien, *op. cit.*, p.264.

15) F. ABBAS, *op. cit.*, p.152.

16) زملائي الأحرار، في تالسة تالسة يوم 14 جولي 1945، درست فلكة المسلمين وجمعية المحامين المسلمين بالقضية الخاصة بالمحكمة الاستوائية بخصر ص. الملبس بالمسلمين بأمن العونة إثر أحداث قسطنطينة، للتوسيع التوسيع به وسبح للمؤمنين بأختبار محليهم، غير أنه وبسبب نوعية هذه التوسيع والتوسيع إلى ما تبعت فيه من مستند وما يمكن أن ينتج عنها من حوادث، فإن تالسة تالسة التوسيع إلى التوسيع عن التوسيع عنهم إلا في حالة تالسة تالسة، تالسة التوسيع (من روبر آر. ص. 141).

16) Cité par R. ALBOH, *op. cit.*, p. 141.

17) استعمال القصائد المؤلفة من "شكر" لمعتصرين" كل جزء من حيفة التفريق تمتع
الكلمين بين المصنوع المصنوع مع أن "شكر" هؤلاء كبر من الجلود ككروا قرصين قين
الجلود غير القرصين ككروا يعرضون إلى أعتق بئحة لا تحدد.

18) تصريح لجنرال بوفل لمن التبعة تقرير، مرسد.

19) تصريح De CUTTOD في مجموعة الاستمارية لشركة المصنعة يوم 10 جويلية ()
1945.

20) منشور الحزب الشيوعي الجزائري (1945).

21) L'Humanité du 12 mai 1945.

22) CH, A. Julien, *op. cit.*, p. 264.

23) هذه الأطروحة الموسية لحزب الشعب الجزائري التي وُضعت في الكتيب الذي نشره
الحزب تحت عنوان "نقصية الديمقراطية" تتناول الإنسان رقم 3. لشركتها للجنة
لمركزية للإعلام والتوثيق لحزب "الناصر" للحزب الميسوقراطية، (1941).

24) كان الحزب الشيوعي الجزائري يقف على شاطئ يساري لتمثيل في الاستقلال. ()
1949 (III) 17 (1949) ويذكر أهداف الأحداث إلى مجموع حيث كتب تحت عنوان :
"الاستمرارية الإجمالية لأصوله" كغيره.

25) عند وقوع هذه الأحداث كُتبت في التمدن في حصر بوزريعة رقة لحدود حيدر،
حيدر محمد، طالبه محمد وعلي بوعرفه، ككروا من الأقسام المسؤولين في حزب
الشعب الجزائري، ولاسيما كان ينظر بتدليل، لاقتضاه.

26) ذكر أن نسبة المشاركة كانت في حدود 55 % في المتوسط ويمضي CH, Julien
Afrigue du nord en marche p 267 نسبة 50 % مقارنة إلى عمالة الجزائر ومسطولة
ونسبة 50% إلى صفة زهران.

الفصل التاسع

اتفاقيات والتناحر في صفوف

أحباب البيان والحرية

تطور التيار الثوري

على الرغم من أن نقاش أحداث ماي 1945 كانت مؤلمة، إلا أن فكرة الاستقلال أصبحت مطلباً من الممثلين الفرنسيين للحركة الفرنسية وهي فكرة ما غنتت تنمى منذ سنة 1939 وخاصة بعد التطور الذي عرفته الثورات السياسية المعتدلة. أخذت سياسة "القانون الفرنسي" تغدق فتصوغها ولم يعد يتمسك بها سوى بعض الأعيان وبعض أعوان الإدارة.

لهذه فتوة إنشاء تجمع أحباب البيان والحرة دياريا شعبيا واسعا وتعبئة جماهيرية شاملة وضعت الحكومة الفرنسية أمام خيارين لا مفر من أحدهما إما إنهاء الهيمنة الاستعمارية بالثوق الشعبية والاعتراف بالحركة الوطنية كمساواة وإما الإصرار على المضي قدما في استعمال القوة والقمع. ولكن اختارت الحكومة الفرنسية الأسلوب الثاني فذلك يعني أنها وافقت على صحت البنية الداخلية للتجمع أحباب البيان والحرية وعلى الخصوص قيادته.

من هذه الناحية لم تكن مخطئة في خطوات فعلها فإن ضعف تجمع أحباب البيان والحرية ناجم عن تداخلات سياسية مختلفة ذات استراتيجيات متباينة (الوطنيون، والإصلاحيون والثوريون) هذا من جهة ومن جهة أخرى كان تجمع أحباب البيان والحرية آنذاك في طور التفتت وتكون قدام تكن فواء قد توطدت بعد، وذلك سر نجاح القيادة القومية في دفع تلك التشتتات (حزب الشعب الجزائري والعلماء وفرحات عباس) إلى الانفصال عن تجمع أحباب البيان والحرية.

كان حزب الشعب - الذي ساعد في وجه الإجابات الفععية بفضل تفانيه - قد أولى عناية خاصة بتلك الاتحاد للتحقيق على أساس مشروع الاستقلال الوطني، وكان معقفاً في قناعته بأن لا فائدة تخرج من تقديم أية تنازلات عن هذا الهدف خاصة وأنه انضج أكثر من شيء قيل (بعد أحداث ماي 1945 على وجه الخصوص) استحالة تحويل الهزائن بدون النجوى إلى أسلوب الثورة المسلحة.

لأن ثمة للمعلم وفروحات عباس وأصدقائه جعل حزب الشعب الجزائري يذهب وحيداً - مرة أخرى - أمام قضية التحرير الوطني.

فإنه أنصرا الاتجاه السياسي السوفيتي بوقع الجمعية للناجحة عن هول الأحداث فطردوا إخراج حركتهم في 3 أيلول الفروممي وكانت فصيلة الفرنسية الانحاجية في ذات الوقت تعارض الحوكة الوطنية وأرفض كل مطلبها حتى ولو تعلّق الأمر بالاستقلال على مراحل.⁽¹⁾

كان حزب الشعب الجزائري - السوفيتي بشبهه النضالية الطويلة - يعتبر على تلك التنازلات تراجعاً وخيانة توتكب في حق الشعب الجزائري لأن مسيسته الوطنية شهر فائدة للذكريف مع ذلك 3 أيلول، والواقع أن المعتدلين كانوا قد تراجعوا عن سعيهم الأفكار والمطالب التي وحققت الحوكة الوطنية على أساس مبدأ تحقيق ملموهات الشعب.

لقد تجاوز النقاش الضرورات السهلية التي كان بعضهم يدافع عنها وسار يدور حول قضية صورية هي تعيين الطويلة والإمكانات الكفيلة بتحقيق التحرير.

إن الهدف الرئيسي للنظام الاستعماري هو نزع الشقاق في صفوف الحركة الوطنية. فكان ينبغي على هذه إذن سياسة صعبة لأوجده وتطويرة إذا اقتضى الأمر ضمن تجمع أحباب البيان والحرية أو في تجمع آخر⁽²⁾ غير أن هذا لم يبدأ لم يصمد أمام القمع الذي نزع الليلة والحقوف في صفوف المعتدلين وأثر على مواقفهم السياسي، بمعنى أن إقراطهم في الحفر أدنى بهم إلى تفكيك الليبية الحزبية أولاً ثم الانفصال عنها نهائياً بعد إطلاق سراح فروحات عباس (يوم 16 مارس 1946).

في نفس الوقت أسس فريحات عيسى حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (U.D.M.A).

وكانت الحملة للدعائية التي شنتها الإدارة والحزب الشيوعي والانسحابيون تهدف إلى اعتبار حزب الشعب الجزائري مسؤولاً عن إراقة الدماء؛ إذ أفعال القمع الاستعماري. أثبتت هذه الحملة صدى لدى المحتشدين ووجدوا في هذا الطرح مبرراً لانسحابهم من الاتحاد بكل فتنة في جملة واحدة أمام الإدارة الاستعمارية، بالرغم من أن تشكيل تلك الجبهة كان أمته غالبة عند الجعليو الشعبية. فكانت أحزاب البيان والحموية أئمة وقدما على التجمع من وقع عمليات القمع في أحداث ماي 1945.

تعددت ظروفاً التي بدأت أوضاعها تتغير مع تجمع أحزاب البيان والحموية منذ نشأته وأثناء الأحداث وبما أن حزب الشعب الجزائري في هذه الفترة كان محظوراً، فإن التجمع دخل بكل قوة في هذه الحركة للحموية - من أجل تطوير الجبهة وفق تصوره على جميع الأصعدة - وخاصة تعاضد الجمادير الشعبية.

كان المناضلون على وعي بالضرورة التي تعاكسهم لعزل حزبهم الثوري، ولإفساح المجال أمام السياسة الإسلامية؛ مركزوا جهودهم على دخول الأفكار وعلى تمثيل الهيكل التنظيمية وتوسيع نطاق القاعدة الشعبية.

أما على المستوى الفكري، فكان التكتل مختلفاً عن ذلك الذي دار في سنة 1937، فبعد أن تحول أنصار الاتحاد إلى شغل وطني محض أصبح من الأهمية بمكان توضيح المفاهيم كي لا يختلط الأمر بين الاتجاه الوطني الإسلامي (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) والاتجاه الوطني الثوري (حزب الشعب الجزائري). كللت هذه المسألة من الفهم التي أولها مناضلو حزب الشعب عنابة كبيرة؛ عبر كل التراب الوطني؛ رغم الإنكسارات الطفيفة ورغم غياب زعيمهم مصالي الحاج؛ المعادل في الغابر.

وفي ذات الوقت التي كان فيه المناضلون يعتقدون اقتناضات ويفقدونها كان عليهم أن يتجنبوا الوقوع في صراخ الاتجاهات السياسية؛ كي لا يشعلوا هزيمة

الجماعي؛ خلاصة وأن النظام الاستعماري واضح ويضبط على حزب الشعب بقسوة أساليب المناورة والقمع، وكلفت هذه الإجراءات نعتمد ضعفتنا على التيارات الإصلاحية، ولكننا بفضل نشاط المناهضين وروحهم الثورية؛ لم يتمكن النظام الاستعماري من عزل هذا الحزب؛ بل تمكن عكس ذلك من تدعيم موقعه وتطوير هيكله التنظيمي؛ فترديد عدم مناضيه وتوسّعت أفكاره في الأوساط الشعبية بصورة أعمق.

لم يدخل حزب الشعب الجزائري هذه المعركة لمنع تأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وإنما كان يحاول الإبقاء على وحدة التشكيلات الثلاث (فوجات عباس، والعلماء، وحزب الشعب الجزائري) أو على الأقل المحافظة على الإجماع الشعبي حول قرارات مؤتمرات شجع أحباب البيان والحرية المتعقد في مارس 1945 (الجمعية التأسيسية الجزائرية) تلك القرارات التي تجدّد الشعب من أجلها ودفع الثمن من دمه في سبيلها فلا يعقل التدخل بها من أجل سياسة معكومتها بالفضل مسبقاً.

تلك هي الإجابة الواحدة الممكنة على التساؤل الاستعماري، وذلك هو أساس كل استراتيجية وحدوية للحركة الوطنية، وإن لم ينزل حول هذه النقطة سيروني حتماً إلى إضعاف الحركة الوطنية وإلى تقوية قبضة الإمبريالية على الجزائر. لم يكن ثمة شيء يذو بقوى تمييز يذكروني السياسة الفرنسية ولا بلولة أمل في حدوث بعض التطورات السياسية ولو على مراحل، رغم أن الخط السياسي الجديد الذي انتهجه فوجات عباس كان يتوسّع ويوسع هذا التمييز. ولكنه أكّس طريق مسدود، مثل ما حدث لمشروع "مين جاكول" الذي رفضته الجمعية الفرنسية (في 1945) رغم أنه كان يفضّل على التطبيق الكامل لسياسة الاندماج.

تسبب الخلاف.

لم يكن الاختلاف بين حزب الشعب والمعتدلين قائماً على الصراعات الحزبية أو الحزبات الشخصية، لكنه كان اختلافاً حول قضية تأسيسية. فحزب الشعب لا يثق في الوعود ولا يترقب أي تغيير للسياسة الفرنسية وكان يدين موقفاً عدائياً.

تجاهها، وكان مستمساكا بالخط الثوري للقادر على تعبئة الشعب، ومجددًا لنشوب نزاع لا مناص منه يسبب السياسة الاستعمارية التي تسلكها الحكومة الفرنسية.

رفض فريحات عباس هذا التوجه الثوري؛ ولو أنه لم يقل ذلك بصريح العبارة؛ لأن هذا الخط في نظره ضرب من الأوهام لا قيمة.

صار فريحات عباس سجين فكرة "الثورة بالثانوية" فدخل في تناقضات لا مخرج منها وسلك في إضاعات الحركة الاستقلالية، وأجبر حزب الشعب على المقلومة على جبهتين: أحدهما ضد الاستعمار والثقافة ضد أوهام الإسلاميين، ولجأ إلي مقلع مقلته من النداء الذي وجهه فريحات عباس في أبريل 1946 إلى الطيبة الجزائرية والفرنسية - بمناسبة تأسيس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري - لأن هذا الملتحف يلقى الضوء على فكرهم هذا الحزب.

"... لا نريد إصلاحاً ولا حيفاً جديداً، ولا انفصالاً، وإنما نريد بلعنا طمناً بدولي فلفيف نظسه اجتماعياً وميمرانياً ويحلق ثلثه الملمي والمماني، ويحمل رسالة أبعائه معنوية وفكرية، مرتبطة بأمة ملقبة متحررة الفكر."

لم يجد هذا التصريح العوج إلى "التبعية الفرنسية والمصلحة" صدق هذه المسلمين، وخبث ظن الفرنسيين؛ ولذا فسكنوا الملتصقين المحتكين في الجزائر، إن محثوي التصريح مسئلم من المعاني السالبة للثقافة الإنسانية وظهر ما هي جديدة بالفناء فإنها كانت سائجة، وكان التصريح عسماً، محاولة لتبرير الموقف "الانتهزامي" للكاتب وهو موقف أدنى به إلى وهج حد للوحدة التي تعلقت في كلف أحياء قديان والحجة.

وبالرغم من أن هذا التصريح يدين التنظيم الاستعماري والظواهر العزوبة من ملوك السلطات الفرنسية آنذاك أحداث ملي 1945؛ غير أنه وضع على قدم المساراة - من حيث المسؤولية - كلاً من التنظيم الاستعماري والمسلمين على حد سواء.

إن أسباب الصراع في فطر الكاتب صاعدة من قروح المصليبية عند الأوربيين، ومن شعورهم بالاستعملاء ومن دعوى مفهومهم "السلطة الدينية" ومن عدم فهمهم لتاريخ الوطن الإسلامية.

غير أن هذا التعلّوض في التّواقي والتّفكّر لم يثبّر في منطقة من المناطق الفرنسيّة المناضلة من أجل الاستقلال التّام، وإنّما وقع في الجزائر بالتّحديد؛ وهي البلد المحتل والمنازع بقوة الصّلاح للاستقلال الفرنسي والمستقل من طرف الأقلية الأوربية.

أمّا التّشهير الجنهبي فلم يحد - منذ زمن بعيد - من مآثر المسلمين الجزائريين وإنما صار التّشهير وقبحاً من بين الأساليب التي طبّقها المسيهرون - باسم الكنيسة - ليهبط سميتهم على الجزائر ومسح معلومات التّشخصية الجزائرية. وجهة نظر حزب الشعب الجزائري؛ وسياسة الاتحاد الديمقراطي الليبان.

توفّر الوطانية الدّوية لحزب الشعب الجزائري على المكتسبات والقيم الحضارية العربيّة الإسلاميّة التي هو جزء لا يتجزأ منها، وإنّ من التّعسف في القول، اعتبار الحركة الوطنية الجزائرية حركة عرقية والطبقة بولها وبين الحركات البائدة.

إن تطرّف حزب الشعب الجزائري جواب منطقي على طبيعة النظام الاستعماري. فالنظام هو الوطننة الدينيّة وهذا المظهر من معناه ضد القضية الوطنية المتجنّزة في قيم شعب الجزائري ومنطلقات ومبادئ التّكافؤ.

هذه الوطنة المتنبّلة من سياق تاريخي خاص، تتضمّن كذلك إيديولوجية مطلقة عن السّياسة التي نادى بها فوجات عرقية تلك الإيديولوجية هي "الثّرة".

مكّذا كان فوجات عرقى يسعى إلى تحويل إجماع الجزائر في اتحاد مع فرنسا (الدّرجة الجديدة للإمبريالية الفرنسيّة) وبالتالي فإنّ سيلسته الإسلاميّة لم تكن صهيبة، حسب نصّ المادة التّشّنية من مقترح الدستور الذي قدمه الاتحاد الديمقراطي لليبان الجزائري، يوم 19 أوت 1946 إلى مكتب المجلس الفرنسي⁽¹⁾.

هذه السّياسة كانت عقديّة عن قصد إلى فصل الجزائر عن تملّتها التّفاهي والجيو سياسي المتعيّن؛ ألا وهو الوطن العربي في مستقبل نصّه. ومآل تلك السّياسة أيضاً؛ هو تحريض إجماع الجزائر في نطاق النظام الاقتصادي والتّقاني المبني على الاستغلال والسيطرة؛ وإدخاله في إطار ما أصبح يسمّى الاتحاد الفرنسي.

هذه الأصحاب هي التي عرّضت سيادة مملكة بحسب لهجمات عنيفة من طرف حزب الشعب الجزائري الرافض لوثاق الاتحاد الذي يوتني حلة جديدة للاستعمار القديم.

اختار حزب الشعب الجزائري مقابل ذلك مفهوم "الوحدة العربية" باعتباره محركاً قوياً لتلبية الجماهيرية. فموقف حزب الشعب قائم على التنديد بكل مظلمة الخضوع والذل التي يراود شعبها بها عنوة، ولم يكن حزب الشعب يرفض التعاون مع فرنسا ناعارناً يقوم على عدم المساواة؛ ولكنه يرفض مبدئياً كل سياسة تدّعى من أجل اختيار الشعب الجزائري. وكذا توجهات المستقبلية على الصعيدين الداخلي والخارجي.

كان حزب الشعب يتصور محالته المستقلة في منظور تجديد الجماهير الشعبية ونشأتها. أما حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري فكان يهدف قبل كل شيء إلى استغلال مبدأ الشوعية الذي حوّلته "فرنسا الجديدة" لتخليق مطالب المعتدلين بموافقة من طرف فرنسا.

لأن مشروع دستور الجمهورية الجزائرية (الذي سبق ذكره) صاغ المطالب على النحر الشبي

المادة 1، "تُعترف بالجمهورية الفرنسية للجزائر بالسيادة، وفي نفس الوقت تُعترف بالجمهورية الجزائرية والحكومة الجزائرية والعلم الوطني".

المادة 2، "تكون الجمهورية الجزائرية عضواً في الاتحاد الفرنسي بصفته دولة شريكة. وتكون العلاقات الخارجية والدفاع الوطني مشتركة مع الجمهورية الفرنسية ومن صلاحية الاتحاد الذي تعتبر الجزائر طرفاً فيه

إعادة الشان: تشتمل الجمهورية الجزائرية على السيادة الكاملة في القضايا الداخلية؛ ومن بينها الشرطة؛ وذلك عبر انفراط الوطني.

المادة 3 و 4: يتمتع كل مواطن فرنسي - من أصل أوروبي - بالمواطنة الجزائرية؛ وبالتالي تكون له نفس الحقوق التي للمواطنين الجزائريين عبر التراب الجزائري؛ بما في ذلك حق التصويت والتوظيف. وبالمقابل يتمتع كل مواطن

جزائري في التراب الفرنسي بعمولة الفرنسية وبالتالي تكون له عبر التوابل
الفرنسي نفس الحقوق التي للمواطنين الفرنسيين بما في ذلك حق التصويت
والترشيح.

لو تحقق ونبط الجمهورية الجزائرية والاتحاد الفرنسي؛ لكن معنى ذلك
لكريس سيطرة الشوك الفرنسي في جميع المجالات لفترة طويلة؛ وإساءة أسس
السياسة الاستعمارية الجديدة ومن خلالها قوة فرنسا على حساب الجزائر.
اعترفت بعض أوساط المعتدلين بأن هذه الجمهورية التي يريد إنشاؤها مبنية
على فكرة وهمية غير أنهم حاولوا إقناع أنفسهم بأن هذا المشروع يصلح أن يكون
خضوع مرحلية قد يؤدي يوما ما إلى الاستقلال لكنهم ثابستوا أن "فرنسا الجديدة"
مثل "فرنسا القديمة" ترفض الحديث عن هذا المشروع أصلا وخضوعا ما يتعلق
بمذكورة الاستقلال.

مزال ذلك ما حدثه للهند الصينية حيث قبلت الانضمام إلى الاتحاد الفرنسي ثم
وجدت نفسها فيما بعد منغلقة على خوفا من الثورة المسلحة لفترة طويلة؛ كالألمانيا
لخصيات جساما وانتهت بتقسيم الفيتنام (1) (وذكره في حرب جديدة)
كل ذلك بين ما لا يدع سجالا لشك حقيقة الاتحاد الفرنسي لكن مراحل عباس
وانصار حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري كانوا (سوى هذا النظم
المنافس لأية حركة وطنية سواء أكانت في سوريا وليبنان أو في المغرب وتونس أو
في فلسطين، فولا وجود حزب الشعب الجزائري لأطروا البلاد في طريق مسدود،
مثل ما فعلوا من قبل بالتمسبة لمشروع "بلوم فبوليت" قبل الحرب العالمية
الثانية¹⁴ لكنهم سرعان ما سيكتشفون بعد انتخابات المجلس الفرنسي (2) جوان
1946) بأن توجهاتهم السياسية لا تعنى بالاعتبار من طرف السلطات الاستعمارية.

انتخاب المجلس التأسيسي الفرنسي الثاني

كان حزب الشعب يحاول صرف فوهات عباس عن إشراك الاتحاد الديمقراطي
البيان الجزائري في انتخابات المجلس الفرنسي الثاني (2 جوان 1946) كما حاول
إثباته بضرورة اتخاذ موقف مشترك خلال الحملة الانتخابية.

وكان حزب الشعب الجزائري حريصا على عدم الانخراط في مشاكل مناورات الإدارة الساعية إلى إضعاف الحركة الوطنية؛ فهدفت إلى ذلك أنه كان تحت طائلة الحضور وكان زعيمه منتقيا في القضايا. ولكن بالرغم من ذلك قرر الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري تقديم مرشحين إلى انتخابات المجلس التشريعي فزادت بذلك قوة الاختلاف بينه وبين حزب الشعب الجزائري.

نادى حزب الشعب الجزائري بمقاطعة الانتخابات فغير أن تداوم لم يكن مقنعا؛ وجاء بعد هزات الأوان ويبدو أن زعماء الحزب كانوا مترددين بطموح المتمتع الذي يتبني لابعاه وقد أقر ذلك على محتويات التتخليل.

هذا النداء بالمقاطعة لم يمنع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من الفوز بـ 15 مقعدا من بين 18، ولقد اعتبره خصومه نجاحا هاما، فوذا عظيما بينما كانت الحركة الوطنية مشتتة.

حصل الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري على 438946 صوتا من مجموع 633349 مقارعة، أي ما يعادل نسبة (69.71%) (مقدّر عدد الناخبين المسلمين في المطابقة الانتخابية من الدرجة الثانية بحوالي 1,200,000) ولم يحصل الحزب الاشتراكي سوى على 53346 صوتا (كان قد جمع 137357 صوتا في انتخابات الجمعية الأولى بفضل غياب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وحزب الشعب الجزائري اللذين قاما بالانتخابات) حصل الفرع الفرنسي في الرابطة الدولية للمسال على 96889 صوتا⁶⁶ ونجدوا للإشارة إلى أن هذين الحزبين: الحزب الشيوعي و الفرع الفرنسي في الرابطة الدولية للمسال كانا عضوين في الحكومة الفرنسية).

من الملاحظات أن فوز الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في هذه الانتخابات بعد بمثابة مؤشر على هزيمة "الانصاحيين" وسقوط الحزب الشيوعي الجزائري، حيث تبين أن التخليين المسلمين كانوا تارة يعضون أصواتهم لأحد المرشحين وتارة لغيره المتنافس ويمكن إيجاز هذه التفتيد في الواقع إلى أن عددا كبيرا من الناخبين كانوا يبحثون عن امراضيين الأكثر تعبيرا عن طموحاتهم، وفي

غياب هذا الصنف كانوا يطمحون أصولهم إلى الأقرب في ترتيب تنافلي أو تصاعدي تبعا لأصناف المرشحيين والاحتياجات المعروضة عليهم.

عندما غاب فرحات عباس وحزب الشعب الجزائري حول جزء كبير من المنتخبين أصولهم لثقافة انصهار الانتماء والحزب الشيوعي الجزائري⁽⁸⁾.

بعد هذا النصر، عوض نواب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري برنابهم على الجمعية الفرنسية. وعندما ذكروا في الكلمة للمرأة الأولى: انتهاء الجلسات المتعددة في الفترة من 22 إلى 25 أوت 1946: استقبلوا من طرف النواب بالاشتراك والصراخ، وهذا ما دفع فرحات عباس إلى القول: «إنّ هذه فرصكم الأخيرة، وبمن آخر البرلمان»⁽⁹⁾.

كان زعيم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري يطمح بقوله هذا إلى حزب الشعب وإلى مواقفه المتصاعدة ولم يتمكن من جعل فرنسا وجهًا لوجه أمام حزب الشعب الذي كان يعمل من أجل الاستقلال الوطني.

إن فشل الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، مشابه للفشل الذي مني به "بن جلون" إثر انتصابات الجمعية التأسيسية الأولى (1945)، فاقد انهار المبدأ دون أن يتمكن قادة هذا الحزب من غمط لاهل طنتائج لتسوية.

والواقع أن السد الحقيقي يتمثل في معارضة الحكومة الفرنسية لضمومات الشعب الجزائري ومطالب الحركة الوطنية بالاعتراف بالاعتقالات والمعتقلين على حد سواء.

ومن جراء ذلك حوصرت السياسة الإصلاحية وتخيّر الأمل: وصول من الليبرالي "الليبرالية" الممهور بها إلى حد ما في الحياة السياسية الجزائرية؛ إنعاش جمعيات بهدف زرع البلبلة في صفوف الحركة الوطنية وتلقيحها بالناقضات كي يسهل جرّها إلى طريق الانتخابات الممسودة. وبهذا بقيت السلطة المركزية والقوات الكولونيلية سبحة الموقف وفي حوزتها كل وسائل القمع والاضطهاد والمعاورة.

حزب الشعب الجزائري وإخفاق الاتجاه الإصلاحية.

ساهم الإخفاق المتكرر لانصهار الانتماء (بن جلون) والوطنيين الإصلاحيين في تصفية الجور السياسي، وبدأ الثموض الذي كان سائدا بعد أحداث ماي 1945

بموجب خطة الإبطاء وسنوك الأحزاب. الجزئية الإصلاحية (من بينهم الحزب الشيوعي الجزائري) بدأ يتفجع شيئا فشيئا.

فعندما بدءوا يملسون لعبة "الإصلاحات" المفروضة من طرف الاستعمار، اكتشف الرأي العام عدم جدوى سياساتهم وراح بالنالي يعصم التبدل الذي طرأه حزب الشعب الجزائري هذا التيار الثوري الذي لم يخلّ عن دعوته بل كثف نشاطه التحسيني في أوساط الجماهير حول مشكلات الثقافة، الإثارة، والتخفيف، والعمل جرت مناقشات حادة في صفوف مناضلي حزب الشعب الجزائري - المناهضين على مراوغات الإصلاحيين - فلم يعد أحد يؤمن بجدوى تأسيس تجمع على شاكلة تجمع أكتاب البيان والحريّة.

وكان لإخفاقي فريجات عباس والعلماء ثلثييين في نظرس مناضلي حزب الشعب الجزائري؛ فهم لا يمتثلون بجدوى التحالف مع رجال برلمانيون في زمن العسرة، ولا يكون لنضالهم أية فاعلية في زمن اليسر وكانت لفتاتهم راسخة بأن الاستقلال لن يتحقق إلا بالثورة. وكادوا يستمعون لها اعتمادا على فكرة الحزب الذاتية وعلى تجديد الجماهير الشعبية ولقد تشغلهموا بعض الأفكار الهامة بعد تدليل أحداث ماي وأنعكاساتها على الوضعية السياسية الجزائرية.

لن الأمر الطليع من استعداد الجماهير لتعبئة لظهور إمارة الكفاح المسلح، فمن وجهة النظر الثورية يعتبر اللتحام للجماهير مع فكرة الاستقلال، ومشاركتها في المظاهرات السياسية، وتصعيد المظاهرات إلى انقلابية طليانية... يعتبر كل ذلك دلائل إيجابية. ولكن ينبغي السعور من الإفراط في الحماس بالنظر إلى عدد الضحايا وهول التجلويزات.

يتبقي إذن البحث بكل موضوعية عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى الإخفاق وينبغي بعد ذلك تحديد المسؤوليات ثم استخلاص العبر من هذه التجربة الالعية وغلافي الأخطاء في المستقبل ذلك هو فحوى النقاش الدائر داخل حزب الشعب الجزائري كذا دائما أسلف إخفاق الحركة الوطنية؛ فيتبني البحث عنها في سياق فالحركة ذاتها؛ أي في كنه تصويراتها وفي طبيعة تخطيها.

لم يستطع تجمع الاتجاهات السياسية الثلاث - هي إيلو أحباب البيان والحرية - التصدي لضرورات الاستعداد؛ ومودّ ذلك إلى ذهنية القادة وإلى توجيهمهم العضوية التي حالت دون تحقيق قيادة منسجمة للحركة الشعبية. فلقد كلن من الممكن تجنب الاضطرابات المعقدة لو كانت القيادة موحدة ومنسجمة. هذا يظهر بوضوح أن تجمعاً سياسياً من نعت أحباب البيان والحرية لا يتوافق مع فكرة الكفاح والنتهاج للمسلح الثوري. ذلك أن تجمع أحباب البيان والحرية كلن يضم ثلاث تيارات لكل واحد، منهم تصوره الخاص لمهوم الكفاح؛ فلم يكن ذلك التجمع الثلاثي الرؤوس فعلاً من الناحية العملية؛ وقد تفرسته العلماء وهرجات عباس، فإذا كنت الحركة الجماهيرية هي التي جوتهم إلى المشاركة في تلك الصيغة هلهم لم يردوا في استغلال أول فرصة للتطلي عنها والعودة إلى تصوراتهم الإصلاحية.

كلن حزب الشعب الجزائري طبقاً بسبب الحق والسمع المسلط عليه؛ فلم يمسك بقوة مقاليد الأمور في هذا التجمع رغم ما كلن بينه من نشاط حثيث في صفوف ثوري العام لتمين الأفكار الراديكالية. وكان التنظيم الثوري للحزب ينظم بخطى ثابتة ويضم إلى صفوفه كل الشخصيات المأثمين على العمل المباشر. كل التنظيم لوربا هي أهدافه ومبادئه وتقاتي عناصره وبتوكيده الثورية الشعبية. لكن كان بنفسه وشرح التصور السياسي وتنصه تفهات للكفاح ذلك أن بعض قاداته بقوا يراخون مكانهم متمسكين بالتصور الثوري في مبعته السياسية وهو تصور في حاجة إلى بلورة أكبر لمعالجة الأوضاع الجديدة. ذلك هي الأفكار التي كلنت تراهو المتطاملين في القاعدة والإطارات وكان أغلبهم مقلداً بضرورة تطوير حزب للشعب الجزائري - حركة الاتصال الحزبية الديمقراطية إلى حركة وطنية ثورية وتزويده بالهياكل المناسبة.

تبلور الاتجاه الثوري وتطوره

نوضح النتائج المستخلصة من العمل النضالي - في الحلقة الأخيرة - نوع التحولات التي طرات على الحركة الوطنية. فلقد توطنت مكلفة حزب الشعب الجزائري ورفضت الجاهيل كل تجمع غير جدير ببلورة طموحاتها؛ وتحول للثوار الثوري إلى منظمة مستعدة للكفاح من أجل اقتكاه الاستقلال.

كانت هذه الأفكار تغذي هسة الحزب منذ 1946؛ فتوجه منذ ذلك التاريخ إلى تحقيقها على أرض الواقع: إحياء التعطّل الاستعماري، القاسي بحق الحركة الوطنية؛ وكشف ما تقوم عليه سياسة الإصلاحات من ابتعاد عن باطنه.

أجاز دعاة الإصلاح لأنفسهم ولغيرهم من التجمعات الجزائرية حق التنازل عن الحقوق الأساسية للشعب، وذلك إما بسبب ضبابية الرؤية السياسية لديهم؛ أو لنقص فتانتهم السياسية؛ أو لاعتبارات إيديولوجية أخرى. وكثيرة بحلولون إيمانهم بجماعية بأن تلك التنازلات قمة الحق الميضي لكن تلك الحققة لم تسفر عن أية نتيجة إيجابية. ومهما كانت شدة الانقسام بين الإطوة الاستعمارية وبين هذا التيار فلا ينبغي تفسير ذلك الصدام بأنه مطاع عن مصالح الشعب الجزائري، لأن مصالح الشعب الجزائري ليست مهنية على المظهر التي يحدثها الاستعمار؛ وإنما مصالح الشعب تقوم على قلب موازين القوى لفتح الطريق نحو التحرر الوطني. ولا يمكن تحديد موازين القوى بناء على الحسابات الفاتية والسياسية المباداة الإصلاحية؛ ولا يذاع 1949، بتتبعات المرحلة التي يدعو إليها الحزب الشهري الجزائري. (بعد أن طالب هذا الحزب بالاندماج) ثم ساند قانون 7 مارس 1944، ونادى بمصالحة الوطنيين في 1945 على يد بنى برنابا شبيها بمواضع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري المطلب جمهورية جزائرية في إطار الاتحاد الفرنسي، وبتمثيل نصبي للمسلمين والأوروبيين في المجالس).

لا يمكن تمييز موازين القوى هذه لصالح الجزائري إلا برفع مستوى الوعي القومي للشعب وباتخاذ المواقف الصريحة والتحديد هدف وحيد هو الاستقلال.

كانت العهدة التي حملها حزب الشعب الجزائري على عاتقه وسنرها ضمن أولوياته هي التمهيد للكفاح المسلح؛ وتحويل التنظيم الهيكلي، وتكوين المناضلين المتعلمين. ولكن قبل هذا وقبل طرحت جملة من المسائل التي تصدعي القسم؛ ومن بينها ما له علاقة بموقف الحزب عن الانتخابات التي ستجرى في شهر نوفمبر 1946 لتجديد الجمعية الفرنسية (تحت المصانة عليها عن طريق الاستفتاء وكان حزب الشعب قد قاطعها).

وكان الحدث آخر أثر بالغ على هذه الحقيقة وهو وجوع زعيم حزب الشعب مصالي الحاج؛ من الإقامة الجبرية في القبايون يوم 13 أكتوبر 1946 ووضع في إقلمة أخرى في بوزريعة (في أعالي العاصمة) وقد صعد من التنقل إلى المدن الكبرى ومن التجوال في أحياء العاصمة.

مناورات الإدارة وحزب الشعب الجزائري

اعتمدت الإدارة الفرنسية لها برنامج مصالي تمكن من إضعاف الاتجاه الوطني الأكثر تطرفاً وتفتح في تعميق شدة الخلاف بين صفوف الحركة الوطنية. وكان البعض يرى أن قرآن إطلاق سراح كل من مصالي الحاج وفريحات عباس وزعماء العلماء أمر مهيئ بحيث لن يجرؤ العلماء وفريحات عباس على المبادرة بحل تجمع أحباب البيان والحرية.

إن مكانة مصالي الحاج كعقيدة ومسئول تنظيم حزب الشعب وثقافي الطائفة الشعبية، كل ذلك كان كتيلاً لتعزيز الانجذاب السياسي الوحيد.

بالفعل فإن إبعاد مصالي الحاج عن الوطن منعه من ممارسة القيادة الحقيقية ومركز الحزب إلى داخل القمامة بين وجهات فنظر حول الوضع السائد. غير أن هردن دخلت متصرة مهمك على المساحة السياسية الجزائرية. وقد ذهب البعض إلى حد اعتبار إطلاق سراح مصالي مخلوذة من طرف الإدارة الفرنسية ثم إلى وضع فريحات عباس وجهها لوجه أمام زعيم حزب الشعب لجزائري عشية انتخابات الجمعية الفرنسية. ومن هذا صلو من تسهل التمزج بالذكر أن مصالي الحاج كان متواطئاً مع الإدارة. بعض هذه التلميحات المفروضة انتشرت في أوساط المعتقلين، ولقد ساعد الإصلاحيون على جعل تلك المناورة ممكنة عندما يأمروا بتقسيم أحباب البيان والحرية¹⁹.

بعد عودتنا فاجأ مصالي الحاج بعض المناهضين بقرار المشاركة في العملية الانتخابية. وكانت القاعدة متحفظة بخصوص هذه المسألة؛ فشرع قادة الحزب يطعنونها بأن خيار المشاركة في الانتخابات لا يعني تغيير توجيهات الحزب؛ وإنما تلك خطة لإخراج الحزب من العزلة واستغلال منصة "الشوعية" الانتخابية للاندماج بالاستعماري. ومن ثم تقوم فريحات الحزب علانية.

أكدت القادة بأنّ القمع القويّ للحزب هو الإعداد للثورة دون إعمال الأشكال الأخرى للنشاط السياسي، كما أكدوا أنّ سياسة المقاطعة لا تعطل عقيدة الحزب وذكروا بسلوكه السابق في الانتخابات سنة 1939، وبنهاية هذه الإستراتيجية الثورية تفرض على الحزب امتثال جميع وسائل الكفاح لتيهوا مكانته كممثل حقيقي لمطالبات الشعب الجزائري في الداخل والخارج.

أظهر قرار المظلوكة في الانتخابات أنّ هناك فراق بين فئة الحزب وقاعدته، وكان هذا قسما من تعبئة عن الخوف من أنّ بقوى الحزب في مستقبل الرمال المثورة أثناء الصراع الانتخابي¹⁰² غير أنّ معظم المناضلين تجنّوا لمراجعة الوسيعة الجديدة.

محاولات تعويض الجبهة الشعبية.

كتب فرحات عباس فيما بعد بخصوص هذه المظلوكة ما يلي: «إنّ تجمع أحباب التبيان والحدية سيمتدح من تلقى مرشحين للانتخابات التشريعية الأولى في نوفمبر 1946 لم يكن مصالي الحاج من عواجه نراي العام الفرنسي وبرلمانه»¹⁰³ مصالي الحاج حصل على سمات وزاوة تلماذية والحكومة العامة في الجزائر بأنّ القوائم الانتخابية التي يقدّمها حزب الشعب ستمنح وبناء على ذلك ترشح للانتخابات وتطلب من الانسحاب من المنافسة تحاشيا لانشقاق القوى الوطنية، كما أكد أنّ بإمكانه الحصول على امتثال الجزلوة.

وكما كان متوقعا، شرعت الإدارة الفرنسية في الغشّ فاشتملت من حزب الشعب تغيير اسمه وهكذا تأسست حركة الانتصار للحريات الديمقراطية¹⁰⁴ وينبغي الإشارة هنا إلى أنّه لم يتم أيّ اتفاق بين مصالي وفرحات عباس بخصوص مقاطعة بعض الفاعلين أو تعطيل الأصوات لصالح بعض المرشحين. أما بخصوص تأكيد مصالي من الحصول على الاستقلال فينبغي أخذ تلك العبارة من قبل اندفاع لأنّ تغليب مناضلي حزب الشعب الجزائري لا يؤمنز بإمكانية الحصول على الاستقلال بواسطة هذه الانتخابات.

إنّ قرار دخول الحزب حلبة السباق وحيداً؛ استجابة لحزب أحباب البيان يوم 2 جوان 1946.

على النقيض مما نعت إليه البعض، فإنّ مجبولة تشكّل جبهة وطنية تضمّ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والعلماء وحزب قشعرية والحزب الشيوعي لم تغفل أنّ مصالي الحاج قد نبّش نفسه وعياله لها⁵¹ ونعما للفشل كان بسبب لوضعية العطائب المعكنة التي اقترحتها الإصلاحيون أيّ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري، فلقد **«**تملّك بمواضع مشدود "قانون" خلع باستقلال الجزائر. فبهما كانوا يتادون بفكرة الاتحاد الفرنسي ويؤجسون فكرة الوحدة العرقية؛ كان الحزب الشيوعي متصمماً في تمسكه بالطريقة "الأمة هي مطرد التكوين" كتيّض لفكرة الأمة العربية الإسلامية التي يدافع عنها حزب الشعب، أضف إلى ذلك أن تصوّرهم لمفهوم "الجمهورية الجزائرية" ومفهوم "الديمقراطية"، وضع 9 ملايين جزائري على قدم المساواة مع مليون فرنسي ولو بصفا لتفلية. لا يمكن التوفيق بين هذا التكاثر في النشوق القلبي بطائفتين انتباهيتين (من التدرجة الأولى والثانية) في **«**المجلس الجزائري للشعب بالافتراح العام دون تمثيل في العرق والمين تلك الفوارق التي خالها كاضح حرب للشعب الجزائري ضدّها (أرجحت هذه التفضلة في مؤتمر أحباب البيان والحرية في 1949 وحسودق عليها).

كان الحزب الشيوعي الجزائري بمواضع فكرة الوحدة العربية ويعتبر أن استقلال الجزائر مجرد وهم؛ ويدعم في نفس الوقت قواعد الإمبريالية في الجزائر، بينما الاتحاد الفرنسي يمثل بالنسبة لشعب ما وراء البحر الإسكنية الوحيدة لتحقيق الحرية والديمقراطية⁵².

الواقع إنّ هذا المسمى كان يختم أهدافاً خفية؛ خاصة وأنه جاء بعد فشل سياسة الانعماجيين؛ في المجلس الفرنسي تلك السياسة الترامية إلى جعل حزب الشعب الجزائري يقدم التنازلات ويقضاهن مع الإصلاحيين؛ رغم أنّ تطوّر الأحداث كان يؤكد صحة أطروحة عند قراي للعدم للجزائري.

إن الدروس المستخلصة من أحداث ماي وأدت حزب الشعب الجزائري لنهاية
بضرورة الاعتماد على طاقته الذاتية وعلى تجميد الشعب والتنشيط بفكرة
الاستقلال.

هذا المطلب ينبغي أن يكون أساساً لأي تجمع في المستقبل كي لا تصاب
الحركة الوطنية بركود إلى الأبد لم ينح مشروع تشكيل جبهة وطنية سنة (1946)
بسبب أمداده المحدودة التي لم تلتد بعين الاعتبار طموحت الشعب الجزائري
النشاط المتجدد الأوجه لحزب الشعب الجزائري

— حركة انتصار الحريات الديمقراطية —

فقر حزب الشعب المشاكلة في الانتخابات نعت اسم حركة انتصار الحريات
الديمقراطية⁽¹⁾. وكان في إمكان الفوز لو لم تدهش الإدارة بالمناورة والتزوير.
ولجئ الممثل في قبضة رفض ترشح مصالي حملا لولاية الجزائر كما رفضت
قوائم مرشحي الحزب في وهران ومطية. ولم يشعر الحزب بذلك إلا بعد انقضاء
العدة الانتخابية للثوابت. وبالتالي لم تحصل حركة انتصار الحريات
الديمقراطية سوى على 5 مقاعد في مقاطعة خم مطية (حيث انتخب كل من اليمين
ديالين، فريدور جمال، بوقدوة مسعود) ومقعدان في مدينة الجزائر (حيث انتخب
أحمد مزغنة ومحمد خبزر). وقد توسع لهذه الانتخابات أيضا 3 مرشحين عن
الإدارة ومرشحين عن الشيوعيين.

كانت تلك أول مشاركة لحزب الشعب في الانتخابات منذ الحزب العلوية الثانية
وقد أولاها أهمية كبيرة لا على أساس عدد النواب المنتخبين بل على أساس ما
سلوذي إليه من تطلخ على مستقبله القوي الاستقلالي. لقد كان هذا التناحر في أوج
توسعه ومن هنا كان أكثر من غيره عرضة للتأثر بمشاكل كثيرة قد طرحتها
المناسبة الانتخابية.

لم يكن بد من التحلي باليقظة لتفادي الوقوع في الفخ الذي تعرضت له تلك سياسة
الانتخابية ح الأ وهو فصل قمة الحزب عن قاعته وإبعادها عن اهتمامات الجماهير.

يضم حزب الشعب بين صفوفه: كثي منظم يساري؛ رجالا تتفاوت درجة الالتزام الفردي، بينهم من شخص آخر؛ يُقيم جميعا انتخابات من أجل الاستقلال، ويلتزمون بنفس المواقف العنيفة ضد الاستعمار. لكن هذا لا يعني أنهم كلوا مختلفين حول وسائل تحقيق الاستقلال ولم يكن لهم نفس التقدير فيما يتعلق بالتجهيل بالعمار الفردي، موثقة مع النشاط الانتخابي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية الذي كثر في نظر نشاطي للحزب مجرد "تمويه" تكتيكي.

ما قرأه نيكو دعاة الكفاح المسلح يتمو داخل الحزب غير أن موقف الإدانة الاستعمارية من الحزب موزني لا معطاة إلى المواجهة. وما كان عليه سوى الاستعداد في جميع الميادين مع الاستغناء بالمباشرة فيما يتعلق بالخطى أو مسلك الوقت تطابها لتكرار وخسيرة ماي 1945.

كان حزب الشعب الجزائري، غير نظري بقية الأحزاب، يعتبر الانتخابات مجرد وسيلة من وسائل تحقيق حركته إلى توسيع قاعدة مسكنة (في الداخل والخارج) لا كمنافسة هي ذاتها فكان يرمي من وراء مشاركته في الانتخابات إلى اكتساب الشعبية وتعزيز القدرة الثورية. وهذا هو إطار الحزب السياسي الذي جده لنوابه. لقد تلقوا تعليمات واضحة بضرورة تدخلاتهم في مناقشات الجمعية الفرنسية، وفحوى تلك التعليمات أنه ينبغي التأكيد - أثناء المناقشات - بالسياسة الاستعمارية والمطالبة بحريته الجذرية. وبما أن الحزب لم يكن يعترف بالسيادة الفرنسية على الجزائر فهو لا يعترف بحق هذه الجمعية في سن القوانين الخاصة بالجزائر (وبالتالي لم يشارك نوابه في التصويت عليها).

وبالفعل عكست مناقشات نواب الحزب في البرلمان الفرنسي هذه الخطة الأمر الذي جعلهم يتمردون لموقف عدائي من طرف أغلبية النواب فاضطروا عليهم اسم "الانفصاليين".

كان نشاط حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية يتوزع على عدة فصيلة مثل اللجنة السياسية؛ وهيكلية حركة انتصار الحريات الديمقراطية عبر

جناحين هما التجنح الرئاسي (المعترف به قانونياً)؛ والجناح السري (حزب الشعب الجزائري).

وبالرغم من العنف المتواصل ومؤامرات الإنطورية الاستعمارية ومعرضة بعض الأحزاب لها، وأصل حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية؛ تحولت تدريجياً إلى حركة وطنية قوية. وكانت الهالة الشعبية التي يحظى بها زعيمه مصطفى الحاج تستقطب الجماهير ونشأت عنها تيارات تدعى إلى التجهيزات. كان حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية يعمل على تأسيس حركة وطنية متجانسة أكيد من طابعها ذات الاتجاهات السياسية المختلفة ولقد أكدت الأحداث مسحة هذا الخط السياسي الذي انتهجه الحزب باعتباره مناسلاً ومنظماً للحركة الشعبية الحديث أصبح لزاماً على القدرات الأخرى تدفك تأخرها. كانت الجمعية الجماهيرية تجري على نطاق واسع كانت قبل أحداث 1945 لكنها هذه المرة أصبحت محطة حركي مطالب متطورة وهي إطار حركة مهيكل.

لقد انطلقت الحركة الشعبية على جميع الأصعدة بين فئتين أساسيتين هما السلطة الاستعمارية وقوة الحركة القومية (حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية). بدليل أنه عندما فاز البرلمان التونسي في 20 سبتمبر 1945 إصدار قانون الجزائري، تضمن في الشعب الجزائري، ورفضه وكذلك رفضه المعتدلون.

ومن بين المشاريع السبعة التي افكرتها الأحزاب (التونسية والجزائرية) لا أحد اقترح الانعماج، ولا أحد الحق على الاستقلال، وبما أن حركة انتصار الحريات الديمقراطية لم تكن تعترف بالسيادة الفرنسية على الجزائر فإنها لم تقترح أي مشروع، تضمنت 3 مشاريع مقترحات بخصوص إصدار قانون يعتبر الجزائر دولة شريكة في إطار اتحاد فرنسي. ومن بينها مشروع الحزب الشيوعي الذي كان يعتبر استقلال الجزائر - لو حصل - سيكون تدعيماً لقواعد الإمبريالية. على حد قول أجرون⁽⁸⁾.

لقد تلاشى نفس الميراث "قانون الجزائر" الجديد، فقال: «إنه قانون مستطعم من مشروع Bidault ذي النزعة التقليدية فمحافظته تعتبر الجزائر جبالا شاه كما كانت سنة 1900 مجموعة عمالات تتمتع بالشمسية المعينة والاستقلال المالي. يتولى السلطة التنفيذية فيها حاكم العام بمساعدة مجلس حكومة. في حين توكل السلطة التشريعية إلى الجمعية الوطنية الفرنسية».

تحولت المفوضيات المالية منذ سبتمبر 1945 إلى مجلس مالي، أصبح يسمى المجلس الجزائري، يتمتع بصلاحيات أوسع للقبلا ولكنها صلاحيات تتمحور أساسا حول الشؤون المالية. تخضع قرارات المجلس إلى المصادقة بالجمعية (2/3) الأعضاء، 60 عضوا من الطائفة الانتخابية من الدرجة الأولى و 60 عضوا من الطائفة الانتخابية من الدرجة الثانية.

كانت الطائفة الانتخابية الأولى تتألف من 464.000 مواطننا يتمتعون بالحقوق المدنية الفرنسية و 58.000 نسمة من المسلمين. وتتركز الطائفة الانتخابية الثانية من 1.340.000 نسمة من اللطافيين المسلمين لم تصل النجاة إلى حد القطي عن العرفهم الذي تدمج النخبة الجزائرية في الطائفة الفرنسية وأيضا لم تكن القوايا صالحة لجعل المجلس الجزائري مجلسا يتكون حقيقة من مسلمين عن جميع السكان الجزائريين (بما فيهم 922.000 من الأوروبيين و 360.700 من المسلمين) «فلا غرابة إذن في أن يرفض الثواب الجزائريون - بما فيهم المعتدلين - رفضا قاطعا كل أحكام المراسيم الحكومية وأن ينسحبوا من المناقشات كي لا يوافقوا على تسليم تلك الهيئة المنظمة في القانون الأساسي» محتذين في ذلك موقف نواب حركة انتصار الحريات الديمقراطية. ولقد أهربوا عن قناعتهم بأن الجمعية التأسيسية هي وحدها الكفيلة بهيئة حل المشكل الجزائري.

استطاع كل من حيزر ومزقنة ودية نوم وودور ودياين؛ إسماع صوت الشعب الجزائري للعالم كله؛ وذلك ما أثار حقيقة أغلبية النواب والعسكريين الفرنسيين.

وكان حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية بموضوع أي مشروع لا يتجاوب مع المطلب الاستقلالي ولم يكن يفتقر من الليبراليين الفرنسيين الوحي أي حل في مستوى تحكّمه أما القوّات الشيوعيون - ~~سب~~ ما ورد في بيان Cahellero أمين عام الحزب الشيوعي الجزائري في مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في باريس يوم 28 جوان 1945 - فكثروا يرون أن للشعبين الجزائري والفرنسي عدواً مشتركاً وأن الذين يتفكرون باستقلال الجزائر معلاء الإمبريالية وأن لا يزيد استقلال حصول أعود بعضنا لبعض - تلك هي مواقف الحزب الشيوعي الجزائري لمعوض استقلال الجزائر والمساهمة للإمبريالية الفرنسية، فمن زاوية فنظر هذه كان الحزب الشيوعي الجزائري ينحني بعلوميات الشعوب المستعمرة في سبيل مصلحة الحزب (مشرك بعض أعضاء الحزب في الحكومة الاستعمارية).

حدث الحزب الشيوعي موقفه هنا قبل بضعة شهور من انطلاق المناقشات حول مشروع قانون الجزائر الخاص وبالطعن الموقف في قوله "لا يمكن تجاهل تصورات التي قد تولدت عن أزمة إقليمية في وقت اعتقاد مؤتمر موسكو بحيث يكون ممثل الحزب صوكة من أجل تحقيق الأسطر ولا تفرقت مطلبنا لعدم الاستقلال¹¹⁴. هذا الخط الذي يتلوه الحزب الشيوعي الفرنسي في الكتلة الشيوعية في الجمعية الفرنسية إلى الامتناع عن التصويت في قضية حزب، الذي كان... فلقد لنذكر لمبادئ التضامن بين الشعوب لصالح توطئة للولاية. وكان الحزب الشيوعي الجزائري يتهج نفس السياسة في الجزائر: عكس حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية التميز عن حشود الشعب إلى الاستقلال وكان تضام هذا الحزب ضد الاستعمار؛ مندرجا في سياق تضامته مع الشعوب الولاية تحت الاستعمار.

تطور التيار الثوري في السياق الدولي

اتخذت الوطنية الثورية لحزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية في سياق الكفاح الثوري للشعب بعدا أكثر وضوحا ونفعا من الحزب الشيوعي الحوضي تحت لواء الأممية.

وحيث أوصدت الحكومة الفلسطينية جميع الأبواب في وجه الإصلاحيين؛ ظهر موقف حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية أكثر وضوحاً وواقعية في نظر الجماهير الشعبية فلقد ولّى النموذج؛ وعمل مناضلو الحزب دون كلل على رفع مستوى الوعي الثوري في صفوف الشعب فكلبت تلك الجهود بالنجاح الباهر للقوائم المرشحة في الانتخابات البلدية في 3 أكتوبر 1947 وفي انتخابات "الجماعة" في نوفمبر من نفس السنة.⁽¹⁾

كفر لانتصار حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية عظيم؛ لآى تحقق رغم ذلك المرشحين الذين دعمهم الإدارة الاستعمارية ومرشحي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري المدعومين من طرف جمعية العلماء والمفرايم المنفردة من طرف الحزب الشيوعي الجزائري.

«إلى الحزب من أغلب المجالس البلدية للمدن (الجزائر؛ وهران؛ قسنطينة؛ عنابة؛ الرليدة؛ سكيكدة؛ مسكرة؛ بجاية؛ طليانة؛ خروشال؛ الشلف؛ المرسان الخ) فضلاً عن القرى والمعاشرو. وفي كل مكان لم تتدخل فيه الإدارة بتسويق الانتخابات إلا وتمكن مرشحو حركة انتصار الحريات الديمقراطية من الفوز. ولكن اجتياح الطائفة الانتخابية من الدرجة الثانية لكل المجالس البلدية في المدن كان يتطلب تحديد سياسة واضحة من أجل تجنب (إشغى أنواع التسويات) وفي نفس الوقت من أجل عمل منطقي للحزب على المساهمة في نشاطات البلديات. ومن جهة أخرى فإن المساهمة بهذا القدر من الأهمية في "التسيير البلدي" مع منطبي طائفة الانتخابية الأولى يطلع مسألة شغل العلاقة بين الطائفتين الانتخابيتين. وعلى العموم لم تكن لمنتخبي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بوزارة بالأجهزة الإنشائية فكانوا يتعرضون لارتكاب الأخطاء أو لمناورات منطبي الطائفة الانتخابية الثانية المحفكين.

كلما ينبغي كذلك العهور على ألا يتسبب القصور والنشاط الانتخابي في إضلال الخط الثوري لحركة انتصار الحريات الديمقراطية. وعلى كل حال ونظراً للأهمية التي اكتسبها هذا الحزب [ليس فقط بفجأحه في الانتخاب ولكن في قوة

الاختخاب). كان عليه أن يبحث على الحلول لعدد من مشاكل التوجيه والاستراتيجية.

كان الحزب آنذاك، قد بلغ أوج قوته وعمل يتولى على منظمة مهيكلية هير كل الشراب الوطني ولا تظمه سوى الانتفا على العمل وكان الضغط ببارس في هذا الاتجاه على القيادة المركزية كي تأخذ مبعث الاعتدال في كل قراراتها الهامة، ولقد توفر نوع من المراقبة العفوية التي كانت تعزس من حرد، اتفاعة على البعة. كانت والإملات المتصلة والمقاعة هي التي تتكفل بهذا الدور فتعز عن طمحاتها وانتقالاتها ولزائها وتبلغ الاقتراحات أو الامتقادات الموجهة إلى القيادة وخصوصا ما يتعلق بالمخوف من خوض غمر الانتخابات. فكان للتخوف من مخاطر الانحراف يدفع إلى الحد على ضرورة تدعيم خط العمل الثوري، وكانت هذه الضرورة تزداد كلما بالنسبة للانتقالات المتطرس للجزائري التي دورها قانون الجزائر أن تطور الوضعية العالمية وعلى الخصوص في البلدان الواقعة تحت الهيمنة الأجنبية، كان يدعو إلى الكثير من البفلة.

مقاومة تلويح حركات انتحور في معظم تلك البلدان، وحصول البعض منها على الاستقلال الوطني مثل سوريا، لبنان، والعهد، والباكستان وأندونيسيا. وكان الفيتنام يكافح بالسلاح ضد الاستعمار الفرنسي فتلجح الانتصارات التي كان يحزرها ألقا أخرى أمام خصوم قشي لا تزال تفرح تحت الاستعمار. ونفس الاستعمار كما يحاول في منصفه خلق إداة التحرير؛ بروتوكابه المجزأ (70000 قتيل منذ 1947). كانت الإمبريالية في الشرق الأدنى تساند الحركة الصهيونية في فلسطين ضد التحرير العربي. ولقد ساهمت كل الدول العظمى في المعزما العديرة ضد الشعب الفلسطيني والأمة العربية في مجملها واجهت جامعة الدول العربية تحالف المصالح الإمبريالية التي تمكها الصهيونية.

وأكدت الحركة الوطنية في المغرب - بزعماء محمد الخامس الشجاع - تصميمها على وضع حد للحماية فكان ودقوسلية هو الاضطهاد متعا وقع في اندار البيضاء في 03 أبريل 1947 وتسبب في قتل وجرح مئات المغاربة وبعد ذلك

هناك أدلى السلطان في نتيجة يتصريح تلويحي مجد له وحدة المغرب ووحدة كل الشعوب العربية التي بذلك الجهود لتعيين الوسائل التي نوصلنا إلى السعادة في الحاضر وفي المستقبل دون أن نبتعد عن حقنا الحقيقي الذي وحد كل الشعوب المسلمين وجعلها تخلق معاً، والذي جعل الشعوب العربية والإسلامية على التعاون والائاز إلى حد جعل هذه الجملة للحكمة تؤسس، وتدعم الولاية بين كل العرب حيثما يوجدون ومكنت قلوبهم وملوكهم سواء في المشرق أو في المغرب من توحيد سبلهم والسير معاً نحو التقدم الروحي - من يتوكل على الله يلقى مخرجاً كان هذا التصريح شعباً واضحاً عن اختياره لاستقلال المغرب وانضمامه إلى دول الجامعة العربية. ولقد اعتبر الفادة التوفيقون هذا التصرف شموماً لم يسبوه أبداً.

لما في تونس، فقد رفض الشعب (الإصلاحات) وحكومة (كمك) في يوليو 1947، عميل السلطة الاستعمارية التي كانت تسعى، مثلاً فعله في الجزائر والمغرب، فرفض بعض الإصلاحات وتربية (العلاء) ضد إبطاء حركة التحرير، تحول إشراف (صفاة) إلى مظاهرة سبانية ضد الاستعمار، واتخذ الاستعمار هذه المناسبة مبررة لإطلاق النار على المتظاهرين، قتل وجرح المئات منهم. وكان الاستعمار يرى في كل مكان مالفوة والمناورات والاضطهاد ضد إبطاء استقلال الشعوب.

كان رد حركات التحرير القوي في تدعيم صلاوتها وتحسين تنظيمها وضبط كتاباتها، ولم يتم ذلك التطور دون تركيز - أخطاء أو حدود انحرافات. ومع ذلك، اتخذ نشاطها والترويج بعداً أكثر فعالية. ولما لاحظت الإمبريالية أن مواقعها ومصالحها مهددة في كل مكان لجأت إلى استعمال العنف منهزة ظروف الحرب العالمية، ذلك أن انقسام العالم إلى كتلتين متحيزتين أدى إلى اعتبار تحرير الشعوب المستعمرة مسألة ثانوية لا تسترعي الاهتمام. فوجعت القوى الاستعمارية فرصة للتخلص من العوزة، فخرعت بوسائل القمع، واتصبت على رأس "العالم الحر" محاولة الاحتفاظ بالوضعيات الاستعمارية على حالها، لم يكن العفسيكر الاشتراكي، نظراً لانشغاله بمشاكله الخاصة، يهتم كثيراً بحركات التحرير، وربما

انضم إلى المواقف الإمبريالية لأصياف تكنيكية. كما حدث ذلك في المسألة الفلسطينية. فلقد اعتزقت الدول الاشتراكية في معظمها بدولة إسرائيل، ورودت بعض منها الصهاينة بالأسلحة أثناء الحرب العربية - الإسرائيلية في 1948¹⁰⁹.

هذه الوضعية جعلت الكفاح شاقاً فلم تعد حركات التحرير تعتمد هي الواقع إلا على نفسها وعلى التضامن فيها بينها. كان عليها أن تقوم بعمل باطني بدهمه العمل الخارجي فتحطيم العزلة ولتحطي جدي عالمياً لمطالبها ولكفاحها ولقوسية أهدافها لنج عن هذه الانتماءات لتشكيل مجموعة عربية - الأسبالية التي سمعت إلى إبراز مصالح شعوب "العالم الثالث" على المستوى الدبلوماسي.

كان حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية في الجزائر يلتزم في ذلك الوقت ضد الحياء التلق بين الكتلتين وكانت شعوب المغرب تشاطر نفس مصير الشعوب العربية الأخرى وتشعر بأنها مرتبطة بها بفرد متينة وبأنها متضامنة معها في كفاح مشترك. لذلك تطلعت لها تأسيس الجامعة العربية بفرض كمين وأرسلت إلى مارغا في القاهرة ممثلين لتسجل كفاحها من أجل تحرير الوطن، وليس كما كتب بعض المؤلفين، لأن الثوريين المظفرة كانوا يعتقدون أن الجامعة العربية فاسدة على تحرير المغرب بل كانوا يهتفون إسكانياتياً وحدودها، ولكنها كانت المنظمة الوحيدة التي تهتم بمصيرهم وفرد وسائل العمل السياسي والدبلوماسي على المستوى العربي والعملي.

إن تأسيس الجماهير العربية المشرقة بمشاكل الجماهير المغربية كان عملاً لا يستهان به على مستوى الكفاح ضد الإمبريالية. وذلك ما فعلته الحركات المغربية الثلاث حزب الاستقلال والحزب الدستوري وحزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية (كان يرجه ممثلون من الاتجاهات الأخرى ولأسيما العلماء بالنسبة للجزائر). وقد اجتمع مندوبو هذه الحركات الثلاث في مؤتمر في القاهرة منذ يوليو 1945 - وحالب المؤثر باستقلال قول للمغرب الثلاث واتفراسها في الجامعة العربية. وكان عزام باشا، الكاتب العام للجامعة العربية يساعد ذلك المطالب وصرح في يناير 1946 بأن الجامعة ستطلب بإجلاء كامل لقوات الفرنسية عن المنطقة.

ثم وضع موقف الجامعة في يوليو 1946 قفلاً: "إن استقلال هذه البلدان (الجزائر، تونس، المغرب) هو تنظيم العنصري، ولكننا نرى أنه إذا أعادت فرنسا النظر في المعاملة وأعطت لأقليات والحدود الكافية للشعوب، فلن تكون الجامعة حينئذ أكثر شجاعة من المعتنقة بالأمريجنز بنا أن نضرب على أن هذا التصريح جاء بعد. انتماء حزب الاتحاد الديمقراطي للبين الجزائري في انتخابات 02 يونيو 1946 بخصوص يونايك جميع الجزائر في الاتحاد الفرنسي.

ثم أسس المغربي في يناير 1947 جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا، وهي قبوهر انحد مؤتمر المغرب العربي الذي كان يهدف إلى توحيد عمل الحركات الثلاث في البلدان العربية وإلى إنشاء مكتب المغرب العربي.

بعد وصول غلال الفاسي (مايو 1947) وعبد القادر موديز وعبد الكريم (كل من المقروض أن ينادي عبد الكريم إلى "حزب" "لايينيون" حيث كان تحت الإقامة الجبرية منذ نهاية حرب الريف سنة 1925 إلى فرنسا. ولكنه عاد إلى السقينة في "بور سعيد" وطلب اللجوء السياسي من مصر في نهاية مايو). أصبحت القاهرة المركز الرئيسي للنشاطات السياسية والديبلوماسية لحركات التحرير الثلاث. كانت شعوب المغرب على علم بهذه النشاطات وكانت تعيد ما اهتماما كبيرا لأنها كانت تشعر بالشعوب بالعدالة التي فرضها عليها الاستعمار. فإن الكفاح الذي كانت تقوم به ضد قوة هذا الأعداء كان يستحق إلى دعم ووعيهم ما كان يحتلده المصلحون في الجزائر (فرحات عباس والمغرب الشراعي) المنهين كانوا يهتفون هذا العمل أمضى حزب الشعب - حركة انتصاف الشعوب الديمقراطية في بداية 1948 "ميان عبد الكريم" (05 يناير) وشرك في تأسيس "جبهة تحرير المغرب العربي".

صحيح إن مساهمة الجامعة لم تكن دائما في مستوى أعمال بعض القادة المغاربة. فكانا نتوقع أن تكون أهم مما كانت عليه غير أنها كيفما كانت قد عززت حركة استقلال المغرب وهو البديل الوحيد للعشور الإمبريالي للاتحاد الفرنسي. وكان ضعف الجامعة العربية منعكسا لضعف الدول التي تتكون منها. لذلك كانت وسائل تدخلها محدودة بطبيعة الحال.

كانت الشعوب الموريتانية تعارض نفسها للوضعيات لأنها كانت قد شرعت عليها في الكفاح التحريري الطويل فكان ينبغي أن تواصله في التضامن والتمالون لمبادل حسب إمكانياتها، إن فعالية الكفاح داخل كل بلد متروكة أساساً عن قوة كل حركة تحريرية على نهج الجماهير وتوجيهها على الحركة الحاسمة. لذلك؛ فإن العمل الخارجي، في هذا المنظور، يكتسب أهمية كبيرة سواء على مستوى البلدان العربية-الإسلامية، أو البلدان الأخرى والمنظمات الديمقراطية. وهكذا بدأت ترتسم ملامح الدبلوماسية الجزائرية المستقلة.

الهوامش

(1) بالتوضيح الذي قدمه مكتب لصحافة البيان والحرية يوم 17 ماي 1945 ويمثل إيمانه كل من عزيز كسوس، أحمد بومقطي على بوقرو، كور صالطو وشيخ خير الدين، وهو جلاء عن استقلال هناك الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 108.

2) F. ABBAS, *Nuit coloniale*, op. cit., p. 160.

3) F. ABBAS, *Nuit coloniale*, op. cit., p. 104.

(4) عندما قيل هو شيء منه الاتفاق حول "الكتف الفرنسي" كتبت تحت تصرفه مرة عسكرية ثورية معتبرة، لم يكن الوضع سيال بلضجة تروحات عبث، كما أن التكتل لم يشرح وحده إلا بعد 30 سنة من الكفاح والتضحيات لا تدعى.

5) A. ARON, *Origines de la guerre d'Algérie*, (op. cit.), p. 251.

(6) كان بن جلول والحزب، الثيو بي من ضمن القوي التي شاركت في الحملة الانتخابية ومن أكثر المعارضين للمعروف.

7) Ch. R. AGERON, *Histoire de l'Algérie contemporaine*, op. cit., p. 15.

(8) خلاصة وأن قيادة حزب الشعب الجزائري قد أظهرت بعض التردد، بعض الإطارات في الحزب أدركت أن ذلك قد يضر هذه القيادة.

(9) هذا العمل غير مستل لأن الإثارة بعد قطع فوجشي الذي شفه، حاولت استمالي الحزب الشعبي الجزائري ومقتضي بين جلاء ضد أصحاب البيان والحرية (في انتخابات 1945). وبعد أن لفقت صفوفهم اتجهت إلى المستقلين لتكفيهم ضد حزب الشعب الجزائري، ثم هذا الأخير صدمهم حينما يهدف إلى الحركة الوطنية في مرحلة حلسة من وجودها.

(10) بعد أحداث ماي وما تبعها من حملة ضعية وحسنة، دعت الإدارة الفرنسية سياسة هتفت من خلالها إلى فتح بعض الحروف وكانت تسمية هذا ما جعل ممالي الحاج يضطرب بكل قواء من أجل احبك فقط الانتخابي وضع سارضة أغنية أعضاء القوية.

[1] *Mut coloniale, op. cit.*, p. 172.

[2] Cf. A. Ailloud, *Afrique du Nord op. cit.*, p. 272.

[13] نفس المرجع: الألف المكرس-273 لقد تمت مصادقة من الاتصالات بين قيادة الأركان لحزب الشعب الجزائري ولقيادة البيان والفرع الثوري الجزائري، خلال شهر يونيو ويونيو من أجل تكوين اتحاد وطني. بعد الاختلاف الذي نشب مع الحزب الثوري الجزائري، فاستل مساعي للحاج جهوده بتجديد فرحات جليل والعلماء، لكن دون جدوى.

[14] كان حزب الشعب عزيمة محبوا، فقرر إنشاء " حركة انتصار الحريات الديمقراطية" من أجل المشاركة في السلطة الانتقالية مع الحلفاء على التكليم الخاص بحزب الشعب الجزائري. هذا إلى مرحلة برزاسة الحزب في الوقت الذي تولى فيه لجوء حسين ماضي الأمين العام.

[15] Cf. R. AUMERON, *op. cit.*, p. 96.

[16] عد إلى سجل هذه الاتصالات في الكتاب الذي نشره حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، منشورات، طابعت الجزائر في خمسة نسخ الجزائري.

[17] *Chronique de la colonisation*, n°3, Janvier 1943, dirigée par M. M. in IV. 11: *Questions Coloniales*, *op. cit.*, p. 157-158.

[18] جريدات ثقافية أعيد تنظيمها من جديد في الأوقات، ومشروعة في مسكوك ليلي من البلديات.

[19] مثلما حدث في شكروطركية.

[20] قبل هذا التاريخ تمت المصادقة على وثيقة حركة وحدة المغرب (1943-1946) بين رضاء الحركات الثلاث لتعمل إفريقيا وهم بالمران وعلمهم عن المستشار الجديد ولهم من حزب الشعب الجزائري وممثل من حزب الاتحاد في وحدة.

القسم الثالث

**من المجد والأفول إلى العظرة النوعية
للحركة الوطنية الثورية**

الفصل العاشر

حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية في نقطة المجد - توجهاته: وهياكله: وأسس قوته

توسّع نفوذ حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية خلال سنة 1947؛ فأصبح لزاماً عليه توضيح استراتيجيته نظراً لارتباط أخطاياه الأنية بمستقبل الحزب نفسه. ومما كان يستدعي بدقة تكبير تلك العناوين التي قد يتعرض لها الحزب من جراء "تورطه" في السياسة الانتخابية والابتناء عن هدف المعركة الحسمة. فنظم حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية مؤتمراً سورياً في الجزائر (في حيّ بلكري) في شهر فيفري 1947 لدراسة هذه المسألة⁽¹⁾.

عرفت الحركة تطوراً ملحوظاً حتى في فوزها في الانتخابات، وتنظيمها المحكم، ومستوى تكوين مناضليها ويطولتها بالإضافة إلى التطورات التي جازت على المستوى الخارجي (السياسة الدولية) إن هذه العوامل مجتمعة؛ طرحت على القيادة في اللجنة المركزية والمكتب السياسي قضية هيكلة استوائية واضحة للحزب تلك الاستوائية التي قبلت على مستوى من طرف القاعدة الانشغالية للحزب ولقد مارست الإطارات التي أفردتها فترة العمل السري؛ ضغوطاً على الحزب كي يستعد للثورة. غير أن هذه التوجهات تار بعض الدلائل على مستوى القيادة حول الوسيلة الموصلة إلى الحل الناجح.

إن أحداث 1945، والصعاب التي تبعها؛ وإخفاق محاولة الانتفاضة الشعبية جعلت بعض القادة أكثر تحفظاً في مواقفهم من غيرهم لئلا كانوا يترقبون اندلاع الكفاح المسلح ولكنهم كانوا يميلون لفكرة الثورة السياسية وإزالة الشعب دون أن يحدوا بصورة دقيقة مفهومهم للعمل الثوري. ولعلّ مردّ ذلك إلى المزاج

الشخصي للعضو أو إلى الخوف من تحميل المسؤولية لدى البعض الآخر. فكان على المؤتمر أن الفصل في هذا النقاش، بخصوصية شتى الأطروحات وأخذ رأي القيادة بعين الاعتبار للتوصل إلى تحديد الاتجاه السياسي للحزب.

انضمت ملائح الانجاء السياسي المتطوع في صفوف اللجنة المركزية أثناء احتفاد المؤتمر. حين تناقش ممثلو الحزب حول السياسة الانتخابية التي اعتمدها القيادة، غير أن جل المناقشات دار حول المشاكل الوهمي الذي طرح على الحزب في هذه المرحلة من تطوره، أي قضية التحرر الوطني.

كان الموقف يقتضي ضبط الإستراتيجية الثورية وتعيين الوسائل للوصول إلى تحقيق الهدف، بكل دقة. فكانت المداخلات صريحة وصادقة تجاه القيادة، وشماه أعضاء الحزب على الخصوم⁴⁸. فالثقبة المزدومين الذين «شوروا المؤتمر كانوا يعتبرون التخليق الإلهامي للحزب وكانوا على اتصال دائم بالمشاور الشعبية، لقد عبروا عن رأيهم بحرية وصراحة، مستغلين ذواكم جريدهم للندائية، واستحكاكهم بالإفراط الشابة المنحوسة، فاذت مزوحاتهم وشمالهم الواضحة إلى تحول خطبي الحزب على المستوى الوطني.

بعد تحليل الوضع، أقر المؤتمر مبدأ المشوكة الانتدابية وتأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية بطلوية شروعية. كما أوصى بضرورة الإسراع في التحضير للثورة على جميع الأصعدة فبدأ بإنشاء جهاز تنظيمي ضابط قام على مواجهة الإمبريالية الفرنسية وإعداد مرحلة الهجوم الشامل من أجل تحرير الأمة الجزائرية.

وبمشيئة المؤتمر أدخلت تعديلات على القيادة وفوض المؤتمر لكل من "الأمين ديلانين" و"مصالي الحاج" مهمة تمثيله على تحقيق القرارات.

إن ترقية "الأمين ديلانين" إلى هذا المنصب لم يكن يعني سحب الثقة عن مصالي، فهو "زعيم الشعب الجزائري بدون منازع" ورمز المقاومة في نظر المناضلين والشعب، تصد به هيئة الشهداء والمعلماء.

كان محسالي يعيدها عن الحزب بسبب ظروف الاعتقال والإقامة الجبرية، فلم يكن في استطاعته تسخير الحزب. وكان هو ومحض القيادة يبدون وكأنهم تخطفوا من مواكبة التطور السريع انتهى بتهديد حزب الشعب.

أدرك كثير من الإطارات ما تقتضيه معهم الإدارة الثورية العنصرية لظك المرحلة التي كان الوطن يمر بها. وكثفوا يعتقدون أن منح السلطات الواسعة للمدكور الأمين دهاين ضمان مؤكدة لتجسيد قرارات المؤتمر (كان دوره كبيرا داخل الحزب بما عرف عنه من أفكار مشرفة). لكن التقديرات التي أدخلت على السلم الإنزلي للحزب أظهرت علامات الانشقاق المتش بنسب لفتة بين الالامة.

بالرغم من كل المحاطر يجاوز الحزب الأزمة ويواصل مشواره فائضا تنظيميا بمرها هو المنظمة السورية التي غير أن هذا القرار الذي وحس البعض بما لبث أن أظهر الجدل والظلل على مستوى الإدارة المركزية. أوكنت مهمة ذهبة هذه المنظمة السرية إلى "مهند بلوراد" وكان عمه 24 سنة وهو عضو في المكتب السياسي ومناضل ذو شهرة نافذة. كان نموذجا حيا لتجديد الثوري. تميز بتواضعه وبذكائه البذ وكفاءته العالية في التنظيم ووزر التخصصية في سبيل القضية الثورية. لم يكن معروفا لدى الجماهير العريضة، لكنه كان يحظى باحترام كبير من طرف المناضلين، لقد اعتم مالمست من الأعضاء لتجديدهم في هذه المنظمة قبل انعقاد المؤتمر. وبفضل مبادرته تشكلت المجموعات الأولى وحملت بعض الأسلحة.

طرح هذا المسؤول الأول للمنظمة السورية في تأسيس الجهاز فيه العسكري السوري وتنظيمه بطريقة محكمة فبدأ بتجنيد المناضلين القلائدين. وهكذا أسس أول هيئة خاصة أخذت على عاتقها تكوين الرجال في إطار تنظيمي ومهني ناجح وأكثر ملائمة لتحمل الثوري.

اكتفى هذا الجانب التنظيمي والمهني فهدية قصوى من إعمال الجانب العسكري. فالمنظمة السرية يحكم قواعدها التي أوكنت لها بوثقة لتكوين المناضلين القلائدين في وقت المناسب الاتصال إلى العمل الثوري. كانت

المنظمة الخاصة بـ "وأسس الحزب" - بالنسبة لكل القوى المتواجدة هي الحزب وكان لقبيل الأعضاء يتم وفق معايير صارمة: من بين أحسن المناضلين والإطارات في الحزب وبما يتفق مع متطلبات للنظام السياسي والعسكري بالإضافة إلى العميزات الفكرية ومستوى التفكير السياسي والتأهيل التقني.

بمثل مؤتمر 1947 متوجها حاسما في ترويج حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية والحركة الوطنية بشكل عام. فذلك ملامح بقراراته في توضيح التوجيهات وهي إخراج المسار الثوري. وفي نفس الوقت تقالعت التناقضات الداخلية على مستوى قيادة الحزب لكن هذه التناقضات بقيت مستترة. فحزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية كان في أوج قوته.

التحارب الثوري والنظمه الهيكلي ونشاطه.

في نهاية سنة 1947 كان القبول الثوري المشكل من بنية ثلاثية هي حركة انتصار الحريات الديمقراطية - التكتل السياسي - والممنعة الخاصة. قد اكتسح كل التجمعات السياسية الأخرى ونالوا الاحتضان من طرف الجماهير الشعبية؛ ذلك أصبح هو القوة الرئيسية والسبينة في الحركة الوطنية. ولقد اعتد نشاطه إلى مجالات عدة تشمل التحضير العسكري، والسياسي، والاجتماعي والثقافي؛ وهذا بواسطة المنظمات الفرعية مثل جمعية النساء الجزائريات (تأسست في أفريل 1947) واتحادها العمال المسلمين، و **الجمعية الإسلامية الجزائرية**؛ وجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين؛ ولجنة ميلادية شملها الفصح (أنشئت في أفريل 1946) وبالإضافة إلى ذلك كان للحزب جرائد بالثلاثين العربية والفرنسية (المغرب العربي .. الجزائر الحرة - و مجموعة من الثوريات) ولقد أثر نشاطه الثقافي والتربوي على عدد كبير من الجمعيات التي أسسها المناضلون؛ وهذا ما كان تحت مرافية هؤلاء مثل "المعركة" (المدارس العربية الحرة)، والجمعيات الرياضية والفوق للمسوخية. ومفضل هذه التفرعات على مستوى القاعدة تمكن المناضلون والانتصار من توسيع نشاطهم في الأوساط الجماهيرية.

إن تنوع الأنشطة على مستوى القاعدة وتخصصها يتم بالتنسيق مع المسؤولين
على مستوى قيادة المنظمة السورية التي كانت تشكل من اللجنة المركزية (من 30
إلى 40 عضواً) والمكتب السياسي (من 10 إلى 12 عضواً) وعلى رأسها المؤتمر
الذي كان يمدد قمة اليوم.

كان مهالي الحاج يظفر منصب الرئيس بينما كانت الأمانة العامة والمكتب
السياسي يتوليان الرئاسة بالنيابة في الفترات الفاصلة بين اجتماعات اللجنة
المركزية وانعقاد المؤتمر. كان التنظيم العام يتمثل بين ثلاث بنات متميزة
وهي التنظيم السياسي (أي حزب الشعب نحو السوري) وحركة اتصال الحريث
للمعاصرة وهو يتمتع بالنوعية والمتانة الخاصة السورية. وكان التنظيم
السياسي هو الهيكل المركزي لتلك البنية الثلاثية

في هذا التنظيم تلى المناشور تكتيقيهم وبنوا لديهم الشعور الثوري. فكان
هذا التنظيم مبلو عن مركز إيسورلوجي ومنظمة كفاءات ثلاث تربية المتطوعين فيها
لنكون منهم رجالاً مستعدين لكل أشكال التضحية التي يقتضيها تحرير البلاد.
كانت تصبو إلى تكوين نوع خاص من المناشور ذوي الساعة الثورية الراسخة،
الصابدين أمام القمع والقذرين على مراسلة العمل الحسيبي والتنظيمي في
وسط الجماهير مهما كانت العوائق. كان على هذا النوع من المناشور أن يبرهن
على الصرامة في تجسيد القيادى داخل الهيئات التي هو عضو فيها مع إظهار
العروة الكافية للانتماء والتكيف في الوسط الذي ينشط فيه. فالتفاني،
والرصانة، والعمل الداجع، هي كلها صفات المتفصل الثوري.

ينبغي أن يكون العناصر قوية في علاقاته مع السكان كي يسهل العمل
السياسي وينشئ تعليمات الحزبه كانت الجماهير الشعبية متحلية بوظائفها
المعجزة التي توارثتها عبر الأجيال فلم تكن تتوانى عن إهداء رأبها في الأحزاب
وتصرفات أعضائها.

إن الثبات على مبدأ الدفع عن مصطلح الشعب، والتصرفات العقابية، والعلاقات
المهنية على ثقافة كل هذا خلق اتحاداً وثيقاً بين التنظيم والشعب.

إن جهود التكوين المتواصلة، وتوجيه مئات المناضلين في تلك الظروف
الصعبة أعطت للتنظيم السياسي قوة الحركة، والمقدرة على التنظيم والتجذب في
الأوساط الشعبية التي كانت تتميز بهلوة كبيرة. لكن مهما تكن الأكل صحيحة
والمطالب عادلة فإنها في مواجهة الاستعمار القوي، غير كافية لتلويح النصر. لهذا
كان يجب إعداد منظمة تكون في مستوى الثغرات، مكونة من رجال مثليين بمبادئ
الحزب والقادرين على تطبيقها مهما كانت المساب التي تواجههم.

دور الإطارات ومهامها.

إن تأسيس منظمة من هذا النوع، في ظروف الكفاح ذلك، لن يكتب لها النجاح
بدون إطارات نشيطة على جميع المستويات، والواقع أن التمرد الثوري لدى
المناضلين والجماعيين لا يمكن أن يتطور بشكل تلقائي (لا من خلال التصادفات
المنظمة بصورة مستمرة. ذلك أنه كان يوسع الجهد الشعبي للاستعمار إضفاء أية
محاولة من هذا النوع لهذا كان لزاماً إنشاء نظام مركزي، من يستجيب لمبادرات
الجماعيين دون الوقوع في الفوضى.

ولا ينسرد دور الإطار على إبلاغ توجهات القمة إلى القاعدة وتبليغ طموحات
هذه إلى القيادة. بل إن دوره هو تنمية القسوة النضالية، والتنظيم والمسير على
تطبيق سياسة الحزب فهو في أعين المناضلين ممثل للحزب.

لهذه الأسباب كان اختيار الإطار قضية مهمة لأن نوعية العمل مرهونة بطيعة
الشخصية خصائص الفردية، والحاصل أن قوة التنظيم كانت ذات علاقة تسيية بعدد
المناضلين وقوة الإطارات على الانضباط مهمة لإشعاع الأكل والنجاعة في
العمل.

لم تكن المقاييس المركزية تلك وسيلة ضغط على الإطارات والمناضلين سوى
إيمانهم بالفضيلة والتزامهم الذي كان يدفعهم إلى خدمة المثل الأعلى المتمثل في

التحيز والتخالف من أجله. كانت معتقدات الاعتدال والاحتواء المتبادل أساس العلاقات على جميع المستويات ويقضتها مبدأ الانضباط النوعي الضروري لممارسة النشاط المنظم.

وليس التخليع الدوكزي والانضباط للصارم مقيض للروح الديمقراطية. فالمناضل لا هو متعصب ولا يستن إلى كما يقدر كان المناضل يتمتع بحق التعبير عن مواقفه وكان ينطى برأيه عند الضرورة. ولم تكن هذه الحالات نادرة حيث أن بعض المناضلين تعرضوا أثناء حولاتهم عبر الوطن إلى مسائلة دقيقة من طرف المناضلين، ولا حاجة إلى القول إن هذه المسائلة لم تقتصر مشاعر المناضلين بل كانوا يشجعون الناس على حرية التعبير والتصرف البهيلة فبدون هذه السمات لا يمكن تنمية روح المسؤولية.

عندما يتصوّت الإطّار بهذا الشكل فإن ذلك يوقع شائكة في ظهر المناضلين فيعتبرونه "المحرك الوثيمي" للحزب ويتضامنون معه بكل طاقاتهم وبكل أمانة. أن تكون إطّارا أو مناضلا في هذا الحزب فتلك مهمة خطيرة وليست سهلة مأجورة.

إن شروط الكفاح وما تتطلبه من متاعب وتضحيات ومخاطر دائمة فرضت على الممثلين بذل غاية قصوى في انتقاء المناضلين غير أن هذا الاستقاء لم يكن يجري على أساس فطوري بل كان يصير إلى تكرين ظاهرة مناضلة. أعضاء الحزب انحدارون.

ينبغي الإشارة إلى وجود بعض التضعف ضمن فئة الإطّارات الدائمين وإن كان عددهم قليلا⁽¹⁾ هؤلاء خصصوا كل نشاطهم للمنظمة؛ لقد كرسوا جهودهم لخدمة الحزب وشكلوه شئ غريب الحياة من أفراح وحزان. وكان ثوابهم الوحيد هو نجاح قضية الشعب الذي هم في خضمه إنهم مجموعة من "المنسقين" الذين كانوا مطلوبين من طرف الشرطة، فاضطروا إلى فتحني عن أنظار الرشاة والعمل بأسماء مستعارة.

أصبح الأعضاء الدائمون بفضل احتكاكهم بالواقع المعيش للمناضلين والشعب، وبفضل تنقلهم المستمر أصبحوا تقنيين محترفين في شؤون تنظيم الكفاح الثوري. لقد ساهموا في تحسين مستوى التجنيد والقتال في لوجية سياسة الحزب بفضل معارفهم وخبرتهم كمناضلين.

حزب الشعب الجزائري: تشكيلاته واستراتيجيته.

يمكن تعريف حزب الشعب الجزائري بأنه منظمة هيكلية تطمح قبل كل شيء إلى تكوين قوة فاعلة على إحباط عمليات الردع الاستعماري ومواصلة الكفاح من أجل الاستقلال مهما كانت الظروف.

من الناحية النظرية كان هذا الهدف محفوفاً كافيًا لصح كل المناضلين على الظروف في الحزب لكن قسبيلا والوسائل والطريقة التي اختارها هذا الحزب كانت صعبة وصارعة، فلهذا في على المناضلين المنحرف أن يكون منعزلاً دوماً وعزلوا إلى أقصى الحدود. ولهذا كانت أغلبية المنخرطين في الحزب من فئة الجماهير الشعبية أي من العمال والطلّاب والجنود المسجونين والموظفين والعاملين من العمل وأتية من الطبقة المتوسطة. كما وجد كذلك بعض الأعيان المناضلين على مستوى المنظمة الشيوعية المتمثلة في حركة انفسال الثغريات الديمقراطية على الخصوص وفي منظماتها الفرعية.

كانت الأغلبية من الأعيان والمتقنين (باللغة العربية أو الفرنسية) تنسب إلى الحزب بسبب نوعية تكوينها. وكانت فئة الشباب أكثر توافقاً مع الظروف التي يستوجبها الفضال.

كان حزب الشعب الجزائري كان حزماً ثورياً من حيث أهدافه وتركيبته المبررة ووسائل كذاحه! لكنه لم يكن على شاكلة الأحزاب العاركية التقليدية بل إن مبادئه ومبادئه مستوحاة من غاية إنسانية هي التحرير الوطني وأيمن من مبدأ صراع الطبقات بالمعنى المتعارف عليه في القول المتفلسفة. إن الظروف التي نهضت عن طول فترة السيطرة الاستعمارية وصعوبة تطوير المهتم الجزائري، وكذا

ظهور حاته العميقة؛ استوجبت تصور كفاف من شوع خاص، فكان لابد من نقل جهود
مادية من أجل هيكله كافة فذات الشعب وتجنيد كل موارد الكفاية، كشرط أساسي
للخروج الوطني.

كان من الصمم - في سبيل انصاف (داخليا وخارجيا) - ان لم نقل من
المستحيل وضع حد للسيطرة والاضلال الأجنبي بتبني استراتيجية صراع
الطبقات، إن هيتنام هو المستعمرة الوحيدة التي حاولت تبني للعولم الماركسي
كوسيلة للضمير الوطني وذلك بفضل حزب "قوات منه" ولزعيم "هوشي
منه". فالنجاح إذن كان مرفوذا بوجود رجال يتمتعون بصفات "هوشي منه" ويتوفر
فك الخلوقة الخاصة التي تولدت لهيتنام على المستوى الجيو-سياسي
والتاريخي، ودون محاولة للتفكير من شأن الكفاح القبطومي للشعب الفيتنامي، يذبح
الاغتراف بأن الثمن الذي دفعه كل هيتنامي، وإن المعاناة والتضحيات وعدد القتلى لم
يسفر عن تحطية كل المشاكل المتخمة تحت التوت.

لما فشلت الحزاري فكانت العمولة المباشرة للإمبريالية والاستعمار،
ولذلك أخذوا طريقا آخر هو الطريق الذي تسمح به أقصى إمكانياته لتطهير
الاستقلال الوطني، وهذا لا يعني أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية كانت مهيأة
في برنامج الحركة الثورية. لقد كان مطلب الاستقلال الوطني سياسيا، مرحلة
ووسيلة للانتقال إلى أحداث ثورات في بقية قمعانيين لطيفة طموحات الجماهير
الشعبية.

ومن جهة أخرى فإن "قبايع الكفاح" بعد الصراع الثوري أمثال الحزب الشيوعي
الفرنسي والحزب الشيوعي لجزائري كانوا قد دخلوا من المطلب الاستقلالي،
الذي كان في دنياهم مجرد "فخ يذعم قواعدا الإمبريالية في إفريقيا الشمالية"
وقضوا الاتحاد الفرنسي (مع السيفسة الاقتصادية) التي "متحد لشعوب ما وراء
البحر" إمكانية السعي من أجل الحرية والديمقراطية على حد قول (Leon feix).

غير أن حزب الشعب الجزائري والشعب الجزائري كانوا متمسكين بفكرة الاستقلال ويعتبرون الاتحاد الفرنسي خدعة وتعبيداً عسكرياً متفقاً لمفهوم قديم هو الاستعمار. وكفوا برون فيه وسيلة لتوطيد قواعد الإمبريالية الفرنسية. ويمكن التحقق من صحة ذلك الطرح يوماً بما تلاه ما تقتضيه السياسة الكولونيالية.

حاول حزب الشعب الجزائري أن يأخذ بعين الاعتبار وحشية الإبادة وخاصة الاستعمار من تلحية والقوى الموجودة على الساحة من ناحية أخرى، فابتدأ منظمة متميزة وفق استراتيجية مبرومة تتجلى للهدف المحدد، ألا وهو الاستقلال؛ فقام الحزب بتجديد الجبهتين الشعبية والتنظيمية لكي تتصدى للنظام الاستعماري التكنولوجي، وفي نفس الوقت نفس وعي الفئات الشعبية بالمحتوى الاجتماعي لمفهوم النضال والوعي الذاتي وحسرها بالتالي للمشاركة في الكفاح.

وعندما بلغت الجماهير الشعبية هذا المستوى من الوعي، أخذت على عاتقها مهمة الدفاع بنفسها عن حقوقها في جميع الميادين. وبدلاً من ضرب بعض الميادين الاجتماعية والاقتصادية وكثافتها، كما نرى في الإصلاحيون (العلماء، الحزب الشيوعي الجزائري، الإنسان الديمقراطي للجزائري) أخذت الجماهير الشعبية تناهض ضد النظام الاستعماري ذاته⁷⁷ في الجزائر وعبر العالم كافة.

كانت هذه السياسة التي اتبناها حزب الشعب الجزائري تدعي إلى استقطاب الأفكار والطوائف حول هدف الاستقلال. وهذا لا يعني أنه يجب البدء الاجتماعي من انشغالات الجماهير والمثاليين بل في التأكيد على هدف الاستقلال كان وهذه كفيلاً بإعادة الدائر جذرياً في طبيعة النظام الاستعماري ومراجعة أسلوب تجنيد الجماهير الشعبية. هذا التصور مكّن الحزب من استقطاب الجماهير حول البرنامج الكفاحي؛ فضمن بذلك تجتو الحركة في الواقع المعاش. إن تشبّه الجماهير بفكرة التحرير الوطني ورفضها قتل النظام الاستعماري خلق ظروفها خاصة كانت جذرية بالقبول⁷⁸ من طرف الحزب فكانت شعاراته ملتبسة بالجماهير ولم تكن مجرد عبارات جوفاء.

كانت الإشعارات "مستوحاة من واقع الجماهير" فلم تصطبغ بأية عوائق قد تصدّ من انتشارها لسبب بسيط هو أن الأغلبية الساحقة من المناضلين يتحدرون من الأوساط الشعبية وكانوا يتكلمون بنفس اللغيم والعميلانيّ. إنّ النطاق بالشخصية القومية الإسلامية للرّسّان ليس من قبيل الأفكار "الديماغوجية" ولا ضرباً من "المرايدات السياسية". بل كان تعبيراً فمقائياً وعادياً عن مشاعر الشعب والمناضلين، وبذلك بالغوا من كلّ محاولات كتمّس بهذه الشخصية من طرف الاستعمار والاستنقاص من قيمها الحضارية، خاصة وأن الإيديولوجيات كانت تستند على ما يدعى المذهب "العلمي" وعلى حقيقة أنّ قيم الحضارة الغربية لا تفهم وزناً للمفوحات الوطنية لدى الشعب الجزائري.

كان أنصار هذا المذهب العلمي يعزّون إلى إلقاء الجوّال في إطار استعماري محض ولم يأنّوا من التواتر شيئاً ما عدا استحداث بعض المصطلحات أو تعديل بعض الأسماء (مثل الاندماج، أو الاتحاد الفرنسي الخ...) من جهة أخرى كان المناضلون في صفوف حزب الشعب الجزائري متمسكين بشخصيتهم وأرضاء للقيم الشعبية ومستعفين للقمعية من أجل التمسّ الأعلى ولم يكونوا متعصبين "مد فرنسا" ولا متزمتين على حدّ الأقوال الشائعة عند السياسيين والكتاب الاستعماريين. بل كان المناضلون أنفسهم شحّة النظريات السياسية لقمعية وما تزرعه من مشاعر الكراهية بل كانوا يعتبرون أنفسهم سواسية مع غيرهم، دون أن تزيع أبصرتهم إيديولوجية خرة الأعداء. فلك هو موقف المناضلين الواهين بأنهم يبدّون عن مجتمع بأكمله يقف في مواجهة قوة غاشية أجنبية، فحاولوا تجسيد تلك العقيدة بتنظيم صفوفهم كمساحة متحرّرة من قبضة هذه القوة^(٩) الإيديولوجية والسياسية. لذلك أصبحت سيروية التحرّر الوطني مرتبطة بكرة هذه الجماعة وانتشالها في صفوف الشعب.

لقد فرض تطور هذه القيروية نفسه على التواتر للقمعية، فبعد أن حاولت إضماره ولم تفلح سمعت إلى كبح جملة أو تحويله عن وجهته

كان الاستعمار يرمي من خلال التمتع المتواصل إلى مخالطة صفوف القوى المناضلة ومنعها من الوصول إلى مستوى الفعل "إجرائي". ولهذا كان موضوع هيكل الحركة أمراً أساسياً وحيوياً في نظر القماضلين. ولقد ماضل حزب الشعب في هذا المهبان واكتسب تجارب كثيرة منها للسلو ومنها العجز، مكنته من بلوغ مستوى عال من التنظيم ساعده على إشتغال كل مواقي الإدولة الامتعمارية.

تعددت أشكال هذا التنظيم: عبر ترويج حزب للشعب الجزائري: تبعاً للظروف التي مرت به قبل أن يتوصل في سنة 1947 - 1948 إلى مخطط ناجح منسجم مع طبيعة ونوع النشاط المأمول. لقد قسم الثوار الوطني إلى 6 ولايات، انذار في الشمال القسطنطيني، عمارق بطننة ومطيف وثلث في الوسط في مناطق الجزائر ومطيلة في الشمال الكبرى والمطلة المستقلة في العاصمة وجوهر، وواحدة في الغرب في منطقة وهران بكاملها.

التنظيم الهيكلي عبر الثوار الوطني

كانت كل ولاية حلسنة إلى دوائر تتسم بصفة قساعات وتختلف كل قسمة من أجزاء. يضم كل منها عدة مجموعات وكل مجموعة لا يتجاوز عدد أعضائها 5 أو 6 مناضلين. تتكون لجنة الجزء من مجموع رؤساء المجموعات ويمكن دوايك في السلم التصاعدي: إلى لجنة الولاية. وكان الأعضاء في كل دوائر هيكلية للتنظيمية يعارضون مسؤوليات تنفيذية حقيقية بالإضافة إلى ما يستند لكل منهم من مهام خاصة (كسمة التنظيم أو المالية أو الاستعلامات أو الدعاية الخ...).

كان على رأس هذه المناطق مسئولون ناشرون بشكل هام، وهي الدوائر ذات الكثافة السكانية العالية يعين مسئول مساعد عندها تجميع الموارد البشرية بذلك، كان هذا المخطط يطبق تبعاً للخصوصيات المحلية المختلفة. يعتمد رؤساء الولايات بصفة دورية (كل شهرين أو ثلاثة) في إطار لجنة التنظيم لتقديم عروض عن نشاطات الولاية وكيفية سيرها وللصحوبات الممترضة ودفع الاشتراكات. يضم هذه الاجتماعات عضو من المكتب السياسي كوسيط بين

الإدارة والجنة التنظيم يملئها ما يستجد من تعليمات وكان معظم أعضاء لجنة التنظيم أعضاء في اللجنة المركزية للحزب (غير معروفين لدى الشرطة ويتنقلون بأسماء مستعارة) وفي ذلك نسجيل لاجتماعات للتنسيق التي كانت تنعقد في أماكن مخصصة (مساكن بعض المناضلين أو المتحاطفين مع الحزب) لم يكن التنظيم السلمي التصاعدي القصارم عاكساً لإجراء المناقشات على قدم المساواة بين المبعاضلين والقيادة فكان ذلك سبباً هاماً في تنوع روح الديمقراطية ساعدت المناضلين على تحمل مسئولياتهم الثقيلة بكل مرة وفخر.

تتميزت ظروف التنظيم السياسي عبر الوقت من نسبة إلى عقلية ومن الأعمال إلى الجنوب وصارت إملالها لجوبه في كل المناطق الترجية الحياة السياسية الوطنية. وفالت عملياتها الديمقراطية نشاطات بنية التشكيلات السوادية فسلوات تمثل المساواة الجائكة الوحيدة والفعالة في وجه السياسة الاستعمارية وهكذا انصهر آلاف المناضلين والإطارات في بوتقة انتمثال السياسي اليومي في انتظار العمل المسلح المرتقب كما تدعى هذا العمل الذي من أعناق الشعب بنشاط أطر كان يتم بصورة شرعية باسم حركة انتمثال الحريات الديمقراطية سواء في صورة فاجتماعات وتجمعات انتمالية أو بواسطة الصحافة (الجزائر الحرة المطرب العربي: الخ.) وكذا في المؤسسات البلدية.

كانت حركة انتمثال الحريات الديمقراطية تشيكة شرعية متميزة عن التنظيم السياسي (السري) فكانت للحزب هيكة وأدوة وعقيدة ورئيس ولم يكن يلتسب إلى حركة انتمثال الحريات الديمقراطية إلا المناضلون "المعروفون" المعروفون لدى مصالح الشرطة. ولكن حيز النشاط الضيق المسموح به قادونا كان يتيح للمسؤولين إمكانية التعاون مع التنظيم السياسي (السري المسموح) وذلك بالتحرك تحت غطاء التجمعة

بعد الانتخابات البلدية سنة 1947 زادت نفعية حركة انتمثال الحريات الديمقراطية بفضل عدد مفتطيه ومناطقية من نشاط تمسيلي وعن توجيهات. غير أن

بعض الأوساط الثورية كانت متخوفة من جنوح الحزب إلى ميول انتخابية وظهور نهضة جديدة الاتجاه الإصلاحية. ولكن قواوات المونومو أبعدت التخوفات والشكوك بفضل دوكيزها على التوجه الثوري وجعلتها حركة لتتصل الحريات الديمقراطية وسيلة دعم ضرورية في تلك المرحلة الحاسمة من مراحل الكفاح. قصارت عند الحركة بمثابة سائر في الرجعة يخفي وراءه هيكل التنظيم السياسي السري الذي كان يهذي ويحضن المنظمة الخاصة التي قرّر المونومو تأسيسها.

المنظمة الخاصة: راس الحربة في العصار للثوري.

باعتبار إنشاء المنظمة الخاصة بفعولها حاسما في مسار انتصار الثوري والحركة الوطنية عموما، فهي تجسد الكتلوى النوعي من الناحية النظرية وتبلور جهة النهج الثوري من الناحية العملية.

كان نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري جده: يجسدان خلال المرحلة السابقة لسنة 1934 القبول الثوري بفضل الأمجاد التي تبتليها وبفضل موافقهما السياسية.

وتعززت المرحلة الموائية بمواصلة الجهود التأسيسية وتوسيع نشاط ذلك التبار في صفوف المناضلين والتجماهير الشعبية. حتى أنطلق مفهوم العمل المباشر من الروح الثورية الجبلية في نفوس المناضلين والجمعيات.

كانت الأفاق التي رسمها حزب الشعب الجزائري تسمو إلى قيام الثورة اعتمادا على القوى السياسية الملقاة جده في حزب الشعب الجزائري المبروق. غير أن هذه القوى كانت تدورها في أليات العمل الثوري الشكلى.

إن أحداث ماي وما نتج عنها من فزع وانضطار في صفوف لصقطاء البيان والحرية أكدت أن الإيمان بجماعة هبة الفتح كان خطئا وبقاء على ذلك توصل الحزب إلى استنتاجات عميقة مكنته من وضع استراتيجية ثورية أكثر تقدما للاستفادة من مختلف القوى التي تعيشت في إطار تجمع أصدقاء البيان والحرية. فكان بذلك جديلا عنها.

أظهرت التجارب الأخيرة ضرورة وجود قوة مفتوحة ومخصصة في العمل الثوري لمواجهة القوة الاستعمارية. ولهذا يعد إنشاء المنظمة الخاصة استجابة لذلك الاعتماد. وكانت مهمتها الأساسية هي الاعتناء بتنفيذ الثورة المسلحة وتكوين الإشارات المتخصصة لتكون بمثابة هيئة استخبارات تم التحول في الوقت المناسب إلى منظمة انطلاق الثورة ثم توجيه جموع المناضلي للحزب والثوار مستغلباً.

كانت المنظمة الخاصة إنداء مبلور عن هيكل ذي تنظيم مثالي صارم قائم على مبدأ العمل السري. وكان على رأس الهرم قيادة لوكاز، وطنية مسؤولة.

كانت القيادة الوطنية لتصل برئاسة الحزب بواسطة رئيس الأركان الوطني الذي كان بدوره على اتصال ببعض المكتب السياسي للمعتمدين بهذه المهمة بالذات.

كان أعضاء اللجنة الخاصة مطالبين بالامتناع عن أي نشاط سياسي خارج منظمهم وعن أي اتصال بالهيئات الأخرى للحزب (ماعدا الهيئة الرئاسية). وكانوا بذلك العمل السري حريصين على إنشاء تنظيم الحزب ونشاطه بعيداً عن الأنظار.

كان تطوع العنصر (داخل حزب الشعب الثوري) بوضع لشروط صارمة ولم يكن العضو المرشح يأمر في للمنظمة الخاصة إلا بعد اجتياز عدد من الاختبارات بنجاح، ثم يؤدي بعد ذلك اليمين ويقسم على التصديق بأنه يلتزم بقواعد القومية الوطنية والمنظمة بكل قوة وروح لها حياتها، فيصير بذلك في وصفيّة التأهب المستمر^(١٥).

يطلق المناضلون المميزون في المنظمة الخاصة تدريباً عسكرياً في شكل دروس نظرية تطبيقية ودية دم القوي، وتحصول على رتبة. وكان للجزء الثاني من التدريب: وهو الأهمية علاقة بحروب العصيانات.

لقد تم إعداد كثير من مستلهم من التجارب العالمية الحديثة ومكيف مع أوضاع البلاد. فكان مرجعاً لتنظيم مبادئ حروب العصيانات تخبط هيئة الأركان برنامج التدريب بشقيه النظري والتطبيقي حسب تصحيحه الأوضاع. يتضمن التدريب فنون استعمال السلاح، رصانة العتكرات واستعمال الرغمو السلبي والاسلحي.

أولى المدرّسين عملية خاصة بهذه المهامات وكانت التريصات الميدانية تجوي في الجهل بفرض مستطرح للعنلق قني منجري فيها معارك التحريز مستغلا.

كان التتريب التقني معما بدروس في قنوية الأخلاقية والعندية والسلمية بغرض تنمية الروح القتالية. ولقد ساعد التكتيب القني ثم إعداد لهذا الغرض في توحيد أساليب ونوع التكرين المستهدف من المنظمة العامة.

وضعت نشاطات هذا التنظيم تحت القواءية الصارمة ضعافا للتلقي بالتعليمات وانعقاد الاجتماعات. وكانت عملية التكرين والتعلم والقواءية سحل تقفش من طرف قيادة الأركان.

وكانت العمليات الخارجية ترتكز على جمع المعلومات لتحقيق الأهداف الإستراتيجية مثل الحصول على الأسلحة والمتفجرات والوسائل الأخرى الضرورية لمثل هذه العمليات ومن الأنشطة التي ركزت عليها المنظمة الخاصة - ضمانا لسلامتها - اكتشاف الأعداء الضالعين مع مطابرات الشرطة الاستعمارية. وكانت المنظمة الخاصة تشتمل على مصلحة عامة منفرعة إلى عدة أقسام هي:

(1) شبكة اتصالات وهي تشكلت من الةنية المتضبة المكونة من المناهلين الصاهين الأرمياء للقضية القين يطورون على ملاجئ لاستضافة العناصر التي تبعت منهم الشرطة. ويطلق رئيس شبكة المصاعدين للتعليمات من طرف المسؤول قوطني للمنظمة الخاصة ويقدم له تقارير عن أنشطة الشبكة. وكانت الشركة التجارية STRICK ها (شركة الأسثيرات، والتشثيل والاستغلال التجوي لكاشنة في الجزائر بعناية تغطية نستولي للشبكة.

(2) قسم الاستعلامات: مهمته تكرين العناصر المكلفة بأجهزة الرابو وكان منظمًا على شكل وحدات وأفران بدويب على وحسلك الاتصال وكانت منه للرحنات تضم بعض الأشخاص في جهز قرايمو وتقوم بقتلهم القني. وصناعة العناد وصيانتة⁽¹⁾.

3) قسم المتخصصين في المتفجرات: كانت عناصره تتدرب على استعمال أنواع المتفجرات في عمليات التخريب. ولقد توجه المتخصصون إلى تصميم وصناعة نوع من القنابل اليدوية باستقلال يفضي المواد المسترجعة مثل الخشب السبابة وغيره. أصبح هنا الترخ من الأسلحة يصنع محلياً بمجرد أن تعرف على تقنية الصنع والتركيب؛ عامل سبابة بسيط معروف على المستوى الوطني هو المسؤول مفران أعوام، محمد من Orleansville (التياب حاليًا).

كان التنظيم الإقليمي للمنظمة الخاصة يتوزع إلى مناطق ونواحي ولوية والقصام، ومجموعات وجماعات والنواحي هي مرحلة أولى كانت الجزائر مخصصة إلى نواحي هي:

منطقة الجزائر وتكون من القنابل والجزائر جنوباً (هنا بعد تسمية لولاية الرابدة) وكانت مملوكة وهران فتكون منطقة واحدة ونفس الشيء بالنسبة للشمالي القسطنطيني وهما بعد أعيد تنظيم الإقليم إلى مقاطعات ومناطق ونواحي وأقسام، كانت كل مقاطعة تحت إشراف رئيس وقبيلة أو كان تتألف من رؤساء القبائل، وبعد نفس التخطيط على مستوى هذه المناطق فالنواحي كان يضم أفراداً على مستوى البلدة ورئيساً.

كل مجموعة تلك أسلحتها التي تتدرب عليها في بدقية - مسنن - رشاشي - قذبة يدوية (ويشوب عن كل مسؤول مملوكة).

فاق عدد القوات الإجمالي في المنظمة الخاصة 2000 عضو¹⁸¹ هذا العدد يبدو ضئيلاً بالمقارنة مع القوات الاستعمارية ولكن هذه المنظمة ضحية العسكرية كانت تعتبر في هذه المرحلة نواة فعالية سوف تحفظ مستقبلها هذا أكبر من الأعضاء. أما لفظة القذبة التي يعبري فتوكيز عليها فهي أن المنظمة الخاصة كانت مجرد آلة في يد الحزب وأما مستقبلية تقدير الوقت المناسب للتفجير الثورة المسلحة وتسييرها فمن اختصاص القيادة السياسية.

لم يكن في وسع قائد الأركان العامة الخطأ أية مبادأة في هذا الميدان دون استطلاع رأي الحزب. لأن العمليات العسكرية المحتملة لوقوع كانت من صلاحيات السلطات العليا وحدها. وكلّ قولها متوقفاً في نهاية الأمر على مدى وضوح رؤيتها وتقدمها للوضعية. وعلى درجة اقتناعها ومدى ثقتها على اتخاذ انفراد.

كانت المنظمة الخاصة (إن تمثال جزءاً من كلام مع المركب البشري الذي يتمثل في حزب الشعب الجزائري - حركة لتتصل الحريات الديمقراطية ومنظماتها المسلحة. وكانت المنظمة الخاصة تشكل طليعة القوى البلطمية بهذا المسار والنشاط المعتمد الأوجه. ويمكن تقدير عدد القوى التضامنية بحوالي 30.000 عضو¹⁴) (ما بين منخرط ومقاطعة) على أهمية الاستعداد للتفاج في سبيل الاستقلال. ولو أن هذا العدد يبدو قليلاً مقارنة بعدد السكان الإجمالي، إلا أنه كان بمثابة العناصر الناجية والنامو بسرعة على تلبية الجماهير التي تخلصه أنكره.

في هذه المرحلة أصبحت الحركة الوطنية الثورية مجسدة في حزب الشعب الجزائري - حركة لتتصل الحريات الديمقراطية والمنظمة الخاصة على حد قول مبرورها. ولقد بدأت هذه الحركة، عشرة انتخابات للجمعية الجزائرية في 1948 مستوى سياسياً وتنظيماً لا يمكن مقارنته مع ما كانت عليه الحركة في 1945.

أما الأحزاب الإصلاحية فقد تجاوزتها الأحداث وأصبحت في مرحلة الركع. وكذلك الشبكات المؤسسة للنظام الاستعماري الذي خلّ أنه نجح في كسر الحركة الوطنية بواسطة المناورات والتعميق لقد وجد نفسه مرة أخرى وجهاً لوجه أمام منظمة أكثر قوة وتنظيماً مما كانت عليه سنة 1945 وأكثر التزاماً بالذمخ الثوري.

كان هذا النظام الاستعماري وأعباءه نسله انتخابات الجمعية الجزائرية من رغان. فلو يتم تنظيم حملة انتخابية في جردة بورد للجمعية ولو نسبياً لمعنى حزب الشعب الجزائري - حركة لتتصل الحريات الديمقراطية تسلياً عظيماً. لكن طبيعة السياسة الاستعمارية فادحة إن تكن لتسمح لهذه الحركة أن تدير قوة بصورة لا رجعة عنها. فهذا الأمر إن كان يقتضي أهمية واضحة بالنسبة لكل الأطراف.

لقد وفّرت الحركة الوطنية نفسها إذن إمكانيات تنفيذ سياساتها المتعلقة بالتحريض الوطني وتلك بواسطة حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية؛ تلك للتخفيضات السياسية الهيكلية وللمتجذرة في أعماق الشعب والعاملة وفق مقتضيات الإجراءات الديمقراطية؛ وكلفت المنظمة الخاصة بمثالية وليس الحرية للثورة المسلحة. لكن حتى الوقت الذي بلغت فيه الحركة كوطنية نقطة الأوج؛ بدأت نذر المخاطر تلوح بين جماعة حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية؛ وسرعان ما انحلت إلى تناقضات خطيرة

النهوض

(1) استند هذا المؤتمر يوم 15-12-1947 في مجتمع صغير للثيوريك بشكله أحد المتاضيين. لا يبقى الخط بين هذا المؤتمر والمؤتمر الخاص بحركة اتصال الحريات الديمقراطية الذي عقد يوم 6 سبتمبر 1947.

(2) لقد شاركه المؤلف كعضو اللجنة المركزية للحزب وكسوقه عن معظم المنطقة المستطية.

(3) أظهرت أحداث ماي 1945 ضرورة الاهتمام بالنسبة من ناحية تقنية لتكاثف المبلغ.

(4) كان الاعتناء الماترين مالموجون، بشكل كبير بالحزب. بعد تجاوز عدهم في بعض الفترات الماتة (100).

(5) في هذه المرحلة من التكاثف، كان دور الحزب لا يتمثل في كونه يمثل نموذجا مستورا للمجتمع المستطير ولكنه لابد في قمة هذا الأخير من كونه تحرير نفسه. فهو إذا لا يقوم مقام المجتمع لأنه يعود سبق من أجله بذلك تغيير الترتيب.

(6) بعض الأمثلة من القضية الجزائرية "سبتمبر 1947".

(7) تمت سياسة طردية للشمس، الجزائر في بالانكولم في معارضة الإمبريالية والمتضامن مع الشعوب المستطية دون الانحياز لكتكتك الموريتاني. كما كان الحزب يسلح الاهتمام إلى أحد الأقطاب وكان يرضي دائما بعض الاتحادات.

(8) Voir notre ouvrage L'antagonisme en Algérie, Ed. Assemblée, Paris, 1973.

(9) المقصود هنا هي المسألة كمشكلة التي توجد المجتمع وتنتظم من أجل حل مشكله التاريخي.

(10) للماتة 2 من التناوب التلقائي المنظمة السوية تصور على: 1. أ. - المؤلف محدود (ب) لتعصر المنتخب يجب أن تتوزع فيه شروط لتلبية الاقتناع للزفة. (د) المنصر الذي يتم لتعصر يجب أن يحتار لامتحن و يولي قيدين. لا يمكن أن يتأخر المنظمة وإذا حدث ذلك فإنه يعتبر في حالة قرار.

11) التقى (بن عمر) كلين عملاً في ورشة في مطبخ نكر الجبضاء، كلف بصناعة
«هلا هلا» واستبقى، لحد شريك التقى كلين وتم تعه حطة قمعن هلا في 11 شارع ريفوني،
في بتكور، الجزائر لعمامة.

12) في البداية كان متوقع أن يصل العدد التقريبي حوالي 4.000 عضواً.

13) هذا العدد قليل للغاية بما أضفنا غير أن فرنسا القائمة لحركة تتصلح الحرية
والديموقراطية التي كانت بدون مهم جدا حقل تدوين كحركة قوطلية.

الفصل العاشر عشر

أقول حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

بمخاض السياسة الانتخابية.

ضاعقت الإدارة الاستعمارية هملاتها القمعية لكنها لم تقف في وضع حد لتوسيع الحركة⁽¹⁾ وكانت تحفر ؛ بمفوضية الانتخابات المجلس الجزائري ؛ ضربة فاجئة لما أيقنت أن حركة انتصار الحريات الديمقراطية تنوي تقديم مرشحيها لخوض عمل انتخابات المجلس الجزائري.

كانت تتواجد على الساحة السياسية قوتان أساسيتان هما: قوة الإدارة الاستعمارية التي تعتمد أسلوب القمع لرفض سيطرتها من خلال قانون 1947 ومشروع الانجاء الفرنسي ؛ وقوة الحركة الوطنية (حزب الشعب الجزائري) - حركة انتصار الحريات الديمقراطية والمنظمة الخامسة التي تمثل الإرادة الراسخة لدى الشعب الجزائري في نهال الاستقلال.

أصبحت الرقعية السياسية المستمرة شبيهة بذلك التي سبقت الأحداث سنة 1945 ؛ لكنها سارت الآن تتغير بمستوى نوعي وقوي. فلقد برزت الحركة الوطنية كفورة مجانسة وتميزت بفكر سياسي أكثر نضجا وبرنامج تنظيمية أحسن ترتيبا. ولقد انجلي القموض الذي أعقب انشطار نسيقاء البيان والحرية ولغزقه إلى تيارات مختلفة راحت كل واحدة منها تدعي أنها تتبنى القضية الوطنية.

فالجماهير الشعبية لم تعد تنح في الإصلاحيين ؛ بل كان طموحها الوحيد هو الاستقلال الوطني. فوضعت ثقتها في حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي فتح طريق الكفاح أمامها. وذلك ما جعل مسؤولية القيادة أكثر ثقلًا في هذه الأثناء. لقد طرحت قضية قيادة المجلس التثوري قضية انتخابات

1948 المأخوذة بالمجلس الجزائري، حيث كان المنفصلون يكسبون عن مدى قدرة قيادة الحركة على توجيههم وتسييرهم إلى نهاية المطاف.

لم تكن المشاركة في الانتخابات إلا مرحلة ووسيلة لمنشأ الفكر الحزبي وتدعيم مكانته بين الجماهير. وعندما قرّر الحزب تقديم مرشحيه إلى الحملة، تعمّس المنفصلون وجدّدوا كل إمكانياتهم من أجل الفوز؛ وكان الكثير منهم يأمل أن تكون تلك آخر محاولة في هذا الميدان لأن اتفاق للتجوية الانتخابية غير مضمونة النتائج. غير أن الإدارة الاستعمارية لم تطلع في عرض معروضتها بسلاح اللطم كالمعتاد، فظهرت استراتيجيتها وراحت تستعدّ لوضع حدّ لانتشار الأفكار الاستقلالية بتوجيه ضربة قاضية إلى موجتها.

المجلس الجزائري،

صدر قانون الجمعية الجزائرية بملئضى المجلس الذي أقرّه الجمعية الوطنية الفرنسية يوم 27 أوت حيث أكد على انتهاء السياسة الاندماجية كذريعة لضمان سيطرة الأقلية الأوروبية (حوالي 100,000) على كافة الشعب الجزائري (100,000, 8). وقد رفض ذلك المشروع من طرف الجميع كما أسلفنا وحتى من طرف منطقي "الإدارة" هي المجموعة الاندماجية من الدرجة الثانية. وفي هذه المرة أيضا اختار المشهورون أسلوب المقاضمة، كما صدم ملك الفنون طمّوح التيارات الجزائرية الأكثر اعتدالا، وكشف عن دهنه أوفك الذهب ووجّه له: «واضح لفكرهم المعتمجة؛ ونحنهم القاطن لأي شكل من أشكال التطور الجاء للجزائر».

إن هذا القانون في شكله ومضمونه تعبّر عن احتقار الطموحات الوطنية للشعب الجزائري.

وهو أيضا سلاح جديد بين أيدي القوى الاستعمارية التي استحوذت على مقعدا من بين 120 مقعدا في المجلس. ومهما قيل عن مهمة نسبة التحليل واعتبارها لدى البعض خطوة نحو الأمام (60 مندوبا للطائفة الانتخابية من الدرجة الأولى و60 مندوبا للطائفة الانتخابية من الدرجة الثانية) إلا أنها فكرة تنم عن روح

عنصرية لا مراعاة فيها لهذا التناقض يجعل قيمة الأوربي الواحد تساوي 8 جزائريين. ناهيك عن مختلف الموانع التي وودت في هذا القانون غزائته خطيرة، كتب أجرون عن هذا ^{١٤} يقول: «نعتبر الجمعية الجزائرية تحتل هذا المندوبية العالية التي تحولت ابتداء من سنة 1945 إلى مجالس عليا، وهي وإن مفتحة صلاحيات أوسع إلا أن مهمتها كانت تنحصر أساسا في الشؤون المالية، كانت لقرارات الجمعية توضع للمصادقة بأغلبية 2/3 الأعضاء».

أمّا مواد القانون التي كانت كضلة يفتح كذاق التقدم الحقيقي، كإلغاء البلديات المختلفة مثلا، أو فصل الشؤون الإسلامية عن الدولة أو تدريس اللغة العربية في جميع مستويات التعليم، أو حق المرأة المسلمة في التصويت، فهذه مسائل بقيت مجرد وعود لا غير، لأنها معروضة لنظر المجلس الجزائري ومشروطة بموافقة أغلبية الثلثين من أعضائه.

و بتصور من الانحياز الشاملة لهذا القانون كما لاحظ (T. Oppermann) أن: «مبدأ الاندماج قد قطع الطريق في وجه التكتل - ولو خطوة واحدة - في اتجاه الاستقلال الذاتي، لطالما الكامل مع الانفصال التبرهجي سوا استقلال الجزائر هذا المبدأ يعني أن قانون 1947 «يسل السياسة الجزائرية في وطنية انتقاد وزادها حدة في التوتّر. فاعتبار الجزائر مجموعة عمالات (ولايات) فيما وراء البحار ذات طبيعة خاصة، عبارة عن تأكيد لنفسي السياسة الاستعمارية التقليدية. إن هذا القانون وما احتواه من إصلاحات طفيفة لم يعد يستهوي الشعب الجزائري الذي أخذ أكثر من أي وقت مضى يلقب بالامتناع الوطني».

وبالرغم من الطابع الوجعي للقانون وقبحه فإنه سرعان ما أفرغ من بعض محتوياته الإيجابية على أنها وبالفعل راحت الإشارة الاستعمارية لتسلطه للتزوير ولتحويل القانون إلى أداة قمع.

كانت انتخابات الجمعية الجزائرية مبرجة ليوم 15 جانفي 1948 ولا شك أن نتائجها إلى هنا الوقت قد مكّن من ضبط نظام انتخابات يقوم أساسا على التزوير.

عين "نيجلين" وزير القربية الوطنية سلفه وهو ليشتر اكي بدلا من Chataigoma. ولقد لويط اسم هذا الحاكم العلم بقضية الانتخابات "المعبوكة". كتب شيرل أندري جوليان^(٩) بهذا الصدد ما يأتي: "نيجلين من عائلة الأكراس عر - بوطنيته المتصلبة التي ألفتها لغناء الحروب. لقد هاشومته الجفيرة بحمض ولبات لتخطي لية علة قد تعرض سبيل أسفر جلع السياسة الفرنسية الكاملة. كان رجل سياسة ؛ تكون منذ شبابه من أجل مكافحة الاستبداديين الأكراسيين وقلوطينيين ؛ وعلى الخصوص مناهزي حركة انفصال لحيوات الديمقراطية. فكان يعتبرهم "جماعة انفصاليين" من الواجب كسر شوكتهم.

عني عن البيان أن الكاشيد متمسك هي موقفه من نيجلين لما نعت به من حب للوطن وعزم على إعادة السياسة الفرنسية للكامل.

وفي نفس الوقت لجادل الكثير المشاعر الوطنية الجزائرية وما تهمته كلمة "سياسة من مدلول فهي بالذميمة للجزائريين لظنة موافقة للاستعمار والاستغلال. أما بخصوص مفهوم الانفصال فكان مبنيا عليه ولا يمكن تشبيهه الجزائر بالأكراس. إن الأوصاف التي ذكرها أكتب عن نيجلين هي غموض الشائع عند كل السياسيين الفرنسيين، لكننا لا ننحصر في إجراءات التزوير ، التي نكبتها مؤسسة من مؤسسات الدولة ، مياودة بفسقة من طرف الحاكم العام. بل بالعكس فقد تم اختلال الحاكم العام لتنفيذ السياسة التي أعتنيتها الحكومة الفرنسية. إن النتائج التي ستلحق عن هذا الذرع من الإجراءات تتحملها الحكومة الفرنسية بالدرجة الأولى ، وهذا لا يعني طبعاً نكران مسؤولية الناشئين على التنفيذ.

إن الضربة المبرنة كانت موجّهة ضدّ الحركة الوطنية لمنعها من إحراز فوز كالذي أحرزته في الانتخابات السابقة (التشريعية والبلدية) وبما أن أساليب القمع السارية لم تكن مجدية فقد استغض عنها بالتزوير والفساد الانتخابية لكر شيرل أندري جوليان^(١٠) بهذا الخصوص "ملفاً سمياً تم تقديمه إلى نيجلين" يشير إلى أن كثيراً من عناصر الشرطة كانت منسوبة في صفوف حزب الشعب

الجزائري - وقد حاول هذا المؤلف إثبات مشروعية ما كان يحق من فسادات وصلاات ضد حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية وكان يبتذل ما في وسعه ليحط من قيمتهما. ففي ذلك - المؤلف - يصور نشاط حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية بطريقة كلويكلاوية : يستلزم منها أن للحزب بيند الجماهير الجزائرية عنوة وأن الناس ينتظرون الخلاص من يد الحاكم العام فيجلين. وكان هذا الأخير - يعتقد أن إلفان الجزائر مرهون بكسر القيد الذي يخلق رقب الأهلى .

عندما تم تجهيز لاكروست في نفس المتصب سار على خطى نيجلين وهما حقيرين من مدرسة حزبية واحدة. وهذا يمكن التعديل يا ترى ما الذي يدع ببعض "الاندركيين" في الأوقات الحرجة إلى إمساك القبعين الاستعماري وإلى التخلي في الداع عن موافقته؟

لم يتشدد الجزائريون بتلك المواقف المزيقة التي كانت تتظاهر بالركن والشفقة على حركتهم بل على العكس، كانوا يمترونها كطيرما من الانجاسات السياسية الفرنسية شاعدا على ناهل مركب الاستعلاء وتلبلا على الروح الاستعمارية المستويضة بالشخصية العرجية الإسلامية.

الحملة الانتخابية: التزوير والقبع.

جرت الحملة الانتخابية في هو "شبحون الخفية" تخلقها منافسات للشرعة واحتجاز مناصلي وأئسار حركة انتصار الحريات الديمقراطية عبر كافة أرجاء الجزائر، وحجز كل وسائل الدعاية كالجرائد والمختبرات والمصنفات وضع معظم التجهيزات.

جندت الإدارة كل طاقاتها ضد حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وعينية الانتخاب ثلاث القبع على 32 مرشحا (من بين 59) كانوا يحملون شارات هذا الحزب، وأصدرت ضدهم أحكاما بالسجن والغرامات المالية (بالمعنى تنظر من مئات الموقوفين).

ومن جهتها جُنِّت حركة انتمسار الصريجات للديمقراطية كل طاقاتها وخاضت
تعمل للمعركة الانتخابية بكل عزم معتمدة على دعم الجماهير لها. ولقد واصلت في
مختلف النواحي مشاركات بين المنتخبين وقوات اتصم هتما حاولت هذه الأخيرة
إلغاء الناس على التصويت لصالح مرشحي الإدارة وقد شهدت Deschamps (في
عمالة الجزائر) أحداثاً مماثلة أوقعت قوات الأمن النار خلالها، فنهضت 4 قتلى
وعند جرجي⁴⁰.

لقد تمّ تنفيذ مخطط الحكومة الفرنسية بحذائبيه من طرف الحاكم العام
الاشتراكي. وأجهزته الإدارية، ثم كتكت بإضفاء لصيغة القانونية على أعمالها
القمعية، بل دفعتها إلى مرتبة السياسة الحكومية.

لم تسر هذه الانتخابات "مفبركة" سوى عن 9 مقاعد لصالح حركة انتمسار
الديمقراطية الديمقراطية، ورغم أن نظريه صمكت الممالات (المولاة) تترك بأن نسبة
90% من أصوات المنتخبين كانت لصالحها، وتعمداً لتفجير ديمقراطية؛ ادعت الإدارة
أن لوجزت الانتخابات بصورة عادية بما كسب الحزب عدة الأصوات إلا أنه برهوب
الناس؛ ومن فيهم تلك العناصر المطلقة للقسية الفرنسية⁴¹. والواقع أن حزب
التمسب - حركة انتمسار الديمقراطية كانت القوة الحقيقية للحركة الوطنية
والمعبر عن التطلعات الوطنية للشعب الجزائري الذي أصبح يملكها بعدة فسيته
الذاتية بكل وهي.

لقد تم اعتماد "المرشحين القانونيين" بفضل التزويد بالرغم من احتياج كافة
الاتجاهات السياسية⁴² الوطنية الجزائرية. وهكذا أقرت الحكومة الفرنسية بكل
وضوح نتائج التزويد الانتخابي على أوسع نطاق وداست على الإدارة الوطنية
للشعب الجزائري.

لكن القضيحة تفاقمت إلى درجة أنها تلمت فتمتاز بعض الأوساط الفرنسية
ذاتها بما في ذلك أولئك الذين لم تدر بخلفهم أروا فكرة التصلص مع "السياسة
الانصالية". هكذا احتج "الاشتراكيون" بدورهم على ما اعتبروه "نتائج مفبركة

لانتخابات أبريل 1946 ؛ ونالوا بالغاؤها ؛ فلمهم إلا إذا كانت فرنسا راضية بوصمة
العالم وتغلبة هذه القضية الديمقراطية المعقنة^{١٠}

كما عثر الغواب (M. R. P) عن إلتفاتهم بشدة لتلك التطلعات، وعرض السيد
Paulup Espember ما توصل إليه وخلفه من ملاحظات تؤكد ما وقع من تدليس في
محريات الانتخاب والنتائج المزورة التي أسفر عنها^{١١}. بقيت كل الاحتجاجات
حبرا على ورق ؛ وهكذا ؛ سلمت لـمسز ولون في السلطة الكارونالية أنفسهم في
خريف الأوائين وخسروا مصداقية نظام الانتخاب في الجزائر. وساهموا بالتالي في
تعزيز قناعة الجهازين بعدم جدوى الكفاح الدرعى لأنه طريق مسدود.

ظل الاستعمار الفرنسي ؛ على مدى ثلاث سنوات ؛ يرفض رفضا قاطعا حدوث
أي تطور إجناسي في مساعي الحركة الوطنية نحو الاستقلال بواسطة الكفاح
السياسي. والدليل على ذلك ما سلكه من جمع خلال أحداث ماي 1946 وما فرضه
من سياسة الأمر الواقع في أبريل 1946.

ولقد استمر في خلق مصاعب جمّة في وجه حزب الشعب - حركة انقصار
الحريات الديمقراطية؛ وراح يركّز جهوده كلها على فرض الحلول بواسطة القمع
بعنه ويندببر المكائد. إن إسرائه على عدم الاستجابة لظهورات شعبه بأكمله
ساعد على خلق الظروف المواتية لنقل القضية إلى الساحة السياسية.

لم تثنأ الروح المعنوية لأنصار حزب الشعب - حركة انقصار الحريات
الديمقراطية بسبب القتال الذي أسفرت عنها انتضابات المجلس ؛ فلم يكتروا
بؤمنون بها. بل لقد وبحوا^{١٢} بمشركة الجماهير حمرة هامة على سعيد ارتقاء
معقوى الوعي الفوري. إن ما حدث من احتشام الجماهير لمبادئ الحزب وثبوت
عدم جدوى الانتخابات ؛ معادة الاستخلاص للعبوة واتخذت القرارات التي يلتزمها
الحال. فكان الكثير منهم يعتبر أن الأمور آتت إلى وضعية سياسية حشورة
للانتقال إلى العمل المباشر. إن "المسألة" المنهج الذي أقامه الاستعمار ضد العمل
لصحت غطاء الشرعية ؛ جعل الرقي للعلم الداخلي والخارجي يجيز توجه المسو

الثوري نحو الخيار الديمقراطي. انصف إلى تلك الأوضاع الدولية لتذاته كانت ملائمة إلى حد ما في ظل "الحرب العالمية" والحرب الساخنة في الهندنام وناميبيا.

كل التحضير التلقائي للعمل المبتدئ على وشك التحول بسرعة إلى المستوى الإجرائي. وكان حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية نشيطا وفعالاً في تجنيد الجماهير الشعبية المفتحة بعدم جموي أسلوب - التمسك عبو الانشابات، وكان المناضلين والشعب عمومًا يمتدحون رؤية إمارة الحزب تخرج من هذا المأزق في أقرب وقت.

الواقع أن الخسرية التي عيشتها الإمارة الاستعمارية إلى الحزب لم تكن تهبط إلى حرماته من بعض المندوبين بحسب بل تتسرح تلك الخسرية في إطار أشمل غلبه في "تسليم" حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية والنيل من سمعته في أعين الجماهير وثقافت انتصار الساحة السياسية وتفجير ثنائياته. وبالتالي إقناع الناس بنخبته من الساحة أو ضعف سمعته للالتزام السياسي المملاط بالاحتلال الجديد.

إن المرحلة التي كانت إتيمة المعركة الوطنية : وشمولية أعمال القمع واحكام القسطة على الوضع السياسي . فهدمت على إمارة الحزب اتخاذ بعض المبادرات المهرشة كي لا يزيغ الحزب عن خطه السياسي ولا يغزو ثقة المناضلين فيه ولا يؤول إلى الإهمال لأن لاحتلال الحزب في تلك الظروف الواقعة ليس معناه نقصان عدد المنشيطين في صفوفه ولا ضموان ثقة الجماهير بحسب بل الخطر كامن في التفتيات الداخلية المتأججة عن حيوات كورس الثورية وانقسام القوى التفسية بين الإدارة والقاعدة والتخلي الترويجية عن مبادئ التكتل إلى أن يسقط خائر القوى تلك ظواهر يمكن أن تعتوي الحركة من التنازل دون أن تصغر حجمها عن تغيرات هامة على مظهرها الخارجي ولا على تنظيمها ولا على خطتها السياسي الرسمي. إن هذا التحول الذي بدأ يحصل تدريجية سواء عن وعي أو عن غير وعي هو الخطر الكبير

المصدق بحزب الشعب - حوكة انتصروا الحزبات الديمقراطية. والإدارة وحسبها كانت قادرة على تدارك تلك الخطأ بحكم ما تخولها سلطتها. ولقد مرت عدة أشهر قبل أن تتخذ المبادرات الضرورية وتوسع توجيها جديدا في سياق للقرارات التي أقرها مؤتمر 1947. أما قبل ذلك فاحتلت بإسناد بعض الاحتجاجات وتقييم بعض المرائض إلى الهيئات التولية¹⁴. فكانت إدارة الحزب تبعد عنها مشغولة أو كأنها باعتمادها سعة الانتخابات؛ ورغم ما كانت لتتظاهر به من تقوّل في تصويحاتها.

سياسة الانتظار والفرق

بدأت الحياة والسياسة بتأنيها في القطر النضالية شيئا فشيئا. وشروع المناهضون يتكفرون "تعلل" المسيرين ووجدت الجماهير الشعبية نفسها هاجرة عن مجابهة اللامع والمهانة المسلحة عليها؛ تراجعت دمج من تأنيها من روتين الحملات السياسية. ولم يبق الحزب يكرز تلميحاته بضرورة "تجنب الاستفزات - ضد" الإدارة الاستعمارية وسرعان ما تجلّت نتائج ذلك فتوجه على صعيد النضال السياسي اليومي بحيث بدأ الثور بسوي في التجمّع وتعلل بعثري الزّوج الجماهيرية لدى المناهضين والجماهير الشعبية.

كان مسئولو الجهاز التنظيمي يذهبون في تفويضهم إلى مطالبة تلك الرضعية ويؤكدون أنه يستعمل على العمال أو الفلاحين معجبة تعسف مصالح الشرطة والبرلة؛ لكن القيادة المركزية كانت تعتبر تلك التلميحات مجرد محاولات للتدوير المفرط من ميدان الكفاح السياسي. فهي نظرها كل من يهبط على الشعب؛ قبل القيام بأية عمليات واسعة؛ أن يجابه قوات القمع ويشارك في المظاهرات التي يأمر بها الحزب. ولم تعد القيادة ولو بصورة ترويجية المدة التي سوف تستغرقها هذه المرحلة. وكان الكثير من إلهوت الحزب يعتقدون أنّ الإدارة المركزية نفسها غير قادرة على تحمل مدة وطنية صعبة فكانوا يتوجسون خيفة من سقوطها أي شرارة للروتين. وبحثت الشكوك تملأ البعض حول قدرة تلك القيادة على "التحضير بإحكام لمرحلة الهجمة الشاملة لتحرير الأمة الجزائرية" (قرارات مؤتمر 1947).

أما أعضاء المنظمة الخاصة فقد بدأ صعيدهم يتفد ؛ وأخذوا يسألون الإدارة عن أسباب جعوتها وإحجامها عن الحركة

بقيت حالة الركود تلك ؛ فنفاي نشاط الحزب إلى سنة 1949 ؛ حيث دُعيت اللجنة المركزية الموسعة إلى الاجتماع في زقن في وادي التلث ثم في البليدة. وبعد مناقشات حادة حول الوضعية وضعت اللجنة المركزية لصفوطات الجناح الثوري فقررت لعدم المنظمة الخاصة بالوجاهة والوسائل « كان من بركة يمثل مبلغة وهران في هيئة بركان المنظمة الخاصة: ثم للكتاب كمسؤول في المنظمة السياسية نيابة عن صعيد (أوت لجمد) كي يتمكن من تنسيق نشاط المنظمات معاً.

هدت الأمور لفترة قصيرة ؛ وكان القياد بدأت تعود إلى عهدها ؛ ولذا بعد اجتماع اللجنة المركزية لحزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنستقيم الأمور ونستعيد الوضعية خيريتها ونمضي قدما إلى الأمام ؛ لكن شيئا من ذلك لم يحدث، والظاهر أن أسبابها جديّة كانت تعيق تحركات الإدارة ونشل نشاطها

ومن المفردات أن لا تزال المنظمة بدأت تظهر على حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية في نفس الوقت الذي وصل به إلى قمة عبقريته. فالواقع أنه لم يوافق يوما عن تعزيز صفوفه منذ عهد أصحاب الديان والحريّة إلى أن أصبح حركة جزائرية عظيمة سواء على من حيث هيكلته أو من حيث سمعته عند الجماهير الشعبية. لقد ظل صامدا ولم يال القمع من عزيمته. وكانت شعوراته وخاصة المطالبة بالاستقلال قد لاقت صدى ولحسا في صفوف الشعب وصارت مطلباً وطنياً. وكان يلعب الدور الرئيسي في الحيلة الفلسفية البروعية وخلال الحملات الانتخابية. وأصبح عاملاً أساسياً واجلما في التطور السياسي للوطن وهي لواقية مستوى الوعي الثوري.

لم يكسب حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية قوته بفضل الأخطاء التي ارتكبتها الإدارة ولا بسبب عجز الشخصيات الجبرائية الأخرى. وإنما شيد قوته ذاتيا بفضل مبادئه القلقة على التعبير عن لعنق شعوبات الشعب

الجزائري والمطامع عنها بكل شجاعة، إن ثباته أمام الشيطان ونضاله المستميت وجهوده التنظيمية والتزامه الثوري : هو الذي جذب إليه جموع المناضلين والجمعيين لأنه تقمّس أساليبهم وطموحاتها.

تبدلت قوّة إثنين من المزاوجة بين الممويك الوطنية وإرادة تحرير الشعب : ومن طبيعة تنظيمه وهيكته - بصفتها ومهمة لتحقيق الأهداف الوطنية - ومن الجلي أن يلزم تلك الأهداف أن يتأخر إلى الأساليب والوسائل الثورية، إن قبول أية تنازلات؛ ولو كانت تكتيكية؛ يعتبر تهديها لوجود حزب الشعب - حركة انتصار الحريك الديمقراطية باعتبارها أداة التحرر الوطني. ولو حدث أدنى تفريط في هذا الدور للقدور الحزب إلى موتها بقية الأحزاب المميمة بالمرجة الأولى بهما على قيد الحياة السياسية. لو جاء عن مسئلة لا يضطر إلى المناورة والتجذاع لتحرير موقفه أمام المناضلين والجماعين مهما كانت نواياه حسنة.

كان من الممكن أن تتسأل بعض الأفكار السديدة إلى داخل الحزب وتخلو من قلبه إلى فاعله سواء عن وعي أو بطر وعي : فيقول حزب الشعب « حركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى منتقلة ملت توجه إصلاحية ولو لم يتوقف عن المطالبة بالاستقلال. ولو حدث ذلك لفقد الحزب مصداقية؛ التي تحرره عن الاتجاه الإصلاحي القديم الجدوي؛ حتى ولو استمر بفضل هذا الموقف المبهم في تقمّس دور الحزب الثوري.

إن الخوف من انزلاق هذا الحزب نحو موقف سياسي معتدل له ما يبرره؛ وذلك اعتبارا لعدة عوامل داخلية وخارجية كان من الممكن أن تعطي الإدارة نحو هذا الاتجاه.

التنافس بين توجهات القمة وطموحات القاعدة.

عالمنا كان الحزب يتأخر في ظروف سرية أو شبه سرية؛ فإن طبيعة نشاطاته وهيكته التنظيمية كانت مهيأة للاستمرار في صغره واستمراره (إلى نهاية أحداث 1945). ولقد تفلّم على الصعوبات بسجولة ويسر؛ وخاصة ما كان يطرا منها على

مستوى القيادة: غير أن تماشي الحزب السريع، وانتصوفته الباهرة، سلطت في شعور عياكله إلى حركة سيلية ونسمة ومعروفة. ثم توسعت دائرة نشاطاته وتوسعت منه مشروكة في الانتخابات. وأدى ذلك إلى بروز نهضات جديدة بين صفوفه: أخذت تتحول إلى اتجاه سيلي متغير: كاد يقوض لو كان النظام ويخلخل تماسكه. وكان نفس النظام يرمقه من بين الأغراض التي تستهدفها عمليات القمع لمسلط عليه باعتباره يمثل القوة المهيمنة الوطنية الأكثر عزمًا وديمومة.

إن التوتر الداخلي الذي تصاب الحركة وما عايناه عليها من صفوة خارجية⁽¹⁾ لم يقل هضم الحزب بل كان معونه طفها إن لم نقل متعنا تمامًا بفضل تراص الصفوف وبفضل الانضباط الصارم في الإدارة المركزية. وانطلق أن الإدارة المركزية ما كانت لتستطيع القيام بدورها لو لا تماسكها الكبير.

لكن أصبح من الواضح أن ذلك التماسك لم يمتد لواقع في نفس الوقت الذي عطلت فيه أهمية الحركة وتجاوز تنظيمها وإعداد نفوذها انتشارًا كان الهيكل التنظيمي الهرمي مشتركًا من حزب الشعب - حركة لتتبع المبادئ الديمقراطية والمنظمة الخاصة: ركائز قاعدة اليوم تزداد اتساعًا وقوة (أما فعله نهضات تظهر عليها علامات الوهن. إن هذا التناقض بين عنوان القاعدة واستكاته اللغة عامل من بين عوامل الأزمة التي سوف تعانيها حركة انفسار الحركات الديمقراطية لاحقًا.

يبدو أن المسؤولين الرئيسيين وخاصة القادة الأوائل أمثال مصالي - أولئك الذين انضموا مبكرًا كثيرًا من حياتهم في السجن والمعتلات، لم يعايشوا عن كثب ما طرأ من تحولات على الحركة وما جد من مطالب عند المناضلين ولا شك أن هؤلاء وأولئك فئة وطنية مشتوكة وخطابها سياسيًا متشابهًا: غير أن لكلا الفريقين تصوّرًا الخاص لضمور الكفاح وأسلوبه.

ولا مجال هنا للتشكيك في إخلاص أولئك الزعماء وحسن نواياهم، إلا أنهم كانوا مهتمين بالمحافظة على الحزب والاحتفاظ بموافقهم أكثر من اهتمامهم بالتحضير الجاد للمرحلة الثورية المستقبلية. فقد أنهكهم السجن والمنفى وقمع

المستمرّ وكلفوا يتوجّسون خيفة من أن تتكرّر مأساة مايو 1945 ويذهبون من تحمل مسئوليتها؛ لذلك كلفوا يوجّحون فكرة انتخاب سباسة حزبة.

في غياب لقيادة مسلمة لتنفيذ المشروع الذي اقترحه اللجنة المركزية في مؤتمر 1947 : تضاربت وجهات النظر بين أعضاء الإدارة، فكان مصالي : الزعيم الوطني المحترم : والرغبة الحقيقية لدى الإدارة الاستعمارية : غير موافق لرؤية مسيرين آخرين أمثال الأمين أو الأحرار بلعمون الدور الرئيسي، فكان يخشى أن يغلب زمام الحزب من يده. إن هذه الخلافات وما أنتجها من التشتت والتأليب بغت كل واحد إلى البحث عن جماعات متفردة له في صفوف الحزب، فكانت حصة الأمين مثلاً : أنه مرّكز عن طرفة العزمو (1947) وذلك كان يؤمن أن مجلس اللجنة المركزية الرقابة عليه. وكان يبحث عن التحالفات مع المسؤولين الشباب. أما الأحرار المتصلين بالشعب، فكان يعتمد على بعض المعتقلين - ذوي العيول الكفيلة - الذين انحصرت جهودهم في المزايدات حول ضرورة توفير الشروط المثالية قبل القيام بالثورة الأمر الذي جعل امداعها أمراً مستحيلًا في الواقع.

إن الجو الذي أفرزته الصراعات جعل الإدارة تضعف الإرادة الثورية وجعل المهمّ لتجنب عن تأجيلها، نحو الحفاظ على المكاسب، بعد توكلين جهود الجميع على هدف وحيد هو توجيه الحزب وضمان تماسكه وبقائه ضمن طريق العمل المباشر. الصراعات في صفوف إدارة الحزب.

في سنة 1948 : تقوّر فصل الأمين بينين عن حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية : ولقد تطلّعي عن نشاطه بعد أن خفاق ذروعا من القلائل التي أكلها بعض المسؤولين : وكان أيضا ضحية نظريته التي تخصّصت بخصوص معارسة المسئوليات. وبالرغم من كل محاولات إبعاده : وهم كثرة؛ إلا أنه لم يتراجع عن موقفه المتصلب. ولقد أدرك أنه أخطأ عندما راح يبحث عن الدعم من طرقة الجماعات العنصرية : وعندما حاول فصل المنظمة الحاصلة عن الحزب. خسرهما وأن صفوف الحزب لم تزل شبيهة بالتحطم فتنبّه فللعنصر "الانفصالية"

التي كانت تسمى "ليبريون" حوريت بشقة من طوب العناصر الليبرالية ذاتها (عمران : كويم : حنفي : القبطان السعيد الخ.) أما الأمين فقد تولى مع بعض رفاقه من المسرح السياسي. ولقد سلعت هذه الواقعة إلى حد ما في تظلم لومة الإدارة وافشلت مسألة تدلوك الرضع من شوف الفلجته المركزية الموسخة (في زدين).

هكذا صار اتجنح الأكلو ثورية في إدارة الحزب ضعيفا بعد أن غادرت العناصر ذات المواقف الرأسمالية وفي المقابل راجت العناصر المعتدلة (التي ستعرف فيما بعد باسم المركزيين) دعم توجتها وتحكم قبضتها على الجهاز المركزي للحزب.

فذاقم بفشل الإدارة بسبب هذه الأزمة وصوى النداء من المصالح الطاعنة. فأخذت جماعة السدوات الطوائف الثلاثة وبدأت "سير قوامية" لحل محل التمثال الفعالي الذي سبب حزب الشعب الجوزاني. حركة تقصير الحريات الديمقراطية حركة عملاقة حسنة التنظيم وفعالة.

بهذا كبار المسئولين لم يكونوا يجهرون صراحة عن معارضتهم للحل الثوري. أما دعاء الفكر المعتدل "المتفلسون" في الدوا في الشروط الظروف المثالية الذي ينهي توفيرها قبل الشروع في الكفاح المسلح. سياسة جعلت توفرها أمرا بعيد الغتال. يرى أصحاب هذا الفكر أن قسحهم الفكري والذليلي ورفع المستوى الثوري للحماة؛ شروط ينبغي توفيرها في أن واحد ويطها مع الظروف الخارجية المواتية. إن هذه التثنية المعقولة من الناحية النظرية؛ لم تكن لها صلة بالواقع بقانا فلا تمعوا إنني كرهها سمره نريضة لتجليل العمل الثوري إلى أجل غير مسمى أو التخلي عنه وبالتالي تحويل توجه الحزب ضمنا نحو تيار الاتجاه السياسي الإصلاحية سواء عن قصد أو عن جهل.

عكست هذه الأزمة عدم قدرة الحزب على تصويب الحل الإستراتيجي الذي فرضته تلك المرحلة. فلو جرت هذه القضية في شفافية ووضوح لفتحت آفاق على

مصرافيه للتقليل المثير ولعقوبة الحجة بالحجة، ولاتقنعت الفروق بين شي
الاتجاهات السياسية وقبولت الاختلافات بصورة إيجابية. لكن المسئولين تفرغوا
بظروف العمل العمومي لينجذبوا المناقشة خوفاً من ردود فعل المناضلين؛
فللجنة إلى العمل في الكواليس.

أما مسمو من مصالي فلن مكنته وهيبته لدى الجماهير طالت على حلقها؛ ولم
تكن تسرع عنه أية وسود أفعالي إلا باعتباره صلاته مهيمنة من طرف الميراء فلم
يبادر في دهم هذا الكسب السيلفي بوسم خصراً وفضح ولا بتسليم طريقة كفاج
ملعوسة لتحقيق المطامع الشعبية التي كان يظنها في هذه الحال يبدو أن تصور
للثورة لم يكن يمدى حدود الإثارة السياسية التي جهازها الأحداث.

سارت فتاعة المناضلين ذوي السمكة السياسية؛ واسطة بأن الحقائق التي
هبت بين المسئولين إنما فتاقي بمسائل ذات أهمية ثانوية طغت إلى السطح بسبب
عدم قدرة هؤلاء على التحكم في الأوضاع المستجدة فكانوا يفتازعون حول
المهملة على العزب وليس حول البحث عن حل للمشاكل المتطورة بعد انتخابات
المجلس الجزائري في أبريل 1948.

لم تعد فكرة الثورة تلقى المساعدة في صفوف الهيئات السيبر ما عدا من طرف
بعض العناصر الممثلة للأقلية. ولقد وكن معظم المسئولين إلى الجمود والانهازية
فانطرحت بعدة مسألة البحث عن بديل إستراتيجي جديد إن العبارة المستخلصة
من كل هذا هي أننا لا يكفي أن تكون الحركة ثورية يفضل التزام مناضليها وحسن
تنظيمها وصحة أهدافها؛ بل لابد أن يكون على رأسها جهاز إداري ذي فتاعة ثورية
راسخة قادر على اتخاذ مقررات الصرامة خلال كل مراحل الكفاح.

تطور الأوضاع على الصعيد الثولي

إن الوهن الذي أصاب المبرزين في هذه المرحلة الحاسمة من تفرخ الحركة
الوطنية مرتبط بالتطورات الحاسمة على مستوى الأوضاع الخارجية وبما
استلزمه منها هؤلاء المعبرون.

شعب الأمل الذي عمّ العالم بانتهاء الحرب؛ ويعد اندحار النظم الفاشية وضعف البول الاستعمارية، يأموت القوي الإمبريكية إلى استغلال الأوضاع الجديدة لصالحها وعادت إلى بسط هيمنتها على الشعوب. أخذت هذه الدول تسعج تدريجياً في صميم استراتيجيتها الإمبريالية العالمية وحاولت إيقاف مسار تصفية الاستعمار. وبمضمار تلك الدول لهذا الاستقاء من الصراع بين الشرق والغرب هو ما يسمى "الحرب الباردة" يفاوض إحباط الحركات التحريرية. وبلاطعل طين" الصراع بين الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية جعل الطموحات الوطنية لدى الشعوب الممبذبطة تتجهز إلى الدرجة الثانية من الاهتمام.

في سنتي 1946 و 1949 تكرّس تقسيم ألمانيا وبلغ المؤتمر الصوفي أشعه بعد حصار بولين. وأقامت الدول الأوروبية توتير. شذوذها تحت. تقود الولايات المتحدة الأمريكية. واجتمعت 16 دولة من الدول المتفرقة في باريس من جويلية إلى سبتمبر 1946 ووافقت على مشروع ميثاق في إطار المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي.

في مارس 1946 و 1949 انعطفت سلسلة من الاجتماعات والمؤتمرات انشق عنها حلف بروكسل واتحاد أوروبا الغربية. وهي نفس الفترة ثم التوقيع على حلف شمال الأطلسي⁽¹⁾ الذي شمل دول أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية. ثم تملؤ إلى منظمة سياسية وعسكرية تحت إشراف مجلس دائم بقيادة موجت تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية (منظمة حلف شمال الأطلسي) بفضيل هذه المنظمات صار في مقدور دول الإمبريالية تحفيد وسائل محاربة الحركات التحررية. وكانت دولة فيتنام أول الضحايا. وبالرغم من الاستقلال الذي منح للإمبراطور السابق في إقليم أنام (هاري) وهو صغمة فوسمية: فإن الحرب استمرت ضد قوات "الفيات" منه.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تروء قوسها في حوبها الصليبية ضد شعوب فيتنام ولاوس وكمبوديا وكفت تلك الحصة الأمريكية تقدم تحت غطاء مكافحة

الشيوعية في حين كانت الصين الشعبية تحت زعامة ماو (المعجزة منذ 1949) تقدم دعمها للقوات الفيات منه.

في جوان 1950 اندلعت الحرب في كوريا ونشأت الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة تحت غطاء الأمم المتحدة، وشملتها فرق عسكرية من مختلف الدول التي كانت تحت نفوذها، فشل التدخل الأمريكي بفصل المنطوقين الصينيين ولكن لماتسي كوريا بقيت مقسمة إلى منطقتين.

كانت القوى الإمبريالية هي المتصوفة في قوانين هيئة الأمم المتحدة رغم جهود بداية الأعطاء. ففي يوليو تكريس المؤتمر الإمبريالي أجبرت هيئة الأمم المتحدة على التسرب لمصالح مشروع التقسيم للمسلمين (نوفمبر 1947) وخلق الظروف للعلامة لحرمان الشعب الفلسطيني العربي من وطنه وهكذا اكتلت حلقات المؤامرة والمعجزة منذ الإعلان عن وعد بلدور في سنة 1978. وهكذا انسحبت القوات الإمبريالية في ماي 1948 وخرج الشعب الفلسطيني تحت مظلة القوات الصهيونية بدراطة مع الإمبريالية العالمية. تمكنت القوة الصهيونية من ممارسة تأثيرها على الدول الاشتراكية وعلى نفسها الاتحاد السوفياتي فسوّدت لمصالح مشروع التقسيم واعترفت ضمليا بدولة إسرائيل (كان السوفييت يعتبرون الصهاينة أقرب إلى الاشتراكيين مقارنة "بالرأسماليين العرب").

إن تأسيس دولة صهيونية في فلسطين العربية جزء من إستراتيجية معارضة للحركات التحريرية العربية وإفشال نزوعها إلى الاستقلال والوحدة. وبالفعل فإن ظهور تلك الحركة الصهيونية تهديد خطير للمصالح الإمبريالية. بالرغم من أن الدول العربية كانت أملاً ضميعة وكان محضها لا يزال تحت السيطرة الأجنبية إلا أن ضغط الجماهير عليها شكل حتملا على المصالح الإمبريالية. ومن جهة أخرى فإن وجود دولة صهيونية قوية وواسعة كإن يحتر أحسن ضمان وحماية لظلم المصالح. أصب إلى ذلك أن تأسيس دولة إسرائيل واستمرارها في الوجود مرهون بالنعم الإمبريالية.

بمجرد أن قامت جبهة الثورة العربية، وجدت نفسها وجها لوجه أمام
 المشكلة الإمبريالية - الصهيونية: تلك المشكلة التي استطلعت كل اهتمامها.
 وبالنظر إلى ضعفها (الذي هو انعكاس لضعف أعضائها) فإن الجبهة العربية لم
 تستطيع تحقيق كل الآمال المتعلقة عليها من طرف الشعوب العربية المركزية تحت
 السيطرة الاستعمارية. كشفت حرب - 1948 ضعف الدول العربية ونفوذها
 وعجزها عن تجسيد زيادة للشعوب وبصورة قوتها، وقد خلب هن بعض الزعماء
 المنحرفين (مثل يورقيي) الذين يالوا في تقويم بلورة الجامعة العربية على
 المساهمة في تحرير الشعوب العربية.

ومن المحتمل أيضا أن يكون بعض القوميون الجزائريين قد تأثروا بأبحاث
 فلسطين وبإستراتيجية القوى الإمبريالية هيبتها على العالم مسرعة مذهلة. إن
 الإستراتيجية الدولية التي جعلتها الدول الاشتراكية الأوروبية بشأن قضية
 فلسطين أظهرت أنه لا يمكن توحي من هذه الدول ما هذا المسألة الداخلية
 (بالإستثناء برغسلانيا المضمولة عن التكرار في جويل 1948).

هذه الأوضاع الداخلية والخارجية التي أسلفتها ذكرها قد تبدو في نظر بعض
 المسؤولين ذوي الميزة الثائرة كموامل متباعدة لا تصحح بتسرع مسار التحرير
 الوطني.

الإدارة تخطئ في تحليلها للأوضاع.

أخطاء الإدارة هي تحليلية لتسويات الوضع لأنها اعتمدت على معطيات ذاتية
 تعكس الذهنية المتخلفة عند أولئك المسؤولين. ولقد أثبتت الحقائق من التصور
 المسبق في المثالية مضمون شروء لتجديد الثورة المسلحة ولم يكن من السهل
 أنذاك لتفقد تلك الآراء وفصح منبتها على سبيل الحزب وسبب ذلك هو أن الإدارة
 كانت تنظر بالماضي فعدت في الخط السياسي الذي رسمه مؤتمر 1947، وكل ما
 في الأمر أنها أحلت تطبيق فوائده بعض الوقت. وهنا فإن الأمل في تصحيح
 التوازنات الداخلية واستعادة النشاط على قائمنا في النفوس لقد امتدني

المناضلون المعروفون بلفاعاتهم القوية إلى نقد أعلى مناصب فلسطينية، أمثال
بن بال، الذي كان مسلحاً زمام التنضيد شبه العسكري والمنظمة الخاصة.

إن سطح بعض المناضلين على الحزب لم يغير شيئاً من شدة تعلقهم به
باعتباره الآلة الأفضل لقيادة الكفاح الوطني. إن روح الانضباط تلك هي التي
جعلت المناضلين يصبون على تحمل وضعية سياسية كانوا ينفذونها أما أنصلا
الاتجاه السياسي المتمثل فقد استغفوا تلك المناقب وراحوا يذوون في كواليس
الإدارة المركزية من أجل تجسيد الإرادة الثورية بتسلي الترائج. وبتطوع الطوار عن
الطوائف التي جرت فيها لتتبعات المجلس الجولاني وبذلكها : قوت إدارة
الحزب العشوائية في الانتخبات الإقليمية سنة 1949 وقد فاز فيها مرة أخرى
مرجع الإدارة الاستعمارية بتحصل المطلوب التزوير الذي سلم معاً فكانت اندفعت
إدارة الحزب بخطوة أخرى نحو الانسحاب فالتوت مشاوت المناهضين والإدارات.

تفادى خطر هذه الوضعية على سلامة ديكتات الحركة مثل المنظمة الخاصة التي
لمسؤولوها سنة 1949 إلى تدهورهم تقويماً للإدارة نصف تلك المفاطر ويوسي
إما بتفعيل المنظمة الخاصة أو بحلها وذلك بسبب غياب أية دلائل لتفسير الاتجاه
على المدى القريب. والواقع أن المنظمة الخاصة - باعتبارها أدلة هجومية -
معرضة للتفكك السريع إذا نجحت نشاطها. وقد تقع تحت رحمة الأجهزة القومية
ولا تستطيع السمو في وجهها. هو يكشف أمر هذه المنظمة وتفككها
فسيكون ذلك كله. إذا لم تكن مصالح تشوذة منهفة من وجودها الفعلي فإن
الشك أخذ يهاورها بسبب بعض تضامنتها مثل فصحة دلو البريد في وهران.
(سملت عليها المنظمة بنوض جمع المال؛ فاستولت على مبلغ 4 ملايين من
الفرنكات القديمة ولكن بقي المبلغ على بعض محتسوها).

ولقد تم اعتقال بعض عناصر المنظمة الخاصة في بجاية سنة 1948 ولكنهم
أوهعوا الشرطة بأنهم جماعة مستقلة تنشط في إطار التضامن مع الشعب
الفلسطيني. كما أن الفتحاق بعض إدارات الحزب بالفعل العربي تلو اشتباه مصالح

المخابرات العامة، فأصبح من المستحيل وضع حدٍ لهذه الوضعية الخطيرة. وكان أمام الحزب خياران: التنازل فيما يتعلق بالصلوات أو محاولة للمنظمة وإعادة دمجها في التنظيم السياسي.

تردّدت إدارة الحزب ولم يلبح اختيارها على أي من البديلين، بل فضلت التوسيع والمعاظلة التي أصبحت أسلوباً مفضلاً لديها قلداً على الأسوأ. وصار أعضاء المنظمة يشعرون أنهم أصبحوا عديمي الأهمية لعداوتهم إلى سياسة الحزب. وأصبح البعض بالإحباط تبعاً لما أصاب بقية التنظيمات من فساد.

قضية المنظمة الخاصة وملاساتها: تكشف عن الأقسام المصفوفة

في هذا المظهر وقعت قضية المنظمة الخاصة (أصبحت تسمى فيما بعد "المؤامرة") حدث ذلك في 11 مارس 1950 تمهيداً قائم هو أن أحد المناهضين (عبد الطاهر خديوي العلقب رحيم) كان ممثلاً من فصله عن صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية في تيسة : فأنه يلدح في مصداقية الحزب ويهدد بإفضاء الأسرار التي كانت بحوزته من المنظمة الخاصة ، وكان مصراً على موقفه رغم محاولات المناهضين حمله على التملق وفصد تحريف الوثائق مناصراً للمنظمة في المنظمة، خطاً حزبياً فانهجته ولكنه تمكن من الهرب واستبد به قهوج فأنشئ إلى محاولة المنظمة بها كان لنجته من معلومات عن أسماء أعضاء المنظمة.

كانت تلك فرصة غير مثقفة منحت لمصالح لتشوملة لأنها كانت تبحث عن أدنى مورد للجوء إلى القمع قامت الشرطة بالاعتقالات وذهبت المستجوبين أثناء استقطابهم فلم تجد صعوبة في قنبح خلفات التسلسلة. توجهت حملة الاعتقال من تيسة إلى سوق قمراس وإلى بجاية ثم عنت توجاه الجؤثر. ولم تصدر عن إدارة الحزب ، خلال الأهم الأولى من اتصلة البوليسية؛ أية مبادرة لإنقاذ المنظمة الخاصة من التهلكة، فأنقذ القبض على المجه من تعاضلها بغية ولم يتج الآخرين إلا بفضل المخابرات الدرية أو نتيجة للمصادفة.

ثم التخلي عن المنظمة الخاصة لأجابه مصيرها المحتوم وترك ماضيلوها تحت وطأة القمع اليوتشي. لم يكن بين تلك المسئولين الوطني للمنظمة الخاصة على اتصال بالحزب فكان من بين أولئك من اعتقلوا ثم تعدد تخفي على الشرطة خلية من شؤون المنظمة. بلغ عدد المعتقلين اثنتان في صفوف المنظمة من بينهم عدد هام من كبار المسئولين الأعضاء في مجلس القيادة¹⁴. وإلى جانب من بلة يوجد بوتليس؛ مسئول مقاطعة هوان - ووجيهي جيلالي مسئول المنظمة في مدينة الجزائر وولد حمودة في منطقة القبائل؛ وبالحاج جيلالي الموقوف العسكري على المستوى الوطني؛ ولعدد محدد من المسئولين السابق لمنطقة جنوب العاصمة؛ وأعضاء في المصالح العامة؛ وأهم المسئولين محمد يوسف مسئول شبكة الأرباب؛ وأعواد محمد مسئول مصلحة الهندسة المدنية الخ.

ولقد تمكن بعض المسئولين الأعضاء في مجلس القيادة العامة من الإفلات من تعديات الشرطة وهم: وهبياف محمد، وبين مهدي، وبنوش مراد، ومصطفى بن بولعيد.

كانت الحصيلة حوالي 400 عملية اعتقال وسدور 200 حكم تصل إلى 10 سنوات سجنا، والمنع من الإقامة؛ والحرمان من الحقوق المدنية؛ وإرادات بملازمين الذنوك. تكلفت الشرطة على الموقوفين وعيبتهم لانتزاع الاعترافات ومحاولة تخطيط معذريات كل من وقع في أيديها.

لقد استغلت ضعف بعض المعتصمين ومن بينهم عضو في مجلس القيادة العامة¹⁵ لمجاهديتهم وجهل توجه مع بقية المعتقلين؛ مسئولة إقناعهم بعدم جدوى تضحياتهم (في الوقت الذي كان فيه قدامتهم يقتضي في العاصمة وباريس) وكذا بقوة فرنسا التي لا تقهر. سرّج أحد محافظي المصالح المتقبولات العامة قائلا: "ربما لاعتقل للجزائر يوما ما لكن فور ذلك سوف نبدأ العمل جبهة للقضاء على العناصر العنصرية لفرنسا في السلطة" (أي تولته لتكون كانوا يكافحون من أجل استقلال وطني حقيقي).

سرعان ما استعاد المعتقلون حبلهم التفاضلية بمجرد أن تجاوزوا الأوقات الحساسة التي عاشوها. فقرر بعض المسئولين (في البداية) أن يتحملوا شخصياً مسئولية تأسيس المنظمة الخاصة وذلك حماية للمناضلين على مستوى القاعدة وللبعض المسئولين في الحزب. وكانت هذه المبادرة (أي إنشاء المنظمة الخاصة) قضية يمكن تمييزها أمام المحاكم بحجة أن الاستحصال قد سُدَّ جميع سبل الكفاح السياسي، كانوا مستعدين لتبني مسئولية اللجوء إلى الكفاح المسلح للقضاء على الظلم الاستعماري وتحمل كل ما ينجم عن ذلك من تبعات. لكن إدارة الحزب رفضت اتخاذ ذلك الموقف وأسعدت تعليماتها بضرورة التمسك بمواقف النكران، أي أنها نفت وجود المنظمة الخاصة أصلاً - ولاعتبرت العطلات البوليسية مؤامرة تهدف إلى تقويض أركان الحزب من أساسه.

الآن، أعطاء المنظمة الخاصة (باعتناء بالحاج وولد حمودة) بتعليمات الحزب بالولع من توفير الأدلة الكتابية عن الوجود الفعلي للمنظمة (أسلحة ورائد قوائم المرشحين، مستندات المراتج الاستراتيجيية الخ...) هذا الموقف المقبول ظاهرياً كان يضي بعض التناقضات المكننة ويؤكّد توجه المسئولين إلى الخروج عن الخط المرسوم في مؤتمر 1947. فصاروا يتنوعون بحجة المحافظة على وجود الحزب. ووضح هذا التوجه بصورة جلية من خلال الموقف السلبي أثناء الحملات البوليسية وخصوصاً من خلال التذامات الانتمائية المكتوبة من العناصر المعتدلة المقروء عليها. ولقد عرفت صفوف الحزب حملة انهزامية مشابهة من التنبيد بأخطاء المنظمة الخاصة وتشويه سمعة أعضائها ومحاولة خطفهم للنوري. ومن ثم توجيه الحزب حسب مشيئة المعتقلين.

هذا السلوك سهل مهمة الإدارة الاستعمارية الساعية إلى تعطيل أقدس العقليات على العناصر الثورية وتشديد الخناق على الحزب وعقولة سميرته. ذلك أن الروح الثورية التي تسوي في شواهد الحزب كانت من صلب المنظمة الخاصة؛ فكان من اللازم القضاء عليها. ويمكن اعتبار هذه المنظمة ضحية لتراخي الإدارة وتعاملها؛ لأنها رغم الإذونات المفيدة تركت الوهن يصيب جهاز الحزب دون أخذ

التدابير للكنهية بارتقائهم. ومهما تكن الأخطاء التقنية التي ربما ارتكبتها المنظمة الخاصة، فإن جهر هذه القضية سياسي محتض ويطلع على عتق إدارة الحزب، فمن غير المعقول أن نظل المنظمة الخاصة كمنكوتة من آلاف العناصر؛ في كنف السرية طيلة ثلاث سنوات ورغم شوق القمع للمساعدة آنذاك.

تقوية المنظمة الخاصة ودلائقها.

أصبح الاعتقاد الملائق لدى بعض المسؤولين أن إدارة الحزب كانت تسعى للتخلص نهائيا من الخطأ كمعضد للاتجاه السياسي المعتدل؛ تلك الاتجاه الذي يحاول فرضه دويجيا لنقاء الاصطدام بالخاصة كمنهجية.

اشهد أن مجلس المداخلات بأغصم مطروعين وأن المنظمة الخاصة قد حكم عليها بالزوال قبل 1950، ولقد دعيت هذا الإحساس عندها قرأت الإدارة حل المنظمة بالرغم من أن جزءا كبيرا من هيكلتها وعناصرها لم تصل إليهم نهائيا، القمع (الطهال، الأوراس، الجرائر، الخ.).

حلت المنظمة الخاصة وأحق انحيازها بالمعضة السياسية بالرغم من أن مسؤوليها كانوا يطلقون بإلحاحها، ولو بصورة رمزية. ومنذ ذلك الحين سلوت إظهارها محل لوتيات ومراتب من طرف موظفي الجهاز المركزي الذي أصبح تحت قبضة الهناج المعتدل.

مكننا أثبت إدارة الحزب المهمة التي شوعت فيها مصالح الشرطة؛ ألا وهي تدمير المنظمة الخاصة. ولقد صدق الكثيرون من المسؤولين، ومعتوية تامة، دعوى الحرس على سلامة الحزب وأمنه؛ وكذا الوعود بتأسيس منظمة جديدة؛ وهي حجج فسدتها الإشارة لتبرير قرارها بحل للمنظمة الخاصة بهذه الصيغة تمت الموافقة على القرار بإجماع الأعضاء الذين يقوا في اللجنة المركزية ومن بينهم مصالي.

بهذا القرار؛ زالت الأفاق الدورية ليعتقد عن منظور إدارة الحزب، غير أن استثناء القاعدة المتواصل زاد في تقلام التوضع الداخلي للحزب. ولما اقتنع بعض

المسؤولين في صفوف المنظمة الخالصة والمنظمة اليسارية من عدم مقدرة
المسييرين العالميين على تطوير سياسة ثورية. ثم جوا يفكرون في الموقف الذي
ينبغي اتخاذه. فتوالى الاتصالات التشاورية، واعتقد لاراي، على ضرورة مواصلة
الواجب داخل صفوف الحزب لتجميع القوى الثورية ولتفادي توجهات الإدارة.

بهت قضية المنظمة للخلاصة لو ما اشتهر باسم "العزامة"؛ ضعف المسؤولين
وزيغهم عن الطريق؛ وألقت ضوء على المشاكل الحقيقية التي قد تعترض سبيل
قوة حركة ثورية، وفي مقدمتها مشكلة التمييز الإداري للحزب؛ فعمق الوعي أكثر
من ذي قبل لدى الأقلية وواحد تبحر عن الحلول.

أما على الصعيد العام؛ فإن الصحافة الاستعمارية قد شعرت بالقضية على
تطابق واسع؛ فالتزمت مشاعر الانتماء والقدرة والأمل. وساد الظن أن تلك مجرد
أزمة عابرة، طالما أن المناهضين للفرنسيين على تأسيس منظمة بدلية، طالما هموا على
استعداد لأعمال الثوري المبهتة.

واصلت إدارة الحزب مناهضة الحناج الثوري ولكنها حرصت في نفس الوقت
على جني التنتائج السياسية للقضية وتأثيراتها على الوعي العام الجزائري.
أما الإدارة الاستعمارية فظنت أنها حدثت للمحنة الجزائرية نهائيا بواسطة
الانشغالات المطروكة - وهواصلة للصح تمسكهم وبالقضاء على المنظمة الخاصة
وعناصرها التي كانت تشكل الخطر الأكبر. ولقد مكنتها هذه الوضعية من المناورة
مع الأحزاب وتوجيه نشاطاتها في الإطار السياسي الذي تتحكم فيه.
الاتجاه المعتدل: والأزمات الثورية.

وقع حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية في الفخ الذي نصبه
مسيروه بالرغم من كل التصريحات التي لنوا بها والبلابات التي أصدرها إلى
تفكيك المنظمة الخالصة (فعلنا نشعر بلاغ يوم ١١ أبريل في جريدة "republicain
Alger" جاء فيه ما يلي: "إن الحركة الوطنية والمقاومة الشعبية أفضلتا كل
محاولات تدمير حزب الشعب الجزائري وذلك بفضل مواصلة الكفاح الشرس

الذي يخوضه ضد الإمبريالية الفرنسية حتى تحقيق التحرير الوطني)، بعد الانتهاء من تفكيك المنظمة الخاصة وحكها؛ وتحويل مناضليها إلى المنظمة السياسية؛ وبعد أن تلاشت للخطوة شرعت إدارة الحزب في الاستعداد معدداً للانتخابات التشريعية في جويلية 1951. وفي نفس الوقت وعملت نشاطها داخل صفوف الحزب بغرض توجيه القاعدة نحو مبني مواقفها الخاصة. وكانت هاندة في استعمال أسلوب التعاطف الثورية للإطارات المقتنعة بتوجيهاتها أو لولايت المتكزمين بطاعتها طاعة عمياء؛ أولئك الذين لا يجدون على انتقاد مقولاتها.

وعلى العكس فإن المناضلين والإطارات (بخصوصاً القابعين للمنظمة الخاصة) اتوا عندهم بما أصاب الحزب من تدهور سريع فقد تعرضوا إما للإبعاد عن مناصب المسؤولية أو أنزلوا عن مراتبهم أو وضعوا تحت المراقبة. وشنت على بعضهم منهم حملة انتقادات داخلية بدرى الخليلي من شأنهم في أعين المناضلين والإطارات¹⁴.

بدأت ملامح المعارضة ترسم شيئاً فشيئاً في صفوف الحزب وكان هدفها رعاية الأفكار الثورية وترجيح كفة القوى ضد الإدارة فكانت تشرح للمناضلين الأسباب التي دفعهم إلى الاستياء ودعى طاقات الكفاح الكاملة في النفوس حوافاً من تلاشيها بسبب التصرفات البيروقراطية. وكانت البيروقراطية تملك كل الوسائل لزوع عقدة الشحور بالنقص لدى المناضلين لضلها السياسي، لقد حاولت الشهور ببعض "المظاهر العقلانية الكاذبة" تهافتاً لئلا تنسحب إلى روح البلبلة في الأذهان بدل تسليط الأضواء على طبيعة المشاكل الحقيقية. وذلك السلوك العزيف كانت في الواقع مجرد ستار من الدخان لإخفاء انزلاق الحزب نحو السياسة الإصلاحية الجامدة. ذلك هو الستار الذي حاول المناضلون والإطارات الواعية عنك حجبها وعلى رأسهم عناصر المنظمة الخاصة.

بالمولاة مع ذلك؛ ثقافت الأزمة في صفوف إدارة الحزب ذاتها. ففي سنة 1951 استقال من اللجنة المركزية كل من مصطفى شوقي وشرشالي وأعضاء آخرون غيرهم. لكن واقع تلك الاستقالات لم تكن اهتمامات ثورية. بل كانت تعبيراً

عن تضعيف الإبرة التي لم تعد قائمة على تصحيح أجهليتها التاريخية؛ فضاغت بين مشاهدات الانزعاجات الشخصية التي كان مصلي مركزها. وألمت تحت المسييرين المعتقلين الذين استولوا على عقليته لأموه؛ لم يكن في مصلي أن يفلوهم إلا باستغلال هيبته وحظوته في قلوب العناتيين والجماعين. وحاول أيضا الاعتماد على بعض أعضاء الإدارة أو بإدخال بعض القنصل الموثوقة له. والواقع أن الفريق العناصر للزعيم الوطني: لم يكن في شعبيته: يميز عن فريق المعتقلين بالكلية ذوية مغلقة بوضوح. لهذا السبب لم يكن التلويح للتمثلة الخاصة. رغم احترامه لشخص مصلي (وللآخرين أيضا): لم يكن مواليا لمصلي بصورة مطلقة وبدون قيد ولا شرط. وكان بعض أعضاء هذا الفريق يأملون أن يرفع الزعيم عن الصراعات الداخلية؛ وعن الحؤول للثورية؛ وعن البحث عن الأنماط؛ ليستعيد الثقة العامة في القاعدة والمباضعين الثوريين؛ ولتأخير أعرج صنف الحزب. وكان هؤلاء على استعداد للصنيع عما جرى منذ سنة 1943 (أي بداية تراجع الحزب) حيث شلوكوا إدارة الحزب في مسؤولية دفع الحركة الثورية إلى المأزق الذي كنت إليه. لكن طاب لمن أولئك من جديد لأن إدارة الحزب لم تتجه نحو هذا التلويح بل قطعت تنفي مواقف الأحرار المستقلة وهي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والعلماء والحزب الشيوعي الجزائري.

بعد الفصل في الانشطارات الثورية سنة 1951 قرر كل من حركة اتصال الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والعلماء والحزب الشيوعي الجزائري في أوت 1951 تأسيس «جبهة مشتركة للدفاع عن الحريات واحترامها» وذلك بغرض تنسيق أعمال القنصليات والتمثيليات التقدمية والتضال من أجل إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية التي جرت في 17 جوان 1951 وضمن حرية الانتخاب في انطاعة الانتخابات من العوجة الثانية وتحرير مصلي والمساكين العيسيين وإصلاح القوانين عن الحول.

إن تشكيل هذه الجبهة ذات الأهداف المصنوعة جدا؛ دليل على أن كل الأحزاب الجزائرية «التقدمية» قد فقدت معالم المباداة. وإن الإدارة الاستعمارية قد استعادت

فالتحكم في الوضعية السياسية وبرزت على تلك الأحزاب الركوز إلى موقف الكفاح عن النفس، وهذا ببرز بوضوح مستوى التنهرو الذي وصلت إليها حركة انصار الحريات الديمقراطية بعد أن كلفت قوية وقادرة على تحدي كل ألتجالات السياسية وشكل أشكال القمع وهامي الآن قبل التحالف ليس هني أساس الأهداف التي تؤمن بها الجماهير وإنما على أساس اللقبال ضد القمع. ولقد ولت عهد "تفسير تهجمة الشاملة لتحرير أامة الجزائرية". عبعد أن تم إهدار طائفت الحزب؛ وإسماة تصيمه على الكفاح؛ وثقافت مناضبه؛ هامي الإدارة تبعث عن الخلاص في تحالفات لا تنفع سوى الانبيل السياسي الإصلاحي (الاتحاد الديمقراطي للبين الجزائري، الحزب الشيوعي الجزائري، العلماء) إن تكديل تلك الجهة لا يمانس لا مع مشهات الوضعية الزامنة ولا مع الطمرحات الثورية لدى الجماهير الشعبية، فلم تملو تلك الجهة مطلقا ولم تحقق أي منف من أهدافها رغم محدوديتها. لقد تبرزت تماما مثل ما حدث في الحزب الإسلامي سنة 1936-1937 وأحباب البين والسورية سنة 1946. كتب عبد الوحمان كبران، عضو إدارة حركة انصار الحريات الديمقراطية: "بخصوص الفضل لترويج لهذا المشروع ما يلي"¹، ولم تستجب الجهة الجزائرية للطرحات العميلة للشعب ولم تعرف كيف تتحرك إلى منالفة كداح طعالة ضد الاستعمار؛ ولم تكن في مستوى الأحداث التي هزت منطقة المغرب أثناءه.

لكن الجزائر رعلى المستوى الوطني لا يستن تحقيق الانسداد المناهض للاستعمار إلا بين الاتحاد الديمقراطي للبين الجزائري والحزب الشيوعي وحركة انصار الحريات الديمقراطية وجمعية العلماء؛ شريطة أن تنظر هذه الجمعية ذات الطابع الاجتماعي والقبلي، إلى أن تحقيق هذه الأهداف مرتبط بالكفاح من أجل الاستقلال.

تلك هي المكونات الزامنة للجهة. وهذا وإن انضمام أحد العناصر المذكورة إلى الاتحاد الجديد؛ يمكن أن يكون موضوع مناقشة؛ فعني بذلك وبكل وضوح، الحزب الشيوعي.

«فيما يخص عقاب الحزب، تتحسّر وجهتنا نظر مستقبلنا نقول إحداهما؛ ليس للحزب الشيوعي طبيعة وطنية من حيث هدفه الأساسي وسياساته الخارجية، فالاستقلال في نظره مجرد وسيلة لتحويل البلاد إلى ما يشبه التنظيم السوفيتي؛ وإن ارتباطه بالاتحاد السوفيتي سيمثل وثيقاً مهماً استجده من أوضاع على الساحة الدولية. أما وجهة النظر الثنائية فترى أن الحزب الشيوعي يتكافح في الوقت الراهن ضدّ عدونا المشترك ألا وهو الاستعمار؛ وطالما استمرّ على انهيار هذا «الكتكتيك» فالأحرى بما قبله في الاتحاد».

«في الطرف الأخرى نعتبر وجهة النظر الثنائية أقرب إلى الصواب، خاصة وأن بعض وحدات النقابات قد ارتبطت مع الشيوعيين؛ ولكنه توجب لا يسلح لأية وحدة مهما كانت، ولعالم يستحسن أن تتجه كل حركة على حدة موقفها في هذا النقاش».

«إنه لمن المؤسف أن نلاحظ في الانتقال للشيوعي لهذه الجبهة، غياب أية فكرة عن الكفاح من أجل التحرر الوطني. فهي لا تميزه، إن هذه الفكرة صالحة لتكون لوصية مثيرة لتسويق إجماع الحركات التحررية».

«وبالتالي إننا نعتبر توسيع الأهداف السياسية للجبهة ضرورة حيوية؛ وهي الشرع الذي لا غنى عنه لتحقيق هذه الوحدة بشكل مفيد».

لكن بدل توسيع الهدف السياسي للجبهة، هل حصل العكس، أي تقلص نطاق نشاط حلهم، الشعب الجزائري - حركة لتتصل بحريكات ديمقراطية تمثلت بعد ذلك في عهد الأزمة. تلك الأزمة التي كانت لها نتائج عميقة على تطورات الحركة الوطنية في وقت لاحق.

آهویامش

١١) في الحقيقة لم يتوقف القمع وإن ظاهرت تراجعه وتكونت أسلوبيه حسب تمهيد المسلسل
بحرية التعبير، مصادر الصحف، قوتها المختلفة والمستغلين. أما الحالات التي استعملت
فيها التعذيب فكانت كثيرة بالإضافة إلى المضطربات التي يترجمون أها السكان. أرجع
بخصوص هذا الموضوع إلى المشكلة الهيكلية كتهمة قسوته حركة لتتصار بالمريك
الديمقراطية، ديسمبر ١٩٥١

- 2) Histoire de l'Algérie contemporaine, op. cit., p.96.
- 3) Thomas CERRIEMANCI, Problèmes algériens, Ed. Masspero, 1961, p.89
- 4) Afrique du Nord, op.cit., p.275
- 5) Ibid., p.280
- 6) Le problème algérien, Afrique aux limites de l'homme Violences du 21 février de 1962, décembre 1961. Editions de MFLD, p.7.
- 7) Cf. A. Jullien, Afrique du Nord et arabes, op. cit., p.283

§) كانت حركة انقصار الحدودات الجيغرافية من المسح لكثير من غيرها إلا أن عملية التوزع الانكساليات مست جميع الترسخات دون تسبق.

(٢) رسالة السيد Fortea-Baquero (تكتب) في وزير الداخلية السيد Añel Mach (الشرطي) والتاريخه يوم 24 أبريل 1949 ثم نشرها في كتب لحركة لتحرير الحريات بالسلطة امنية. مرجع سابقه ديسمبر 1951.

10) ليست حركة تسلو الحرة والديموقراطية بفضيحة تزوير الانتخابات سقطة في ذلك على توظيف. وأنها التصريح بفضيحة تلاؤم تحت ضوء على الخصوص ما يلي: لقد اعتبرت الصعلة الاستعمارية لتأجيل الانتخابات حيلة بالاضمحلال، غير أنه وباعتراف من الحكماء أن 75 مقعدا من مجموع 90 مقعد كانت في حركة الانتصار وبحوث تزوير أو استعمال للقرص، هذه الانتخابات لم تنجح في إضعاف الحركة الوطنية بل بالعكس لقد دسستها بالمالقات للقانون والحلف المصطنع في إطار غوط للشعب. (تكوين الحركة، خرق الحرية الانتخابية، ص 140)

11) بحث مصطفى الحاج سنة 1948 بطلب إلى الأمم المتحدة التي قضت جنتها في باريس؛ حيث نكر بتاريخ الجزائر وبما احتلتها فرنسا منحا بالاستعمار والقمع المصلط على شعبها. كما أن حرب من رفضه كل المشاريع الفرنسية بما في ذلك مشروع الاتحاد الفرنسي الذي صمم يفرض من الإزالة قوطية للشعب الجزائري كما احتج ضد إتمام الجزائر في الأحكام الفرنسية وطالب بشيخ ميكيه مهدي الأطلسي وكذلك توصيات الأمم المتحدة.

12) أن موضوع العنف والاضطهاد كان عرقه الجزائري وجزء من نضالهم في جميع حزب ما لا من حيث تكراره أو خروج الشعب ومن هنا يمكن تخصيص دراسة مستقلة لهذا الموضوع

13) في شهر مارس 1949 وتول من السلطة الاستعمارية، منحت الجزائر إلى الحزب الأطلسي باعتبارها "مقاطعة فرنسية". وبما عليه نضال حركة التحرير العربية والديمقراطية هذا الفصل من خلال التاريخ شتي، مؤكدة على أن، "الشعب الجزائري ذو سلطان لا يحد لصوره أفع مرة أخرى يقع جسمه استولت عليه، وأنه عن طريق حركة التحرير العربية والديمقراطية الدائم الأسير من خلاله يند كل عمل من دولة قسري بتقصيره.

احتج وبشدة ضد سياسة الأمر الواقع المفروضة عليه.

لا يسمح مرة أخرى أي كلف لتحت باسمه أو تؤمن بتوزيع القوانين في مكانه.

تؤكد وسيلة رسمية أنه رغبة من مخراته ويرفض أن يكون تحت تصرف لأي أمة أو مجموعة من الأمم.

هو "أكرم على القواعد في وجه كل من يريد استعلاء كسلة قابلة للتبادل أو كسلة للقطع مثل ما حدث أثناء الحربين العالميتين لوجد نفسه في النهاية في قبضة السيطرة الاستعمارية.

يعلن عن عدم مشروكة إلى أي نزاع ويتفاوض من مصالحه ويلجأ إليها." (مذكرة حركة التحرير العربية والديمقراطية، المجموعة إلى كل قلعة "أعضاء في هيئة الأمم المتحدة") كما رجع حزب الاستقلال، مذكراً مبدئية إلى القاعدة "الأعضاء في الهيئة، بينما حصل الحزب الدستوري الجديد، الامتناع مقضلا معني لفر.

لما حزب الشعب-حركة فتح، الحركة الوطنية والشيوعية قمتهم في المنفى منذ الإمبريالية وفي الأندلس مع الشعوب المضطهدة فكان هو القريب إلى احتلال مبدأ دعم الحرية في المغرب وفي الشرق وأسياً وإفريقياً. ولما فلتك ستد حزب التحرير في الفيلس وفي كوربا ومدفستو كما أنه تضمن مع الشعب الفلسطيني قضية لعدوان الإمبريالية الصهيونية.

بين الطلبة المسلمون في سترجم الذي عقد في تونس في شهر ميسر 1990 الفراح بقضي بنة

أن التحالف المقرب بأي حال من الأحوال مع قطب من الأنظمة لكون أن يتم الاعتراف بالمطروحات المشروعة لشعب المغرب، كما جبروا عن موقفهم بخصوص موضوع السلم على أنه لا يمكن تطبيق السلم إلا بمسليم التنازل الاستمراري الإسلامي. ونحن بالزولجلا أمارة التي كانت تجمعهم بهتموب الأخرى أكتوا أنهم في جامعة عربية ملحرة وعرفنا على الشعب...*

Unité algérienne, n°6, Oct. nov. 1990.

14) تم إلقاء القبض على بعض المسؤولين ثم أطلقوا سراحهم بإقتضاء بعض ريسال. كانت منظمة الشوق الفلسطيني لم تتمسك بعد في الجمع عندما كان أحد المسؤولين (عضو في اللجنة المركزية بقيادة الأركان، أكتبه ثم نصب مذهب هام للحزب)، بالاتصال مع عضوين من القيادة، هؤلاء إقتضيه بالتكريم، هو طيه كلشي، نحن سننتظر، أما أنت تعود إلى المككة ولا تفتد، هذه الإجابة فوجدنا نمك وصورة القلة.

15) المقصود هنا هو بالحاج حيللي الذي مرشاً فيما بعد بعدم معكاز كريس* وهو الذي نظم مجموعات الحركة أثناء الثورة الجزائرية.

16) كانت للثوار، نتجاً في بعض الأحوال إلى شقوت عناصر المنظمة الفلمية وفيها قبول البعض منهم عتروا في ملابص سرورية.

17) L'Algérie libre, organe du MFLD, n° 4-1992.



الفصل الثاني عشر

التصديعات السياسية ومؤتمرات الانفصال

لم تكن الوضعية ممتعة على المستوى الشعبي - رغم الجهود التي كانت الإدارة الاستعمارية تبذلها لإضعاف حماس الجماهير - وكانت فكرة الاستقلال الوطني قد تغلغلت في النفوس بفضل نشاط حزب الشعب الجزائري - حركة انصار الجذريات الديمقراطية وبفضل إصرار المناهضين على تجسيدها.

ولم تكن أدلة الأزمة التي دالت الإدارة قد ظهرت بعد ولم تقل بعد من عزيمته المناهضون الراسخة. تلك أن التصريحات التي أصدرها البعوث عنها كانت محصورة في إثارة الفجاءة الضيقة وحفظها وكان القسريون عريضين على عدم زعزعة النظام من أساسه. لأنه مكسب قيمته وراح كل طرف يحاول استغلاله وتوجيهه بحسب مصالحه ووجهة نظره. لكن رغم كل الاحتياطات؛ فإن هدي الصراعات والاختلافات كان يبلّغ إلى أذان مناضلين ويثير الجدل وانفلاق بينهم ولو لم يكونوا معتمدين به مباشرة؛ ولا ملتبس بكل أطراف الموضوع. ولم تكن تلك المناقشات تسفر عن نتائج ملموسة. من شأنها تحديد مستقبل الحزب ومسيرته.

كان القادة وخصوصا المعتدلون منهم؛ يحاولون خطف الأوراق لصالح النشأ حول الأساليب العقليّة التي أدت إلى انسداد الوضع وإلى الخروج من الخط السياسي المستقر للحزب. ومهنا قصدوا كانوا يحاولون إمساك كل من يريد تشتيت الأسفار؛ سواء بالضيق عليه أو بإبعاده من صفوف التنظيم. وكانت ظروف الاضطهاد تحم على كثير من الإحالات والمناضلين العيش في كنف قسوة مما خلق مصاصب للإدارة التي لم تكن - بدوى سلامة للحزب - تنظر بعين الرضى إلى

لجوء الكثير من المناضلين إلى السجون السورية. ولم تكن أيهما راضية عن دورها
منعزلو المنظمة الخاصة من سجونهم⁹¹.

فمثلاً، يعد محاكمة العناصر القليل عديم 36 مناضلاً (في البليدة)؛ اختبر
اثنان من مسؤولي المنظمة الخاصة هما بن يلة والمؤلف - وكلاهما عضو في
اللجنة المركزية للحزب - محكوم عليهما بـ 10 و 5 سنوات سجنًا - أخبرا الإدارة
عن عزمهما على الفرار من سجن عند الفرصة قبل أن يتم نقلهما إلى السجن
المركزي. لكن إدارة الحزب التيختمها عدم موافقتها بدعوى أنها ستقوى الأمور
بنفسها فيما بعد. ولما أدرك المسجونان عدم جدية تلك الوعود؛ فوراً تجاوزاها
وشوفا يحضوان للهروب، بمساعدة المناضلين من خارج السجن، وكم كانت بحشة
أولئك المناضلين كبيرة عندما قلب منهم سجنهم التخليق عدم التدخل في الأمور.
وبعد عدة محاولات، انفل مناضلون من اللجنة على تنسيق عملية الهروب، وحدثت
في نهاية سنة 1951 من غير علم الحزب، ولا لأنه (تعرض أولئك المناضلون فيما
بعد إلى القود من الحزب بلعنة عصيان الأوامر وبعد عدة سنوات يعلم أحدهما
وهو سبيدي يخلق مصطنعاً للمنظمة سنة 1957 في سجن بوردوس بسبب
نشاطاته أثناء الثورة).

بعد الفرار من السجون وبعد مساعمة، جمعة أعود ربط الاتصال مع إدارة الحزب،
وأجرى المؤلف - بالانفصال مع بن يلة - مقابلة مع لثنين من أعضاء الإدارة لمناقشة
الأسباب والتمر التي ينبغي استخلاصها من قضية المنظمة الخاصة، تلك القضية
التي اشتهرت باسم "المؤامرة" الفرار في مقابلاته الخفية السيلسي الناعم عن عدم
تفعيل المنظمة الخاصة باجتماعها جهازاً فاعلاً لتكفاح المظلي وليس للفرار إلى
الامتنار؛ ولا للوقوف مكتوف الأيدي أمام عمليات التقمص، فكل الأخطاء التقنية
والضعف الذي اصاب المنظمة شاجم عن هذه الوضعية. أما بالنسبة لمستقبلها
واستمراريتها؛ فقد افترض شكلاً تنظيمياً جديدة مطبقاً عن التنظيم السابق يمكن
تخليصه في النقاط التالية:

1. ينبغي تفويض سلطة التخصيص الكامل للمصالح إلى التصرف مئة مئة مئة، على اعتبار أن الثورة - بعدما تنفذ - ستواصل تنظيم صفوفها أعمالاً تقتضيات مراحل تطورها.

2. على خلاف للتنظيم الهوسي العمومي، ينبغي إقامة هيكلية لا مركزية ذات تنظيم أفقي تتمتع بحرية الحركة إلى حد كبير.

3. كنتيجة لهذه الهيكلية، ينبغي أن تمنح الإدارة حرية أوسع للمبادرة السياسية؛ على المستوى الأفقي بحيث تؤمن دفعها من الوقوع كليا أو جزئيا في قبضة جهاز القمع.

4. ينبغي أن تتوفر للمنظمة فرقة خارج الحدود الجزائرية، تكون في منطقة الربيع مثلا وفي ليبيا.

ثم أضاف قائلا: إذا وافقت إدارة الحزب على إعادة تشكيل للمنظمة الخاصة - بناء على هذه المقترحات - فإن بعض قادتها موفدون على تحمل مسؤولية هذه الاجراءات وما قد يترتب عنها من نتائج ويضمنون بذلك تجربة نعمة الحزب من جميع القيادات. ثم امتد المتحدث لقرار الحزب بخصوص حل المنظمة الخاصة، وقال بأن ذلك الأمر آثار مضاربات المناهضين وشكركم بوجود مئة مئة لتبني من المصل القوي. وكجواب على هذا قال مسؤول الإدارة إن الحزب عاهد المزم على إعادة قتلوا في القضية؛ ويفكر في تجديد مناهضين جدد غير معروفين لدى مصالح الشرطة.

لكن السلوك السياسي للحزب فيما بعد كُتب هذه الأقوال وقد ذهب أحد مسئلي الحزب إلى القول: «أنتم لا تزالون تحت مظلة إسلام الشباب، فعلا؛ فائزهم من مختلف العرقة كان المسئولون يعتبرون فيرم الثورة للصناعة معرّد علم من إسلام الشباب»

ليس هذا هو المثال الوحيد بهذا المعنى؛ لقد فرّ بعض من أخرى من المنظمة الخاصة أو من التنظيم السياسي أن يلمسوا مولوا استخدام الإداة الثورية لدى إدارة الحزب (لقد فرّ مسئولون آخرون في المنظمة الخاصة من سجن عنابة وهم تلك للقيادات).

تساعد الضئط داخل الحزب بتأثير العناصر الذين الواعين بخطورة الأزمة وعمقها. فقد تحدثت الانتماءات بهتهم وتشاوروا بخصوص الموقف الذي ينبغي اتخاذه. وراح الجناح المعتدل يناور لمرلمهم عن مضمهم؛ وخاصة منهم المطلوبين من طرف مصالح الشرطة.

لم يبلغ إلى علم بن مئة وفلمؤلف - إلا بعد مدة - أن المعتظمة في منطقة القبائل كانت قد طلبت من الحزب إيوائهم. بل على العكس حاول الحزب إبعادها إلى العشرق. ولم يتم التكتل بهما إلا بفضل ميلة شيمسة من طرف المخلصين؛ ولم يحصل على بطانات الحزب الميلة التي كانت يمثلانها إلا بعد قبولهما حلاً وسطاً يقضي بتوجيه بن مئة إلى العشرق، وحصل إلى تونس. وتحول مسئولون آخرون في المنطقة الخاصة إلى مساعب معاتمة من بينهم يدوش مراد والعوي من مهيدي. أما بولسياف الذي كثف بتخطيط فيبرالية حركة انتصار الحريات الديمقراطية في تونس فكان مصيره لرهم نوعاً ما.

إن الحرص على ضمان سلامة المخلصين - المطلوبين من طرف مصالح الأمن - مجرد ذريعة لإبعادهم عن مناصب المسؤولية؛ أو لمنعهم من حضور اجتماعات اللجنة المركزية (على الأقل بالنسبة لتذين كانوا أعضاء فيها) فأصبح الكثير من الإطارات والمخلصين متشبهين بالمصير الميس الذي ينتظر الحزب؛ لكنهم استمروا في الدعوة إلى توحيد الصف؛ ليس على أساس التوجه السيفي للإدوة وإنما على أساس الاقتراح الثوري الوفي لغرفات مؤتمر 1947. فلم يكونوا يرضون لهذا الظهور ككتفصاليين - ولا أن يقضى عليهم بذلك الصفة. بعد أنه بعد استيلاء الممكتلين على مقاليد الأمور أخذ جهاز الحزب بتخيد أكثر فأكثر في سياسة لا تلاق لها وأخذت قوله الكامنة تتدهور بشكل خطير، وانخفضت حركة انتصار الحريات الديمقراطية في الروتين الإداري والمماثلة السياسية بينما راحت الوضعية السياسية تتطور بسرعة في كل من تونس والمغرب وفيتنام.

رد فعل مصالي وإبعاده عن الحزب

في سنة 1952: أصبح مصالي ينظر بعين الفلق إلى ما آلت إليه الوضعية السياسية وإلى المستويات التي تمتعت إلية معجته الشخصية في جهاز الحزب؛ وكذا الاستياء المتزايد في صفوف المنضمين فقام بمرحلة من الحزائر لإعادة تنظيم الحركة. وكان يتمتع بلدية خفيفة على أنصار الطاب الجماهير وعلى إدارة حميته. ولقد تميز مهرجان البليدة بمحاضات ونوعيات شعبية كبيرة. ولكن السلطات الإدارية أوقفت جولات مصالي بشكل منهجي في الأصنام (الشلف حاليا) واستقبلت الشدب كفاتح من الأساطير والجمع فيوليسي لعذبة من الإلهام في الجزائر وأوضعت تحت الإقامة الجبرية في تونس.

كان غرض مصالي من خلال جولاته تلك تحريض الجماهير ضدها ضد الجناح المعتدل في جهاز الحزب. لكنه أخطأ في التقدير بسبب ثقافته المفرطة فلم يول تلك العذائين والإشادات الثورية طائرين على تصحيح الوضع آنذاك، بل فضك إيماءة نفسه بالمعجدين بنفسه الدائرين في تلكه إما من قناعة أو عن حسابات تكثيكية أو ربما عن مشاعر صادقة بالرفاء.

أهم أن جولاته تلك أصفرت من نتائج عكس التي كانت لرجى منها بحيث تم إبعاد مصالي فتمكن الجناح الإصلاحي في صفوف الإدارة من إحكام قبضته على الحزب وزيادة انحرافه.

تخلص الجناح المعتدل من عضلة المستلبة الفاضلة ومن مصالي (الذي إن لم نعرفه فيه كافة شروط الفقد الثوري في تلك المرحلة من الانحياز إلا أنه كان يمثل على الأقل ضعفا ضد وقوع الحزب في تشوهات الخطيرة) فكانت تلك إذن فرصة مباحة للمعتدلين لتنفيذ سياستهم وقد تجلت تلك السياسة في بيروقراطية الحزب وتحويله إلى أداة طيعة في خيستهم. ويكرههم من أن الجناح المعتدل احتفظ بالشعارات الماثورة إلا أنه كان مستعدا للتضعضاع إلى جميع الاتجاهات السياسية المعتدلة - الجزائرية والفرنسية - ولتتمارن معها لتحقيق أهدافه المحدودة. لقد

استغنى في الواقع عن خط الوحد الثورية في ميثاق الوحد الوطنية؛ وتلاه في منظور ضبابي المسورة بخصوص مفهوم التحرير الوطني: من غير أية استراتيجيات مضبوطة.

الأوضاع على الصعيد الخارجي.

ملأت على الأوضاع الخارجية في المغرب والمشوق تطورات جديدة، تزامنت مع نزوح الحركة الوطنية الجزائرية نحو الاتجاه السياسي المعتدل.

ففي تونس، وبفضل النظر عن التوجه السياسي الإصلاحية للحزب الدستوري الجديد، إلا أن أهميته تزايدت بعد الاعتراف بالجمهورية للمناضلين الدستوريين وإلزام متهم من عدد متزعم. لقد طُردوا الإضرابات، وخو جوا في مظاهرات واضطربوا مع قوات الأمن بسبب أعمال العنف التي مارستها الدائم العام (De Haute claque) والجنرال (Darl) ضدّهم، فكانت تلك الأحداث انطلاقة شعبية حقيقية ضدّ سياسة الأمر الواقع التي شنها القواعد وختمتها بعد الإطاحة بالباي، منصف (توفي في المعالي في مدينة Ede) وبديوان (Cheikh) سنة 1952

لما تعرضت منطقة "رأس بون" لعملية تمسيط في شهر جاني، وفيهري 1952 أدى ذلك إلى تصعيد الوعي السياسي لدى الجماهير والطائفة النضالية التي تجاوزت حدود المميزين ومماثلتهما فتغلقت في العمل المباشر من أجل التحرير الوطني.

إن سياسة المزاولة المجهدة إلى يومئذ لم تكن في غنى عن الكناج المسلح، الذي أشعل فتيله المناضلون الملتزمون.

وفي المغرب: تطورت الأوضاع بسرعة، وخاصة بعد أحداث الدار البيضاء. فقد نظم العمال المغربية مهرجانا للاحتجاج على مقتل لوجان حايدي، فانتقل الجميع إلى حملة جمع علوة شارك فيها السكان الأوروبيون (2)، وتعرّضوا لمغاربة أثناءها للتفتيل والتنكيل. وقد ألقى المقيم العام انقيض على كثير من المناضلين ومدع حزب الاستقلال من ممارسة النشاط السياسي.

ومن بين الأحداث ذات المستوى الكبير أيضا توقيع الأحزاب والمنظمات الوطنية الشمال الإفريقية على الحلف للشعالي الإفريقي في 2 فيفري 1952 بباريس، وقرارهم بتأسيس لجنة للوحدة والعمل⁽¹⁾.

وفي الشرق الأوسط، هاجم مصطفى - صغوما بطماهير الإيرانية - الشركات النفطية وهي رأس الحربة بالنسبة للإمبريالية العالمية، فكان مصطفى رأسا في مجال تأمين الثروات النفطية في تلك المنطقة.

وفي مصر، أطاح طغيان الأحزاب - رابطة مصر - بالملك فاروق واستولوا على السلطة في جويلية 1952.

إن هذه الأحداث معانم بارزة في مسير التطور التاريخي للحركات التحررية وتوسيع مدى كبح الشعوب ضد الهيمنة الإمبريالية.

بعد أن كان حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية في طليعة الكفاح المبائر بالتضيق مع الشعبين التونسي والمغربي؛ هاضم الآن قد تراجع إلى موقف جاهد تجارزي الأحداث. (لقد ولد الحزب سنة 1949 كلاً من بن بلّة وخزصر إلى تونس ليؤسسها مع مثالي الحزب الدستوري منظمة خلفه للكفاح المسلح المستمر). وكان الحزب على اتصال دائم بالحركات التحريرية في تونس والمغرب ولم يتردد من الانفصال من أجل وحدة العمل.

هكذا أنتج فكّاح في هذين البلدين ومبادئ الفروسة لتجسيد كل ذلك على أرض الواقع تهزبت الإنارة من الوفاء بوعودها؛ وحلوت شيرير موقفها السلبي بدعوى «أنّ التونسيين والمغاربة لم يستحقوا رأبها» بالرغم من أن القادة التونسيين والمغاربة كانوا يعتبرون أنّ طريقة الحلول لقضيتهم لم تكن مستحسنة مثل ما هو انسان بالنسبة للمحرثو.

إنّ مسؤولية أيّ حزب ثوري في تجاوز مثل تلك الاعتبارات ودركيز جلّ جهوده في سبل تحقيق مصلحة شعوب المغرب العربي، والواقع أنّ الانتقابات الموجهة إلى القادة الجزائريين يمكن توجيهها أيضا إلى بقية القادة المغاربة الذين لم

بهذهنوا أبداً على أنهم في مستوى المسؤولية التشريعية وبالتالي لم يساهموا في تمثيل الوحدة المغربية التي تربطها وشائج الكفاح والدماء والتضحيات. لم يكن لديهم جميعاً بعد النظر لفصح الإستراتيجية الإمبريالية ولقيادة الكفاح من أجل تحقيق الطموح الوطني لدى الشعوب.

الوضعية على الصعيد الداخلي.

الواقع أن انتمس **الجزائريين** كان منصفاً على الانتقادات البلدية في أفريل 1953 وعلى الأزمة المملكية في صفوف حزب الشعب الجزائري - حركة للتحرير الجذرية الديمقراطية. ولقد طرأت بعض التذبذبات المملكية على مسير الوضعية السياسية الجزائرية بدءاً بتشكيل في سنة 1951 - في صفوف المجلس الفرنسي - فريق اشتهر باسم "الليبراليين" مع ذلك شوفالييه والملياردير بلاشيت؛ وعل عامل المسألة "لبراري" ممثل لفنانين "نيجاليين" (في أفريل 1952 في منصب الحاكم العام).

أدلى "جاءك شوفالييه" بتصريح أكد فيه على ضرورة التطبيق التام لنصوص القانون الجزائري وضرورة تمديد تساهل الإدارة الفرنسية في الجزائر فكان ذلك التصريح منسجماً مع توجهات اتقادة الممثلين الذين كانوا يبعثون من لوطية للتعاون من أجل مصلحة السكان المسلمين على مستوى الإدارة المملكية.

إن قرار الحزب المشترك في الانتخابات يؤدي إلى التعاون مع الإدارة وخاصة على مستوى الولاءات التي فيها أعضاء من حزب الشعب الجزائري - حركة التحرر العربيات الديمقراطية الذين استمروا في التمسك بالخط السياسي لنزهم؛ وداروا في نفس الوقت تحسين ظروف المعيشة اليومية للمواطنين قدر الإمكان. لكنهم كانوا يسطفون بالنسبة الصريح من نواب الطائفة الانتخابية الأولى؛ المتمثلين في طروحات الجناح الرجعي الاستعماري. وبدل أن يكتفي نواب الحزب بنوع من التعاون المحدود على المستوى المحلي؛ فإنهم هضغوا مواصلة الكفاح السياسي وحرصوا على فضح الفروقات المفروضة عليهم من طرف أغلبية الطائفة الانتخابية الأولى العرقية لنفسا للسكان الأوربيين.

كلّ الحزب يعتبر المشاركة الانتخابية في شتى المستويات ضرورة مؤقّدة وقلّوية؛ ولكنّها في نفس الوقت وسيلة من وسائل الكفاح¹⁴ لأنها تمكّنه من تدعيم أسس التنظيم وتشرع مبادئه على أوسع نطاق. كانت سياسة الحزب آنذاك نابعة من الخطّ الثوري - قبل أن تعيد عن غنمها في السنوات المولّية - إلى درجة أنّها أصبحت سياسة معلّنة؛ يمكن فهمها بقراءات مختلفة حسب توجهات شتى القضاة للمواجدة في الحركة الوطنية.

عندما وصل "الليبراليون" وسعيهم شوفالييه إلى السلطة؛ فإنّ التيار السياسي المعتدل وحده فهم التوريك والمساعد على توسيع دائرة النشاطات في نسج قيها الوطنيين المعتدلين وهكذا رُفِعَ هذا الكيفي بحدود إلى انتهاء خطّ انتطالي مطالت للقطّ السائد في صفوف الحزب بحيث ظهر في حلة سياسية جديدة للفضال وفق أفكار جاك شوفالييه والفريق الليبرالي¹⁵

دخل مرشدو هذا التيار السهامي إلى المجلس البلدي للجزائر في 1911 ممثلاً من ملوك الأهل حمدين وكروان عبد الوحمان؛ وسيد علي عبد العديد اركان لامة الحزب على السبق؛ بحيث اكتسبت هذه المشاركة دلالة خاصة تجاوزت إطلو التفسير البلدي. ذلك أنّ نوعية النواب قفلمين للحزب (كلّ من متحترو القوائم أعضاء في إدارة الحزب) وكثّة شخصية جاك شوفالييه ومواقفه؛ كلّ ذلك ظهر كمحاولة سياسية للتقريب بين الاتجاهين المعتدلين المتابعين للكتكتين اللتين كلتا مبادئهنّ قبل زمن قصير؛ ومما حزب الشعب الجزائري - حركة أنقصلو السريات الديمقراطية من جهة؛ والاستمعل من جهة ثانية - هنا للتصالح الموضوعي والذاتي في أنّ واحد طرح جانباً ما كلّ جاك شوفالييه يسميه "ملوفي قتلضي". وهذا السهامي كغيره من الأوروبيين المونطيين بالامتعلو بدأ يمي بأن زمن السياسة الامتعمرية التقليدية قد انقضى؛ وكان يعيب عليها أساليبها العنيفة والمتطرسة؛ وتزويرها الانتخابات؛ وتطوعها للطريق أمام أيّ تطوّر حقيقي للسياسة الجزائرية؛ وكان يعتقد بأنّ تلك الأساليب كلّها ستؤدي حتماً إلى الكليدة بالنسبة للأوروبيين

في الجزائر. كان يطعم أكثر من ثلثه أحد غيره مدعى اللاعقلوية في مواقف الاعتداء المفرط بالنفوس والزهو والخيلاء التي أصابت لورويي الجزائر عندها خيال لهم أن الإدارة الاستعمارية قد استعادت زمام الأمور "وأكدت بحكم السيادة أكثر رسمية". فلم يكن يتجاهل الطموحات الحقيقية للجزائريين على الرغم من الانكماش الذي أصاب الحركة الوطنية. وكان كثيره من بعض السياسيين يود استغلال هذه المفوضة الموانعة لكي يترفع متعل الكفاح من أجل لتحد الوطني. فكان يحاول استدرج قسم من الوطنيين إلى الطيلو الإسلامي دون أن يجازف بالمصالح الجوهرية للأقلية الأوروبية و" بالتواجه للرئيسي ". كان يعتقد أن إعادة ترشيح الوصي الاستعماري الذي تجاوزته الأحداث سيؤدي إلى بروز فئة اجتماعية وسياسية جديدة، مزلفة من الأوروبيين والمسلمين ذوي المصالح المشتركة. وإن تكون لهذا الترشيح الجديد أية بعدانية مالم يبرهن دعائه على إخلاصهم وتكفهم الفكري على بعض الحقائق الجزائرية

كان على هذه السياسة الاستعمارية المعقنة أن تساهل بتدرجها الجزائريين "الثائرين على الوضع" وأن تنطفي عن استئصال "الضم المورث لها في كل الظروف" (من بني نعم نعم).

إن تحقيق الشؤخ بين الاستعمار وبين الانفصاليين ليس اكتشافا سياسيا حديثا. بل سبق أن دعت إليه كل المشاريع الإصلاحية السالفة منذ مشروع بلوم فلويت إلى القانون الجزائري؛ دون أن يحسم أمشي تغيير على علاقات السيطرة والاستغلال التي كرسها الاستعمار. ومن وجهة النظر الرسمية : فإنه لا يوجد استعمار في الجزائر باعتبارها "قوة فرنسية". وبالتالي فإن الأقلية الساحقة من الانجماات السياسية - على اختلاف توجهاتها - كانت تعتبر طموح الشعب إلى الاستقلال نوعا من الانفصالية تخطئها لما في نظر الوطنييين فإن عبارة الانفصاليين التي اخترعها الاستعمار وصفت لا يمكن تطبيقه على بلد كالجزائر؛ فلم يحدث لمكانته أن اعتبروا أنفسهم فرنسيين أبدا. بل هم قوم غلبوا على أمرهم بقوة السلاح بعد أن قارموه السيطرة الأجنبية على مدى أجيال. فمن وجهة النظر

الجزائرية (إن لا يمكن وضع الاستعمار و"الانفصالية" على صعيد واحد؛ إلا إذا كان الخلل هو تأكيد السيطرة الأجنبية في صورة الاستعمار حديث.

وبما أن عهد جاك شوفاليميه كان له بعض التأثير أثناء الأزمة التي هزتها الثورة حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية؛ فإنه من المفيد الاستشهاد ببعض المقولات من كتابه⁴⁶ حيث كتب ما يلي:

«نبدأ أولاً بتعريف المفهوم الحالي الذي كان سائداً - في وقت قريب - بخصوص فكرة الوحدة كما تشيورها بعض الجماعات المتخلفة خلف آخر خطوطها الدفاعية؛ فها هنا تدبّر تلك المفهوم بمفكرة سلبية ومهذبة تقوم على مبدأ الانهيار الفردي - الجزئي.

«هذا الاتحاد هو وحدة الممارس الحالية، لكننا نخلق جو من الثقة ننتج فيه الطاقات التي كانت مجهولة أو مقيّدة حتى الآن، لكننا بعد اليوم نستطيع التعبير عن أفكارنا، وهنا أمر ضروري، لأننا سنكتشف بهذه المناسبة كم كنا جاهل أو نرجس الجوانب الأخلاقية لمشكلتنا في الجزائر ووهذا تشوّهنا. نظرننا إلى الواقع، فلم تكن نقرأ خواطر ومشارع وأفكار المسلمين»

ثم يضيف قائلاً: «لعلّ هجرنا عن إدراك ضرورة حصول تطور في الأفكار هو سبب تبايننا عن بعضها وبسبب برودة العلاقات بين قطعتين الجزائريتين، فها هنا بالعمل على تجميع الوضع قبل فوات الأوان، وإنا نعلمنا هذا نكون قد حكمنا على أنفسنا بالتأخر».

هذه الاعتراضات الكثيرة لم تمنع صاحبها من الوقوع في مفاهيم خاطئة حين يصوّح قائلاً: «على عكس كل الادعاءات فإن كل جزائري لا يموّضها الرجال القادرون على التفكير والإدراك، ولكن الأدبيات السياسية المساعدة حالياً تدلّ على أن مروجيها يؤثرون إيقاعاً الأوضاع على حالها ويسألون انتشكيت هي نولية نهضة المصالحة؛ ويستنبئون بذلك هي إهدار الأفكار الحقيقية هذه الأدبيات للمتمسكة بالقلوب شغلز الخيالات السياسية الجزائرية في اتجاهين سياسيين اثنين أحدهما هو الاتجاه

تتو اللصقة الاستعمارية" وثانيهما هو الاتحاد - ذو الصلابة الاقتصادية - وكأما لا يوجد خلاص خارج واحد من هاتين التناقضتين. إن هذا التصنيف المؤسف لأنه مبالغ في تبسيط الأمور؛ يؤدي إلى الإغراق في تعميمات مؤسفة أيضا. وهكذا تؤدي هذه الأحكام المسبقة إلى ارتقاء مذهبه إلى أغلبية العناصر الأوروبية ذات ميول استعمارية؛ وإن أغلبية المعلمين متشبهون بالميول الاقتصادية. لا شك في وجود الاستعماريين المعتدلين الذين لا تربطهم بالجزائر سوى مصالحهم الأنانية، ولا هم لهم غير استفلاان القصي ما يمكن استغلاله من البلاد والعباد ولا يزودهم الانتقال إلى بلد آخر إذا بدا لهم أن فيه «مناخ أكبر».

طبي نطز شوطالبيه لا يمكن اعتبار هذا المصنف من الأشخاص ذوي خصائص جزائرية، و لا يمكن اعتبار هذا المصنف من الأشخاص متعين إلى المستعمرين ولا إلى عموم الجماعات الأوروبية التي تعيش في الجزائر وتتألم من هذا الحيلاء ومرها ولميت لديهم لا الرغبة ولا الإمكانيات لتغييره إلى بلد آخر.

الاستعمار الجديد

لكن الاستعمار لا يقتصر فقط من هذا - المصنف من الأشخاص - بل هؤلاء لا يمثلون سوى فئة المتطرفين القليل لم يكتفوا باستغلالهم البلاء في الجزائر لولا الجماهير الأوروبية ولولا النظام الإمبريالي الفرنسي.

يوجد هذه من المستعمرات الشائعة مثل: الجزائر الفرنسية، والخطوة الفرنسية؛ وشهرة السمعة الفرنسية الخ. قد تختلف سلوكيات الأشخاص والجماعات الفرنسية وتتنوع وقد تتضارب أحيانا ولكنها تمثل في كل الحالات حلقة الظاهرة الاستعمارية في شتى مظهرها. وكثيرا ما كان "العوام الأوروبيون" الذين يتحدث عنهم جاك شوطالبيه أكثر عنصرية في مواقفهم مقبولة بكمال المال، وصحيح أيضا أن هؤلاء الملاك كانوا يستحوذون على الوسائل الاقتصادية والسياسية القوية التي يمارسون بواسطتها عنصريتهم.

إنَّ القسما على العاطلين النقيضين - الذين يستيرهما هذا الكاتب فثنين تعذران
الأولية - أن يقضي نهائيا على العلاقات الاستعمارية المهيمنة على انسيطرة
والاستغلال والاستعباد. بل قصارى ما يمكن أن يحدث هو منح بعض الفلوق
للمصيرفة وتعميم قواعد هذا النظام. ولا شك في أنه لو تم حرمان الشعب الجزائري
من طبيعته المنفصالية (الانفصالية) لقطحت رحمة هذا النظام الذي أعيد ترتيبه.
إنَّ الانفصاليين الذين يتحدث عنهم شوفالبييه هم في الحقيقة من أكثر
المناضلين عزما وأشدهم وعيا بمشيمة الاستعمار العنيفة وبالطريق
والوسائل الكفيلة بالتغلب عليه. فكانوا يعتبرون بكل شجاعة عن الطموحات
العميلة للشعب الجزائري الذي لم يكن يتولى - عندما نتاج له الفرصة - عن
التعبير على توجهاته (منصوصا بمطالب الانشغيات الحرة فسيبا وبصموده في
وجه المصير). كثر من السياسيين الجزائريين المتمثلين أو القوالين للحكومة كانوا
يقدرون هذا الموقف خشية الإساءة، وكان من الممكن أن يخلقوا عن مراتهم
المنورة لو تميز ميزان القوى (مثلا) سمحت لاحقا أثناء الثورة). ففي مثل هذه
الوضع لا مناس من أن يتشكك في مشيئة الشعب فتتوي من الأقلية المستعمدة للاستجابة
وتكران الذات في ظروف الكفاح القاسية. غير أن هذه الأقلية هذا كانت تمثل
الأقلية إيديولوجيا إن لم نقل الأقلية المطلقة. وذلك هي صفات أي تنظيم توري
حقيقي عبر كل الأزمنة.

هكذا تتبنى الأقلية طموحات الشعب: فإنها تقرر ضرورة على الكفاح وعلى
تسخير الأوضاع التاريخية لصالح ذلك الشعب. إنَّ الأقلية التورية بلثمة الكفاح
الشعبي. فمماولة القضاء على "الانفصاليين" - على حد تعبير شوفالبييه - يعني
إضمار حركة التحرير الوطني؛ باستعمال أسلوب آخر لتحقيق نفس الهدف الذي
تسعى إليه أعمال الجمع التي تمولها الإدارة الاستعمارية.

كانت السياسات إن من مكاشفات في هفيما لصد الطريق في وجه القوى
للمكافحة من أجل استقلال الوطن وإهاء كل أشكال الاستعمار القديم والحديث.

كان معلوم هذه القوى يتصرفون بالقيم «الغضائوية» ودعاة حركة وطنية غيرية ومعتقدة لا توهم بحلول غير الحلول الناجية من تصوراتها. «وهو أن نوابلهم كفت صدقة لنهين لهم أن منحهم الطرباوي ثم يعد يلقي بحصر يشهد انهيار الحركات الوطنية تبويجيا؛ وللقوة تحو لتسليم أخلاق عاصمة أكثر شمولية».

لقد أخطأ جاك شوفالتيه؛ خطأ نوعا؛ لأن محاولته السياسية هي التي كانت طوباوية، أما رايه بخصوص لقول عهد الحركات الوطنية فحدثوا من خطا المظاهر هنا؛ لأن الحركات الوطنية لدى الشعوب المستعمرة شبيهة عن الذات؛ وتأكيد للوجود ككتاب وطني لا محترف بالامتياز.

إننا نطالبون على ضرورة التحولات والاتحادات؛ لكن ينبغي على تلك النظرة - رغم كونها ضرورة صورية - أن تأخذ بعين الاعتبار مصالح الشعوب كلها. ومصلحة الشعب الجزائري ليست - في السياسة الاستعمارية ولا في الانسداد الفرنسي ولا الفرنسي - إلا مصلحة الشعب الجزائري الأكنة هي بدور من القهضة الاستعمارية وعلى التحولات بعد ذلك حسب ما تلمح مصالحة وإثباتاته وطورف تطوره التاريخي. فمثلا؛ أنفردت المعاشات السابقة بخصوص الانسجام والقانون المدني والاعتماد الفرنسي؛ مما لا بدع سبعا للشك أن الشعب الجزائري يرفض كل ما يمس بشخصيته العربية الإسلامية. إن إحتوائه بخصوص التحولات كانت تلمح التطرف القنصرية والضمناوية. فكان يطمح أولا إلى توطيد العلاقات مع الشعوب العربية الإسلامية؛ تلك العلاقات التي حاول الاستعمار تحطيمها عتيا.

إن الجزائر التي كان جاك شوفالتيه يريد تأسيسها لم تكن لها إلا صلة وأهية بالجزائر الحقيقية؛ التي يرفض الجزائريون الخضوع فيها للاستعمار كأمر واقع. إن الهوية الشاسعة التي تفصل بين هذين التوسيتين لا يمكن تقليصها بتجاهل والمصنوب المخلفي المتعلق بالاستعمار والاتصالية إن التوسيع على الاستعمار هو المشكلة الرئيسية التي تفقد في وجه الجزائر للحرية الإسلامية. وإن فكرة أمعائها

كهوية مستقلة هي التي كانت تهزّ مشاعر ملايين الجزائريين الذين انقطعوا في خضمّ كداح تاريخي واسع العمق ولا يمكن لأية مشغورة أن توفهم بعد ذلك أبداً. إنّ سياسة جماعة الليبراليين مع "جناح شوقية" و"بلاشيت" كانت تعكس الاتجاه الاستعماري الجديد الذي بدأ يلوح في الأفق بعد فشل الأساليب الاستعمارية التقليدية؛ ذلك الأساليب التي شجّلوها كلّ من الحركة الوطنية الجزائرية والتطورات السياسية على الصعيد العالمي والتحديات الاقتصادية الجديدة [النمو الصناعي الخ...].

لقد أدانت اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية: الاستعمار الجديد بصفة رسمية حين قالت «على الصعيد الاقتصادي أصبحت الإمبريالية تستعمل أساليب أكثر تهذيباً وقد تولد استعمار جديد وهذا يحلّ محلّ الاستعمار التقليدي الذي كان قائماً على ملكية الأراضي إنّ الاستعمار الذي يدعي أنّه "ليبرالي" وهو لا يقلّ خائفة عن السابق جداً يظهر حالياً في صورتين الأولى هي محاولة القيام ببعض الإنجازات الاجتماعية والاقتصادية لإشغال الحركة الوطنية. لكنه نسي بدون شك أنّ الحركة الوطنية ليست حالة ذهنية طرفة ولكنّها تدرج في سياق تاريخي وتعدّ جذورها في موسم للشعب بمناخه وحاجاته الأنية ونظامه المستقبلية. أما الصورة الثانية للاستعمار فهي استعماله عملاء من نعط جديد، لقضاء مآربه السياسية؛ عملاء ليصر من فئة البهتر. ألحوات الإمبراليين الأفيين "أبناء الخيم الكبيرة" ولكنهم فئة جعيعة من الباشا ألحوات المنطّورين: أمثال فلارس ونيس للمجلس الجزائري^(١).

أزمة الحزب واتحاد المؤتمر الأول.

إنّ الاهتمام التام الذي حظيت به عبارة هذه الجماعة منته إلى نوازلها في صراع اللامكوات في صفوف إنفرد حزب للشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية. ذلك أنّ ممثلي هذه الجماعة ومعهم شوقية (شيخ بلقية الجزائر منذ 4 ماي 1953) قد دخلوا عهداً جديداً من التنازل مع المعتدلين في المجلس البلدي.

وقد فقد مصالي الحاج بهزوجه عن جبهة الحزب وضلوعهم في التعاون مع الخصم، حين بلغت أزمة الحزب أقصى حفاها.

ما فتئت الأزمة تشتد وتسوء في اتصال الحزب من قلبه إلى هامشه وإذا تم تحدث القسبة بعد فإن أجملها ليس بعيد. لقد مارس المناضلون والإشراف ضغوطا كبيرة للحفاظ على وحدة الحزب، ولم يكن أي فكر يوحى لنفسه لإزالة المناضلين ضدها سواء في تلك الاتصال معالي وأندلس الأحرار بل راح كلاهما يحتاط ليجلب إلى صفة أقصى ما يمكن من اتصال.

لم يكن من مصلحة مصالي أن يلقى خروج الجزائر وأولئك حارل وهو في إقامته بمدينة تيبورت أن يضم إلى صفه أهدالة فونسا والجامعة لحزب اللبيب الجزائري بمحركة الاتصال الحريات الديمقراطية. ومن جهة أخرى حاول اتصافه بالشمال نشاطات أنصار الأحرار المعتنقين في جهات الحزب. أما عناصر المنظمة الخاصة فراحوا بوسائلهم المحدودة يحاولون توضيح الفرق وتجنب الانسحاب من جهة التحيز إلى طروحات معينة دون غيرها متقامين بدوافع العاطفة المحضة. ومن جهة أخرى كان كلا التيارين السياسيين يثقل بعض الحذر والارتباك إلى أعضاء المنظمة الخاصة لأنهم كانوا يرفضون تبني تمروحات المنظمة على هلاك الحزب وخطه الشوري.

بلغت حدك التوتر درجة لم تحت إدلوة الحزب على عقد مؤتمر من 4 إلى 6 أبريل 1953 بقصر الحزب في رقم 2 ساحة شارتر بالعاصمة. حاول التدارك المعتدل (الأحرار ومن معه) استعمال شتى السبل والوسائل لمنع عقد من خصوصهم القياديين من حضور المؤتمر. ومن بين تلك السبل تعيين مكان المؤتمر في مقر الحزب، فكانت "الاعتبارات الأمنية" تروية لمنع حضور المعتنق الشوري المطلوبين من طرف الشرطة. وبهذه التكتيكية تخلف من سيقم المؤتمر وأغلبهم من أصدقاء الأحرار من إدارات المنظمة الخاصة والتنظيم السلمي، الذين قد تكون لهم نظرة مغايرة لمعالجة أزمة الحزب.

استمع المؤتمر إلى خطاب أحمد مزغنة (رئيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية) وأطلعوا على رسالة الزعيم مصالي الحاج إلى المؤتمر. ولم يشر المسؤولون بصفة رسمية إلى الأزمة التي تختتم في جميع الحزب.

لا يوجد أي قدر لموضوع الأزمة في وثائق المؤتمر^(١) التي قدمته اللجنة المركزية لهذه الهيئة. بل تضمنت وثيقة التقرير تطيلاً لنشاطات الحزب وتجاهاته وعن سياسة الفصح ونظور الأوضاع والركم النقائص. وعن وجهة النظر هذه فإن التقرير يعكس صيغاً نظرية صلبة؛ ولكنه لا يقدم أي جواب للتطلعات "الثورية" الواهنة. وبالرغم من إيمانه بطبيعة "الأهداف والوسائل" الثورية إلا أنه يندد بالتوجه "اليساري" وهو في الواقع توجه غير راد في حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

أما "الاتجاه الواقعي" الذي يفتوحه التقرير بدلاً عن "الاتجاه اليساري" المزعوم فهو نموية لحقيقة التخلي عن السياسة الثورية. ولعليل على ذلك تضمن التقرير عبارات غامضة مثل هذه: "نحن نأثرون فيما يخص الوسائل؛ فهذا لا يعني أننا سوف نستعمل تلك الوسائل بصورة طائشة وبغير روية".

وفي مكان آخر يشير هذا التقرير إلى فتوتين رئيسيتين، يسمي أولاهما مرحلة للمواقف الهجرية (من مارس 1947 إلى مارس 1948) ويسمي الثانية مرحلة للموقف الدفاعي (من 1948 إلى نهاية المؤتمر) ولكنه لا يقدم أية حجة جديدة لتبرير هذا التحليل ما عدا ظروف القمع.

لم يكن لهذه التبريرات المبرورة من ضعف سوى إلقاء الخطأ الإداري (بعد انتخابات المجلس الجزائري سنة 1945) تلك الإدارة التي أوصلت نفسها إلى وضعها الفعلي وفتحت الباب أمام التدهور التام لمسار الحركة (بهذا كان مؤتمراً 1947 قد كلفها: عكس ذلك: مهمة تفضير الهزيمة الشاملة).

ويقطع الدليل عن نشاط المؤتمر والخصية القمعية التي خرج بها؛ فإن مشاكل الحزب الحقيقية بقيت مطروحة؛ وأنت دور التناقض لعدم التوصل إلى أي حل ناجح.

وقد تجنّب المؤتمرون قلّصوا لنقضها الأساسية خلال المناقشات. وتجنّبوا الحديث عن أسباب الخلاف بين الثقات بل تفرّق المؤتمرون في توزيع بعض مناصب المسؤولية على أعضاء جدد في الهيئات القيادية (اللجنة المركزية والكتيب السياسي) وذلك لتعويض ثقل أعضاء مصالي المصنولين. وبالرغم من انتخاب مصالي (الخائب) ونهبا للحزب إلا أن أنصاره لم يسمعو لأية في اللجنة المركزية وفي الإدور.

إن المناورات التي شهدتها المؤتمرون وانعقادهم في وقت متأخر زاد الأزمة خطورة وجعلها تتفاقم بوتيرة سريعة جدا. وجعلت الجناح الثوري لم يكن ممثلا في المؤتمر ولم يتمكن من عرض تحفظاته؛ فإنه شروع بنفسه في انتقاد الإدارة بأكملها متهمًا إياها بقيادة الحزب نحو الإفلاس وبعدم الاكتراث بتطلعات القاعدة وبالنفاق في تحفيز الثورة. وتعدّ الجناح الثوري أيضا بموقف الإدارة المتخاذل وراضيه مع المثرة الإصلاحية العقيمة التي تلوح الحزب في طرق مسدود. ورغم أن مستوى انتقادات الجناح الثوري مثيرة نوعا ما مع انتقادات المصاليين إلا أنه لم يكن يساهمهم على ملول الخطأ لأنه يتهرم مسؤولون نهبا في نشوب أزمة الحزب.

كان الجناح الثوري يعتبر عوجات المصاليين ضد المؤكرين نهاية من الرغبة في القضاء على النجوم السياسيين من أجل السيطرة على الحزب وما لجوء المصاليين إلى استعمال "الألفاظ الثورية" إلا "خطاب تضاض غرضه جلب المناهضين إلى صفهم دون رسم خطة ثورية حقيقية. والواقع أن المصاليين صاموا مثل المؤكرين تماما في جعل الحزب يبعد عن مساره منذ سنة 1948. وكان الظاهر عليهم أنهم يخافون عن قضية مصالي أكثر من دفاعهم عن قضية الثورة ذاتها.

استمرّ انحصار "اللجنة المركزية" يتفقون مصالي لأسلوبه الجائر والمناظرة الحثيثة وميله إلى إثارة الجماهير وعدم ثمرته على العمل بفعالية. وكانت طروحاتهم تلاقي بعض قصدي لدى إشارات الجهاز التنظيمي؛ لكن دون المساس

بالفاعلية التي كانت لثانييتها تحت تأثير هبة ذلك الوطني. كانوا يعتبرون مواقف مصالي ردياً على عصب كلماته على تعيين الحزب ويؤمنون أن أنكاره للسياسة قد تجاوزتها الأحداث. ونلك حكم صحيح إلى حد ما ولكنه ينطبق عليهم أيضاً لأن "الفرقة العقلانية" التي كانوا يتظاهرون بها هي كل الظروف: باتت أكثر خسراً للحزب والضرورة من "الفرقة العاصجة" التي يدعون بها مصالي وتسلطه.

وعندما يتساءل المناضلون عن القضية الأساسية للمطلحة بفوجهات الحزب: فإن "تفصل اللجنة المركزية كانوا يؤمنون ثنائيتهم" بالواقعية الثورية" ويسألون في نفس الوقت إفتاح أنصارهم بأن ظروف قيام الثورة لم تكتمل بعد! وأن من الضروري القيام بمحضر حدي وطويل المدى. غير أن تصوراتهم هي ذات الوقت، كانت تدل على توجيههم نحو الانتباه المعتدل في استراتيجيتهم السياسية. ولم يكن المناضلون والإطارات التي تقاسمهم وجهة نظرهم مهيئة بالقضية للتصديق للضرورة. ولم تعد أفكارهم تنطبق مع المخططات الثورية، وانكفوا في نشاطهم بمسائل التنظيم الميكانيكي الروتيني الذي لم تعد له أهمية تذكر.

كان زيغ أنصار اللجنة المركزية يتجلى في هذا الميدان بصورة واضحة. فمنع عن توجيهاتهم زعزعة الإيمان والإرادة الثورية لدى الإطارات والمناضلين وتحريضهم إلى صبره منطكين ضد "الخيال" الواقعية الثورية" الذي يعني بهجرة وجبهة مناهضة الثورة.

لم يعترف مصالي وأصدقاؤه بالهزيمة بعد مؤتمر أبريل 1953: فذابوا للكفاح - باسم المبادئ الثورية - من أجل استماتة مواقفهم في أجهزة القيادة. ولما لاحظ مصالي أن أنصاره صاروا أقلية في اللجنة المركزية وأنهم مفصولون تدريجياً من إدارة الحزب، انتهت الإدارة بالخروج عن الخط وسحب ثقته من أسننها العام (يوسف بن خدة الذي كان في ذلك المنصب منذ بضعة أشهر) وطالب باستعادة السيطرة المطلقة.

لصالحه هذا الغالب برفض خاضع من طرف اللجنة المركزية التي وجدت نفسها أمام وضعية غير مقبولة ولا مبررة لها وهي ثم تشرح بعد هي أبناء المهام التي كلفها بها المؤتمر التحادي عشر: "لما ميزت السلطة بالسلطات المطلقة فتعود إلى وفائض سابقة عن المؤتمر - وهي ولين تضمنت بعض التصواب - إلا أنه لا يمكن توجيهها إلى لجنة مركزية وإدارة تشكلنا للتو وبمشاركة معالي نفسه.

لم يجوز أحد أثناء المناقشات - باستثناء مزغنة ومرياح مولاي - على مساندة موقف معالي. وفي التوضيح التي تم التصويت عليها* عبرت اللجنة المركزية عن أملها في أن يراجع رؤوس الحزب عن طلبه المتمثل بالسلطات المطلقة¹⁰⁴. وشكلت اللجنة المركزية لجنة لإقناع معالي الحزب بذلك. ولكن نظرا لجدية الخلاف وتصيب كل طرف في موقفه فإن المحاولة لم تكمل بالنجاح.

أزداد حجم الأزمة اتساعا بشكل يذخر بوقوع الكارثة. وراح كل اتجاه سياسي يناور لإحكام سيطرته على المنظمة تحسبا لانقراطيتها الوشيك.

في شهر ديسمبر 1953 أصدرت اللجنة المركزية نداء¹⁰⁵ لعقد مؤتمر وطني جزائري وقعه كل من حسين الأحمول وبين يوسف بن خدة وعبد الرحمن كبراني. وقد لاقى هذا النداء ببرنامج عمل موجّه إلى جميع شرائح الشعب الجزائري؛ وإلى كل الأحزاب والمنظمات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والشخصيات الديمقراطية المستقلة وكل الجزائريين بدون تمييز ممن معز على قلوبهم رفيع رأس الجزائر¹⁰⁶.

معالي يطالب بتخويله سلطات مطلقة.

بالرغم من أن مبدأ الوحدة الوطنية وفرد في توصيات المؤتمر الأخير إلا أن هذا النداء لعقد المؤتمر ظهر وكأنه عملية سياسية مدبرة ضد معالي (وغيره). ولا شك في أن ذلك هي القراءة السياسية لصيغور النداء هي هذا الوقت بالذات.

وجه الزعيم تقريراً شديداً للجهة إلى اللجنة المركزية المجتمع في فاتح جانفي قدّم فيه بـ "انحراف" إدارة الحزب وجحد سحب ثقته وليس فقط من الأمين العام وإنما من الإدارة كلها وطالب بحلها بـ "السلطات المطلقة" إلزامية.

لترىبكت اللجنة المركزية أمام الهجوم المضاد من طرف مصالي فاحتلّت كيف
 لتصرف أهل تمثّل - أم نعتزل؟ ثمّ قوّت اللّجوة إلى التعكيم بواسطة مؤتمر
 استثنائي غافرت لجنة ثلثة لتكديم عتّا الانتقّاح إلى اللّقاء الوطني؛ لكنّه رفض
 استقبّالها؛ بل ضاعف جهوده لاستمادة زمام الحزب ببلد وخاصة فاعنه
 التفضلية.

في 26 مارس 1954، أدركت اللجنة المركزية أنّ الوضع قد لقلت من يها اماما
 فندلّلت عن " جزء من سلطاتها العمالي لإيجاد المؤتمر وتحييد التشّون الجارية
 العادية، وذلك حرصا على صيانة وحدة الحزب والسماح لجميع الاتجاهات
 السياسية التي برزت خلال الأونة؛ بطرح وجهت ففورا في مؤتمر ديمقراطي
 تمثيلي حقّ." ⁽¹⁾

اكتشف مباحثو اللجنة المركزية - بعد مرّات الأوان - معامّن الديمقراطية
 التي كانه المصالحون يوسونها بالأقدم. أمّا اللجنة فتمنّكة خصمها لإعداد
 المؤتمر الاستثنائي - وكان معتم ففورا من أنصار مصالي - فقد شرعت بدورها
 في " تنليف " الحزب - بدوى مكانة الإصلاحين - فاقست من (مناصب
 المسئولية) جميع العناصر التي لا تتوافر فيها مخلص " الإعلان للحزب ببلد
 شورا."

تسبّبت كلّ هذه المسامحات في إسراع عملية تفكك الحزب، وكان من نتائجها
 أيضا انهراف اهتمام المناضلين عن مهمّتهم الأساسية ألا وهي فكّتاح من أجل
 التحرير. وبلغت عملية الهدم الفخفي ثلثة الأوج في المدة من 13 إلى 15 جويلية سنة
 1954؛ أي عندما عقد أنصار مصالي مؤتمر " فوكتا " في بلجيكا. ولقد أبلى
 المؤتمرون رأيهم في تقرير مصالي الذي وكّث غلّقاته ضدّ الإدارة - وخصمها
 ضدّ حسين الأحوال وعبد الرحمان كيوفن وسيد علي عبد الحميد - واستدّرض أهمّ
 مراحن حيلة الحزب وأهمّ أخطاء قيادته. لكنّ العواقبة ضدّ هؤلاء تصاحبت الإشلة
 إلى مسئولية مصالي للشخصية ومهما قيل عن مغلّقاته بسبب حملات الاضطهاد

والمضايقات التي لحقتها؛ إلا أنّ كزعيم كان يمتلك السلطات والوسائل الكافية بمنع انحوائ الحزب عن مسار الأصلي. ولقد توقّرت له عنة فرض لإنقاذ الحزب من شروخ الانقسام؛ سواء بمناقصة اعتماد دورات اللجنة المركزية (التي حضوها)؛ أو اللجنة الإدارية؛ أو برسم سياسة ثورية لا غموض فيها. ولكنه بساهم مثل غيره من المسمّيين في تفجير صقوف الحزب بسبب طمأنشات الانفعالية وبتجاهل لمسائل الحقيقية.

أدانت توصيات هذا المؤتمر الانحراف السياسي والتعاون مع الاستعمار الجديد وأصدر القرارات التالية:

1. حلّ اللجنة المركزية.

2. فصل المسؤولين المتسببين في الانحوائ السياسي والتعاون مع الاستعمار الجديد.

3. إعادة أملاك وممتلكات الحزب التي هي في حوزة الإدارة السابقة الممنولة على السياسة المتكورة آنفاً، وأقرّ المؤتمر "بالأغلبية" إسناد رئاسة الحزب مدى الحياة للحاج مصالي؛ وكذا منحه حقّلة التامة وتسلّطه السلطات المطلقة لإعادة تنظيم الحزب.

وأقرّ الحزب أيضاً ما يلي:

1. الرجوع إلى المبادئ الثورية التي أمنت بها الحركة منذ تأسيس نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري.

2. القضاء على الزواجر البيروقراطي الذي تخلف في الحزب منذ سجيء بعض المسؤولين.

3. التضامن للفعل مع الشعبين الشقيقين في تونس والمغرب⁽¹⁾.

وهذه النقطة هي جعلها حوصلة للانتقادات الرئيسية التي ما فتئت الإطارات والمناضلون يوجّهونها إلى القاعة (يما قههم مصالي) منذ سنوات عديدة.

اللجنة المركزية تنتظم مؤتمرها.

تغيب أعضاء اللجنة المركزية عن حضور المؤتمر بالترغم من "الدعوة الموجهة" إليهم شفها وكثاها خلال اجتماع اللجنة المركزية للمتعقد باستدعاء من طرف رئيس الحزب يوم 27 جوان 1954 "لكن تلك الدعوة كانت هي شرعاً أشبه ما تكون بالوقوف أمام المحكمة" وكانت تتلخّص في المحاكمة معروفة لديهم مسبقاً أي حضور الحكم بأنهم دون موافقة.

لقد امتنعوا إذن عن حضور "اجتماع تشعبت الموقوف" وفضلوا تحفيز انفسهم للهجوم المضاد، فردد شهر من "إيمانهم" من الحزب بختلهم "المركزيون" ما يمتدرون "مؤتمرا استثنائيا حقيقيا" في المؤسسة (من 13 إلى 16 أوت 1954) أسفر عنه ما يلي:

1. رفض مهمة الاندراج التي أصبغها عصالي ضيقهم.
2. تأكيد الخط السياسي الذي أفرد المؤتمر الثاني للحزب (أبريل 1953).
3. إعطاء مصلي ومنحة ومرواح مولاي من جميع وظائفهم في الحزب.
4. إدانة اجتماع النقطة المتعقد في ملجبا كحدث عنوان المؤتمر.

هكذا ومنت العملية بأكملها، واعتلات ثوب الإطارات والمناضلين الواهين، جزأنا من جراء صراع الإخوة الأعداء الفاضل بين التليزبون دون أدنى احترام للقاعدة المؤسسة بوحدة الصف.

اجتدم النزاع بين (المصليين) معاة "المبادئ الثورية" وبين (المركزيين) دعاة "الواقعية الثورية"، فشنت المقاتلة الثورية للكامنة وهي الكنز الوطني الثمين والوحيد.

لقد تم تنظيم حزب الشعب الجزائري - حركة لتتصلو بحريات الديمقراطية بعد أن كان الأداة المعول عليها للتحرير الوطني، فلقد تأسس بفضل انجهد الجهاد والتضحيات الجسمل ونكران الفآت من طرف آلاف المناضلين طيلة سنوات وسنوات من الكفاح. وحقق لقادة - بسبب ضعفهم وقصر نظرهم - الهدف الذي كان الاستعمار يصبو إليه؛ ولم يستطع بلوغه بالهدف وشي وسائل الدفع.

بعد أن أوصل للقادة الحزب إلى المرحلة الأخيرة، مرحلة الثورة العارضة التي كانت الاطارات والعناصر الذين سمعتمون لخوض غمارها؛ فإذا بهم يرهقون على عجزهم عن اجتياز الخطوة الأخيرة. لقد انزعجوا في برامة المتلوات العفوية والمشاجرات والصراع على النفوذ بعيداً عن طموحات القاعدة؛ وأهملوا قوتها بدل أن يوجهوها ¹¹ إلى القوى الاستعمارية. ولقد أدى ذلك إلى حدوث أولى الصدمات ¹² بين الإخوة الأعداء؛ بين أنصار مصالي وأنصار المركزيين. ومع تطور النزاع أخذت الاشتراكية الثورية تتراجع فليسحة العمل أمام أطماع المتمردين العنفيين باسمال "تسلطة" القبلية.

موقف القاعدة الضعيفة.

يستقي حزب المذهب الجزائري - حركة أنصار العريجات للديمقراطية مدّة وجوده وجدارته الشعبية وأهميته من الوظيفة الثورية التي ما اطلقت يذنبها على رأس الحركة الوطنية. وما ين بدأ يخفى عن هذه المهمة (ابتداء من سنة 1948) حتى سقط - كنتيجة منطقية - في مقابلة التناقضات والاضطراب. وما كانت التسريح والمبررات التي يتعلل بها كل من المصاليين والمركزيين: دياناً أياً من الفريقين لم يكن يهتم - حقيقة - بهذول مشترك المسار الثوري، علماً بأن الفرصة كانت حرجية (قبل اشتداد الأزمة) لطرح هذه المشاكل بشكل صواحداً لكنهم فضلوا الاحتفال على بعضهم البعض والتصالح على القاعدة. لقد تطلّوا جميعاً عن الخط الذي حدّره في مؤتمر 1947: لقدروا أنفسهم في الانتخبات المبرّرة سنة 1948 وفي المؤتمرات اللاحقة. ولقد تحمّلت المنظمة الخاصة بسبب جودهم؛ فلم يحرّكوا ساكنها. بل كان جلّ همهم هو حماية أنفسهم من القمع وفي سبيل ذلك نسجوا بشائناً غامضين في المعارك والسجون. ولقد سيطرت الإشارة إلى أن المركزيين كانوا يميلون إلى نوع من السياسة الإصلاحية التي كان الاتحاد السوفياتي للبيان الجزائري مع فرحات عباس والشيوخيين أكثر استعداداً لتبنيها. إن دعائهم "مع الاستعماريين الجدد" يعكس نوعية انخراطهم السياسية المتناقضة تماماً مع التوجه الثوري.

كان مصالي يمتنع بسمعة خرافة وكلفت له هيبة في قلوب المناضلين وفي صفوف القاعدة؛ لكنه لم يستعمل ذلك الرصيد لهذا الغرض لتنظيم الثوري، بل كان يلجأ إليه وإلى الخطاب الثوري عندما جوبه القذاح عن مكانته المهددة في الحزب. ولم يكن أحد من بين المناضلين ولا الإطارات ينكر دوره الأساسي في تأسيس الحركة الوطنية؛ ولا مكانته الشخصية كزعيم وطني، لكن - بعد الإخفاق المتكرر - أصبح من حق البعض أن يشككوا في مقبولة على قيادة الحزب بعفوية؛ وساروا ينددون بالزعامة القومية. وقد تبين فيما بعد أنه كان مبالغاً في تخوفه من أن يفقد زمام الحزب من يده وفي حرصه على إخماد مساعي من بين ثلثين ينجون له بالطاعة العمياء، ولا فرق بين هؤلاء وبين المسؤولين الذين يكن لهم كراهية كبيرة وكان يهتهم بالنزوح نحو الاتجاه الإصلاحي (مولاي مرياح؛ مزغلة الخ .).

في عز الأزمة سنة 1953 (قبل انقلاب المشرمين) حاولت عدة وفود إقناع مصالي بضرورة نشاطي انقسام الحزب، والبحث عن حلول أخرى غير العواطف المتسببة ودوره إلى الترويج شخصياً عن مستوى "التطاحن"، وكان في إمكانه توجيه نداء ثوري إلى الجماهير لإزالة عسكها وحشها على إهانة الحزب إلى مله الظهري، وثقافته من جرائم الخرافة الإصلاحي. لكنه كان شديد التمسك حول ذاته ولم يول أدنى ثقة للمناضلين الثوريين³ (وما فيهم أعضاء المنظمة الخاصة مثل بن بولعيد أو غيره).

كان مطالب بالثقة لنفسه فقط ويشتزم من الآخرين تبعية مطلقة له. وأصبح للكثير من الإطارات التي شاعلو مصالي نفس الانتقادات ضد "المركزيين" فتبر لأن أسلوبه في التصيير لم يعد يتماشى مع متطلبات القضية المستجدة ولا يجبر ممن يريد قيادة الثورة.

بهذا تعزز التيار المعارض الذي بدأ يهاور؛ وراح يخلص ضد التوجه الإصلاحي للإدارة؛ خصوصاً بعد تفكك المنظمة الخاصة. وصلت الشعارات المنادية بالحيادية الثورية على مستوى القاعدة والمقددة بالانحوائ، وبالعزاية السياسية الحقيقية تجاه أذنا صليبية في صفوف المناضلين والإطارات.

حاول "المصليون" و "المركزيون" استكواء مناهلي الحزب وإطرافه كل إلى جانبهم، مستعملين التحريض قارة والضغوط شارة أخرى؛ بالرغم من أن مؤلاء كانوا مشغولين من انقسام الصقرف. ولقد ساء عنهم الفكر الشوي على الصعود والحفاظ على وحدة النصف باعتبارهم مكسبا ثبوته وجعلت الكثير من الدوائر وانقسمت علاقتها للنظرية والإدارية مع كلا الجناحين؛ وكانت تلك التقطعة المؤلفة نوعا من الضغط على "الانفصاليين". عموما لأن الشخصيات القياسية لدى الطوقين - وخاصة مسالي - استغلّت المواطن للجياشة لدى شريحة واسعة في القاعدة فوشعت المتغلبين أمام معضلة الاختيار بين تيكو وأخر.

ثمة رسائل الدعاية الفوغائية التي تستخدمها المصليون والمركزيون على كل الأنداءات التي كانت تدعو القائمة القبلية إلى التمثل والتدبر في تطاعلات الأئمة

هكذا انشغلت الحركة الوطنية الجزائرية؛ واهلوت بنية حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية. بسبب خلال بعض لفافة واجتماعهم المفرد بالمرار على السلطة.

شواهد

- 1) هذه السياسة تبسّطها بعض الأمانة ومنها على الخصوص مثل معتق القلعة.
- 2) Cf. A. Julien op. cit. p.336.
- 3) Le Mouvement National Algérien, op.cit. p.292-293.
- 4) كتاب حركة التحرير القومية والديمقراطية - مؤتمر الوطني الثاني، ص. 13، حيث يمكن الاطلاع على ما يلي: إن مشاركة في الانتخابات قد قللتها الحزب كخطة سياسية ولم يحمل من الانتخابات هناك مستحقين أو مذهباً ولا كمنالية في حد ذاتها.
- 5) البلاد الحزب هي التي اتخذت قرار مشاركة الحزب في الانتخابات، من هذا فإن الانتخابات الموجهة صده لا تعني التبدل بل هي من أجل الاستنتاج، وطبعه فبشاركتها لا تعني أنها ستملأ مع لغير أو تحت مظلة من موافقة الرسمية، كما أننا لا نشارك للمسلمين الزاوي بنصوص التوافقهم "توجيه إلى المستقلين" واعتبارهم مطالبين مع الإدارة.
- 6) عبارة "المستقلين" في هذا الزمن هي ذات معنى تسيي باللعن بالفترة الأولى المتطرفة للمنطقة في بطل الحزب الشعب حركة التحرر القومية والديمقراطية.
- 6a) Chevalier, Nord Algérie, Colonne 167, 1958, p.102-103.
- 7) هذا ما أطلعتنا به جريدة "التحرر" صراحة وهي صحيفة ولسان على حركة التحرير السرية والديمقراطية المزعومة يوم 11 ديسمبر 1953.
- 8) Structure, 2^{ème} Congrès National du FLN, op. cit.
- 9) Journal algérienne, 3 septembre 1954.
- 10) Algérie libre, 18 Décembre 1953.
- 11) Nation Algérienne, 3 septembre 1954.
- 12) Algérie libre du 9 septembre 1954.
- 13) لقد نقلت للمصالحة الاستثنائية اسلاف كثيرة من هذا النوع. (4-5) La dépêche du 5-6

[sept.1954]



الفصل الثالث عشر

الاتجاه الراديكالي يشهد طفرة نوعية

تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل

تتمهّل الاتجاه الثالث

بعد أن انقسم الحزب نهائياً بحث الاتجاهان السياسيان في صراع مؤير من أجل الاستحواذ على القاعدة النضالية الحائرة. ولم يعزف العديد من المناهضين والإطارات بالانشقاق الذي حصل للحزب بعد انفصال "المصاليين" عن "المركزيين". فراحوا يبدلون الجهود المحلّة على وحدة القاعدة الحزبية في جميع أنحاء الجزائر وفي فرنسا ناهيك وهي مستهدفة سنة ١٩٥٤ مابز غريوك (من التيار الثوري المعارض) يتكون من ماضبي وإطارات المنظمة الطاجدة والمنظمة السوسلية (من بينهم المؤلف: وراحتة وبوميسة الخ.) بإصدار أول منشور بعنوان "نداء من أجل تحكم العقل" يحمل الإدوة - بما فيها مصالي - مسرلية تقسيم الحزب، ويسمر جميع المناهضين إلى التزام مؤلف حيادي إيجابي^(١) المصاليين والمركزيين. والمحافظة على وحدة القاعدة النضالية وحلّهم على تنظيم صفوفهم وفقاً للشروط في العمل الفعلي. وكان ذلك قبل أول دعوة مستقلة من الثنتين السياسيتين (المصاليين والمركزيين) نادت بصورة جدية بالالتزام بالاستمرارية الثورية.

وفيما بعد كثّف أعضاء المنظمة للخاصة والتنظيم السياسي وتيرة الاتصالات والتشاور وكان أغلبهم يعارض - منذ سنوات - لخط السياسي الذي لاتجاهته الإدارة. لذلك حرصت على عدم إبعاد المهتم بالحركة عنهم؛ فاستمعوا يناضلون في التعليمات المثقفة بالحزب في مكتبته في الخارج. وإن كان أعضاء الفريق

متكففين حول الدخيل الأساسي؛ المتمثل في خلق نيكو مستقل^{١٢} عن الفئتين المتنافستين؛ فهنّ لكلّ عضو وجهة نظر خاصة فيما يتعلق بالموقف من كلّ فئة (فمثلاً كان بوضياف يصقته مسئول التنظيم في فيدرالية فرنسا - وقد أساء العضائيون التعامل معه - كان يعمل بعض الضغينة عليهم ويميل إلى مناوئتهم المركزيين) أمّا مؤلف الكتاب وهو عضو لجنة الإعلام التابعة للتبويرقية؛ فكان يفضل الابتعاد عن الفئتين معاً كي لا ينسب لنيكو الجديد لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. وكان بن بلّة - الموجود في القاهرة - يشلّطه الرأى مع أغلبية الإجراءات المنضمة في الجزائر، لكن ظهرت بعض الخلافات عندما انعقد أولّ اجتماع لتأسيس الفريق الجديد (في بلويس مع مسهل سنة 1954) وكان سبب الخلاف هو مشاركة بعض الإطلاات الهامة من المركزيين - أمثال مزيد - فلمن اعتبروا غير مرغوب فيهم فتألق الجميع من غير القوسك إلى نتيجة.

لم ينلمح حين الاتصالات بين العناصر الموافقة على الفكرة الأساسية المتمثلة في ضرورة تشكيل تجمّع جديد تحسباً للانتقال إلى العمل المباشر^{١٣} في الحرب ولتت ممكن. وكان من الضروري تجنب فكرة الفرق والانقسام. والواقع أنّ عناصر المنظمة الخاصة لم يدوروا عن اختلاف المبادئ وما فتئت بعض الإطلاات المناضلة تبحث أيضاً عن الحلول ولم يكن المناضلون في منطقة قسنطينة منحلين إلى أيّ من الفئتين. وكان الأمر كذلك في شتى أنحاء الجزائر. وفي العاصمة ومنطقة القبائل كان المسؤولون أمثال كريم وأوعمران على اتصال مع الفئتين لكن دون أيّ التزام حقيقي مع أيّ منهما^{١٤}. وقد شكّلت فرق من المنظمة الخاصة في الأوراس مع مصطفى بن بولعيد وفي منطقة سوق أهراس مع باجي مختار؛ حيث بدوا الكفاح وشرعوا بقتلهم الداعم للثوار القومسيين قرب الحدود^{١٥}.

ولقد تعظم شأن الحركة المناهضة للانقسام والفئتين المتنازعتين وتجاوز حدود المنظمة الخاصة فنجد مثلاً ماروك محمد (وهو عضو سابق في القيادة العامة ومسؤول شبكة الاتصال في المنظمة الخاصة) وروغيني جيلالي (مسؤول على العاصمة) الذي نظّم عن النشاط السياسي؛ ويلحاج جيلالي الذي غادر

صفوف الحزب وكذلك ولد جموعة المصنوع على منطقة القبائل، أما المسئولون
القضاء أمثال بن بلة وليت أحمد ومحمد خيصر فكانوا في القاهرة أمّا وظيفي
حمو (مسئول سابق على منطقة وهران) ومحمد بوسفي (رئيس الفصاحة العامة)
فكانوا في السجن.

تأسست اللجنة الثورية للوحدة والعمل (في مارس 1954) تلبية للنداء المسلح
إلى توحيد هذه الحركة الجديدة وتحويلها إلى قوة مستقلة عن الاتجاكين
العسكريين المتحاربين وللمنع الانضمام وهدر الصلوات في الخصومات الحزبية
بين الإبراهيمين فقد كان لوان تشكيل الجبهة الثوري.

محاولة لسترجاع المفقود.

لا بد من الإشارة إلى ظهور بعض الاعتراضات في صفوف الجوار الثوري
بمقصود تشكيل هذه اللجنة الأولى (المركزة من بن بوعبد و بوضياف و سطفي
وبوشبوبة). ذلك أن هذين المضمولين الآخرين كانا من مناهضي طروحات اللجنة
المركزية إلى حد ما، وكانا على التوالي بفرسان وخطفي المسئولية والمراقبة على
المستوى الوطني إن وجوه هذين المصممين (بعيدا عن التشكيك في نزاهتهما)
لمن اللجنة الثورية للوحدة والعمل قد يوحي بأنها انطلقت عن فئة المركزية
الذين كانوا فعلا يرددون الاستيلاء على هذا الاتجاه الجديد بغرض استعماله ضد
مصالي. إن هذا التشويش ولو نظروا فيه من زاوية تكتيكية مجنونة¹³ فإنه يوفر
للمصاليين فرصة ثمينة للتهديد باللجنة الثورية للوحدة والعمل وإقناع مناصريهم
بأنها منظمة في خدمة المراكزيين وتلك من شأنه أن ينزع عنها صفة الحياد وينفي
حيادها الإيجابي ويسقط مصداقيتها ويضع عتة وجوبها أساسا.

كانت آراء اللجنة الثورية للوحدة والعمل تنشر في جريدتها المسماة "الوطني"¹⁴

(Je Puisse)

وكانت تنقل المصاليين بشكل خاص. وهنا ما جعل الثوريين يشعرون من
وقوع هذه اللجنة تحت سيطرة "المركزيين" وقد حاول بعض المتضادين التنبيه إلى

هذه القضية لكن اللجنة لم تصحح وجهتها هذه المسألة دفعت المؤلف إلى توجيه مراسلة في شكل مذكّرة بشرح فيها الخط الذي ينبغي على اللجنة الثورية التزامه كي تستجيب لمتطلبات المناضلين وتصدر رغبتهم في الظهور كتيكرو مستقلّ وحسب من يلا ومن لجنة القلعة أن يتدخلوا في نفس الصياغة. ولقد تمّ تصحيح هذا الخطأ اللغوي بعد السماح للكثير من المناضلين ومنهم بن مهيري وبن بوش مراد.

استغلّ المصاليون هذا التوضيح للمشوكر فاثقوا مناضليهم ضد المؤكدين وضد أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل⁽³⁾. ولكن بعد تصحيح الخطأ اللغوي اوبعدت اللجنة الثورية عن كلا الفريقين وراحت توضح الوضعية السياسية المسائدة آنذاك وتلتهم المسبب التي كل من المناضلون والإطارات ينتظرونها. بذلك دعمت اللجنة مركزها السياسي والأخلاقي فتسكّمت في عزّ الأزمة من تجديد الطاقات وتحليل الممارسة النوعية للتيار الثوري نحو المستوى الذي تملّيه الأوضاع الداخلية والطارئة. ودعت للحركة الوطنية إلى الاستجابة لمتطلبات الكفاح بدل الخضوع للاحتياجات الذاتية السلطوية.

المصاليون واللجنة المؤكدة؛ واللجنة الثورية للوحدة والعمل.

بلغت إدارة الحزب السامية مستوى متقدماً من التوفيق بحيث أصبحت مهمة إدارية تنظيم التيار الثوري من أولى الأولويات. هذا التيار الذي تشكل في رحم الحركة الوطنية وتطوّر تدريجياً إلى أن بلغ أثنائه في موزمبيق 1947 وضمّوا بعد تأسيس المنظمة الخاصة، ففي تلك المرحلة كان حزب الشعب للجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية - المتمكّن الوصول للمعركة الثورية. وكان من الممكن وصوله إلى مبدئه لولا دخول إدارته في جعجة لظنية لا حائل من روائعها بصرف المسائل الفكرية والاستراتيجية للعمل المبلّغ المثالي. أمّا المنظمة الخاصة فكانت تعطل الطليعة بدون نتائج؛ وكانت الإطار الأمثل لإعلان الثورة فكان الإدلاء بمثلت متلعة الانتخابات نون أن يكون لها تصوّر واضح للأفق المستقبلية. وبهذه الكيفية انفصلت عن قاعدتها وخلت روائعها وحسّنت الأزمة للكتابة بتجسيد الخيالات الثورية.

بعد انقضاء الإدارة وانقسام الحزب إلى ثلاثة اتجاهات متباينة: حلول المسئولون تدرك الأمر بالجوء سجدتها إلى القاعدة لمحاولة استرجاعها. فعاد كل اتجاه إلى الخطاب الثوري - لاستعادة القلوب إليه - ولكن دون التمرق إلى السبيل العملية لتجسيده. فكان مصالي يكتفي بطب "تجهيد نية للناس فيه" كي يتمكن من العودة إلى المبادئ الثورية. وقضى المراكزيون تحليل موقفهم المتردد يدعو "تخصير الظروف المثالية لئلا يخليها الواقعية الثورية".

أما اللجنة الثورية للوحدة والعمل قطعت من القاعدة تحمل مسئولياتها والمبادرة بسلوك الطريق للرحمة الكفيلة بتجاوز الأزمة. وهي المشروع في العمل المباشر في أقرب وقت. تلك هي الميزة التي ضمنت ثقة المناضلين في اللجنة الثورية للوحدة والعمل؛ على خصوصها المساليين والمركزيين المنهكين في نزاعاتهم العقيمة. كان تطور الوضع يقتضي بالفعل إعادة تنظيم الاتجاه الثوري؛ ولهذا التوجه تم استدعاء إدارات النشطة الخاصة إلى عقد اجتماع في العاصمة خلال شهر جوان. وقد شارك في ذلك المئات للمصنف 22 عضواً وناقشوا الموقف الذي ينبغي اتخاذه من المركزيين وكل المسائل المتعلقة بالانتقال بسرعة إلى العمل المسلح وما يترتب من ذلك من تخصيصات بشرية ومادية؛ ولم تكن هذه التخصيصات أمراً سهلاً.

كانت النشوة الثورية في الوحدة والعمل تتوفاً على وسائل التلذذ؛ وبالوهم من أن أفكارها كانت تجد صدى في نفوس المناضلين في القاعدة؛ إلا أن اللجنة لم تكن تحكم في أغلبيتهم. فاحتكت بمنشغل ومرد الفعل: متعملة في القضايا والمفوق للثوار المسالي - ومصورة أقل - صفوف الثوار المركزي الذي حاول بسط نفوذه على اللجنة؛ ولما فشل في مساعده لم تارقه بعض عناصره في العمل على تشييط عزيمة المناضلين كي يمنعوهم من الانتخاض في صفوفه. وكان المعتبطون يفشرون أفكارهم الانهزامية بالتركيز على فكرة "مطامعنا" الانتقال إلى العمل المسلح ضرب من الانتحار. وكان المساليون يعقلون قصارى جهدهم لإقناع القاعدة العميقة بين الأحاسيس الثورية ومشاعر الولاء للزعيم مصالي.

لم تلتزم أنوار الانقسام على مستوى - لقمة - إن انتقلت إلى القاعدة فقصتها إلى جناحين؛ كلاهما مفتوح بضرورة الانتقال إلى العمل المسلح؛ وقد انتابت الكثير منهم مشاعر الشرذمة والامتناع فصعب عليهم الفصل في الأمر والتزام موقفه واضح.

من بين عناصر الفكر القومي¹⁴ كان كل من بن بولعيد وبن بلعوي خضروا لكتف الحسين والمؤلف أعضاء في اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري. لكنهم لم يكونوا مشهورين على المستوى الوطني بسبب نشاطهم في ظروف العمل السري. فكانت أفكارهم تصل إلى المناضلين ولكن تأثيرهم السياسي ومقدورهم على التجنيد لم تكن تتجاوز الدائرة الضيقة من المناضلين والإطارات الذين يكاملون معهم ويضمونهم في صفوف المنظمة الخائفة. أضف إلى ذلك أن أغلبهم كان مغلوبا من طرف المنظمة فكان ذلك الأمر عكسا مما يخطر ببالهم وبين عموم المناضلين.

هكذا إذن كان جزء كبير من الطاقات الثورية للكتابة معطلا أو مبروكا في حيرة من أمره دون توجيه، إلا القليل ممن كانوا ميالين إلى فكرة تأسيس تنظيم مستقل. أما التيارات السياسية - من الإمارة إلى الشيوعيين وإلى الوطنيين من كل صوب - فإن نشاطها لم تكن ملائمة للظروف التي تتطلبها الثورة المسلحة. بل كانت على عكس ذلك تعوض مرحلة تنقير مبرمسي واضح وبالفعل لم يحدث ما يشير إلى حصول أي تطور في المواقف السياسية. فكانت التيارات المختلفة (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والمجاهدين وحزب الشعب) نظريا وعليا بعيدة عن توقع حدوث أي جديد.

أما حزب الشعب الجزائري - حوكة لتقصير الحويات الديمقراطية التي كافح وحده من أجل الاستقلال وأعدّ مناضليه والجماعات الشعبية لامتحان القوة المسلحة، فأصبح غير مؤهل معه أن تخلق قلبه عن التزاماتهم وتوفوا عن أداء واجبهم في ذلك الوقت الحاسم.

ونقد اقتنعت عناصر اللجنة الثورية بأنه لم يعد في وسع الحزب بعد الأزمة القيام بأية مبادرة لتحويل الطاقة للكلمة لدى الأعضاء إلى قوة متأهية لخوض المعارك. فكان لزاماً على اللجنة أن تعتمد على نفسها لإحداث التغيير الضروري؛ سواء على الصعيد لـصـرّ أساليب الكفاح أو إعانة تنظيم الصفوف أو تعديل الاستراتيجية السياسية أو وضع الخطط التكتيكية. فلم يعد من الضروري حينئذ احتظار نوافذ الشروط القبلية للانتقال إلى العمل المسلح. بل إن فئة قبلية من الأعضاء⁴⁴ من ذوي العزم الكلي للشروع في الكفاح المسلح كمرحلة أولى والمهم هو أن تكون تلك الفئة أقلية نواة للقيادة الجديدة وأن تتمتع بالاستقلالية الكاملة للمبادرة في بداية الأمر كي تتمكن من وضع حدٍّ للتناحر بين الفئتين وتوقف جنوح بعضهم نحو خيل الاعتدال والتأجيل الاصلاحي.

وكان من الضروري لتشكل قيادة جماعية، وتطبيق أسلوب لا مركزي في التسير حسب ما تقتضيه خصوصيات الوضع وظروف الكفاح.

وبعد تطهير الثورة وتحرير الطليقات كان لزاماً على ذلك التنظيم الجديد أن يهبط نفوذه إلى مجموع القوى القومية لتحويل الأقلية إلى أغلبية، ولطويع هذا الهدف ينبغي أن تعمل الفصائل السياسية منها وتطلب من مناهليها الانضمام في صفوف الحركة الجديدة.

إن إعادة تشكيل الحركة القومية⁴⁵ ليس شرطاً مسبقاً ولكنه سيكون نتيجة حتمية لتنازع الأحداث التي حتمت من اندلاع الكفاح المسلح. وإن الفعالية التي ستحدثها العمليات المسلحة الأولى ستعطي للجنة الثورية أفضلية استقرا وتبررها مكانة مرموقة في المنعرج فيجب حينئذ المصادقة عليها ورعايتها باستمرو واستغلالها لتنظيم القوى الشعبية التي ستندمج في الثورة. لأنه ثمة الأهمية بمكان المحصول على تعاملات الفئات الشعبية والتزامها.

لا شك في أن الفواتير الاستعمارية ستقبل الحضي جودها لإبادة ياكورية الجماعات الثورية الصاعدة؛ وسيجأ الاستعمار كعاسته إلى القمع والاضطهاد لتكبيط عزيمته الضعيف وعزله عن الحركة الثورية.

كانت العمليات العسكرية العمومية^{١٤} تهدف أولاً الأمر إلى إحداث المفاجئة في صفوف الشعب والمضادين ووضع حد للوكود الفيتشي المساندة ونبد الصراعات العلنية بين التشكيلات السياسية؛ وقنع سبيل جبهة الفلاحين، فلا مناص من توحيد القوى الوطنية وتجنيبها ولاء الهدف الوحيد وهو التمييز الوطني باعتباره المعركة العليا للشعب الجزائري.

ولوضع حد نهائي لهيمنة العدو الاستعماري؛ طلب من كافة القوى أن تتجند لخوض معركة طويلة وشاقة، وهكذا تلاحقت الخلافات السياسية وانضممت الفروق الاجتماعية أمام ضرورات تبظم الجهود وهيكله الجماعي وإبراز القيادة السياسية.

وبالنفوذي مع العمل ضد القوى الاستعمارية؛ كانت حملات الشروع والنهضة تجري على قدم وساق - على جميع المقادير - لتوضيح الأسباب التي أرسلت الحركة الوطنية إلى هذا المأزق. وكانت معظم فواصل النهار ثوري مؤمنة بهذه الأمان، وإلها يعود الفضل في حمل العمل الثوري والمبارزة بإسراع وثيرة المسار الثوري الذي كان معطلاً (بسبب أزمة حزب الشعب - حركة انفصال الحريات الديمقراطية) وخاصة قبيل الفاتح موسير ١٩٥٤.

والواقع أنه لابد من إنصاف حزب الشعب - حركة انفصال الحريات الديمقراطية بالتأكيد على دوره المؤرخ في تنمية الوعي الثوري في صفوف الشعب؛ فبدون ذلك الوعي لا يستطيع أي فريق مبدئي - مهما كان التزامه - أن يشرع في العمل المسلح وأن يحقق بعض النجاح بعد أشهر قليلة من التمرير والتنظيم. ولا يمتثل الأمر هنا بالعمليات المسلحة المحدودة والمعزولة عن الجماهير ولكن الأمر متعلق بتخلق ظروف قيام حزب شعبية حقيقية.

ولابد من التذكير كذلك بأن الكفاح المسلح في المغرب واليونان وهولندا وقيام الثورة المصرية، تلك كلها عوامل إيجابية ومفجعة تندرج في سياق ملائم لتقييم الموضوعية واتخاذ القرارات المناسبة.

تخصيب اللجنة الثورية.

بعد انعقاد الاجتماع المشهور باسم "اجتماع الـ 22" (الجنة الثورية) شرع في إرساء أسس التنظيم بصورة عبر قترولي الوطني وفي الخلق؛ للاستفادة من الثورات السابقة آنذاك.

تشعب التنظيم الجديد وفق مبادئ الحرب الثورية الشعبية التي تقوم على وحدة الفعل السياسي والعسكري؛ وركز على تجنيد الجماهير ذلك أن حرب العصابات تلازم معرفة عميقة بالجماهير الشعبية التي تحول الثورة إلى كل أنحاء الوطن وتخلق عمرها زمناً طويلاً؛ لأن طابعها هو أنها تتحقق أهداف الكفاح.

كان المناضلون الذين اعتنوا هذه الحقبة اليوم الموعود؛ يعاونون حتى المعرفة متطلبات الكفاح الثوري؛ فقد تخرجوا على يد "ممنظمة الدراسة" وكانوا أوفياء بديورتهم وبالتهذيب التي استخلصوها من الحركات الثورية مماثل في العالم.

تم تقسيم الزوايا الوطني إلى 5 مناطق كما يلي:

- 1- منطقة الأوراس الخماسية بقيادة مسجل بن بوعبيد.
- 2- منطقة الشمال الشرقي بقيادة بيموش مراد.
- 3- منطقة القبائل بقيادة كريم بنقاسم.
- 4- منطقة الجزائر العاصمة وسواحلها؛ بقيادة وادج بيطاط.
- 5- منطقة وهران؛ بقيادة العربي بن مهيدي.

كما تم تكليف محمد بوضياف بمهمة الداميق بين الداخل والخارج؛ أي مع المتدربين في القاهرة وشبين بلة؛ حيث أقيمت لاجتماعات وكذلك مع المهاجرين في فرنسا (حيث تأسست فيدرالية جبهة التحرير الوطني برئاسة المؤلف في الفترة الأولى).⁹⁰

كانت قيادة التنظيم جماعية - منذ الانفصال الأولى - وقد تحولت العناصر القيادية بروح جديدة والتضحية كل أسلوب القيادة الجماعية يفرض نفسه؛ ولم

ما يلاحظ أحياناً من التحيل إلى استعمال السلطة الشخصية أو السلوك البيروقراطي. (على عكس ما يدّعي بعض المؤلفين الذين يروجون لفكرة انتفاضة الجبهة في لاهور بعض مسئولى الحقائق). ويترجم من أولوية الداخل على الخارج؛ لم يلاحظ تمييز كبير بينهما ولا بين المسئولين السياسيين والعسكريين، (ظهرت بعض هذه المفاهيم فيما بعد في شكل استحقاقات تخصصية نتيجة الصراع على السلطة).

كانت مناهب المسئولية دليلاً على الوظائف الضرورية والصعبة التي يجب القيام بها لمصلحة الثورة مثل أي اعتبار وفي حدود الحرية ما أمكن.

لم يهتم نائب مسئول المنطقة ورئيس الجبهة أو القمّاع أو المجموعة، مماثلة من حيث الأهمية، وكذلك مهام التسييل^{٤٨} والمناضل في المناطق الحضرية وجامع الأموال والأسلحة والمرتزقة. كانت كلها مهام حيوية وضرورية لمواصلة العمل الثوري ولقد تمكنت هيكل التنظيم بالعمود الكاكية التي تسمح بتبادل الوظائف ومناصب المسئولية حسب ما تقتضيه الظروف.

وتمثل الدور المهم للثقة في فترة على الإحاطة بما يجري في منطقة وكلاءه على تنظيم النشاطات وتنسيقها حسب ما تقتضيه أهداف الكفاح إن الصعوبات التي كانت تحول دون الاتصال اليومي بين المسئولين فرضت معها عن الاستقلالية في المباشرة بالقوات في كل منطقة ووجهة ولكنها استقلالية لم تكن تخرج عن إطار المخطط العام والأهداف المجمعّة على المدى الطويل، كل الإشراف المركزي الضروري لتفسيك البناء الثوري؛ يتجلى على الصعيد الإمبرولوجي والسياسي وليس على الصعيد الهيكلي بقليل.

كانت لذلك التنظيم الذي فرضته الظروف مزايا وماخذ في آن واحد؛ فهو من جهة يسمح بالمبادرات الإبداعية ويسمح بتجنيد الرجال وتوعيتهم. ولكنه ينطوي على بعض المخاطر مثل اختلاف الرؤى وظهرت بعض الانحرافات من طرف العناصر الشابة ذات الخبرة القليلة يفتنون الثورة لكن تلك المخاطر لم تكن من

الانشغالات الأساسية لأن الشرعية السياسية كغاية بولقنه إن القضية المستعجلة هي تفجير الثورة المسلحة.

تناهت الاجتماعات في العاصمة بهدف إقامة الهياكل الجديدة وتوزيع الأسلحة وضبط الأسرانية والتكتيك. وتواصلت الاتصالات مع الوفد الخارجي (بن بلّة، خيضر، كيت أحمد) التي كانت من حيثها تستقر الظروف السياسية والديبلوماسية والوحيثية المناسبة.

عقدوا مؤتمرات بولّة بوليس¹⁴ في سنة 1953: فكر مع بوضياف والمؤلف في البحث عن إمكانيات الدعم لهذه التجمعات فقد استطاع بن بلّة إقناع الوفد الخارجي بوجوهة نظام المناقشة الخاصة: وإقناع بملقات الثورة - وعلى الخصوص عبد الناصر - اقتنعهم بضرورة دعم الاتجاه الثوري الجديد الذي كان في طور التكوين كما استعان ببعض الجزائريين المقيمين في ليبيا (بشير القادي) وفي مصر لإرساء قواعد شبكة التمويه والدعم والتي بمصطفى بن بولعيد في طرابلس للمرة الأولى سنة 1954.

وقعت لقاءات عديدة في سويسرا بين الوفد الخارجي والوفد الجزائري. وفي شهر جويلية اجتمع بن بلّة وبوضياف وبن بولعيد ودمروش مراد في مدينة "برن" لفضيق الأعمال.

في 10 أكتوبر 1954 اجتمع رؤساء المنطقة الخمسة (بن بولعيد، دمروش مراد، كريم بلقاسم، رايح بيطاط: القومي من مهيدي) مع بوضياف لوضع اللصقات الأخيرة قبل تأسيس جيش التحرير الوطني. حمية التحرير الوطني وإعداد نصرة التصريحات¹⁵ وتعبئة اليوم الموعود أي 1 نوفمبر 1954 حتى الساعة الصفر (في البداية حدد يوم 15 أكتوبر كموعود؛ ولكن تمرد بعض الأنصار أثبت إلى تأجيله) والتقى الجميع مجددا يوم 25 أكتوبر 1954 لمصطقتفاصيل والتجزيات الأخيرة. وبعد هذا الاجتماع كلف بوضياف بالتنسيق بين رؤساء المناطق والحاجز وانتقل إلى القاهرة التي وصلها يوم 2 نوفمبر 1954. لكن من المفروض أن يعود إلى الجزائر بعد الانتهاء من مهمته لكن الظروف تجبرته على البقاء في الخارج¹⁶.

آخر محاولة لتوحيد الصف

حاول الوفد الخارجي مع بن بك و خيضر وأيت أحمد (أضاع "المصلحين" و"المركزيين" يتجاوز خلافاتهم وقبول وحدة العمل المصلح في إطار الصيغة الجديدة للحركة الوطنية) جبهة التحرير الوطني - جيش التحرير الوطني) واقترح الوفد عليهم مقابل ضمانات هؤلاء وأولئك تعهد كافة القوى للمترابطة في حزب الشعب وحركة انتماء الحريات الديمقراطية: أما الشخصيات أمثال ممالي قبلي في عليها الالتحاق بالخروج، ونفس الاتجاهين السياسيين تلك الاقتراحات مترومين بأن الفلور ليس من صلاحياتهم وبخطورة الوضع الراهن، ثم جرت محاولة أخيرة للانحياز ليلة اندلاع الثورة: وهذا هو وجود "يزيد والأحول من المركزيين" و"الباقي حركي" ومنعنة من المصاليين في القائمة خلال الأيام الأولى من توحيدهم في الفترة السابقة لأنحاز نوفمبر لم تتوقف النزاعات بين الفرقاء ولم تنقطع الاتصالات بين الاتجاهات الثلاث التي ظهرت منذ انشطار حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية (المنظمة الخاصة ذات الاتجاه القومي) والمصاليين (والعكزيين) واستمرت الاتصالات أيضا على مستوى القاعدة بين المناهضين والإطارات، دارت مناقشات مهاسية عامة بين تلك الاتجاهات حول سبل ووسائل التمير، فكانت القاعدة الفضائية - رغم الانتماءات المتباينة بين المصاليين والعكزيين - تبحث عن طريق آخر؛ وكانت الفاعلية العظمى من العناصر ثقت في حالة شوق وانطلاق للشجته وراء أول اتجاه سياسي يمار إلى العمل المصلح. فكل ذلك في نظرهم هو المقواس والشروط الوحيد لكل الالتزام جذبي، وذلك هو السبيل الوحيد لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه الإصلاحيون (حزب البنا، والعلماء والحزب الشيوعي) من جهة، وقادة (حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية) من جهة أخرى، ولقد تحمل هذا التصلر مسؤولية كبرى بسبب المنزلة المطالبة بالاستقلال الوطني وبسبب توجيه مفاصله وجهة ثورية وبسبب السمعة التي اكتسبها في صفوف أجيالهم الشعبية. إن انهيار هذا الاتجاه سيكون ضرورية قاضية للحركة الوطنية

من بين 7 مواد كانت تدرس باللغة العربية من طرف 7 أساتذة جزائريين 4 منها فقط كانت تخضع لامتحان الخارج. أما المواد التي كلفت بتدريس باللغة الفرنسية وعددها 15 مادة يدرسها 16 أستاذ فرنسي متقيدون من الجامعة، 13 مادة كان يتم الامتحان فيها.. من جهة أخرى فإن البرنامج الذي وضعها الاستعمار كانت تعكس ذهنيته، فقضايا المنحرجون من مدرسته كانوا يذهبون تعليمهم دون اكتساب ثقافة أو تكوين ملائم.. وكانت اللغة العربية تلتزم في المعهد ساعتان في الأسبوع، كانت مخصصة لتدريسها¹²⁴.

خلاصة القول، ينبغي الإشارة إلى أن هذه المؤسسة لم تؤسس من أجل تعليم يعطي بالعربية، ولقد تميز تدريس هذه اللغة في المدارس الابتدائية والثانوية بالخصف، في الموسم الدراسي 1950-1951، بلغ عدد الهيئة التعليمية العربية 111 بينما وصل عدد معلمي التعليم الفرنسي 10.000 معلم.

أما المبلغ المخصص لتعليم العربية والمقرر = 37.585.000 فرنك فيلزم لوجده مدى الاعتماد الذي أولت الإدارة الاستعمارية لهذا للتعليم (الاعتمادات التي خصصت لبناء ممرج بالقرب من الجزائر كانت أهم بكثير).

كان التعليم يقتصر على فئات قروية كاتبة الأساسية والمبادئ الأساسية للنحو (مشور مقرر أكاديمية مستعينة بتاريخ 25 سبتمبر 1950، ولما المرسوم الوزاري المؤرخ في 11 مارس 1949¹²⁵.. لا أن هذا القول لم يدخل أي تحسين بالنظر إلى الوقت المخصص له (ساعتان في الأسبوع ابتداء من السنة الأولى للتعليم أما السنة المتضخمة فلم يشتملها هذا القول). وكذلك بالنسبة لمحتوى المحتاج المقرر كان المتوسون يميلون بشكل مؤلف ووضعهم كان مرفوضا لتقدير رئيس الجامعة والمفتش العام، ولم يكن هناك في قانون يخص بالمعلمين أضف إلى ذلك أن تعليم اللغة العربية مثل اللغات الأجنبية كان اختياريا.

التعليم التقليدي-

لقد تم تدريس تعليم اللغة العربية، غير أنه لم يتوقف نهائيا بفضل حرص الجماهير الشعبية وتمسكهم بالتقاليد وثقافتهم العسمة، ومعروف أن الجزائريين لا

يميزون بين تعليم القرآن والتثقيف العربية بأختياريهما رموزاً إجبارية وإتفاقية؛ هنا التشبيك بالقيم هو في حد ذاته محذور للمواطنة. كان المجتمع الجزائري يشعر عن وعي أو عن غير وهي أن وجوهه موعون ببلدية بتقافته لأن القرآن واللغة العربية بهيذان مثاليان. هذه القيم الوليدة كانت تمدد بالمعزومة هي مواصلة المقاومة ضد المستعمر، وتمنحه القدرة والطاقة لتجاوز كل الصعاب. فبفضل اللغة العربية يحافظ الجزائريون على شعورهم بالانتماء إلى عالم أوسع يربطهم به التكوين.

كان المجتمع الجزائري، في مواجهة السلطة الاستعمارية، يشعر بأن التعليم الفرنسي يمس بشخصيته. فرفض هذا التعليم حتى بعد أن أصبح إجبارياً. ولما لم يبق له إلا المحافظة على وجوده اضطر إلى قبول هذا التعليم كوسيلة ضرورية لحل مشاكل الحياة المتبادرة أن يخلصه عن خلافاته الخاصة التي صارت تميز وسيلة لتسوية بالنفس⁽¹⁴⁾.

رغم أن الطرق الدينية قد تمكنت فيما بعد للتغلب، فإنها قامت بدور هام في مواصلة التعليم. شأنها هي أن تكون كليات قرآنية والمساجد والمدارس القرآنية الخاصة. سمحت لأغلبية من الأطفال تلاميذ من كل جيل من اكتساب معرفة كانت تعتبر مع بسليلتها سنية وحيوية لتقليد التلايد. لقد أقم "الطلبة" رغم مستوياتهم المنخفضة، خدمة جليلة للمجتمع عندما كان يتعرض لهجوم المستعمر. كانوا منظمين وسط هذا المجتمع، ينشغلون فياكلة ويساهمون في إنعاش فهمهم التقليدي فيضمون بذلك أقل ما يمكن من الوظيفية الفكرية. وهناك نوع آخر قد ساهم مع ذلك، في هذه الوظيفية وينطق الأمر بالجزائريين الذين استطاعوا بمواصلة الخاصة، مواصلة تواسلهم في فلس، وثقافة، وفي القاهرة وفي الشرق الأدنى. هذا النشاط الفكري الذي تواصل من جيل إلى جيل كان يحقق حياة ثقافية محدودة ولكنها تمكّنة إلى حد بعيد في القفاز عن المجتمع والمحافظة عليه.

بعد الحرب العالمية الأولى عرفت هذا التعليم تطورات جديدة بفضل حركة الإصلاح على يد جمعية العلماء. كان هذا التجدد الذي أتى به العلماء مؤمناً على

تعليم اللغة العربية والعودة إلى الإسلام الصحيح. قد أحدث منافسة حقيقية مع "التقليديين" من أصحاب الزوايا. فتمنع عن ذلك تقدم هام لتحديث مساهمة التعليم⁷⁷. ولقد تأكد "الأهالي" أكثر مما كان يقال ويكتب عن هذا التعليم، فأنشئوا المدارس العرة لتفشر المعارف المعصومة، الأمر الذي أجبز الزوايا على مسايرة التيار الجديد وغما عنها.

ورغم عراقل الإدارة وموانعها انتشر تعليم اللغة العربية تدريجيا، وبدأ نوع من النزاع بين "الإصلاح التعليمي" و"التقليدية المسافضة". ولكن هذه النزعة الأمازيغية التي كانت السلطة الاستعمارية توفيقها عن كثب وتستعملها ضد الاتجاه الأول، أخذت تخسر شيئا فشيئا المعركة دون أن تزلزل تعلمها. كان قادتها المتواطعون مع السلطة ينفقون نفوس الناس لهم، ومع ذلك عين هؤلاء الطرقيين تمسكوا بمعارضتهم للمصلحين بتحريض من الإدارة، غير أنهم حاولوا في نفس الوقت صيانة تعليم اللغة⁷⁸.

لقد امتلئت حركة تهديد التعليم العربي في آن واحد مع الحركة الوطنية وكانت جزءا من مكوناتها، ولا ينبغي مع ذلك المبالغة في مدى فعالية هذا التحطم سواء على المستوى الكمي أو على المستوى النوعي. فإنا نكن نتمتع بالتقدير والاحترام من طرف الأهالي، فإنه كان غير كاف، فثبتة. ولم يكن يستطيع نهوض التربية الوطنية، لأن وسائله لم تكن قائمة على منافسة وسائل الإدارة فيما يتعلق بتعليم اللغة الفرنسية⁷⁹.

كان عدد المؤسسات الابتدائية والثانوية الخاصة؛ للتعليم العربي 90 سنة 1947 و 181 سنة 1954 منها 56 ثانوية مختلف فيها ما يقارب 40.000 تلميذ. إنها مدارس اختلفت بممارسة من "الأهالي" الذين يتكفون بكل النفقات المأزومة لتسييرها. وإذا كانت جمعية العلماء هي التي تقوم بالجهود الرئيسية، فإن الحركة الوطنية كانت معنية بالأمر أيضا فكان حزب الشعب يساهم بكيهية مشهقة في التعريب وكانت له عدة مؤسسات تابعة له، ولكن هذا التعليم لم يكن يتعدى المستوى الثانوي، وكثيرا

ما كان يترتب للمضايقات الإدارية. وكنت بعض المعارض تُقلقُ بسبب ما يروج فيها من العناية الوطنية.

كان من المستحيل إنشاء مؤسسات على المستوى الجامعي (ما عدا مؤسسة ابن بابيس في قسنطينة). لهذا كانت أقلية قليلة من الجزائريين الذين يريدون الانتقال إلى المستوى العالي. يواصلون تكوينهم في الجامعات العربية الإسلامية. وهكذا بلغ عدد الطلبة سنة 1954، 120 بجامعة الزيتونة (تونس)، 120 بالقرطيين (المغرب) و 150 بالآزهر (مصر). إن اكتفينا بنكر أهم التجمعات، كان مجموع الطلبة (1270) يساوي ضعف عدد الجزائريين (589) المسجلين في الجامعات الفرنسية.

حصيلة التعليم في سنة 1954

كان التعليم الرسمي الفرنسي قد بلغ في تلك الفترة (1954) النتائج الآتية:

| الجزائريون الممتدسون | الابتدائي | ثانوي | العالي |
|----------------------|-----------|-------|--------|
| 1954 1949 | 302 000 | 6 750 | 589 |
| 1954-1955 | 222 700 | 515 | 1 187 |

كان أقل من طفل جزائري واحد من بين عشرة بخلاف إلى المدرسة. ولكن في الواقع، هبى من بين خمسة وبنث من بين ستة عشرة. وتصل هذه النسبة في الأرياف إلى واحد من بين خمسين أو مئتين في بعض المناطق. ولقد نتج عن سياسة المدرس هذه - رغم بعض الجهد وبعض التقدم - وجود نسبة عالية جداً من الأميين في اللغة الفرنسية، 94% عند الرجال و 98% عند النساء. أما لكونهم "الثخينة" فيظهر من الأرقام الآتية:

المنظمة الجزائرية للمكونة تكونها فرنسية^(٢٥).

● = 354 مطبوعا.

● = 28 مهندسا أو مهندجا.

■ = 185 أستاذة للتربية.

● = 165 طبيباء، صيدلانيات وطبيب أسنان.

حسب مؤلف آخر^(٢٦):

● = 300 فمهن الحرة والتعليم، شطرس.

● = 20 إلى 25 موظفون وإطوانات سامة، شطرس.

● = 12 مهندسون، شطرس.

● = 100 ضباط (حوالي)، شطرس.

● = 6 قضاة، شطرس.

عدم جدوى التعليم وتنظيماته

كان التعليم في الجزائر يقدم حينئذ بصفة ثانوية للأغراض وليس للتكامل بين اللغتين الفرنسية والعربية. إن عدم تكيفه بحواء على مستوى المضمون أو على مستوى الكمية يلائسها لنمطي التعليم كان واضحا. ولم يكن يتناسب مع احتياجات التعليم الحقيقي الذي نسمو إليه الفئات الوطنية.

سبح أن المدرسة التونسية كانت تقدم بعض الانفتاح على ما يجري في الخارج ونفسا تقنيا مهما هي التكوين غير أن هذه المساعدة كانت تشوبها إيديولوجية الانفتاح. لأن المقصود هو تكوين موالدين منفردين، هديم للحدود الثقافية^(٢٧). أضاع مكانته في مجتمع محكوم وليس له مكانة الحاكم. هذا النمط من الاستيفاس في صورتهم الأكثر تقدما، كانوا يشكلون جزءا من الطلة المثلثة الجديدة من "قشبان الجزائريين" والتشكيلة السياسية "للمنتخبين".

إن معظم وجهاء الفكر، ساعدا بعض الشخصيات البارزة مثل الأمير خالد، يقوؤا مدة طويلة مفكرين بالتربية التي تلقوها في المؤسسات الفرنسية. ولم يتوصلوا، رغم جهودهم الخاصة إلى التعبير عن حساسية وطنية حقيقية ولا عن سياسة تعبر عن التطلعات الأصلية لشعبهم. ولذا وقع أن دور رجال الفكر هو البدء بكتعبير عن هذه التطلعات وليس تجاهلها، ولا أخضاها في الحسبان عندما تصبح واضحة للعيان. لهذا كان تأثير التعليم الفرنسي أمرا ثقيلا لا مجال فيه في الجزل، غير أنه ساهم في تأخر تكوين الاتجاهات الوطنية. كان هذا التعليم يُلَقِّن كرسيلة للفرنسة وتوجيه أقلية من الشباب، في اتجاه مضاد للوطنية. ولم تتخلص هذه الأقلية إلا جزئيا وبالندرج من هذه الإيديولوجيا التي نلقاها المعوقة الثقافية قيعا بعد.

كان الاعتقاد السائد في الأوساط المثقفة الجزائرية هو أن اكتساب المعارف بلغة أجنبية (في الوضعية الاستعمارية) ليست له كلال خطيرة على المستوى الثقافي. ونحن تعلم أن تعلم اللغة ليس فقط اكتساب وسيلة للكلام، ولكنه إلى حد كبير تعلم نمط تفكير. لهذا، كانت السموات السكتسية تُحدث سلوكات ثقافية معينة، بينما يضمن الفرد وكأنها سلوكات دالة على الحضارة والنفس، ولكنها مؤسسية في الواقع إلى الذكريب⁽¹⁾. هذا الشكل الإيديولوجي لسياسة الانماج هو الذي يعارض بالفعل الإيديولوجية الوطنية. أما التمارض طبعوية فإن فائدتها غير قابلة للمناقشة، وإنما ينبغي أن يستوعبها التجميع الثقافي للوطني.

هذه المسألة التي لم تُدرس بما فيه الكفاية، سنشكل مناقضا جديا، لأن يرحل لها حل فنيائي، حتى بعد عهد الاستقلال.

أما المدرسة العربية، فهنا قد أضربنا إلى مساهمتها الثمينة في الحفاظ على الشخصية القاعدية للمجتمع طيلة الاحتلال، سواء كانت من النمط التقليدي أو من النمط الإصلاحية، وعلى كل حال كان التعليم الذي يُلَقِّن فيها يشكل على الخصوص دفاعا بالنسبة لأول وأنتلاقة ثقافية محصورة بالنسبة للثاني.

إذا كان كل من الثيوريين (الإصلاحية والعصافية) يقوم بتحصنهما ١٠٠٠٠٠
 الجماعية، فهنما لم يشكلا مع ذلك منتكماً تفكيراً قوياً على توجيه الجهود الواحدة ١٠٠٠٠٠
 تحول نوعي يصبح شيئاً حتمياً أثناء سيرة التحرير.

إن التيار التقليدي الذي قام بهور تجديدي عند اندلاع الثورات المسلحة، أصبح
 عاجزاً منذ ذلك الوقت. أما تيار "النهضة" فإنه ينطلق من حركة حقيقية للتجديد
 ومشاركة مع العالم العربي - الإسلامي. ولكن هذه الحركة التي تحمل برؤى
 فلاذير في الأصالة، تبين أنها عاجزة. بعد أن أحدثت تجديدات ثقافية عظيمة، وبمضا
 كانت تواصل القيام بدورها الإيجابي في تلميع الثقافة الوطنية، تجاوزتها التيارات
 المعتمدة أكثر على الاتجاه الميائسي.

فعلاً، إن الهيمنة الأجنبية والبيئات المعروضة على البلد في جميع الميادين لم
 تكن تسمح للإصلاح الإسلامي. والنهضة بأن تصل إلى نهاية منطوقها. ومن جهة
 أخرى، كان الإصلاح محدوداً بمحدوداته الذاتية تجاه المشاكل المعقدة التي يطرحها
 العالم المعاصر. صحيح أن ذوب الإسلام كما جاءت به النهضة (واختلاف
 صورته) يشكل، فذلكما هو أنه يبقى بعيداً عن متطلبات التحرير الوطني. إن التحرير
 الوطني يتطلب تأويلاً شاملاً وأكثر حركية، يحرر منه بالاولوية على مستوى التنظيم
 والعمل السياسي (دون أعمال التعليم والتربية). فحركة التجديد الحقيقية لا يمكن
 أن تحدث دون حركة الثورة السياسية التي كانت ملازمة لها في الواقع الاجتماعي.
 هذه النظرة السياسية وما تتضمنها من حجم للعمل، كانت معدومة إلى حد ما
 عند بداية النهضة. وذلك حلة ناجمة جزئياً عن نظام التعليم الذي كان يريد أن
 يصبح عسكياً، غير أنه بقي متأثراً بحدود الانحطاط. أما النخبة الأخرى فكانت
 متوترة عن المستوى العام للثقافة في كل البلدان العربية الإسلامية. حيث لم يكن
 الإبداع الثقافي قد حل بعداً محلّ جدل الثيوري الذي كان يعتز به في الماضي. كان
 هذا الجانب الأخير يبدو كظاهرة نتيجة عن حلة للضعف وأحياناً عن حالة الهوان
 إن لم يكن عن حالة افتناء لأغوية (مثل الجوزمار). إن كان بعض التحرير مشروعاً

وبمثل الذي إلهنا للثابت فلا يتغير مع ذلك من يشوه التعامل مع قضايا الحاضر والظلمة إلى المستقبل. يمكن أن يوجهنا هذا التوجه إلى الإصلاح الجزائي (العلماء) الذي كان تعليمه الثقافي لا يركز على كل شروط المطلوبة التي تجعله قادرا على تحويل المهدم في كل الميادين.

وكما حاولنا أن نبين في هذه الدراسة (بمثل التعليم) فإن التغييرات الثقافية لا تساعد فقط على العمل الثوري. فقد كانت الحياة الوطنية متكررة بل مواجهة بين تعليم فرنسي يهدف إلى محو الوطنية وتعليم عربي غير ملائم. هذه التناقضات التي عكست الأوضاع الاستعمارية. يعني ثقافة أجنبية محدودة الانتشار عن قصد، وثقافة وطنية منقرضة. تشكل هاتان جدية للثبات ولكل الحركة الوطنية.

وظلوا لطبيعة الاستعمار الشاملة والتوترات التي يحدثها في جميع الميادين فلم يكن من الممكن تجاوز هذه التناقضات مؤقتاً إلا بالالتزام الثوري. لقد تبين بأن الالتزام وحده هو الكفيل بقوة القيم الوطنية، وإدماجها في رأس العمل الثقافي الطبيعي ليعمل منها سلاحاً إيديولوجياً من أجل الكفاح.

فعلا، إن القيم الثقافية تمتحن في العمل. فلاكتساب معلوماتها الكامل وتغيير لتضمن للوظيفة السياسية عملها والمجتمع التحكم في نفسه.

ولكن العلاقات الثقافية المتناقضة التي تطورت أثناء الفترة الاستعمارية ونجارتها الالتزام الثوري، متبوء في أشكال أخرى في الظروف اللاحقة كمواضع جارية (ضاللة) ولكنها سلبية على العموم.

وأمام ضرورة إلام أدوات الثقافية بين العلم لها مستوى تطور مختلف، فإن هذه العلاقات ستظهر في غالب الأحيان بوضوح الإمبريالية الثقافية.

الهوامش

1) Aguilera Mazoni *Culture et connaissance en Algérie* Maspero Paris 1969 p176

2) نقي هذا كل ما د. مازن بالأمم اقترها ونحوه لاكتناج، ونحوه شعبي. والإنسان رشح اقترع الارث
الظن.

3) Ch R Agorin *OP cit* p 16

(4) إيهون بورن "Yvonne Taria"، دوريات ثقافية في الجزائر المستعمرة، حسب الوثيقة، من الأسر
ذات الفرد وضعت إرساق لطلقات إلى تلك الإكسالية للضرورة في غرب ميسج من هذه الإكسالية لم تكن إلا
مكنت "الإجماع" غربان أي لطلقات تلك الأمر لتكون ومناط. إن فكرة لرمين فونت بفضل من المذاكرة
لغالبية: تلك كانت حكمة الحضارة التي يوصل إليها زمانا نسمح بأن تجعل إلى الحيلولة المواجهة السياسية التي
تستطيع فرنسا لما تبعتها لنفسها به جمال أولاد الأهل كرموز. وقد فتح طرق 11 من 1839 للإكسالية
تحت كلمة الحاصيات لندوة، في على كثر لثوب القلاقل الظن كثيرا حاضرو. في المبرية في الجزائر ونظم
إلغار شعبي عبر كل بلوكر شعبانيا على أولاد الأهل من طرف الآباء

7) Claude Bontemps *OP cit* p 96-97

(8) غود بولدن "Claude Bontemps" من 50. ورسد بورن "Yvonne Taria" محدث من "80"
مفرحة قبل الاحتلال بالنسبة لاسكند ملاك. يوجد 3 إكسالات و 90 مدرسا من أصل 12 إلى 14 ألف
ملاكن. كان يوجد في بلعل لفرس من أصل 12.500 ساكن فيها 30 زوجة طفلوه لفرس، وفي كل
دوار مدرسة 2.000 ثلثة كانوا يكونون ثلثة تربية 600 برعمولون تعليميا عاليا وكل مدرسة لها مكتبة.
لذلك كان التعليم يفر شبة لفرس. وما إلى ذلك لفرسات. لكن يد الدولة الإسلامية ظهر في أي
مكان.

(9) م. ز. أجورن "Ch R. Agorin"، بتدبير لفرس لفرس دي رانيو "Pottier d"
Raymond"، الك: ك: الحكوم الاجتماعي من 1835 هو حتى الآن متطو عنهم (الجزائريين) مثل
ما هو حدث. كانت يوجد مدارس القرية والكتبة في مسك لفرس والفرس. إن لفرس حيلكت لفرس
استوفت على الخصوص لفرس لفرس كفي لفرس في لفرس من كفي إلى ثلاث آلاف تلميذ في كل
إقليم كان دراسة لفرس ولفقه. يفسحت من 600 إلى 800 تلميذ في كل إقليم، فيعملون
على شهادة "هاف".

11) Claude Bontemps *OP cit* p 305.

(29) انشاء نظر كالد "عقد تريكة" "Youssef Tounsi" من أجل لتور الذي تمت - في قروبا وخطية
ص 149 - 141.

[30] C.R. Aggeon OP cit p 80.

[31] Robert Aron OP cit p 89.

[32] C.R. Aggeon OP cit p 83, 86.

[33] Robert Aron OP cit p 89.

[34] أسرون من الذي ذكر هذه الأرقام.

[35] هذه الأرقام المذكورة عند روبرت أسرون OP cit.

[36] شك رش (رش) 1. وهو غير وقيم في الإعلام المصري، يكتب للزمن: هناك لا أشعر - أي لا يكون
أي غير، هناك في حالة خضلة - إلى قروبا مئة ثبات التعليم الفرنسي لا احتمال حلول الأهل - كقول،
وهذا الأمر وأثن - بأن التعليم الفرنسي القش والقشكي في بلد المسلمين قد نتج من احتمال الحلول
ليعلم أن لا تقوم المعلمين الجور، كان منهم أي، فية عليه، ولكن شهادة المصرفة في أرباب بل تلك
الاحتمال.

(17) كان المغرب يظهر كمرکز سيطرة المصرفة في مصر لخصوه: الذين يظنون: بانهم لا زالت في بلدان المغرب
ليجاء منه هذه لرون على رأس قديم حلي وشيء ولكن لا ينبغي أن يفرقا هذا 1880. بل الامتداد النهائي
دفعه، لأن المراجع يأم بأنه في سائر القرون القديم أي حسب ولا إلا حشرة وأيا 1880 من المغرب،
وعلى حركس ذلك، نحن نلاحظ هذه سمات حضرة وتتر سيطرة عليه وتكر الخدم. يمكن أن لجرم وأن
المسوى الحالي الأكثر قلدا 1880 الإحمر كمسب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى عيشها كل هذه الأمور من
العبادة منها في الزمان والذكاة إن المصروف والإحمرات فلنكسها كترك القيمة في التي حصلت لرون من هذه
الأمر، في فترة مبدئية بالتطور والفرنسي ورفض سيطرة ومحاولة إخضاعه على حاله 1880 ومع ذلك فإن هذه
الفترة قد أصبحت موضوع نزاع شديد في شكلها 1880 المصروف من قبل المصروف المصرفة والمضطهدة، هذا
المصروف صارت لرون من بعد حتى مسرى هذه مع المصروف كق كطرافات" مع كما مصروف سماتها العرب في
المصرفة في ثرات القومية المصروف.

(38) جون بول شارنبي "Jean Paul Charney" (توفي وقته من 1880-1880) لاحظ أن الإحمرات لم
يسلموا تقدم عملية ناية قد تصلح كخدمة تعليمي ويحرم الثقافات المصرفة من بين غيرها، من أن
أفكارهم يحصل في القديس عقيدة أو تشريعية "مكتبة" على العادات المصرفة ليست لرون بعض
الأفكار الأخوية وإسلام منظم وليس تقويمه 1880 قبل هذا كسب الخلد من الإصلاح كشرقي كان

كذلك قبل إصلاح علماء الجوارح، وهم خصم الأهلبي لفتي أفراس، وكثرتهم عند طهريهات الإسلام.
مع أن الإسلام، علاوة على ذلك، يستحق معنى أنه مستعمر ومستريح خاصه في شيطلة وأن يرسى بالملك صمير
لمنزل وميل الأفراد للقيمته، لأن المعتقد الأصحاحي في الفتره-وي نثاره لم ينحصر إلا جزئيا في القيم
مرايه لما المولاه، هذه القول يكون في كونه الاحتمالي بشروط مع الاستجابات المتناظرة لتطور الناحية
الإسلامية.

(39) انظر على الخصوص الفتره جده "رسالة توحيد"، ورجع ابن الإسلام ليصال، ب "Mishah" في
والشيخ مصطفى عبد الرزاق



١٤٤٤ مقدمة الطبعة العربية

7 تمهيد

القسم الأول

19 في أصل الحركة الوطنية ونشأتها

21 الفصل الأول : أصل الحركة والوقائع الوطنية

59 الفصل الثاني : النهضة والتهورات المؤسسية للحركة الوطنية

الفصل الثالث : الموضوع بالجزائر بعد قرن من الاحتلال

99 هيكل الحركة الوطنية وانقساماتها

141 الفصل الرابع : الكفاح والتمولات السياسية وسياسة الانتخابات

165 الفصل الخامس : فشل سياسة المؤتمر وترسيخ التيار الثوري

القسم الثاني

181 تحولات الحركة الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية

الفصل السادس : تطور الحركة الوطنية

183 خلال الحرب العالمية الثانية (1945 - 1959)

203 الفصل السابع : أحزاب البيان والحرية (التجمع الوطني)

الفصل الثامن : التوجه الراديكالي لأصدقاء البيان والحرية.

229 أحداث عاى 1945

259..... أصبحوا كيانا وحرية

القسم الثالث

من المجد والأفول إلى الطفرة التوعوية

289..... للحركة الوطنية الأوربية

المجلد العاشر : حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات

291..... الديمقراطية في نقطة المجد : توجهاته وهياكله : ومؤسساته

المجلد الحادي عشر : أفول حزب الشعب الجزائري

313..... - حركة انتصار الحريات الديمقراطية : خطتي الديمقراطية الانتخابية

345..... الفصل الثاني عشر : التغيرات السياسية ومؤثرات الانفصال

المجلد الثالث عشر : الاتجاه التوحيدي : شهادة طرفة توعوية

373..... تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل

391..... الخلاصة

397..... الملاحق

399..... - النص الكامل لنداء جبهة التحرير الوطني : نشر في أول نوفمبر 1954

403..... - التنظيم والثقافة في الجزائر خلال العهد الاستعماري

طبع في الطبعة الأولى

شعار : من - مع - جميع - حرة - الجزائر

الهاتف : 01 54 79 12 / 02 54 79 80

الفاكس : 01 54 79 77

البريد الإلكتروني : cafeb@djvial-connex.com

طبع بالجزائر : سنة 2007



"لقد حاولنا ما أمكن تقاضي التشطيم المفرط للوقائع والأحداث لأن مساعدة الشخصيات مهما بلغت من الأهمية لا يمكن أن تشكل بديلاً للعمل الجماعي الحاسم دون غيره. فبفضل هذا العمل استطاع الثوار الثوري بحسبة خاصة تنظيم صفوفه وتجاوز العقبات والتحديات لفرض نفسه كقوة سياسية واجتماعية لا رجعة فيها."

ولد أحمد مهساس سنة 1923 بمنطقة بودواو ولاية بومرداس. بدأ نشاطه السياسي بعد سنة 1940 داخل التنظيم السري لحزب الشعب الجزائري بقي بلكور بالعاصمة. اعتقل عدة مرات من طرف سلطات الإستعمار الفرنسي بتهمة النشاط السياسي وكان من المسؤولين الأوائل لحزب الشعب وشارك في العمل التنظيمي وهي تأسس المنظمة الخامسة. اعتقل سنة 1950 وحرر من سجن القلعة بولاية



بن بلة. عاش في الحياة السرية (من 1944 إلى 1962) أين كان ضمن الجناح النضالي الراديكالي. خلال الصراع الداخلي لحزب الشعب الجزائري، ناضل أحمد مهساس لمساندة وتدعيم العمل الثوري. مهساس كان من مؤسسي فواعد جبهة التحرير الوطني داخل فرنسا ومعهما عين كمندوب سياسي-عسكري لمناطق الشرق الجزائري وهو من بين أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي من سنة 1963 إلى 1966 وعضو المكتب السياسي. بعد 1965 أصبح عضوا في مجلس الثورة. اختار المنفى بإزرائل وعاش في فرنسا من سنة 1966 إلى 1981. عاد إلى الجزائر بعد رحيل هواري بومدين وبعد التعددية الحزبية، انضم حزب اتحاد القوى الديمقراطية سنة 1989. وتوقف حاليا عن العمل الحزبي لأسباب سياسية وصحية.

هذه الدراسة هي موضوع رسالة دكتوراه دولة في علم الاجتماع ناقشها المؤلف بالجامعة الفرنسية.